سلسلة أبحاث كتابية/٢٠

سلسلة تفاسير ٢

الانجيل بحسب القديس مرقس

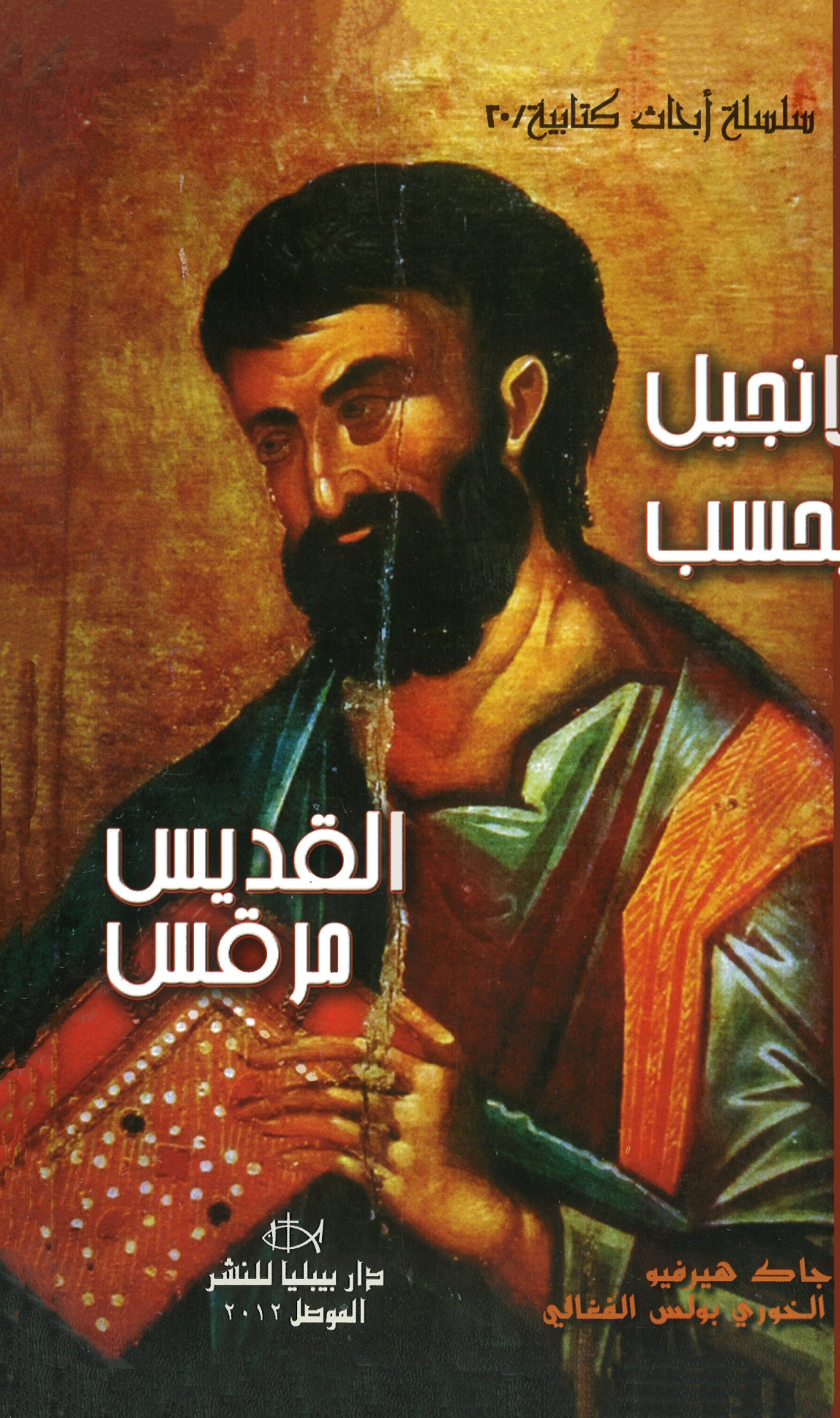

تأليف: جاك هيرفيو
تعريب: الخوري بولس الفغالي

دار بيبليا للنشر
الموصل ٢٠١٢

مرقس الانجيلي

ايقونة منسوبة الى اندريه روبليف (القرن ١٤)

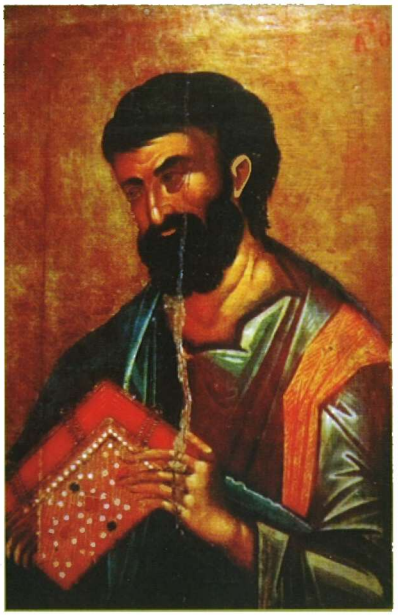

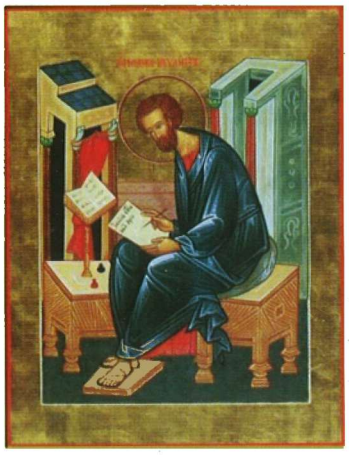

ايقونة بيزنطية حديثة

الإنجيل
بحسب
القديس
مرقس

سلسلة تفاسير

صدرت بالفرنسية عن الخدمة البيبلية "انجيل وحياة"، بقلم اختصاصيين في الكتاب المقدس. وتصدر، مترجمة بالعربية، عن دار بيبليا للنشر ضمن سلسلة "أبحاث كتابية"، وبمعدل كتابين في السنة.

ظهر منها:

١. الانجيل بحسب القديس متى	(صدر عام ١٩٩١)	تعريب: الاب بيوس عفاص/٢٠٠٨
٤. الانجيل بحسب القديس يوحنا	(صدر عام ١٩٩٢)	تعريب: الأب بيوس عفاص/٢٠٠٩
٦. رسائل القديس بولس/ج١: ١ و٢ قورنتس	(صدر عام ١٩٩٦)	تعريب: م. جرجس القس موسى/٢٠١٠
٧. رسائل القديس بولس/ج٢: روما وغلاطية	(صدر عام ١٩٩٦)	تعريب: الاخت باسمة الخوري/ ٢٠١٠
٨. رسائل القديس بولس/ج٣: الرسائل التسع الأخرى	(صدر عام ١٩٩٧)	تعريب: الاب البير ابونا/ ٢٠١١
٩. الرسائل الأخيرة (عبرانيين والرسائل العامة)	(صدر عام ١٩٩٧)	تعريب: الأب فادي مسلّم/ ٢٠١١
٢. الانجيل بحسب القديس مرقس	(صدر عام ١٩٩١)	تعريب: الاب بولس الفغالي/ ٢٠١٢

سيظهر تباعاً:

٣. الانجيل بحسب القديس لوقا	(صدر عام ١٩٩٣)	تعريب: الاب بيوس عفاص/ خريف٢٠١٢
٥. سفر اعمال الرسل	(صدر عام ١٩٩٤)	تعريب: الاب ايوب شهوان/ اوائل ٢٠١٣
١٠. سفر الرؤيا	(صدر عام ١٩٩٥)	تعريب: الاب بيير نجم/ خريف٢٠١٣

عنوان الكتاب بالفرنسية

Collection "Commentaires"
Jacques Hervieux
L'Evangile de Marc
Commentaire pastoral
Ed. Centurion - Novalis
France - Canada ١٩٩١

دار بيبليا للنشر / كنيسة مار توما - الموصل (العراق) e-mail: bibliamosul@yahoo.com

تطلب كافة منشورات دار بيبليا في العراق: كنيسة مار توما – الموصل
وفي لبنان:
- مكتبة جامعة الروح القدس – الكسليك
- المكتبة البولسية – جونيه
- مكتبة دير مار اشعيا – برمانا

الانجيل بحسب القديس مرقس

تفسير راعوي

سلسلة تفاسير

(٢)

تأليف: جاك كيرفيو

تعريب: الخوري بولس الفغالي

اصدارات

مركز الدراسات الكتابية

الموصل – العراق

٢٠١٢

كلمة الناشر

إذا كان انجيل مرقس في سلسلة "تفاسير" قد أُرجئ إلى الآن، فلأن سلسلة "ابحاث كتابية" كانت قد خصته بكتاب من تأليف الاب ماري – اميل بوامار الدومنيكي بعنوان "يسوع الذي من الناصرة/ بقلم مرقس الانجيلي" (تعريب الاب بيوس عفاص، الموصل ٢٠٠٢)، وكان قد اثار في حينه ضجة مفتعلة بسبب طروحات بدت لبعضهم جريئة كي لا نقول منحرفة!

ولئن كان انجيل مرقس قد وُضع في المرتبة الثانية بعد انجيل متى، إلا انه يحتل، باجماع البيبليين، مكان الصدارة! فمرقس كان اول من ابتكر فن تحويل البشرى السارة إلى "انجيل" مدوّن يكشف عن سر يسوع الناصري المصلوب والممجّد؛ انجيل هو بشرى، بصفائها وعريها، مع ما يرافقها من مفارقات وصدمات ومعاثر؛ وبكلمة انها مغامرة اللحاق بيسوع عبر مسيرة طويلة وأليمة يكتشف القارئ في نهايتها ان المسيح القائم هو ذاته يسوع الناصري المصلوب، ولن يلتقيه ممجداً الا على طريق الصليب...

"لكَم سيتوجب علينا ان نتخلى عماّ نعرفه عن يسوع عبر سائر الاناجيل، كي تصبح معرفتنا به، بحسب مرقس، ذات مدلول عميق، وتصبح قراءتنا له اكثر قربا والتصاقا بقراءة الكنيسة الأولى وايمانها"! بهذه الكلمات كان المعرب قد صدّر كتاب الاب بوامار؛ وعلى خلفية انجيل مرقس تتخذ معرفتنا بيسوع بحسب متى ولوقا اللذين اعتمداه -لذا سميت اناجيل ازائية- اضفاءات نيرة...

في هذا الجزء الثاني من سلسلة "تفاسير" (رقم ٢٠ في سلسلة "ابحاث كتابية") يجد القارئ، إذن، الخلفية التي انطلق منها متى في انجيله (سلسلة تفاسير/١، بيبليا للنشر ٢٠٠٨) واعتمدها لوقا من ثم (سلسلة تفاسير/٣، يظهر في خريف ٢٠١٢)، فيما كان للانجيلي يوحنا (سلسلة تفاسير/٤، بيبليا للنشر ٢٠٠٩) تقليد آخر مكّنه من التحليق نحو لاهوت المسيح، دون التنكر لانسانيته...

مع هذا الكتاب من تأليف البيبلي الفرنسي جاك هيرفيو و تعريب الخوري بولس الفغالي -صاحب المصنفات البيبلية الكثيرة- تكون دار بيبليا قد انجزت طبع سبعة من سلسلة "تفاسير"، بينها ٣ أناجيل وثلاثية رسائل بولس والرسائل الاخيرة. ومع انجيل لوقا الذي سيظهر في خريف هذا العام، ستكون الاناجيل الاربعة قد خُصّت بالتفسير الراعوي الرصين، واصبحت في متناول قراء يلتقون من خلالها كلمة الحياة في هذا العام المخصص للكتاب المقدس –وقد تزامن مع احتفال مركز الدراسات الكتابية باليوبيل الفضي على تاسيسه!

الموصل في ٨ كانون الثاني ٢٠١٢ — مع تمنيات دار بيبليا للنشر

الترتيب الابجدي للاسفار الكتاب المقدس

اعتمدنا المختصرات لمراجع الاسفار المقدسة، وفقاً لطبعة دار المشرق. واليكم قائمة بها:

أح	الاحبار	عد	العدد
١ أخ	سفر الاخبار الاول	عز	سفر عزرا
٢ أخ	سفر الاخبار الثاني	عو	عوبديا
ار	ارميا	غل	الرسالة الى غلاطية
اس	استير	ف	الرسالة الى فيلمون
اش	اشعيا	فل	الرسالة الى اهل فيلبي
اف	الرسالة الى اهل افسس	قض	سفر القضاة
أي	ايوب	١ قور	الرسالة الاولى الى اهل قورنتس
با	سفر باروك	٢ قور	الرسالة الثانية الى اهل قورنتس
١ بط	رسالة القديس بطرس الاولى	قول	الرسالة الى اهل قولسي
٢ بط	رسالة القديس بطرس الثاني	لو	الانجيل كما رواه لوقا
تث	تثنية الاشتراع	متى	الانجيل كما رواه متى
١ تس	الرسالة الاولى الى اهل تسالونيقي	مثل	الامثال
٢ تس	الرسالة الثانية الى اهل تسالونيقي	مر	الانجيل كما رواه مرقس
تك	التكوين	مرا	المراثي
جا	الجامعة	مز	المزامير
حب	حبقوق	١ مك	سفر المكابيين الاول
حج	حجاي	٢ مك	سفر المكابيين الثاني
حز	حزقيال	١ مل	سفر الملوك الاول
حك	سفر الحكمة	٢ مل	سفر الملوك الثاني
خر	الخروج	ملا	ملاخي
دا	دانيال	مي	ميخا
را	سفر راعوث	نح	سفر نحميا
رسل	اعمال الرسل	نحو	نحوم
روم	الرسالة الى اهل رومة	نش	نشيد الاناشيد
رؤ	الرؤيا	هو	هوشع
زك	زكريا	يش	سفر يشوع
سي	يشوع بن سيراخ	يع	رسالة القديس يعقوب
صف	صفنيا	يو	الانجيل كما رواه يوحنا
١ صم	سفر صموئيل الاول	١ يو	رسالة القديس يوحنا الاولى
٢ صم	سفر صموئيل الثاني	٢ يو	رسالة القديس يوحنا الثانية
طو	طوبيا	٣ يو	رسالة القديس يوحنا الثالثة
طي	الرسالة الى طيطس	يوء	يوئيل
١ طيم	الرسالة الاولى الى طيموثاوس	يون	يونان
٢ طيم	الرسالة الثانية الى طيموثاوس	يه	يهوديت
عا	عاموس	يهو	رسالة القديس يهوذا
عب	الرسالة الى العبرانيين		

الفهرس

مقدِّمة: كتاب ليس كسائر الكتب

المطلع: من يوحنّا المعمدان إلى يسوع
(١: ١-١٣)

المحطَّة الأولى: من نداء الرفاق الأوَّلين إلى تأسيس مجموعة الاثني عشر
(١: ١٤-٣: ١٢)

المحطَّة الثانية: من تأسيس الاثني عشر إلى إرسالهم
(٣: ١٣-٦: ٦)

المحطَّة الثالثة: من إرسال الاثني عشر إلى إعلان الإيمان بفم بطرس
(٦: ٧-٨: ٢٦)

المحطَّة الرابعة: من إعلان الإيمان بفم بطرس إلى الإنباءات المتكرِّرة للآلام
(٨: ٢٧-١٠: ٥٢)

المحطَّة الخامسة: في أورشليم، مواجهة يسوع للسلطات الدينيَّة
(١١: ١-١٣: ٣٧)

المحطَّة السادسة: آلام يسوع وقيامته
(١٤: ١-١٦: ٨)

خاتمة: ظهورات يسوع والإرسال
(١٦: ٩-٢٠)

مقدمة

كتاب ليس كسائر الكتب

إنجيل مرقس هو "إنجيل" قبل أي شيء آخر. أراد الباحثون مرارًا أن يحصروا هذا النوع من الكتابة في كونه "حياة يسوع" في المعنى الحديث للعبارة. ولكن ما تُعلِّمُنا قراءته هو أنَّنا قبل كلِّ شيء أمام "شهادة إيمان": الخبر السّارّ لخلاص البشر، في وجه أصيل، هو وجه يسوع الناصريّ، الماسيّا وابن الله (١:١). والإعلان السعيد لحياة يسوع وموته، تُعاد قراءته على ضوء القيامة، لا مجرَّد سيرة حياة (بيوغرافيا)، أي كتابًا حياديًّا. هذه البشرى السّارّة تُلزم القارئ بأن ينطلق في الإيمان في إثر المخلِّص. ففي يسوع المسيح، اقترب الله من البشر بشكل حاسم، وفي شخصه عرضَ عليهم الخلاص من الشرِّ والموت.

هذا البلاغ البهيج أعلنه مرقس بصورة فريدة. واحتفظت الكنيسة بأربع شهادات حول مؤسِّسها، "بحسب" متّى، مرقس، لوقا، يوحنّا. فإن أردنا وصفَ كُلٍّ من هذه الأناجيل، بعبارة واحدة، نقول: بدا متّى بهيئة محامٍ في مرافعة بليغة، فأعاد قراءة محاكمة يسوع. ولوقا، من جهته، فقد كان أكثر هدوءًا، شبيهًا بفنّان يرسم لوحات رقيقة عن المعلِّم. أمّا يوحنّا، فقد قدَّمَ عن الابن مشاهدة روحيَّة غنيَّة، مع بعض العودة الى الوراء في الزمن، في شركة مع الآب والروح القدس. في هذا السياق، بدا مرقس في إيجازِه وفي بساطته أيضًا وكأنَّه كتب باسلوب صحافيّ.

وما يلفت قارئ مرقس هو أسلوبه المباشر المحرَّر في هيئة حديث. لقد استعمل ألفاظًا معروفة، حتّى ليبدو فقيرًا بالنسبة إلى غيره، ولا يتردَّد في تكرار عبارات صارت شبه طفيليَّة في قلمه: مثل حرف العطف **"و"**، **وفي الحال، أيضًا، كثيرًا**...

لقد مزَج صيغ الأفعال في الجملة الواحدة، دون حرج، مفضِّلاً صيغة "الحاضر التاريخيّ" الذي يؤوِّن أقوال يسوع وأفعاله. وأكثر من ذلك، كشف مرقس، على مدى

الصفحات، أنَّه راوية شعبيّ ناجح. فهو يعرف كيف يروي بفنٍّ ويضع الحياة والصورة في أخباره بشكلٍ مدهش. والمثل اللافت بشكل خاصّ هو الخبر الرائع لمجنون الجراسيِّين (٥: ١-٢٠). لكلِّ هذه الأسباب، يبدو مرقس، للوهلة الأولى، وكأنَّه صاحب "ريبورتاج" تبع يسوع خطوة خطوة "وغطّى الأحداث تغطية مباشرة"، فجعل من نفسه صدى لها. وتجعلنا حيويَّة نثره وطريقته الخشنة بعض الشيء نحسبه كواحد من هؤلاء "الشهود العيان" ليسوع، الذي سجَّل في الحال أقواله وصوَّر أعماله كما في "فيلم".

هذا الشعور الأوَّل ينبغي تصحيحه تصحيحًا تامًّا. فهناك كاتب قديم، جدير بالثقة، أوسابيوس القيصريّ (القرن الرابع) قال عن مرقس: بأنَّه "لم يسمع يسوع ولا رافقه، بل رافق بطرس فيما بعد، كما سبق وقلت..." (**التاريخ الكنسيّ** ٣/٣٩: ١٥).

وقراءة متبحِّرة بعض الشيء لإنجيل مرقس تفرض علينا أن نكتشف فيه مؤلَّفًا موغلاً في العمق. فهناك أخبار نظنُّها التقطت مباشرة من الحياة، تبدو لدى التحليل أنَّها مبنيَّة بحسب مخطط أكيد. مثل رواية "تهدئة العاصفة" (٤: ٣٥-٤١) المبنيّة بحسب نموذج طرد الشياطين (كما في ١: ٢١-٢٨). ومن المؤكَّد أيضًا أنَّ مشاهد نحسبها عفويَّة هي مصبوبة صبًّا ماهرًا على قالب بيبليّ قديم جدًّا: إنَّ "دعوة التلاميذ الأوَّلين" (١: ١٦-٢٠) مبنيَّة بحسب نمط دعوة النبيّ إليشع (في ١ مل ١٩: ١٩-٢١). و هناك أخيرًا متتاليات كاملة في الإنجيل، تتكرّر كما هي لدى الإنجيليِّين الإزائيِّين الآخرين. لقد تسلَّمها مرقس بعد أن سبق التقليد الرسوليّ وبناها بناء. مثلاً، متتالية الكسيح الذي غُفرت خطاياه وشُفيَ، ودعوة لاوي، وتناول الطعام مع الخطأة، ومسألة الصوم (٢: ١-٢٢). كلُّ هذا نقرأه في الترتيب عينه عند متّى (٩: ١-١٧) ولوقا (٥: ١٧-٣٩).

إذًا، إن دلَّ مرقس أنَّه أصيل في طريقة كتابته، فينبغي ألاَّ ننسى حين نقرأه، أنَّه حامل كلام تقليد قديم. فيجب من دون توقُّف أن نميِّز عنده الحقبات الثلاث التي طبعت بطابعها ولادة الأناجيل:

١- تعليم يسوع ونشاطه مع تلاميذه، في المجتمع اليهوديّ في بداية القرن الأوَّل (سنة ٢٨-٣٠).

٢- كرازة الرسل الذين استعادوا أقوال يسوع وأعماله وفسَّروها للجماعات المسيحيَّة النائشة (في سنة ٣٠-٦٠).

٣- وهذه الكرازة الأولى التي انتقلت أوَّلاً انتقالاً شفهيًّا، ثمَّ دُوِّنت بشكل تدريجيّ تجاوبًا مع حاجات كنائس تأسَّست في زمان ومكان بعيدين عن البدايات (سنة ٦٠-١٠٠).

شارك الإنجيل "بحسب مرقس" بأصالة خاصَّة، في هذه المستويات الثلاثة من نقل بلاغ يسوع، وإن صعب علينا أن نكتشف الآن ذلك.

إنجيل مبنيّ بناء محكمًا

إن تسلسلاً غير منقطع لأحداث رواها مرقس، على مدى ١٦ فصلاً، ليس فسيفساء مبعثرة. إنَّه مجموعة مبنيَّة بناء محكمًا. ونستطيع أن نرى فيه وحدات أدبيَّة جُمعَت تعمُّدًا. وإليك بعض الأمثلة:

- دورة "المعجزات" المرتبطة الواحدة بالأخرى (مثلاً، ٤:٣٥-٥: ٤٣). فمجموعة أفعال يسوع الخلاصيَّة قد يكون المرسَلون الأوَّلون استندوا إليها في إعلان إنجيل، هو "قوَّة خلاص".
- مجموعة "مجادلات"، أو مناقشات يسوع مع خصومه (حول الصوم والسبت واستقبال المُبعَدين، ٢: ١-٣: ٦). استُعملت هذه الموضوعات لتجيب على أسئلة طُرحت في قلب الجماعة المسيحيَّة.
- مجموعة "تعاليم" يسوع لتلاميذه الأخصّاء حول مواضيع متنوِّعة: كيف نتبعه في الحقيقة؟ (٩:٣٥-٥٠). كيف يتصرَّف المسيح في العالم؟ تجاه الزواج والأولاد والغنى والخدمة... (١٠: ١-٤٥).
- وينبغي أن نضيف إلى هذا، مجموعات "أقوال" يسوع المجموعة في "خطب" كاملة: الخطبة في الأمثال (٤:١-٣٤). الخطبة حول نهاية الأزمنة (١٣:١-٣٧). وأخيرًا، أخبار مرتَّبة في مجموعة متواصلة مثل رواية الآلام والقيامة (١٤:١-١٦: ٨).

كلُّ هذا يكشف إنجيلاً مدوَّنًا، لا لنشر بشرى يسوع المسيح في الخارج فقط، بل أيضًا لتلبية حاجات جماعة مسيحيَّة في نشاطاتها المختصَّة:

١- **حياتها الليتورجيَّة**. مثلاً: "رواية الأرغفة" (٦:٣٠-٨: ٢١). نكتشف في خلفيَّة الأخبار مسألة طُرحت في الكنيسة الأولى حول مشاركة الوثنيِّين المهتدين في الإفخارستيَّا مع اليهود المسيحيِّين.

٢- **تكوينها الدينيّ**. مثلاً، تعليم يسوع حول مسائل الحياة في الجماعة (٩:٣٣-١٠: ٤٥).

٣- **رسالتها في العالم**. مثلاً أخبار المعجزات المتعلِّقة بأسفار مرسلي يسوع لدى الوثنيِّين (٤:٣٥-٥: ٢٠).

جماعة مرقس

نخطئ خطأ كبيرًا إن نحن اعتقدنا أنَّ إنجيل مرقس قد فكَّر به ودوَّنه كاتب منعزل "في غرفته". فالإنجيليّ هو مسؤول عن جماعة مسيحيَّة. وهو يصوغ كتابه في هذه الجماعة ومن أجلها. وهو يقاسمها حياتها ووجعها ورجاءها. وحين نقرأ الإنجيل نكتشف السمات الأصيلة لجماعة مرقس:

١- هذه الجماعة مؤلَّفة بشكل خاصّ من **وثنيِّين مهتدين**. وهكذا أُجبر مرقس أن يترجم لهؤلاء اللايهود، كلمات يسوع الأراميَّة (مثلاً في ٥:٤١). كما أجبر أن يشرح العادات اليهوديَّة (٧:٣-٤). وألحَّ كثيرًا فبيَّن المسيرة التي قام بها يسوع لينقل البشرى من اليهود إلى الوثنيِّين. راجع في هذا المعنى حدثًا له معناه: لقاء يسوع مع المرأة السوريَّة الفينيقيَّة (٧:٢٤-٣٠). وليس من قبيل الصدف أخيرًا، أنَّ أعمق إعلان إيمانيّ -يسوع "ابن الله"- جُعل في فم وثنيّ اهتدى عند أقدام الصليب (١٥:٣٩).

٢- إنّها جماعة تعيش **زمنًا متأزِّمًا: الاضطهاد**. يرتدي إنجيل مرقس في عدد من صفحاته وشاحًا دراماتيكيًا لا يُفهم جيِّدًا إلاَّ إذا كانت الكنيسة التي يتوجَّه إليها تمرُّ في أحداث مؤلمة. ما هي هذه الأحداث؟ تشكِّل السنوات ٦٠-٧٠ عقدًا من الاضطرابات العميقة في الإمبراطوريَّة الرومانيَّة. ففي فلسطين أثار الاحتلالُ الرومانيّ ثورة مسلَّحة: "الحرب اليهوديَّة"، انطلاقًا من سنة ٦٦، وهي تنتهي في احتلال أورشليم وتدمير الهيكل سنة ٧٠. وفي رومة نفسها، بعد موت نيرون، اندلعت حرب أهليَّة (سنة ٦٨-٦٩)، سبقها اضطهادٌ دينيّ! ففي سنة ٦٤ وسنة ٦٧ نال إكليل الشهادة الرسولان بطرس وبولس. ويحمل إنجيل مرقس آثار هذه الأحداث المأساويَّة. وتُبرز جماعته ردَّة الفعل تجاه هذه الأوقات القلقة. فيكتب في بعض صفحات الإنجيل تاريخها الخاصّ:

- نداءات يسوع إلى ان نترك أسرتنا وخيراتنا، أي كلَّ طمأنينة بشريَّة، لكي نتبعه (١٠: ١٧-٣١).
- تعليم المعلِّم الذي يدعو المسيحيِّين لكي يأخذوا "صليبهم" ليكونوا بكلِّيَّتهم في خطاه (٨:٣٤- ٩: ١).
- إلحاح يسوع على أن نبقى "ساهرين": نحفظ الإيمان حفظًا قويًّا عبر أقسى المحن، مثل الاضطهاد (١٣:٩-٢٠).

٣- إنّها **جماعة من المرسَلين** تمارس الانفتاح على الوثنيِّين. فأحد اهتمامات يسوع المرقسيِّ هو حمل كلمتَه وعملَه الى أبعد من العالم اليهوديّ. ففي قلب الإنجيل تُقدَّم الوليمة المسيحانيَّة للوثنيِّين كما لليهود. هذا هو معنى تكثير الأرغفة "مرَّتين" والتعليم

الذي يرافقه (٦:٣٠-٨: ٢١). ونحن نرى دومًا أن يسوع يجعل مسافة بينه وبين النظم اليهوديَّة، فيستقبل الوثنيِّين في ما به يختلفون. راجع الحدث النموذج لإيمان وثنيَّة (٧: ٢٤-٣٠).

٤- وأخيرًا هي **جماعة تنظِّم نفسها**. حيثُ يُركّز مرقس، من وراء الجموع وخصوم يسوع (ولاسيَّما الكتبة والفرِّيسيِّين ورؤساء الكهنة)، على "تلاميذ" المعلِّم. ويدلُّ هذا اللفظ أوَّلاً، على الذين رافقوا يسوع، ولكن على معاصري الإنجيليّ الذين يكوِّنون جماعته أيضًا. وليس من قبيل الصدف أن يشدِّد مرقس على دور الاثني عشر (ذُكروا ١١ مرَّة)، الذين جعلهم يسوع في "حلقة" بجانبه (٣: ١٣-١٩)، الذين أرسلهم إرسالاً (٦:٧-١٣)، الذين ضمَّهم بشكلٍ حميم إلى سرِّ موته وقيامته وسلَّمهم "ذكرى" الإفخارستيّا (١٤:١٧-٢٥). كلُّ هذه الإشارات تدلُّ على كنيسة في طور البناء، في التقليد الحيّ.

متى دُون إنجيل مرقس وأين؟

لم يتمّ التوافق كلِّيًّا بين الأخصّائيِّين بعد. غير أنَّ معظمهم يطنون أنَّ إنجيل مرقس قد نشأ في رومة بالذات في السنوات ٦٧-٧٠. ويستند هذا الرأي في ما يستند إلى معلَمين رئيسيِّين:

١- حسب تقليد قديم يعود إلى إيريناوس، أسقف ليون (فرنسا) (قبل سنة ٢٠٠)، لم يدوَّن إنجيل مرقس إلاَّ بعد وفاة بطرس وبولس اللذين أسَّسا معًا الكنيسة في رومة، إذًا بعد سنة ٦٧.

٢- ونجد المَعلَم الثاني في الإنجيل عينه، بحسب مر ١٣: ١٨-٢٠، حيث يبدو أنَّ "الحرب اليهوديَّة" قد بدأت. غير أنَّ دمار الهيكل لم يحصل بعد، على ما يبدو. وسيتم ذلك سنة ٧٠.

من كان مرقس؟

لا يقول لنا الإنجيل إطلاقًا أيَّ شيء عن شخص كاتبه. فنحن لا نجد التوقيع. ولا ندهش من ذلك حين نعرف أنَّ الملكيَّة الأدبيَّة لم يُعمَل بها في العصر القديم. وقد يُوضَع المؤلَّف أيضًا على اسم شخص مشهور، مثل أحد الاثني عشر. إذن، لم تدوِّنه يد رسول كشاهد عيان لحياة يسوع. ويبقى أنَّ الإشارة إلى الإنجيل "بحسب مرقس" جاءت متأخِّرة نسبيًّا. فهي تعود إلى القرن الثاني فقط وتحيلنا إلى اسم من أصل روماني منتشر جدًّا: مرقس (في اليونانيَّة).

وأقدم تقليد يجعل من مرقس هذا "تلميذًا ومفسِّرًا" لبطرس يرقى إلى إيريناوس الذي توفِّي سنة ٢٠٢. إنه تقليد متين ومتجذِّر في معطيات العهد الجديد. ففي أعمال

الرسل نتعرَّف إلى شخص اسمه يوحنّا ومكنّى بـ "مرقس"، وهو على علاقة ببطرس في أورشليم (رسل ١٢:١٢). غير أنَّ يوحنّا مرقس سوف يتميَّز عن هذه الشخصيّة حين يصبح أحد تلاميذ بولس، بعد أن رافقه في الرسالات لدى الوثنيِّين (رسل ١٣: ٥؛ ١٥: ٣٧). ومن الملاحظ أخيرًا أنَّنا نجد مرقس في رومة، بجانب بولس أسير المسيح (قول ٤: ١٠)، وكصديق لبطرس في بابل القرن الأوَّل (١ بط ٥: ١٣).

من ذلك نرى أنَّ مرقس، كان شخصًا من الصفِّ الثاني بالرغم من علاقاته الوثيقة مع الرسولَين الكبيرين. أيكون هذا السبب بأنَّ إنجيله لبث حتّى القرن التاسع عشر في ظلِّ أناجيل متّى ولوقا ويوحنّا التي عُرِفَتْ بشكل أوسع؟ واليوم يتفق معظم الأخصّائيِّين على أن يروا في مرقس أقدم الإنجيليِّين في كلِّ فرادته.

"يسوع بحسب مرقس"

ظنَّ البعض أنَّ فضل إنجيل مرقس يكمن في تقديمه صورة بشريَّة جدًّا عن يسوع. لا شكَّ أنَّ هذا يلفت نظر القارئ المعتاد أن يرى في يسوع "ابن الله". فيسوع مرقس لا يعرف يوم نهاية الأزمنة (٣٢:١٣)، ويرتعب رهبةً أمام الموت (٣٣:١٤-٣٤)، ويموت في الظاهر وكأنَّه يائس (٣٤:١٥). هذا الطابع البشريّ ليسوع نقرأه أيضًا في تفاصيل عديدة من حياته. نراه ينام والعاصفة على أشدِّها (٣٨:٤)، وليس له وقتٌ ليأكل (٣١:٦)، ويندهش من عدم الإيمان لدى أهل وطنه (٦:٦أ)، ويغضب على خصومه (٥:٣أ) وعلى أصدقائه (١٤:١٠). ولكن، أبعد من هذه الصورة المباشرة ليسوع "الإنسان"، توخَّى مرقس بشكل خاصّ أن يُدخلنا في وحيٍ يَحمله.

في مرحلة أولى، وفي الجزء الأوَّل من هذا الإنجيل (١:٤-٨:٣٠)، تجلَّى يسوع على أنَّه أكثر من رابِّي عالم أو نبيّ مشهور: "الماسيّا"، أي مرسَل الله الخاصّ ليُقيم ملكه في نهاية الأزمنة. غير أنَّ مهمَّته دقيقة. فالعالم اليهوديّ في ذلك الزمان تحرِّكه انتظارات متعدِّدة في شكلها، ومنها انتظار ماسيّا أرضيّ أساسًا. رأوا فيه بشكل خاصٍّ مثْلَ محرِّر سياسيّ واقتصاديّ بسبب ثقل الاحتلال الروماني ونقص في الخيرات. ما أراد يسوع أن يُفسح المجال أمام هذا الخطأ حول هويَّته الحقيقيَّة ومهمَّته الأساسيَّة. وهنا يتدخَّل ما دعاه الأخصّائيُّون بتدبير "السرِّ المسيحانيّ". فنرى يسوع يفرض أقسى حالات الصمت على جميع الذين يكتشفون شيئًا من كيانه أو من رسالته العميقة، مما يجعلنا في حيرة! فلقد بدت هذه الاكتشافات سابقة لأوانها: لأن ملء سرِّ شخصيَّة الماسيّا وعمله، لا يمكن أن يُستقبَل حقًّا في الإيمان إلاَّ بعد موته وقيامته. فيسوع هو "ابن الله" الآتي ليخلِّص البشر من قوى الشرِّ والموت حين يمرُّ في "عثار" الصليب. هذا ما يكشفه الجزء الثاني من الإنجيل (٣١:٦-١٦: ٢٠).

ما تردَّد مرقس في أن يمنهج "السرَّ المسيحانيّ" بحيث يجعل القارئ في حيرة كبيرة! ونندهش بالمفارقة المتواصلة لوَحي يقدَّم علنًا، ويكون مخفيًّا في الوقت عينه. وليس من السهل لمن يتصفّح الإنجيل المَرقسيّ اليوم أن يدخل في مشاعر الدهشة والرعب التي يحرِّكها عمل يسوع (راجع ١:٢٧أ؛ ٢:١٢ب؛ ٤:٤١؛ ٥:١٥ب...) أو تعليمه (١:٢٢؛ ٦:٢؛ ١٠:٢٤-٢٦؛ ١١: ١٨ب؛ ١٢: ١٧ب) أو تحركها تجلِّيات لاهوته الخاطفة (٤:٤١؛ ٦:٥٠-٥١؛ ٩:٦؛ ١٦:٥ب). ومع ذلك، يسوع نفسه يرفع الحجاب، بشكل تدريجيّ، عن سرِّ هويَّته العميقة: انظروا إعلانه الاحتفاليّ أمام عظيم الكهنة (١٤:٦١-٦٢). لقد رُسمت الطريقُ لإيمان التلاميذ: طريق صعبة ولكنَّها خصبة. وكان عثار الصّليب هو أهول الحواجز القائمة في طريقهم، كما يشهد إنباؤه الثُّلاثي (٨:٣١؛ ٩:٣١؛ ١٠:٣٢-٣٤). ولكن هذا لا ينبغي أن يثلم الرجاء الثابت بانتصار ابن الإنسان النهائيّ على جميع الشرور (١٣:٢٤-٢٧). وإذ تجابه الكنيسةُ قوى الشرّ، تختبر قوى العواصف الهائلة (٤:٣٥-٤١)؛ إذ ذاك ستستطيع تقدير العون الفاعل الّذي يأتيها من القائم من الموت (١٦:٢٠).

دليل للقراءة

لا يقدِّم إنجيل مرقس لمن يتصفحه تصميمًا واضحًا جدًّا. ولقد سبق التقليد القديم أن شهد على غياب تركيبة واضحة للكتاب. فبابياس، أسقف هيرابوليس في فريجية (حوالي ١٢٥) صرَّح: "إنَّ مرقس الذي كان مفسِّرًا لبطرس، قد كتب بدقَّة ولكن بلا ترتيب (...)".

غير اننا نوجِّه القارئ المعاصر، ونقترح تصميمًا بين تصاميم أخرى ممكنة. وهذا الخيار يأخذ في الحساب فكرتين أساسيَّتين في الإنجيل:

- "الوحي المتدرِّج" لسرِّ شخصيَّة يسوع ورسالته.
- اهتمام مرقس المتواصل "لتكوين تلاميذ" المعلِّم.

١- إنَّ **الوحي المتدرِّج** لسرِّ يسوع يتيح لنا أن نميِّز **جزئين كبيرين** في إنجيل مرقس: الجزء الأوَّل: ١: ١-٨:٣٠. يكشف أصالة هويَّة يسوع: إنَّه "الماسيّا".

الجزء الثاني: ٨:٣١-١٦:٢٠. بعد أن يُعرَف الماسيّا، وهوذا يكشف لتلاميذه عمق شخصيَّته وعمله الذي لا يطاله الخيال: إنَّه "ابن الله" الذي ينتزع البشر من سلطان الشرِّ والموت بآلامه وقيامته.

٢- **المستفيدون الرئيسيُّون** من وحي يسوع هذا، الماسيّا وابن الله ومخلِّص العالم، هم "تلاميذه". ويدلُّ اللفظ على الذين يتبعون معلِّمًا، ويلتصقون بشخصه وبتعليمه. في إنجيل

مرقس، تتكرّر مفردة "تلميذ" ٤٦ مرّة. وهذا الاستعمال يكشف موضوعة عزيزة جـــدًّا على قلب الإنجيليّ ألا وهي: نقل "أولئك الذين يتبعون" يسوع من مرحلة إلى مرحلة حتّى ملء تقبُّل بلاغه في الإيمان.

ويقدِّم إنجيل مرقس ستَّ محطّات، بها يستقبل التلاميذ البشرى بشكل متـــدرِّج جدًّا، ويُدعَون إلى أن يحملوها، كنسيًّا، إلى العالم كلِّه، ويحيوها.

مخطط لإنجيل مرقس

- **المطلع:** ١:١-١٣ من يوحنا المعمدان الى يسوع
- **المحطَّة الأولى:** ١: ١٤-٣: ١٢: من دعوة التلاميذ الأوَّلين إلى تأسيس مجموعـــة الاثني عشر.
- **المحطَّة الثانية:** ٣: ١٣-٦: ١٦: من تأسيس الاثني عشر إلى إرسالهم.
- **المحطَّة الثالثة:** ٦: ١٧-٨:٢٦: من إرسال الاثني عشر إلى إعلان الإيمان بفم بطرس.
- **المحطَّة الرابعة:** ٨: ٢٧-١٠: ٥٢: من إعلان الإيمان بفم بطرس إلى إنباءات الآلام واقترابها.
- **المحطَّة الخامسة:** ١١: ١-١٣: ٣٧: في أورشليم، مواجهة يسوع للسلطات الدينيَّة.
- **المحطَّة السادسة:** ١٤: ١-١٦: ٨: آلام يسوع وقيامته.
- **الخاتمة:** ١٦: ٩-٢٠ ظهورات يسوع والارسال.
- **اطارات:**
  - اخراج الشياطين
  - السر المسيحاني
  - جغرافية مرقس
  - المعجزات في انجيل مرقس
  - كيف ولد انجيل مرقس؟

مطلع

من يوحنّا المعمدان إلى يسوع (١:١-١٣)

أعطى مرقس "عنوانًا" لمؤلَّفه (١: ١). ثمَّ قدَّم شخص يسوع في مقابلة مع شخص يوحنّا المعمدان. هو وحي أوَّل للطابع الأصيل لكيان الماسيّا ورسالته.

من أجل هذا، تتوالى ثلاث لوحات سريعة:

- رسالة يوحنّا المعمدان (١: ٢-٨)
- عماد يسوع (١: ٩-١١)
- التجربة في البرِّيَّة (١: ١٢-١٢)

العنوان (١:١)

١ بَدءُ بِشارَةِ يسوعَ، المسيحِ، ابنِ اللهِ:

افتتح مرقس إنجيله بعنوان مثير بشكل خاصّ (آ١). واختار بعناية كلَّ لفظ من ألفاظه.

"**بدء**"، في البيبليا، بهذا اللفظ يبدأ سفرُ التكوين وكتبٌ أخرى. أراد الإنجيليّ بدون شكٍّ أن يشير إلى أنَّ يسوع سيدشِّن تاريخًا جديدًا مقدَّسًا، خلقًا جديدًا.

"**البشرى**"! اللفظ هو ترجمة اللفظ اليونانيّ "إنجيل". واللفظ لا يدلُّ على كتاب، بل على بلاغ مفرح سبق ووجدناه عند النبيّ إشعيا (٤٠:٩؛ ٥٢: ٧) لإعلان حدث سعيد، حدث تحرير شعب الله من المنفى البابليّ (القرن ٦ ق.م.). في أيّام يسوع، وفي العالم العاديّ، "البشرى" هي حدث سارّ يطبع بطابعه تاريخ البشر: انتصار، ولادة، تتويج الملك... وهنا تأتي الأهمّيّة الكبرى للحدث السعيد الذي يُعلَن: يسوع الناصريّ هو "المسيح" و"ابن الله". نحن هنا أمام صفتين كبيرتين أُعطيَتا لنبيٍّ الجليل.

١- يسوع هو "**المسيح**". المفردة اليونانيَّة χριστος تترجم لفظًا عبريًّا يعني "ماسيّا". والماسيّا في البيبليا هو شخص نال "المسحة". وهو الإنسان الذي كرَّسه الله، وارسله ليقيم مُلكَه في العالم. فمنذ تأسيس مملكة إسرائيل بيد داود (حوالي سنة ١٠٠٠ق.م.)، انتظر اليهود الملك - الماسيّا، الذي يكون أفضل منه ويكون أمينًا لعهد الله (٢ صم ٧: ١-١٧). وعلى مرِّ الأجيال أتى ملوك خيَّبوا الآمال. واتَّخذت صورة الماسيّا الآتي وجوهًا عديدة. فبالنسبة إلى أكثريَّة اليهود في زمن يسوع، يكون الماسيّا رجلاً سياسيًّا، يمتلك قدرة الله بما فيه الكفاية لكي يطرد المحتلّ الروماني خارج أرض الوطن. والبعضُ رأى فيه نبيًّا كبيرًا أيضًا يعيد إلى الأرض شريعة الله في نقاوتها.

مرقس هو من الذين يرون في يسوع ماسيّا أبعد من هذه النظرة البشريَّة جدًّا. فتمنّى أن يكشف لقرَّائه مسيّانيَّة يسوع الحقيقيَّة كما انكشفت تدريجيًّا عبر رسالته ولاسيَّما عبر موته وقيامته.

٢- ووُصف يسوع أيضًا بصفة "**ابن الله**". ففي زمن يسوع، كانت تستخدم هذه العبارة كلقب من الألقاب المعطاة للماسيّا. فهو، شأنه شأن كلّ ملك في الشرق القديم، ابن الألوهة بالتبنِّي. ولكن بقدر مسار حياة يسوع، بقدر ذلك دلَّ على علاقة مميَّزة وفريدة مع الله أبيه. وكشف عن نفسه أنَّه ابن الله في المعنى القويّ للكلمة. لا شكَّ أنَّ التلاميذ يحتاجون بعض الوقت ليكتشفوا في شخص يسوع، الله ذاته آتيًا لدى البشر. ولن يكون هذا في متناول أصدقاء يسوع إلاَّ بعد القيامة، بفضل عطيَّة الروح، في العنصرة (رسل ٢:٢٣-٢٦).

حين دوَّن متّى إنجيله، كان الاعتراف بلاهوت يسوع قائمًا لدى المسيحيِّين. واتَّخذت عبارة "ابن الله" لدى اليونان لونًا يهوديًّا أقلّ قوة من كلمة الماسيّا، ممّا أتاح للوثنيِّين المهتدين أن يعلنوا إيمانهم بذاك الذي كشف عن ذاته، أكثر من ماسيّا بشريّ، بل الله الآتي وسط البشر.

ومرقس، إذ سمّى يسوع، في رأس إنجيله، على أنَّه "المسيح" و"ابن الله"، فبذلك أعلن القسمين الكبيرين اللّذين يضمان مؤلَّفه. فالقسم الأوَّل من كتابه يقود القارئ لكي يرى في يسوع، وعلى خُطى بطرس والتلاميذ: أنت هو "الماسيّا"، المسيح (٨:٢٩). ويقود القسم الثاني من الكتاب إلى هذا الاعتراف الإيمانيّ الأعمق الذي وُضع في فم قائد المئة عند الصليب: "حقًّا كان هذا الرجل ابن الله" (١٥:٣٩).

وهكذا انكشف سرُّ يسوع بشكل تدريجيّ. وأتاح مرقس للقارئ بأن يكشف ماسيّانيَّة يسوع، تارة، وطورًا لاهوته... وذلك مع المرور في مفارقة الصليب!

١- رسالة يوحنا المعمدان (١: ٢-٨)

٢ كُتِبَ في سِفرِ النَّبيِّ أَشَعيا: ((هاءنذا أُرسِلُ رَسولي قُدَّامَكَ لِيُعِدَّ طَريقَكَ.
٣ صَوتُ مُنادٍ في البَرِّيَّة: أَعِدُّوا طَريقَ الرَّبّ وَاجعَلوا سُبُلَه قَويمة)).
٤ تَمَّ ذلكَ يَومَ ظَهَرَ يوحَنَّا المَعمَدانُ في البَرِّيَّة، يُنادي بِمَعموديَّة تَوبَة لِغُفران الخَطايا.
٥ وكانَت تَخرُجُ إِليه بِلادُ اليَهوديَّة كُلُّها وجَميعُ أَهلِ أُورَشَليم، فيَعتَمِدونَ عن يَدِه في نَهرِ الأُردُنّ مُعتَرِفينَ بِخطاياهم.
٦ وكانَ يوحنَّا يَلبَسُ وَبَرَ الإِبِل، وزُنَّاراً مِن جِلْد حَولَ وَسَطِه. وكانَ يَأكُلُ الجَرادَ والعَسلَ البَرِّيّ
٧ وكانَ يُعلِنُ فيَقول: ((يَأتي بَعدي مَن هو أَقوى مِنِّي، مَن لَستُ أهلاً لأن أَنحنِيَ فأَفكَّ رِباطَ حِذائِه .
٨ أَنا عَمَّدتُكم بِالماء، وأَمَّا هُوَ فيُعَمِّدُكم بِالرُّوحِ القُدُس)).

الوجه الذي يُطلُّ على المشهد الذي يسبق مجيء يسوع هو وجه يوحنّا المعمدان. فهو الذي شقَّ الطريق لوصول الله في شخص الماسيّا.

ويبدأ المقطع، بشكل مفاجئ، باقتباس طويل من الكتاب المقدَّس جُعل في فم اشعيا النبيّ. في الواقع، وبحسب عادة معروفة جدًّا، يضمُّ هذا الاقتباس ثلاثة مقاطع من العهد القديم ذات موضوع مشترك: إعداد الطريق للقاء الله.

القول الأوَّل هو: "ها أنا أرسل ملاكي قدَّامك ليُعدَّ طريقك" (آ٢). من يتكلَّم؟ إنه إله إسرائيل (في خر ٢٣: ٢٠)، يتوجَّه إلى موسى فيشجِّعه في المسيرة التي قام بها شعب الله للوصول، عبر البرِّيَّة، إلى أرض الموعد في كنعان. واستعاد هذا البلاغ أنبياء القرن الخامس ق.م. مع معنى جديد: "ها أنا أرسل ملاكي ليشقَّ طريقًا قدَّامي" (ملا ٣: ١). هذه المرَّة نحن أمام مجيء الله ذاته قدَّام شعبه، يسبقه رسولٌ ليُعدَّ له الطريق. وفي كلّ التقليد اليهوديّ حتّى يسوع، سيكون الرسول الذي ينادي بنهاية الأزمنة، إيليّا، ذاك الوجه البارز في العالم النبويّ. لقد اختُطف حيًّا لدى الله، فانتظروا عودته ليعلن مسبقًا وصول الربّ: "ها أنا أرسل إيليّا النبيّ، قبل أن يأتي يوم الربِّ، العظيم الرهيب" (ملا ٣: ٢٣).

يبدو كلُّ هذا متشعِّبًا، معقَّدًا. غير أنَّ الإنجيليّ أراد أن يرتِّب الأمور. يوحنّا المعمدان هو إيليّا، هذا الذي انتظر اليهود عودته في حمّى اقتراب الخلاص. ويسوع ذاته هو "الربُّ" الآتي ليفتقد شعبه، لا في قدرة الدينونة، بل في ضعف الحُبّ الّذي يعرضه.

والقول النبويُّ الأخير الذي يورده مرقس هنا هو: "صوت يصرخ عبر البرِّيَّة: أعدُّوا طريق الربّ، اجعلوا سبله سهلة" (آ٣). فعلاً، إنه اقتباس من سفر إشعيا (٤٠: ٣)، وقد توجَّه، في الأصل، إلى اليهود المنفيِّين في بابل (في القرن ٦ ق.م.). بشَّرهم النبيُّ بقرب تدخُّل الله لكي يحرِّرهم من المنفى. وإذ استعاد الإنجيليُّ هذا المقطع، كما فعل مع المقطعين السابقين، فقد دعا قرَّاءه ليستعدُّوا لاستقبال يسوع، وهو سيبيِّن، شخصيًّا، أنَّه الله الآتي لدى البشر.

ولكن قبل ذلك، أراد مرقس أن يُبرز تتمَّة النبوءات الواردة: "رسول" الماسيّا دخل إلى المسرح (آ٤). وقد يبدو ظهور يوحنّا الملقَّب بـ "المعمدان"، في البرِّيَّة، غريبًا! أيَّة برِّيَّة هي المقصودة؟ منذ سنة ١٩٤٧، اكتشف العلماء مكتبةً ومسكنًا للأسينيِّين، أو الأسيانيّين (قمران، الشفّائين) في برِّيَّة يهوذا: في قمران، بجانب البحر الميت. هؤلاء المتشيِّعون المنغلقون على ذاتهم، عاشوا في انتظار الماسيّا، في القرن الأوَّل، وهم يمارسون اغتسالات الطهارة الطقسيَّة. ما كانوا "عماديِّين" في المعنى الحصريّ للكلمة. ولكن يمكن أن يكون يوحنّا قد اتَّصل بهم. فلقد كان هو على رأس إحدى هذه الحركات الواعية إلى "اليقظة الروحيَّة" (التي انتشرت في ذلك الوقت). ففي وادي الأردنّ الصحراويّ، دعا الجموع إلى تحوُّل روحيٍّ باتِّجاه الله، التوبة، وأرفقه بطقس تغطيس الجسم في مياه الأردنّ الجارية: عماد (أي: غطْس). ونستطيع أن نتخيَّل شعبيَّة الحركة العماديَّة في زمن يسوع (آ٥). ونحن نعرف من المصادر اليهوديَّة، أنَّ العديد من صغار القوم، "شعب الأرض" ما كان باستطاعتهم أن يتبعوا كامل قواعد التطهير (التي فرضتها نخبةٌ مثقَّفة)، فلجأوا إلى معموديَّة يوحنّا لينالوا غفران الله.

وبعد أن وصف مرقس بدقَّة نشاط المعمدان، رسم طريقة حياته الخاصَّة جدًّا (آ٦). فالنبيّ يعيش مثل ناسك في عزلة البرِّيَّة. لباسه يشبه لباس إيليّا (١ مل ١٨:٤٦). وطعامه من نتاج الطبيعة. إنَّه نباتيّ: ما كان الجراد يُحسَب في ذلك الوقت لحمًا. لم يقل مرقس ذلك بشكل صريح، ولكنَّه أعطى عن يوحنّا صورة موازية لتلك التي سيعطيها يسوع عن نفسه. لم يتميَّز يسوع يومًا بلباس خاصّ، وليس طعامه نباتيًّا، بل هو يشرب الخمر ويأكل اللحم. ولا يقيم في البرِّيَّة مثل يوحنّا، بل في قلب العالم، في قلب الحياة.

وأكمل الإنجيليُّ لوحته عن يوحنّا المعمدان فقدَّم جوهر بلاغه (آ٧-٨). البلاغ واضح: قدَّم يوحنّا نفسه على أنَّه "سابق" يسوع فقط. يسبق ذاك "الأقوى" منه، وذلك يعني أنَّه أدنى منه. فعليه أن يُمَّحى قدَّام يسوع، مثل عبد قدَّام سيِّده، لا يستحقُّ أن يخلع حتّى حذاءه! وأخيرًا عُرف الفرقُ الأساسيّ بين معموديَّته ومعموديَّة يسوع بشكل خاصّ.

فيوحنّا يعمِّد فقط في الماء، بينما يسوع يُعمِّد في الروح القدس. وإنّ ما يبيِّن ميزة الماسيّا على سابقه هو أنَّه يملك الروح (راجع ١:١٠). ومع عطيَّة الروح القدس التي يتمُّها يسوع بعد قيامته، فهو يحمل بشكل قاطع، غفران الخطايا (رسل ٢:٣٨).

وهكذا وضع مرقس، منذ الصفحة الأولى من إنجيله، يوحنّا المعمدان في موقعه الصحيح. فلقد كانت رسالته ومعموديَّته نداءً وإعدادًا لمجيء الماسيّا. وهذا ما يجيب على عدد من الأسئلة. فنحن نعرف في نصوص العهد الجديد، أنَّه في زمن يسوع وبعد موته، وجب على المعلِّم وتلاميذه أن يواجهوا الجماعات العماديَّة التي تسعى إلى جعل الناس يعتقدون بأنَّ يوحنّا هو الماسيّا (يو ١:١٩-٣٤). وما يلي يلقي ضوءًا على القرابة الوثيقة بين يوحنّا ويسوع، كما تلقي الضوء على الاختلاف العميق بينهما.

٢- عماد يسوع (١:٩-١١)

٩ **وفي تلكَ الأيَّام جاءَ يسوعُ مِنَ ناصِرَةِ الجَليل ، وآعتَمَدَ عن يَدِ يوحَنَّا في الأُردُنّ.**
١٠ **وبَينَما هو خارِجٌ مِنَ الماء رأَى السَّمَوات تَنشَقّ، والرُّوحَ يَنزِلُ علَيه كَأَنَّهُ حَمامَة.**
١١ **وانطَلَقَ صَوتٌ مِنَ السَّمَواتِ يقول: ((أَنتَ ابنِيَ الحَبيب، عَنكَ رَضيت)).**

سبق مرقس وتحدَّث عن يسوع. أمّا الآن، فيدخله على المسرح: "في ذلك الوقت أتى يسوع من الناصرة، مدينة الجليل" (٩أ). لا يُقال شيء آخر عن إقامة المعلِّم في القرية التي فيها تربَّى (لو ٤:١٦). ولكنَّه يتحدَّث حالاً عن حدث كبير جدًّا (٩ب). لا يحدِّد الإنجيليّ لماذا تلقّى يسوع العماد من يوحنّا. هذا قد يفترض أنَّ يسوع كان، لبعض الوقت على الأقل، تلميذًا للمعمدان (يو ٣:٢٦). فالمسيحيُّون الأوَّلون كانوا عارفين جدًّا بالحركات العماديَّة في ذلك الوقت. فتساءلوا: ما الذي يميِّز معموديَّة يسوع؟

أجاب مرقس بدقَّة كبيرة على هذا السؤال. فهو لم يذكر خبر غطس يسوع بكليته في مياه الأردنّ الجارية، بل لفت انتباه القارئ إلى ما جاء بعد هذا التغطيس (١٠أ). فبالرغم من الظواهر، ليس هذا المشهد صورة فوتوغرافيَّة! إنَّه ترتيبُ معلِّم مع صور بيبليَّة ترسم ما اكتشفه المسيحيُّون الأوَّلون من أمر عميق في معموديَّة يسوع.

ففي سفر إشعيا يوجد نداء قويٌّ من الله من أجل تجديد تدخُّلاته الخلاصيَّة في الخروج. فاستلهم مرقس هذا المقطع حيث كُتب: "أين هو ذاك (الله) الذي أصعد من البحر راعي (= موسى) قطيعه؟ أين هو ذاك الذي وضع فيه روحه؟" (اش ٦٣:١١). فليس من قبيل الصدف أن يقول الإنجيليُّ إنَّ يسوع "حين صعد" من الماء، نال الروح.

ففي نظر مرقس، يسوع هو موسى الجديد، ومعموديَّته هي عبور جديد، محرِّر، في البحر الأحمر. وراعي شعب الله الجديد تسلَّم مهمَّة من قبل ربِّ "الروح" الذي سيتيح لـه أن يقود شعبه إلى أرض الموعد. وعبارة "رأى يسوع السماء تتمزَّق" تحمل في هذا السياق معنى رفيعًا جدًّا. فبحسب التقليد اليهوديّ، أُغلقت السماوات بعد غياب آخر الأنبياء (حجّاي، زكريّا، ملاخي، ٦-٥ ق.م.) واعتُبر الاتِّصال بين الله والبشر مقطوعًا. قبل مجيء يسوع "انطفأ الروح"، ولم يعُد يترل بَعدُ كي يلهم أنبياء جددًا. في هذا المناخ من "النقص" صعدت نحو الله صلاة حارَّة: "ليتك تشقُّ السماوات وتترل..." (اش ٦٣: ١٩ب). إذًا، كلُّ شيء قد تبدَّل الآن مع يسوع. وتمزُّقُ السماوات يدلّ على إعادة فتح الاتِّصال بين الله والبشر. والماسيّا هو من يَنعم بهذا الحدث. عندئذ يستطيع مرقس أن يصوِّر الروح "وهو يترل عليه مثل حمامة". فترول الروح القدس عَلى يسوع يفتح عهد خلاص جديد. فمع عطيَّة الروح، حمل الماسيّا معه إلى البشر غفران خطاياهم (رسل ٢: ٣٧-٣٨). وفي البحث حول مدلول الحمامة، رأى بعضهم تلميحًا مباشرًا إلى حمامة السّلام التي أطلقها نوح فوق مياه الطوفان (تك ٨:٨-١١). وفكَّر آخرون في صورة الخلق حين كان روح الله يرفرف فوق المياه (تك ١: ٢). وفي العالم اليهوديّ، في زمن يسوع، كانوا يشبِّهون النبيّ باليمامة. إذًا يُقدَّم يسوع هنا على أنَّه "نبيٌّ" الأزمنة الجديدة.

وتشكّل النهايةُ بلاغًا إلهيًّا نحسن تفسيره (آ١١). السماء هي الله الذي يتجنَّب العالم اليهوديّ ذكر اسمه. الله أسمع صوته. وإعلانه مهمٌّ جدًّا. فالقول الإلهيّ يستعيد مقطعين ملهمين من العهد القديم. من جهة "أنت ابني"، تذكّرنا بمزمور الجلوس الملكيّ، في المعنى الماسيّانيّ المعروف: "قال لي: أنت ابني، أنا اليوم ولدتُك" (مز ٢:٧): هذا ما يدلُّ بوضوح على ان يسوع هو الماسيّا من سلالة داود. وصفة "الحبيب" التي أعطيَتْ له تذكّرنا بما طلب الله من إبراهيم في شأن إسحاق: "خذ ابنك، وحيدك، الذي تحبّ..." (تك٢٢:٢).

ومن جهة ثانية، الكلام الموجَّه إلى يسوع: "فيك وضعتُ كلَّ حبِّي"، يحيلنا إلى نشيد مشهور، نشيد عبد يهوه لدى النبيِّ إشعيا: "ها هو خادمي [يقول الله] الذي فيه جعلتُ كلَّ حبِّي. جعلتُ فيه روحي فيقدِّم الحقَّ إلى الأمم" (اش ٤٢:١-٢). نرى أنَّنا أمام تولية نبويَّة. فيسوع يُرسَل في مهمَّة مثل خادم. وما يلي من النشيد له معناه: "أنا (يواصل الربّ) دعوتُك في البرّ، جعلتك عهدًا للشعب ونورًا للأمم لتفتح عيون العميان، وتخرج الأسرى من السجن، ومن الحبس الساكنين في الظلمات" (اش ٤٢:٦-٧).

ففي نظر مرقس، من دون أي شك، معموديَّة يسوع ليست تطهيرًا من خطايا لم يقترفها هو؛ بل هي إشارة الانطلاق وضربة الإرسال في مهمَّة وهبها الله للذي هو "الماسيّا" و"ابن الله" (في المعنى القويّ كما كُشف في الإيمان الفصحيّ).

يسوع هو مرسَل خاصٌّ من لدن الله ليُقيم ملكه. ويستطيع الآن أن ينطلق للعمل لكي يُنجز هذه الرسالة.

٣ - التجربة في البرّيّة (١:١٢-١٣)

١٢ وأَخرَجَه الرُّوحُ عِندَئذٍ إِلى البرِّيَّة،

١٣ فأَقام فيها أربَعينَ يَوماً يُجَرِّبُهُ الشَّيطانُ، وَكانَ معَ الوُحوش، وكانَ المَلائِكَةُ يخدُمونَه.

ما أن انتهى مشهد العماد مثل دفق نور حتّى أرانا مرقسُ يسوع داخلاً في منطقة الظلّ. "وفي الحال دفع الروح يسوع إلى البرّيّة". نلاحظ جيّدًا أنّه روح الله الذي تقبّله يسوع الآن (١:١٠ب) هو الذي يجتذبه إلى البرّيّة. أيّة برّيّة؟ برّيّة يهوذا، على ما يبدو، حيث ظهر يوحنّا المعمدان (١:٤). ولكنّ السؤال الأساسيّ هو: لماذا البرّيّة؟ إن خلفيّة هذا الانتقال نجدها في تاريخ إسرائيل، في الخروج. فحين خرج العبرانيُّون من مصر، دخلوا في برّيّة سيناء. وهناك لاقت أمانتُهم لله محنًا قاسية (راجع خر ١٦:١-٤؛ ١٧:١-٧)، واقتيد يسوع ليسير بدوره المسيرة الروحيّة لشعب الله. غطسُه في مياه الأردنّ ذكّرنا بعبور إسرائيل في البحر الأحمر (خر ١٣: ١٧-١٤: ٣١). دُفع إلى البرّيّة بقيادة الروح القدس، فأعيدت هناك من جديد "التجارب" التي واجهها إسرائيل القديم في برّيّة سيناء. وهكذا، مثل موسى جديد، أتمّ يسوع خروجًا جديدًا: في شخصه الأمين تكوّن منذ الآن شعبُ الله الجديد.

"ولبث في البرّيّة أربعين يومًا يجرّبه إبليس" (آ١٣أ). نصف آية موجزة لها معناها: هو استذكارٌ ليسوع الذي استعاد المحنة التي عاشها إسرائيل في الماضي. والعدد "أربعين" له بُعده. إنه يحيلنا إلى مدّة إقامة العبرانيّين في برّيّة سيناء (تث ٨: ٢). وقد شدّد مرقس بشكل خاصٍّ على أنّ إبليس جرّب يسوع. إبليس هو اسم أعطته البيبليا (منذ سفر ايوب ١:٦) لعدوٍّ سرّيّ يعارض إقامة ملكوت الله، ونرى يسوع في صراع معه في طرد الشياطين (راجع ٣:٢٢-٣٠). وقد انفرد مرقس هنا بين الإنجيليّين فبقي متحفّظًا حول مضمون تجارب يسوع (راجع عكس ذلك، متى ٤:١-١١؛ لو ٤:١-١٣). وهكذا دعا الكاتب قرّاءه ليبحثوا عن التجارب التي لاقاها يسوع على مدى رسالته. فنراه مرّات عديدة مدعوًّا لاستخدام قدرته الإلهيّة لفرض ملكوت الله على شكلٍ انتصار (راجع ٨: ١١-١٣، ٣١-٣٣؛ ١٢:١٣؛ ١٤:٣٨؛ ١٥:٢٩-٣٢). في كلّ هذه الظروف التي يكشف يسوع فيها عن لاهوته جهرًا، يبقى في تواضعه خاضعًا لأبيه. إذًا، ليس من قبيل الصدف أنْ ينهي الإنجيليّ هذا الخبر القصير بإظهار يسوع منتصرًا على الشرّ: "كان يقيم وسط الوحوش..." (آ١٣ب). واقتراب الإنسان من الوحوش في موضع معادٍ جدًّا،

يذكّرنا بالمشهد الفردوسيّ للعهد المسيحانيّ الذي رسمه النبيُّ إشعيا: "يسكن الذئبُ مع الحمل، ويرقد النمر مع الجدي، ويأكل العجل مع الشبل وصبيٌّ صغير يقودهما" (اش ١١: ٦). ويُنهي مرقس الحديث فيقول عن يسوع: "وكانت الملائكة تخدمه" (آ١٣ج). تدلُّ هذه العبارة، في إيجازها، على حماية الله. إذًا يظهر الماسيّا هنا مثل الإنسان الجديد، العائش في انسجام تامٍّ مع السماء، ومع الأرض. وتأتي نهاية المقطع هنا معبِّرة جدًّا: فحيث قد تخاذل شعبٌ إسرائيل في أمانته لله، يظهر يسوع راعي شعب الله الجديد، أمينًا كلَّ الأمانة.

هكذا يجعلنا نصّ مرقس ١:٢-١٣، عبر هذه المشاهد المتعاقبة القصيرة والمكثّفة في الوقت عينه، وكأنّنا إزاء "افتتاحية" سمفونيّة موسيقيَّة: قبل أن يُرفَع الستار، ساعة لم يبدأ العملُ بعدُ، تعزف الأوركسترا تباعًا الألحان الرئيسيَّة التي سوف يستعيدها ويتوسَّع فيها العازفون المقرَّرون والكورس خلال العرض. فالمطلع "يشير إلى مواضيع" الإنجيل كلّه. لقد أُطلِقَ اللحن، وسوف يبدأ العملُ.

المحطّة الأولى

من نداء الرفاق الأوّلين إلى تأسيس مجموعة الإثني عشر

(١:١٤- ٣: ١٢)

جاءت **متتالية أولى** فأدخلتنا في ملء نشاط يسوع الذي يبدأ في الجليل.

- **بشرى الله** (١:١٤-١٥) هو مختصر يوجز تعليمه.
- **دعوة التلاميذ الأوّلين** (١:١٦-٢٠) جعلت في هذه البداية من الإنجيل بهدف أن تكون خبرًا نموذجيًّا لدعوة تلاميذ يساعدون يسوع على تكوين شعب الله الجديد.

ثمَّ يُقدِّم مرقس شخص يسوع في إطار محدَّد، في كفرناحوم وفي الجوار، وهو يعطي ثلاث علامات للخلاص الّذي أتى به:

- **تعليمٌ يُعطى بسلطان** (١:٢١-٢٨)
- **شفاء حماة بطرس** (١:٢٩-٣١)
- **شفاء أبرص** (١:٤٠-٤٥)

وتبدو أخبار الشفاء هذه بمثابة إطار حول لوحتين عامَّتين:

- **نجاح كبير** (١:٣٢-٣٤) وموجز حول نشاط يسوع الشفائيّ.
- **صلاة ورسالة** (١: ٣٥-٣٩) طريقة يسوع في ربط الصّلاة والعمل معًا، الشفاءات وإعلان البشارة.

وروَت **متتالية ثانية** (٢:١-٣: ١٢) خمسة جدالات بين يسوع وقادة الشعب اليهوديّ: الكتبة والفرِّيسيُّون. ويتولَّد الصراع الفكريّ دومًا من أحداث ملموسة:

- **منح الغفران للكسيح** (٢:١-١٢)
- **دعوة لاوي وتناول الطعام مع الخطأة** (٢:١٣-١٧)
- **مسألة الصوم، والعريس** (٢: ١٨-٢٢)
- **السنابل المقلوعة: ربّ السبت** (٢: ٢٣-٢٨)
- **الرجل صاحب اليد اليابسة** (٣: ١-٦)

عبر هذه الجدالات (على طريقة الرّابّينيِّين) الناجمة عن مواقف يسوع، يُدعى خصومه وتلاميذه إلى الاكتشاف في شخص المعلِّم أكثر من رابِّي عاديّ، هو الماسيّا.

وفي النهاية، يعكس الإنجيليّ الشهرة المتنامية لذاك الذي به صنع الله كلَّ شيء جديدًا:

- **يسوع والجموع** (٣: ٧-١٢)

بشرى الله (١:١٤-١٥)

١٤ وبَعدَ اعتقال يوحَنَّا، جاءَ يسوعُ إلى الجَليل يُعلنُ بشارَةَ الله، فيَقول:
١٥ ((تَمَّ الزَّمانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكوتُ الله. فَتوبوا وآمِنوا بِالبِشارة)).

تشكّل هاتان الآيتان موجزًا، أو نظرة شاملة على رسالة يسوع كما ستجسَّد في الروايات التالية. فلقد وضع مرقس هنا البطل في الإطار الرئيسيّ من نشاطه وأوجز تعليمه في العمق.

ألفاظ هذا المقطع كلّها تتطلّب انتباهًا كبيرًا (آ١٤أ)، ولقد وزنها الكاتبُ بعناية. نعرف أوّلاً أنّ يسوع لم يبدأ رسالته إلاّ بعد أن أُلقيَ يوحنّا المعمدان في السجن وأُوقف نشاطه. إذًا هناك علاقة تواصل بينهما. لا يقول لنا مرقس أنَّ يسوع عاد من بريَّة يهوذا (١٢:١)، فهو يرينا إيَّاه آتيًا إلى الجليل، بدون انتقال، والجليل هو الأقليم الشمالي من فلسطين، حيث تربَّى يسوع (راجع لو ٤:١٤-١٦). ولكن الاسم العبريّ، "الجليل"، يعني "موطن الأمم" (اش ٨:٢٣). هناك وُجد إسرائيل منذ أجيال، على ملتقى الشعوب، فالجليل موضع عبور مفروض على الجيوش الغريبة. فالجليل هو أرض قديمة تمازج فيها اليهود والوثنيُّون. وعند مرقس، ستصبح هذه المقاطعة مركز "الرسالة" بامتياز ليسوع. حدودها غير محدَّدة، ما جعل بني إسرائيل يتَّصلون بالأراضي الوثنيَّة المجاورة: في الشمال منطقة صور وصيدون، سورية – فينيقية (لبنان الحالي). في الجنوب الشرقيّ الدكابول أو المدن العشر (الأردنّ الحالي). وإذ جعل مرقس من الجليل أوَّل حقل عمل ليسوع، بيَّن تحقيق نبوءة إشعيا المسيحانيَّة والشموليَّة: "الشعب السالك في الظلمة أبصر نورًا عظيمًا، وعلى سكّان الأرض شعَّ نور" (اش ٨:٢٣-٩: ١).

وهناك "بدأ يسوع يعلن بشارة الله" (آ١٤ب). إنّه إعلان الخلاص المفرح، الآتي "من عند الله". و يحمل يسوع معه هذه "البشارة": "الإنجيل" (١:١) ويعرف قرَّاء مرقس حقّ المعرفة معنى عبارة "إعلان إنجيل الله". انها المهمَّة التي تلقَّاها الرسل بعد قيامة يسوع (١تس ٢:٨). وموضوع هذا الاعلان هو تعريف الجميع أنَّ يسوع قد أوحى بنفسه أنَّه المسيح وأنّه ابن الله الذي نادى به الأنبياء، إنَّه "مخلّص العالم" (يو ٤:٤٢).

ثمَّ أوجز الإنجيليّ الموضوع الأساسيّ للإعلان الذي فعله يسوع في جملتين. أوَّلاً، الإعلان بأنَّ ساعة الرسالة أتت (آ١٥أ). فلقد صارت عبارة "**تمَّت الأزمنة**" معروفة لدى المسيحيِّين الأوَّلين؛ فهي تعني أنَّ مجيء المسيح يدلُّ على "ملء الزمان" (غل ٤:٤). فمخطَّط خلاص الله وجد اكتماله في يسوع: إله المسيح الذي يقود التاريخ إلى نهايته

"ملكوت الله قريب جدًّا". ذلك يقين بيبليّ أيضًا. فمنذ العودة من المنفى البابليّ (القرن ٦ ق.م.)، جعل إسرائيل رجاءه في مجيء الله شخصيًّا وإقامة مُلكه على جميع الأمم؛ وعند الأنبياء، أضحى هذا الانتظار قريبًا، بقليل أو كثير (مي ٤: ٧؛ صف ٣: ١٥ب؛ زك ١٤: ٩...). ومع يسوع، يعمل الله الآن شخصيًّا. إنّ ملكوته قد اقتربَ (متى ١٢:٢٨ب).

وأنهى مرقس هذا الموجز، موجز تعليم يسوع، فجعل على شفتيه نداءً ملحًّا إلى التوبة لاقتبال هذا الحدث السعيد في الفرح (آ١٥ب). فعل تاب بالمعنى الحرفيّ في اليونانيَّة يعني: بدَّل ذهنيَّته. هذا التحوُّل الجوهريّ لدى الإنسان من أجل عودة إلى الله، كان في أساس كرازة الأنبياء بالذات (عا ٤:٦-١٢). ولقد استعاد يسوع هنا نقطة أساسيَّة في بلاغ يوحنّا المعمدان (١:٤). ولكن "الإيمان" بالبشارة ارتبط بالتوبة، فكان النداء الذي أطلقه الرسل في إعلاناتهم الفصحيَّة الأولى. مثلاً، بولس في أفسس: "كنتُ أناشد اليهود واليونانيِّين بأن يتوبوا إلى الله ويؤمنوا بربِّنا يسوع" (رسل ٢٠: ٢١).

وليس من قبيل الصدف إذا شدَّد مرقس هنا، عبر التعابير المستعملة، على التواصل بين رسالة الكنيسة ورسالة يسوع. وبين الرسالتين، عاش يسوع ومات ثمَّ قام، وصار المنادي بإنجيل الله هو موضوع هذه المناداة. ولا يمكن ألاَّ يلفت ذلك نظر القارئ.

دعوة التلاميذ الأوَّلين (١:١٦-٢٠)

١٦ وكانَ يسوعُ سائراً على شاطئِ بَحرِ الجَليل، فرأَى سِمعانَ وأَخاهُ أَندَراوس يُلقِيانِ الشَّبَكَةَ في البَحر، لأَنَّهما كانا صَيَّادَيْن.

١٧ فقالَ لَهما: ((اتبَعاني أَجعَلْكما صَيادَي بَشَر)).

١٨ فتَركا الشِّباكَ لوَقتِهما وتَبِعاه.

١٩ وتَقَدَّمَ قَليلاً فَرأَى يَعقوبَ بْنَ زَبَدى وأَخاهُ يوحَنَّا، وهُما أَيضاً في السَّفينَةِ يُصلِحانِ الشِّباك.

٢٠ فدَعاهُما لِوَقتِه فتَركا أَباهُما زَبَدى في السَّفينَةِ معَ الأُجَراءِ وتَبِعاه.

في بداية رسالة يسوع، رسم مرقس هذه اللوحة المضيئة، فوضع الإطار ببضع كلمات تذكِّرنا بالنداء للانطلاق إلى عرض البحر (آ١٦أ). يسوع يمشي ويمشي، والمهمَّة مستعجلة. وبحر الجليل -واسمه المعروف بشكل أفضل هو بحيرة طبريَّة- هو مساحة واسعة من الماء، طولها ٢١ كلم وعرضها ١٢ كلم. أمّا شواطئها فتوحي بالكثير: انها تسرح النظر على أفق واسع يصل إلى المناطق الوثنيَّة في عبر الأردنّ. هذا الموقع سوف يرد مرارًا في مرقس كموضع نداء (هنا وفي ٢:١٣-١٤) وإعلان الإنجيل للجموع (٢:١٣؛ ٣:٧-

١٢؛ ٥:٢١). والعمل الذي يتمُّ هناك يتَّخذ شكل الفعل التأسيسي: يسوع "رأى سمعان وأخاه أندراوس يلقيان شباكهما لأنَّهما كانا صيَّادين" (آ١٦ب). فشمال بحيرة طبريَّة، حيث وقع المشهد، مع المياه الحارّة، كان يعجُّ بالسمك، فيعيش الشاطئ من الصيد مع صناعة الملح وتجارة الأسماك. ووقع نظر يسوع على صيَّادَين يلقيان شباكهما. وجّه إليهما هذا النداء: "تعاليا ورائي (اتبعاني)، أجعلْ منكما صيّادَيْ بشر (آ١٧). لا نعرف كيف رنَّ هذا الكلام لدى بحّارين صيَّادين. لم يتردَّد يسوع من التلاعب بالكلمات، فاستعمل لغة مهنيَّة لدى الصيَّادين ليدخلهما في مهمَّة مقبلة: "صيد البشر". هي عبارة غريبة! ففي عقل الساميِّين، يخبئ البحر في أعماقه قوى هائلة، قوى الشرِّ والموت التي يستطيع الله وحده أن يسيطر عليها (٤:٣٥-٤١). وحين نادى يسوع هذَين الرجلَين ليصيرا "صيّادَي بشر"، دعاهما ليتبعاه، فيأتيان على أرض يقتلعان فيها البشر من كلِّ شرورهم. وتدهشنا السرعة التي بها تجاوب سمعان وأندراوس مع نداء يسوع (آ١٨). والعبارة "تركا هناك شباكهما" تركّز على ترْك العمل الذي كان هذان الصيّادان يقومان به. اما طريقة التخلّي عن أدوات الصيد، فقد حصلت عند هذين الرجلين في فجائية مدهشة. لا حوار مع المعلِّم: وحده يسوع تكلَّم، والرجلان نفَّذا كلامه مثل آلة متحرِّكة.

وتنمو الدهشة أيضًا حين نقرأ رواية قصيرة ثانية، متوازية تمامًا مع الحدث الأوَّل (آ١٩-٢٠). هذه المرَّة لا يُعطى توجيه ليعقوب ويوحنّا. إلا اننا نجد الانفصال لا يصيب أدوات العمل فقط (الشباك والقارب)، بل رفاق حياتهما أيضًا (والدهما، العمّال).

نرى في هاتين اللوحتين تبسيطًا مدهشًا، فالمشهد يسير كلَّ مرَّة بحسب طريقة مماثلة:

- **يسوع يمشي.**
- **يرى رجلَين أخوَين.**
- **يدعوهما.**
- **في الحال يتركان كلَّ شيء ويأخذان باتباعه.**

ليس من المعقول أن يكون الحدث قد تمَّ هكذا وفي حركة شبة آليَّة. فسمعان وأندراوس، ويعقوب ويوحنّا سوف يكونون العاملين الرئيسيِّين مع يسوع في رسالته (٣: ١٦-١٧). هل اختارهم صدفةً ودون أن يعطيهم الوقت ليتَّخذوا القرار الحرّ؟ في الواقع، لا يلتزم الإنسان بحياة "أخرى" وينطلق، من دون تفكير، وراء مجهول مهما كان جذَّابًا! إنَّ خبر دعوة التلاميذ الأوَّلين الذي يورده الانجيلي يوحنّا هو، بلا شكّ، أقرب إلى ما حصل في الواقع (يو ١:٣٥، ٥١). فنرى يسوع يفتح حوارًا مع الذين يدعوهم ويتيح لهم قرارًا ناضجًا، بعد وقت من المعرفة المتبادلة والإقامة عنده بعض الوقت.

لم يحتفظ مرقس بالبعد السيكولوجيّ للحدث. أيَّ معنى أراد أن يضعه في هـذا المشهد المرسوم بشكل محكم؟ يسهل الجواب على هذا السؤال إذا عرفنا أنَّ الإنجيليّ استلهم استلهامًا واسعًا خبرة دعوة نموذجيَّة في البيبليا وهي دعوة النبيّ إيليّا لإليشع ليكون تلميذه (١ مل ١٩:١٩-٢١). في هذا النصِّ نرى المدعوّ ينضمُّ إلى معلِّمه بعد أن يترك كلَّ شيء وراءه. لم ينل الإذن من النبيِّ بأن يمضي ويقبِّل أمَّه وأباه، بل كان عليه في الحال أن يتخلَّى عن العائلة وعن المهنة: "وقام وتبع إيليّا مثل خادمه".

وإذ استعاد مرقس تسلسل هذه الصفحة البيبليَّة من أجل تلاميذ يسوع الأوَّلين، فقد أراد أن يبرز الجذريَّة في خدمة المسيح، فشدَّد على نقطتين: أوَّلاً، مبادرة الدعوة: تأتي كلُّها من يسوع. ثمَّ إنَّ لهذه الدعوة فاعليَّة كلام الله السامية: "قال... فكان" (أنظر تك ١:٣...). فالانقطاع الضروريُّ عن العيلة وعن المهنة هما نتيجة ذلك. ونلاحظ أنَّه لم يُطلَب من كلِّ إنسان أن يقطع هذه الرباطات الجوهريَّة والشرعيَّة. فالنداء يتوجَّه إلى بعض الناس الذين تكون دعوتُهم خاصَّة جدًّا. فسمعان (بطرس) وأندراوس ويعقوب ويوحنّا دُعوا ليكونوا "عاملين" قريبين مع يسوع في مهمَّة التبشير (راجع تأسيس مجموعة الاثني عشر، ٣:١٦-١٩).

حين جعل مرقس هذا الخبر على شكل "افتتاح" لكلِّ إنجيله، كانت لديه بالتأكيد أهداف خاصَّة. الأوَّل، هو أنَّ يسوع انطلق في مهمَّة "متجوِّلة" تتطلَّب أكبر قدر من الحرِّيَّة في العيش والعمل. وتشكل الرباطات المهنيّة والعائليَّة عائقًا في هذا المضمار. ثمَّ إنَّ الإنجيليّ أراد أن يشرِّع المهمَّة الرسوليَّة كما قُدِّمَتْ. فالتلاميذ الذين تشكَّلوا في مجموعة الاثني عشر، أُرسلوا اثنين اثنين، كعلامة لحياة جماعيَّة، حسب عادة تعود إلى يسوع نفسه (راجع مهمَّة الإرسال، ٦: ٧). وأخيرًا أعطى بطرس والاثنا عشر من أجل اتِّباع يسوع، مثال التجرُّد التامّ (راجع ١٠:٢٨). وقد يكون مرقس أراد أن يشير إلى كنيسة رومة التي يكتب إليها، مشدداً على أنَّ المسيحيِّين الجدد، قد يدعون في الاضطهاد، إلى التّخلّي عن أعزِّ أوضاعهم: وضعهم الاجتماعيّ وعلاقاتهم العائليَّة.

وقرأت الكنيسة على مدى تاريخها في هذه الصفحة نداء للتجرُّد من أثمن الخيرات لدى الذين يريدون أن يتبعوا يسوع "عن قرب".

من جانبٍ آخر تُشعرنا الرواية التي قرأناها أننا إزاء أحداث هامّة: إنّها بمثابة مقدمة لفيلم تجري احداثه على مدى الإنجيل. فنداء المسيح يسيِّر في إثره "تلاميذ" يجنِّدون

كلَّ إمكانيَّاتهم لخدمته. وينبغي أن نلاحظ أنَّ أسلوب مرقس مهمٌّ لكي يَشعر القارئ بالسرعة اللازمة. فهو يستعمل، بشكل واسع، الظرف "في الحال"، ويتكرَّر هنا مرَّتين (١٨أ، ٢٠أ)، وإحدى عشرة مرَّة في الفصل الأوَّل من الإنجيل. وهذا الظرف لا قيمة له عند مرقس، من وجهة تسلسل الأحداث، وانما يوازي حرف العطف: الواو.

تعليم يُعطى بسلطان (١: ٢١-٢٨)

٢١ ودَخلوا كَفَرناحوم. وما إن أَتى السَّبْتُ حتَّى دَخَلَ المَجمَعَ وأَخَذَ يُعَلِّم.
٢٢ فأُعجبوا بتَعليمه، لأَنَّه كانَ يُعَلِّمُهم كَمَن له سُلْطان، لا مِثلَ الكَتَبَة.
٢٣ وكانَ في مَجمَعِهِم رَجُلٌ فيه رُوحٌ نَجِس، فصاحَ :
٢٤ ((ما لَنا ولكَ يا يَسوعُ النَّاصريّ؟ أَجِئتَ لتُهلِكَنا؟ أَنا أَعرِفُ مَن أَنتَ: أَنتَ قُدُّوسُ الله)).
٢٥ فانتَهَرَه يسوعُ قال:((اخْرَسْ واخرُجْ منه!))
٢٦ فخَبَطَه الرُّوحُ النَّجِس، وصرَخَ صَرخَةً شَديدة، وخَرَجَ منه،
٢٧ فدَهشوا جَميعاً حتَّى أَخذوا يَتَساءَلون: ((ما هذا ؟ إِنَّهُ لَتعليمٌ جَديدٌ يُلْقى بِسُلْطان ! حتَّى الأَرواحُ النَّجِسَةُ يأمُرُها فَتُطيعُه !))
٢٨ وذاعَ ذِكرُهُ لِوَقتِه في كُلِّ مَكانٍ مِن ناحِيَةِ الجَليلِ بأَسْرِها.

يقدِّم مرقس هنا في بداية إنجيله، رواية مُكثَّفة وذات معنى لنشاط يسوع المسيحانيّ: تعليمه المرتبط بطرد الشياطين. أوَّلاً يُوضَع الإطار ويثبَّت (آ٢١). يجري الحدث في كفرناحوم. وتمتد هذه البلدة على شاطئ بحيرة الجليل، ويجعل منها يسوع مركز كرازته (١: ١-٢) وتحرُّكاته الرسوليَّة (٩: ٣٣). فلقد اعتاد يسوع أن يأتي مرارًا إلى "المجمع"، مثله مثل اليهود الورعين في عصره. المجمع هو موضع الاجتماع للصلاة ولسماع كلام الله. و"يوم السبت"، هو اليوم السابع من الأسبوع، ويوم الراحة المكرَّس لله (تك ٢: ٢-٣). ونحن نعرف كيف كان يتنظَّم الطقس المجمعيّ آنذاك (رسل ١٣: ١٤-١٥): بعد قراءة مقطع من توراة موسى والأنبياء، يُدعى رجلٌ ليُعطي التعليم: وهو عبارة عن تفسير الكتابة التي سُمعت الآن. في هذه المناسبة، أعطى يسوع تعليمه (راجع لو ٤: ١٦: ٢٢). وكان الكتبة في الصفوف الأماميَّة من الحضور.

شدَّد مرقس أربع مرَّات (آ٢١ب-٢٢، ٢٧) على تعليم يسوع. ولكنه نادرًا ما يقدِّم لنا مضمونه في إنجيله. إلا انه يشدِّد منذ البداية على أصالته العميقة. فمعرفة المعلِّم تفوق معرفة الكتبة بكلِّ مهابته الشخصيَّة (آ٢٢). فالكتبة الذين هم رؤساء حزب

الفرّيسيّين، كانوا أناسًا علماء تثقّفوا على يد رابّينيّين مشهورين في دراسة الكتب المقدَّسة. فكانوا مفسّريها المأذونين، غير أنَّ تعليمهم كان يستند إلى تقاليد معلّميهم. أمّا يسوع، فما كان يعلّم مثل الكتبة، بل "بسلطان" جاءه من الله. وهنا نجد اللفظ اليونانيّ "سلطان" قويًّا جدًّا، وقد أُخذ من العهد القديم حيث سلَّم الله مسيحه "سلطانًا" ساميًا (دا ٧:١٣-١٤).

يعطي يسوع مثالاً لافتًا عن هذا التفوُّق العجيب بشخصه على شخص الرابّينيّين الواقفين قبالته (آ٣٢-٢٤). وإذا أردنا أن نفهم غرابة هذا الحدث، ينبغي أن نعرف أنَّه، في العهد القديم، كلُّ الشرور التي يُصاب بها الإنسان تُنسَب إلى تأثير سيِّئ من الأرواح الشرّيرة المعارضة لقداسة الله. والسيناريو الذي يمرُّ الآن أمامنا معروف في أخبار المعجزات اليهوديّة والوثنيَّة في زمن يسوع. إنَّه تعزيم (راجع الاطار: التعزيمات). فالتسلسل هو هو دومًا: المعزِّم يدخل في صراع ضدَّ الروح الشرّير. ويسعى كل واحد للحصول على اسم خصمه . ومعرفة "اسم" شخص ما تعني، في العالم الساميّ، السيطرة عليه. هنا يعرف الروح النجس هويَّة يسوع العميقة. إنَّه "قدُّوس الله"، أي الماسيّا. ولكنَّ هذا الإقرار يلازمه الغموض. فالروح يشعر أنَّ يسوع آت لإهلاكه وإهلاك أمثاله. في الحقيقة يواصل المسيح المعركة الأخيرة ليضع حدًّا لقوى الشرّ (راجع ٣:٢٢-٣٠). لهذا بدا يسوع انه الأقوى، إذ طرد الروح النجس بكلمته السامية فقط (آ٢٥-٢٦). ويُروى طرد "الشيطان" على نسق روايات ذاك الزمان مع مظاهر خارقة: التشنُّجات والصراخ. ينبغي أن لا نخاف منها. ما يجب بالأحرى أن يلفت الانتباه هو أمر يسوع الصاعق الموجَّه إلى الروح: "اخرس!" جاء فعل الأمر قويًّا، فأصاب الوحي الذي سمعناه الآن: "أعرف من أنت: الماسيّا!" (آ٢٤ب).

لماذا فرض يسوع الصمت على هويَّته، بمثل هذه القوَّة؟ إنه أوَّل تعبير لما ندعوه عند مرقس: "السرّ المسيحانيّ". فنحن نراه على مدى هذا الإنجيل. يسوع يفرض الصمت بحزم، بل بعنف، على الشياطين الذين يكشفون عن هويَّته (١:٣٤ب؛ ٣:١٢...)، كما يفرضه على الذين حصلوا على شفاء، وعلى تلاميذه الذين اعترفوا بمسيحانيَّته جزئيًّا (١: ٣٤-٤٤أ، ٧: ٣٦أ؛ ٨: ٣٠ب...). وهكذا يبدو أنَّ مرقس قدَّمَ منهجًا مألوفا لموقف يسوع تجاه آراء شعبيَّة في زمانه. ففي حمّى مجيء الماسيّا، انتظر اليهود شخصيَّة شبه أسطوريَّة. فقد ظنُّوا أنَّ الماسيّا يحوِّل، بضربة عصا سحريَّة، ظروف الحياة على الأرض، فيجعل من البرِّيَّة أهراء خبز (متى ٤:٣)، ويزيل جميع الأمراض (متى ٤:٢٤). بل ظن بعضهم أنَّه يأتي من حيث لا ندري، فلا يعرف الموت (يو ١٢:٣٤). فبالنسبة إلى يسوع، حين يتركهم يعلنون لقبَيْه بسرعة، أنَّه "المسيح" و"ابن الله"، فيعني هذا أنَّه يشجِّع هذه

الماسيّانيَّة الشعبيَّة على حساب كشف متدرِّج لرسالته الحقيقيَّة وشخصه الحقيقيّ. فبحسب مرقس، وحدها الآلام والقيامة تكشفان، في الحقيقة، نموذج الماسيّا الذي يجب أن نـــؤمن به. ففي تلك الأحداث الكاشفة كشفًا مُبينًا، يليق أن نفهم تعليمات المعلِّم في الصمت.

وتنتهي الرواية، كما ابتدأت، بتشديد طوعيٍّ على الجديد الذي يحمله يـــسوع: كلمة خلاصيَّة فاعلة ملء الفعل مثل كلمة الله. ومن هنا نتصوَّر خوف الجمهور والتساؤل الذي يسيطر عليه (آ٢٧أ). فيسوع فعل الآن عملاً لم يُعمَل مثله. ففي قلب السبت، يوم الراحة الذي لا يُمسّ، أبرز سلطة كلمته، فعمل ما عمل بسيادة مطلقة على قوى الشرّ. من أين جاءه هذا السلطان؟ طُرح السؤال الذي سوف يعود على مدى الإنجيل: من هو "يسوع الناصريّ" هذا؟ فلا يبقى لمرقس سوى أن يُبرز شعبيَّة يسوع الواسعة التي نجمت عن هذا الشفاء الذي أجراه يسوع في الجليل كلِّه (آ٢٨).

اخراج الشياطين

في إنجيل مرقس، نرى يسوع يقوم بفعل تعزيم أربع مرَّات: بطرده روحًا نجسًا أو أرواحًا نجسة.

- **ممسوس كفرناحوم (١:٢١-٢٨).**
- **ممسوس جرش (٥:١-٢٠).**
- **ابنة السوريَّة الفينيقيَّة (٧:٢٤-٣٠).**
- **الصبيّ المصاب بداء الصرع (٩:١٤-٢٩).**

حين وضع يسوع موضع العمل هذا النمط من التطبيب، فهو انما أخذ بممارسة شـــعبيَّة منتشرة انتشارًا واسعًا في العالم اليهوديّ والوثنيّ في زمانه، ولها جذور عميقة في ذهنيَّة الحضارات القديمة: كنعان، مصر، أشور وبابل، إيران، وحتّى اليونان. في كلّ هذه البلدان، ومنـــذ أزمنـــة سحيقة، يُنسَب المرض مرارًا إلى "امتلاك" تمارسه بحق الإنسان أرواح نجسة، شرِّيرة، الـــشياطين. ونحن نتصوَّرهم بشكل قوى طبيعيَّة تسبح في الجوّ وتمتزج في حياة البشر اليوميَّة (متى ١٢:٤٣-٤٥). في هذا المنظار، كانت كلُّ الأمراض التي توجع البشر "شيطانيَّة". إنّ الأصل القديم لهـــذا الاعتقاد هو "الأنيمية" اي هيمنة الأرواح، حيث لكلِّ أشياء الطبيعة روح، نفس. والبـــشر هـــم تحت تأثير الأرواح، الصالحة والشرِّيرة. والسلطة المسيئة للأرواح النجسة تتطلَّب تدخُّل السحرة والعرَّافين. وبمساعدة عبارات اللعنة والابتهالات إلى اسماء القدرة، يحاول المعزِّم أن يخلِّص المريض من الروح الذي يسحره. وكثيرة وطريفة هي الروايات في هذا المجال: صراخ، تشنُّج، الـــشيطان الذي يُكشَف (قبل أن يخرج من الممسوس).

في البيبليا، تمَّ أوَّل تباعد جوهريّ عن الخرافات الوثنيَّة: فالإيمان بالإله الواحـــد هـــبط

بروح الشرِّ إلى مستوى خليقة وحسب. "إبليس" الذي يجسِّد قوى الشرّ ليس بإله: إنَّه خاضع لقدرة الخالق. ودوره ينحصر في أن يكون "خصم" يقاوم قصد الله في البشر (راجع أي ١-٢).

سجَّل يسوع جزءًا صغيرًا من عمله الشفائيّ (لا كلّه) في هذه النظرة التقليديَّة إلى المرض المرتبط بسلطة إبليس. ولا يستطيع أيُّ مؤرِّخ جدِّيّ أن يُنكر هذا الأمر: "أمضى حياته وهو يشفي الذين سقطوا تحت سلطان إبليس" (رسل ١٠: ٣٨). في الحقيقة، نحذر اليوم كلّ الحذر من استقراء "مسّ شيطاني" في أعراض يمكن أن تكون مجرّد اضطرابات عصبية وعقلية: المصاب بالصرع (انظر ٩: ١٤-٢٩)، انفصام الشخصيَّة (أنظر ٥: ١-٢٠)، الذعان الهذيانيّ... غير أنَّه لا ينبغي على القارئ المعاصر، مع ذلك، أن يقع في تجربة تفسير تحجيمي لتعزيمات يسوع. حتّى وإن كان نشاط يسوع يتقارب من ممارسة السحر القديم، فلا يمكننا أن نحسبه ساحرًا، وهذا لسببين رئيسيَّين:

تعزيمات يسوع لا تنفصل عن إعلان بشرى الخلاص. إنَّها العلامة بأنَّ في شخصه دخل ملكوت الله في تاريخ العالم. وحرب يسوع التي لا هوادة فيها على إبليس، هي انتصاره على قوى الشرِّ والموت اللذين يمثلانه (راجع حدث: يسوع وإبليس، ٣: ٢٢-٣٠).

ولو وجب على العلم الحديث، أن يقرّ بالمسببات الطبيعيَّة والنفسيَّة لأمراض البشر، إلاَّ أنَّ الخبرة البشريَّة ما زالت تصطدم "بسرّ" الشرِّ الحقيقيّ، الملموس، الذي يتجاوز العقل البشريّ. لم يأت يسوع ليكشف لنا عن أصل الشرِّ وطبيعته (إنهما ظلمة حالكة بالنسبة إلينا)، ولكن حين يواجه يسوع الشرّ، يبيِّن سلطانه الإلهيّ في شفاء البشر من كلّ الاستلابات الطبيعيَّة والسيكولوجيَّة والروحيَّة.

لقد قرأ المسيحيُّون الأوَّلون في تعزيمات يسوع "أعمال تحرير" من كلّ أشكال الشرِّ والموت التي انتصر فيها المسيح انتصارًا جذريًّا في موته وقيامته.

شفاء حماة بطرس (١: ٢٩-٣١)

٢٩ ولَمَّا خَرَجوا مِنَ المَجمَع، جاؤُوا إِلى بَيتِ سِمعانَ وأَندَراوس ومعَهم يَعقوبُ ويوحَنَّا.
٣٠ وكانَت حَماةُ سِمعانَ في الفِراشِ مَحمومة، فأَخبَروه بأَمرِها.
٣١ فدنا مِنها فأَخَذَ بِيَدِها وأَنهَضَها، ففارَقَتْها الحُمَّى، وأَخَذَت تَخدمُهُم.

يمكن اعتبار ظهور يسوع الثاني هذا بمثابة خبر نافل، لأنَّه لا يختلف بإيجازه عن الخبر السابق. لقد أُدرِج المشهد في "يوم كفرناحوم"، ضمن المتتالية التي بدأت في ١: ٢١ وانتهت في ١: ٣٢-٣٤. ويحصل هذا بالقرب من المجمع حيث سبق ليسوع أن شارك في الصّلاة. إنه يوم السبت. وفي هذا اليوم يُعيّن طول المسافة المسموح بها. في بيت سمعان

وأندراوس، في حميميَّة شبه عائليَّة، وفي حلقة التلاميذ الأربعة الأوائل، يتمُّ عمل يسوع (١:١٦-٢٠). لقد قُدِّمت الظروف بشكل موجز جدًّا: حماة بطرس في الفراش مع الحمّى (آ٣٠أ). لا يُشار إلى مرضِ هذه المرأة بدقَّة، وقد تكون حالتُها خفيفة، ولكنَّها مثيرة للاهتمام لأنَّهم كلَّموا يسوع عن المريضة وعن التدخل الذي ينتظرونه (آ٣٠ب). من تدخَّل؟ كيف؟ لم يذكر شيء من هذا القبيل. ومع ذلك تبدو مسيرة الإيمان ضمنيَّة: نظرًا إلى موهبة الشفاء الظاهرة عند يسوع، يطلب منه أصدقاؤه أن يتدخَّل. لم ينبس يسوع بكلمة. بل اكتفى بحركة بسيطة: ساعد المرأة لكي تقوم، آخذًا بيدها (آ٣١ب). نحن بعيدون عن أخبار معجزات يتناقلونها، في ذلك الزمان، حول مجترحي الشفاءات، الشبيهين بالسحرة، فيستعملون كثرة الكلمات والعبارات "الغريبة العجيبة": هنا يتمُّ كلُّ شيء في تحفُّظ كبير. ويتم الشفاء في الحال (آ٣١ج). فلقد استعادت المريضة كلَّ قواها فجأة، ثمَّ أخذت تخدم يسوع ورفاقه.

هذا الخبر الذي غاب عنه كلُّ عنصر عجيب، يدهش الفكر المعاصر. وإذا أردنا أن ندرك أنَّنا هنا أمام فعل مسيحانيّ يقوم به يسوع، ينبغي أن نعرف، أنَّ المرض، في الذهنيَّة القديمة، كان يُعتبَر كعلامة للخطيئة. وبشكل أدقّ، كانت الحمّى، منذ زمن طويل في العهد القديم، تصوَّر بصفتها أحد العقابات التي يتوعَّد بها الله شعبه الخائن: "إذا رذلتم شرائعي، إذا كرهتم أحكامي وما مارستم وصاياي، بحيث تنقضون عهدي، فهذا ما أصنع لكم: أجلب عليكم الرعب والداء العضال وحمّى تفني العينين وتتلف النفَس" (أح ١٦: ١٥-١٦أ؛ راجع أيضًا تث ٢٨:٢٣).

في زمن يسوع كانوا ينسبون الحمّى عفويًّا إلى أصل شيطانيّ. لهذا أورد لوقا في إنجيله شفاء حماة بطرس بمثابة تعزيم (لو ٤:٣٩). إذًا، من الأكيد أنَّ ما فعله يسوع تجاه هذه المرأة، في نظر مرقس، يبيِّن سيادته على قوى الشرِّ والموت. فالماسيّا هو هنا، ويعطي علامات عن مجيء ملكوت الله.

ولكن يجب أن نمضي أبعد من ذلك. فمرقس أعاد قراءة هذا الموت على ضوء قيامة يسوع، من أجل جماعته المسيحيَّة. وهو يشدِّد على هذا الأمر بشكل خفي، حين استعمل لفظًا معبِّرًا: "أقامها" (آ٣١ب). هو اللفظ الذي استعمله مرقس للقول عن يسوع: "قام" (١٦:٦). يجب أن نجعل أنفسنا في جوِّ المسيحيِّين الأوَّلين حين قرأوا هذه الصفحة من الإنجيل. فيسوع، بالنسبة إليهم، ليس فقط الشافي الشهير في بدايات رسالته. فبقيامته عُرف أنَّه "المسيح والربّ" (رسل ٢:٣٦)، ذاك الذي يواصل كلَّ يوم خلاص البشر من الخطيئة، وانتزاعهم من الموت. إنَّه المخلِّص الذي ينهض أولئك المنهكين بالشرّ.

وحين أرانا مرقس المرأة التي ما إن شفيت حتّى قامت تخدم ضيوفها (آ٣١ج)، لا شكَّ في أنَّه فكّر في "خدمة" المسيح التي إليها يُدعى المسيحيُّون. والمخلِّص لا يني يحرِّر مؤمنيه من الشرِّ ليجعلهم في خدمته.

نحن مدعوُّون دومًا لقراءة صفحة مثل هذه من الإنجيل على مستويين: الأوَّل هو مستوى عمل يسوع الداخل في التاريخ، فنلمس بإصبعنا تاريخيَّة الحدث الذي ورد. ولكنَّ المستوى الثاني هو الأكثر أهمِّيَّة: انه مستوى إعادة قراءة أعمال يسوع وأفعاله في الجماعة المسيحيَّة على ضوء قيامته (راجع الاطار: كيف وُلد انجيل مرقس). فالإيمان يرتبط عندئذ "بالربّ" الذي لا يزال يعمل عمل الخلاص في كنيسته وفي العالم.

إنَّ خبر شفاء حماة بطرس حرّك المؤرِّخين الباحثين عن أقلٍّ معلومة دالّة في النظام التاريخيّ. فرأى بعضُهم في هذه الرواية "ذكر بطرس" الذي كان شاهد عيان لما حصل. ونجد فيها أنَّ القائد المقبل لمجموعة الاثني عشر (١٦:٣) كان متزوِّجًا. وإذا خدمت حماته يسوع ورفاقه، فهذا معناه أنَّ زوجته كانت غائبة أو أنَّها ماتت. لا نستطيع أن نجزم شيئًا في هذا المجال، ولا نستنتج من شهادة بولس (في ١ قور ٩:٥) أنَّ بطرس قد اصطحب امرأته معه في الرسالة.

نجاح واضح (١:٣٢-٣٤).

٣٢ **وعِندَ المَساء بَعدَ غُروبِ الشَّمْس، أَخَذَ النَّاسُ يَحمِلونَ إِلَيه جَميعَ المَرْضى والمَمْسوسين.**
٣٣ **وَاحتَشَدَت المَدينةُ بِأَجمَعِها على الباب.**
٣٤ **فَشَفى كثيراً مِنَ المَرْضى المُصابينَ بِمُختَلِفِ العِلَل، وطرَدَ كثيراً مِنَ الشَّياطين، ولَم يَدَعِ الشَّياطينَ تَتَكَلَّم لأَنَّها عَرَفَتهُ.**

يأتي هذا المقطع الصغير مثل "خلاصة" تستعيد نشاط يسوع منذ بداية رسالته، ويأتي في نهاية متتالية أرادها مرقس معبِّرة: "يوم كفرناحوم" (بدأ في ١:٢١). لقد أراد الإنجيليّ أن يُبرز النجاح الواضح الذي ناله يسوعُ الشافي والمعزِّم لدى الجموع (آ٣٢-٣٣). ولربما نندهش من هجمة الناس الكثيفة. وبقول مرقس "المدينة كلّها"، أراد تضخيم الحدث بدون شكٍّ لكي يعطيه بُعدَه كاملاً. ففي المصادر اليهوديَّة والوثنيَّة في زمن يسوع، نعرف أنَّ الحشود الشعبيَّة كانت متشوِّقة إلى العجائب. وركض الناس وراء كلِّ أنواع الشافين والمعزِّمين والسحرة، أكثر من لهافتهم على الطبِّ العاديّ، الغالي الثمن وغير الناجع (٢٦:٥)،...

أمّا يسوع، فقد لاقى شهرة واسعة بسرعة، وذلك بفضل مواهبه العجائبيَّة الخارقة (آ٣٤أ). ونحن لا نشكُّ في أنَّ يسوع الناصريّ كان شخصًا ذا مواهب تجتذب الناس إليه. ويورد تقليد يهوديّ لاحق أنَّه شُنق لأنَّه مارس السحر واجتذب الشعبَ وأضلَّه! ولكن، إن كان مرقس قد لاحظ أنَّ يسوع أكثرَ من الأشفية والتعزيمات، فقد اهتمَّ أيضًا بأن يبيِّن أنَّ هذه الأعمال الخلاصيَّة تندرج في مهمّته التبشيريّة. فيسوع ليس صانع معجزات حسب، بل إنه يعطي "علامات" بأنَّ ملكوت الله جاء معه (١:١٥). ثمَّ يختم مرقس هذا الملخَّص لنشاط يسوع العجائبيّ بمنع "الأرواح النجسة" من أن تكشف من هو (آ٣٤ب).

إنها عبارة جديدة "للسرِّ المسيحانيّ" المعروف. فيسوع أراد أن يلبِّي طلب الشفاء الآتي من الجموع: جاء لكي يحمل الخلاص إليهم. ولكن عليه أن يفرض الصمت على الشياطين الذين يكشفون قبل الوقت صفته المسيانيَّة (١:٢٤). فهذا الكشف هو في غير محلّه، في الوقت الحاضر. وخطره أنَّه يضلِّل الناس حين يجعلهم يعتقدون أنَّ يسوع جاء ليزيل، بضربة عصا سحريَّة، كلَّ الأمراض التي تهاجمهم. ففي حمّى انتظار الأزمنة الأخيرة، تراكض معاصرو يسوع، ولا شك، وراء "الآيات والمعجزات" التي أعلنها الأنبياء (راجع ١٣:٢٢). فالماسيّا لا يأتي بشكل خاصّ ليلبِّي الانجذابات الشيطانيَّة التي طالب بها المعجَبون به (راجع التجارب بحسب متّى ٤:١-١١). فلقبا "مسيح" و"ابن الله" لا يمكن تفسيرهما تفسيرًا صحيحًا إلاَّ على ضوء آلامه وقيامته. لهذا ألزَمَ مرقس نفسه أن يزيد من التوصيات بالصمت على لسان يسوع، على مدى إنجيله (١:٤٤؛ ٣:١٢؛ ٥:٤٣؛ ٧: ٢٤ب، ٣٦؛ ٨:٣٠؛ ٩:٩، ٣٠).

وهكذا يدعو قارءه إلى التساؤل، دون أن يقدِّم له الجواب بعد، حول الطبيعة الحقيقيَّة لشخص يسوع ولرسالته. فينبغي أن يبقى "الانتظار" معلَّقًا إلى أن يتوضَّح أنَّ الماسيّا لم يخلِّص البشر إلاَّ بموته (٨:٢٩-٣٠). عندئذ، وتلك هي القاعدة الغريبة في هذا الإنجيل، ينبغي على كلّ "فُضول" حول هويَّة يسوع أن يجذب انتباه القارئ حول السؤال الأساسيّ الذي يطرحه مرقس على قارئه: "إذًا، من هو يسوع الناصريّ؟" ونودُّ أن نقول: "اتبعوا الدليل!...".

صلاة ورسالة (١:٣٥-٣٩)

٣٥ وقامَ قَبلَ الفَجرِ مُبَكِّراً، فخَرجَ وذهَبَ إِلى مَكانٍ قَفْر، وأَخذَ يُصَلِّي هُناك.
٣٦ فَانطَلَقَ سِمْعانُ وأَصْحابُه يَبحَثونَ عَنه،

٣٧ فوَجَدوه. وقالوا له: ((جَميعُ النَّاسِ يَطلُبونَكَ)).
٣٨ فقالَ لَهم: ((لِنَذهَبْ إلى مَكانٍ آخَر، إلى القُرى المُجاوِرَة، لأبشِّرَ فيها أيضاً، فإنِّي لِهذا خَرَجْت)).
٣٩ وسارَ في الجَليلِ كُلِّه، يُبَشِّرُ في مَجامِعِهم ويَطرُدُ الشَّياطين.

ميل مرقس إلى التناقضات معروف. فإزاء مشهد يسوع الفيّاض في خدمة الجموع (١:٣٢-٣٣) يقدِّم مشهد المعلِّم الجائع إلى العزلة والحوار مع الله (آ٣٥). فلقد استوجبت أتعاب البارحة شجاعة اكيدة يبديها يسوع، كي يسبق النهار، فيجعل أصدقاءه النائمين يضيِّعون أثره، ويمضي هو إلى مكان قفر لكي يصلِّي. سيشير مرقس مرَّتين أخريين إلى صلاة يسوع (٦:٤٦؛ ١٤:٣٥-٣٩)، وفي كُلّ الأوقات الهامّة من رسالته. هنا نستطيع أن نستشفَّ مضمون صلاة يسوع بدون صعوبة: لا يريد يسوع الرضوخ أمام المدِّ الشعبيّ الذي تحرِّكه عجائبه. بل إنه بحاجة إلى أن يفكِّر في خطورة رسالته وجدِّيَّتها.

لا شكَّ في أنَّ تلاميذه راحوا يبحثون عنه (آ٣٦). و لم يشعروا بالالتباس الذي ولَّده لدى الناس النجاحُ العجائبيّ للشافي (١:٣٢-٣٣). فاندفاع الجموع الراكضة وراء يسوع قد اتَّخذ شكل حماس خطر. فحذَّر المعلِّم أصدقاءه من كلّ تفسير خاطئ لدوره (آ٣٨).

هذا التوضيح أمر رئيسيّ. فلقد ذكر يسوع بقوَّة ما هو في قلب رسالته: "لنذهب إلى مكان آخر..". وانطلق في خدمة جوّالة. ولا يقوم هدفه على إجراء المعجزات التي هي مجرد علامات قدرة ترافق الإعلان المفرح للخلاص. ذاك هو جوهر رسالته: منذ بداية انطلاقة يسوع، لا سبب آخر له للعمل. وواجبه واضح جدًّا: الإعلان بالأقوال والأفعال أنَّ "ملكوت الله قريب جدًّا". فينبغي تقبُّل البشرى، بالإيمان (١:١٤-١٥). والتبرير العميق الذي يعطيه لقصده هو هذا: "لأنِّي لهذا خرجت" (آ٣٨د). وفعل "خرجت" يحمل بُعدًا له مدلوله الرفيع. ففي إنجيل يوحنّا، حين يريد يسوع أن يبيِّن سعة رسالته، يقول إنَّه "خرج من الله": انه تأكيد على لاهوته (يو ٨: ٤٢؛ ١٣: ٣؛ ١٦: ٢٧-٢٨).

وينتهي المقطع مع علامة من علامات الشموليَّة (آ٣٩). فكفرناحوم، كما رأينا، هي نقطة استناد لرسالة جوالة. هوذا يسوع يعلن الإنجيل "في الجليل كلِّه"، تلك المقاطعة التي في شمال فلسطين، والتي لا حدود لها واضحة مع الأراضي الوثنيَّة المجاورة. انها بامتياز أرض الرسالة المفتوحة على الجميع. وفيها يحمل يسوع الكلمة أوَّلاً في مجامع اليهود، في أماكن جماعة الصّلاة وتعليم الكتب المقدَّسة (١:٢١). وضمَّ إلى ذلك التعزيمات التي تبرز سلطانه السامي (٣: ٢٧). إنَّها صفحة ثمينة، تشهد أنَّ المعلِّم عرف كيف يوفِّق بشكل عجيب ما بين كلّ متطلّبات تجلّيه المسيحانيّ: الصّلاة، إعلان الإنجيل، الآيات التي تدلُّ على صدقه.

شفاء الأبرص (١: ٤٠-٤٥)

٤٠ وأَتاه أَبرَصُ يَتَوَسَّلُ إليه، فجَثا وقالَ له:((إن شئتَ فأَنتَ قادرٌ على أَن تُبرِئَني)).
٤١ فأَشفَقَ عليه يسوع ومَدَّ يَدَه فلَمَسَه وقالَ له: ((قد شِئتُ فَابرَأ))
٤٢ فزالَ عَنهُ البَرَصُ لوَقته وبَرِئَ.
٤٣ فصَرَفَهُ يسوعُ بَعدَ ما أَنذَرَه بلَهْجَة شَديدَة
٤٤ فقالَ له:((إِيَّاكَ أَن تُخبِرَ أَحَداً بشَيء، بَلِ اذهَبْ إِلى الكاهن فَأَرِه نَفسَك، ثُمَّ قَرِّبْ عن بُرئكَ ما أَمَرَ به موسى، شَهادةً لَدَيهم)).
٤٥ أَمَّا هو، فَانصَرَفَ وَأَخَذَ يُنادي بأَعلى صَوته ويُذيعُ الخَبَر، فصارَ يسوعُ لا يَستَطيعُ أَن يَدخُلَ مَدينةً عَلانيَةً، بل كانَ يُقيمُ في ظاهِرِها في أَماكِنَ مُقفِرَة، والنَّاسُ يَأتونَه من كُلِّ مَكان.

تبدأ هذه الرواية بشكل مفاجئ، دون تحديد الزمان والمكان (آ٤٠أ). وخصوصًا الفعل "جاء" هو في الحاضر التاريخيّ. لا شكَّ أنَّ متّى أراد أن يُبرز "آنيَّة" الحدث للجماعة المسيحيَّة التي يَكتبُ لها. ثمَّ إنَّ النصَّ في ذاته يطرح بضعة أسئلة. لماذا طرد يسوع، بقسوة واضحة، الرجل الذي شفاه الآن؟ (آ٤٣). لماذا تجاوز الأبرص الذي شُفيَ تعليمات الصمت التي فرضها يسوع عليه؟ (آ٤٥). هذه المفارقات التي تسيء بالتأكيد إلى تماسك تقرير مباشر، تجد شرحًا جيِّدًا لها، كما سنرى، في اطار حدث أُعيدتْ قراءته في الإيمان.

اقترب المريض من يسوع في طلب متواضع وواثق: سجد أمامه وتوسَّل إليه، إن شاء أن يشفيَه (آ٤٠ب). إذا أردنا أن نفهم هذا الطلب، يجب أن نعرف أنَّه في ذاك الزمان، كان الأبرص "مُبعَدًا" كلَّ الإبعاد عن المجتمع. وبما أنَّه مصاب بمرض خطير ومُعد، كان يُجعَل بعيدًا عن المجتمع. ومنذ أقدم العصور، كانت تؤخذ أكبر الاحتياطات لتجنُّب كلِّ اتِّصال جسديٍّ بأشخاص يتمتَّعون بالصحَّة مع هذا المريض الخطير. والصورة التي رسمتها شريعةُ موسى تبرز هذا الإبعاد بقوَّة: "والأبرص الذي به البلوى يلبس ثيابه مشقوقة ويكشف رأسه ويغطِّي شاربيه وينادي: نجس، نجس! ما دامت به البلوى يكون نجسًا ويسكن منفردًا خارج المحلَّة" (أح ١٣: ٤٥-٤٦). ففي البيبليا، ليس البرص ذاك المرض المقرف الذي يأكل الإنسان ويشوِّهه حسب (بحيث يغطُّون وجوههم قدَّامه!). انه مرض دينيّ أيضًا: علامة الخطيئة والعقاب الإلهيّ على خطايا تُعتبر خطيرة جدًّا. وراح بعض المعلِّمين المعاصرين ليسوع إلى اعتبار البرص عقاباً على سبع خطايا رئيسيَّة: الافتراء، القتل، شهادة الزور، التسيّب الجنسيّ، الكبرياء، السرقة، الطمع. ومنذ الأزمنة السحيقة، يُعتبَر الأبرص ميتًا يمشي على الطريق. ومن أصيب بالبرص نُفيَ من المدينة، ورُذل مثل جثَّة تنبع منها "نجاسة"، أي عليه عدم الاتِّصال بالله والبشر أيضًا. والشفاء من مثل هذا المرض

كان محفوظًا لله. فهو الذي أرسله بشكل عقاب، وهو وحده يستطيع أن ينجّي منه (راجع خبر مريم أخت موسى في عد ١٢:١-١٦).

ونحن نرى ردَّة فعل يسوع على توسُّل هذا المريض الذي همَّشه كلّ التهميش المجتمعُ والجماعة الدينيَّة في زمانه (آ٤١). وجاء فعل يسوع رزينًا، ولكن معبِّرًا بأرفع تعبير: تجرَّأ فلمس ذاك الذي لا يُلمَس. وكان لكلامه الفاعليَّة السامية التي لكلام الله: قال فكان (آ٤٢).

حين أورد مرقس هذا الأمر، سعى إلى ابراز كلّ مدلوله. فشفاء البرص كان من بين العلامات التي بها يُعرَف تدشين الأزمنة المسيحانيَّة (راجع متى ١١:١-٥، جواب يسوع لمُرسَلي يوحنّا). إذًا، الماسيّا هو هنا، ليعيد الإنسان إلى كمال الصحَّة الجسديَّة والروحيَّة. ومع ذلك نندهش مرَّة أخرى بكيفيَّة اللقاء بين يسوع والإنسان الذي شُفي (آ٤٣-٤٤أ). فعمل المعلّم قاسٍ جدًّا. أطلق ذاك الذي كان أبرص. والفعل اليونانيّ المستعمل يعني "طرد"، وهو ذاته الذي استعمله مرقس للكلام عن "طرد" الشياطين (١: ٣٤-٣٩؛ ٣: ١٥-٢٢؛ ٦:١٣...). وترافقت حدَّةُ يسوع مع أمر جازم بالصمت: هو تطبيق "السرّ المسيحانيّ" (انظر الاطار). لا يريد المعلّم أن يحدث خطأ في معنى مسيحانيَّته. فهو ليس ذاك الساحر المنتظَر الذي يلغي جميع أمراض الأرض. وعمق كيانه ورسالته لا يُفهم حقًّا إلاّ على ضوء آلامه وقيامته.

وتتواصل الرواية عبر طلب يسوع إلى الذي كان أبرص: "امضِ وأرِ نفسك للكاهن..." (آ٤٤ب). حين أرسل يسوع الرجلَ الذي شُفيَ إلى الكاهن، فقد أراد أن يؤكّد دخوله الجديد في الجماعة الدينيَّة. فالكاهن هو الموكَّل رسميًّا بالتعرُّف إلى الشفاء (أح ١٤:١-٩ي). وهذه المسيرة الطقوسيَّة باتِّجاه ممثّلي الشعب تصبح "شهادة" لليهود: سيدركون ان انتظار الماسيّا طيلة اجيال قد تحقق بيسوع. وينبغي أن يستنتجوا أنَّ زمن الخلاص قد أتى.

ولكنَّ الدهشة تكمن هنا: الأبرص تجاوز الأمر الذي أعطاه يسوع بأن لا يتكلَّم عن شفائه (آ٤٥أ). وراح الرجل "يعلن" الخبر. والفعل المستعمل هو الذي يعبِّر عن إعلان الإنجيل. ومن الواضح أنّ مرقس قفز هنا فوق زمن يسوع فجعل قرَّاءه في حاضرهم. فالذي كان أبرص هو نموذج للمبشِّر بالإنجيل. وهكذا، مع قيامة يسوع، صار "السرُّ المسيحانيّ" شيئًا من الماضي. والآن، فالقرّاء الذين أنارهم حدث الخلاص، هم مدعوُّون، على مثال هذا الذي شُفيَ، بأن ينشروا فرحَ بلاغِ يسوع المحرِّر.

السرُّ المسيحانيّ

ظاهرة غريبة تُقدَّم لقارئ إنجيل مرقس، اسمها: "السرُّ المسيحانيّ". ماذا يعني هذا؟

كشف يسوع منذ بداية رسالته، وفي شكل لا يُقاوَم، سرَّ شخصه وعمله. وبرز مجد الماسيّا ("القدّوس"، "ابن الله"...) بشكل طبيعيّ وفي صرخات الممسوسين كما لو جرى الأمر بالرغم منه (١: ٢٤؛ ٣: ١١؛ ٥: ٧)، وفي حماس الذين شُفوا (١: ٤٥؛ ٥: ٧) وموقف الجموع (٢: ١٢ب؛ ٧: ٣٧)، وأخيرًا في إيمان التلاميذ (٨: ٢٩ب؛ ٩: ٩).

وفي كلّ مرَّة تقريبًا، يفرض يسوع الصمت المطلق على الذين عرفوا شيئًا من هويَّته العميقة. وأحيانًا يفرض هذا الصمت ببعض القساوة تجاه "السرّ" الكامن حول حقيقة شخصه (١: ٢٥ب؛ ٣٤-٣٥أ؛ ٤٣؛ ٣: ١١-١٢؛ ٥: ٤٣أ؛ ٧: ٣٦أ؛ ٨: ٢٦-٣٠؛ ٩: ٩).

موقف يسوع مدهش هو! فمن جهته، ليس طلبه مجرَّد تحفّظ لكي يفتح ثغرة في شهرته المتنامية. فهل ترى يستطيع أن يكشف عمّن يكون وعمّا يعمل، وفي الوقت عينه يمنع بأن يُعرَف ذلك؟ فما هو السبب لـ "السرِّ المسيحانيّ"؟

على المستوى التاريخيّ، من الأكيد أنَّ يسوع قاوم بكلّ قواه ضغوطًا جاءت عليه من قبل الجماهير اليهوديَّة في عصره. فنظرتهم إلى الماسيّا كانت أسطوريَّة: مرسل الله الخاصّ بالأزمنة الأخيرة، لا يضع حدًّا للاحتلال الروماني (بالقوَّة) ويعيد المُلك إلى إسرائيل حسب، بل يزيل من الأرض كلّ الشرور (الجوع، الأمراض، الموت)، ويعيد تكوين الفردوس الأرضيّ. لقد تحفظ يسوع، على مدى رسالته، من السقوط في هذه التجارب الماسيانيَّة (التي صوَّرها متّى في ٤: ١-١١). وفعل كلّ شيء كي لا يُسجن في هذه النظرة البشريَّة المحضة حول شخصه ومهمّته.

ولكن ما هو مؤكّد هو أنَّ مرقس برَّر، بشكل كبير ومُبرمج، أقلّه في الجزء الأوَّل من كتابه (١: ١٤- ٨: ٣٠)، السرَّ المسيحاني. ولماذا؟ لأنّ ملء هويَّة يسوع وسرَّ كيانه العميق وأصالة عمله الكاملة لا تنكشف كلّ الكشف إلاّ عبر موته وقيامته. وحين دوَّن إنجيله في رومة، في السنوات ٦٧-٧٠، كان كلّ شيء واضحًا. وفي النهاية، رُذل المسيح بيد سلطات الشعب اليهوديّ الدينيَّة. فحُكم عليه ونفذ به الحكم صلبًا. وهذا الموت في العار -الصلب- هو، بمجمل اليهود، البرهان الساطع بأنّ يسوع لم يكن الماسيّا. واصطدم المسيحيُّون، هم ايضا، الذين من أصل يهوديّ أو يوناني، في إيمانهم بـ"عثار" الصليب. وفيما أعاد مرقس قراءة الأحداث المعثّرة على ضوء القيامة، أراد أن يرفع هذا العثار، فسعى إلى إيصال قرَّائه لتقبُّل الماسيّا "المصلوب". ورأى، في وجه المسيح المتألّم، من خلال تفكير أربعين سنة من التقليد الرسوليّ حول الأسفار المقدَّسة، تتمَّة قصد الله السرّيّ لخلاص البشر. "أما كان يجب على المسيح أن يقاسي العذاب والموت ليدخل في مجده؟" (لو ٢٤: ٢٦). هذا ما يقودنا بشكل ضمنيّ إلى نبوءة العبد المتألّم والقائم من الموت في اش ٥٢: ١٣: ٥٣: ١٢).

لهذا جعل مرقس من السرِّ المسيحانيّ الدافع الأقوى لكشف تامّ لسرِّ يسوع. وحين توصَّل تلاميذه، وبصعوبة، إلى الإعلان بأنَّه "الماسيّا" (٨: ٢٩)، دفعهم يسوع في الحال ليقبلوا مشهد مصيره المتألّم (٨: ٣١-٣٣؛ ٩: ٣٠-٣١؛ ١٠: ٣٢-٣٤). ولم يفهم أصدقاء يسوع أمام إعلان موته واقتراب هذا الموت، انه موت حقيقي مكتمل. ومن المفارقة أن لا يتجاوز هذا

الفهم إلا وثنيًا رأى كيف مات يسوع فهتف: "في الحقيقة، كان هذا الرجل ابن الله" (١٥:٣٩).

فقرّاء مرقس مدعوون دومًا، شأنهم شأن تلاميذ يسوع، إلى أن يتعرَّفوا إلى الطبيعة الحقيقيَّة لشخص يسوع ورسالته، على أنَّه "المسيح" و"ابن الله"، حين يتقبَّلون آلامه وقيامته في الإيمان. ففي تلك الأحداث، انتشل البشرَ من قوى الشرِّ والموت وكشف عن نفسه أنَّه مخلِّص العالم.

إذًا، كلَّ مرَّة يأمر يسوع فيُسكت أولئك الذين يكشفون شيئاً من شخصيته الحقيقيّة، يجعل مرقس من ذلك "قاعدة اللعبة" لإنجيله، إذا صحَّ التعبير. فعلى القارئ أن يواصل طريقه على درب ليس درب البشر، بل درب الله (٨:٣٣ب). وتأتي صفحة رائعة لتعبّر عن ذلك كلّه في ايجاز رائع: التجلّي على الجبل (٩:٢-٨).

ولكن، ما أن أنهى الإنجيليّ روايته، حتى عاد إلى زمن يسوع. ولكن المعلِّم أُرغم، بسبب هذا العمل الخلاصيّ والدعاية التي تبعَتْ، على الهرب من الجمع الآتي إليه من كلّ مكان (آ٤٥أ). وهكذا أُغلقت الدائرة. في بداية الخبر هو مريض كبير معزول، أُجبر على العزلة، فتجرَّأ على الاقتراب من يسوع. وفي النهاية، تراكض جمهور الناس إلى الشافي. فبالنسبة إلى هذا الجمهور، كما بالنسبة إلى القارئ، يعود السؤال من جديد: من هو هذا الرجل الذي يعيد المبعَدين إلى الجماعة، ويعيدهم إلى الشركة مع الله والحياة الجماعيَّة مع إخوتهم؟

الغفران المُعطى للكسيح (٢:١-١٢)

٢ ١ وعادَ بَعدَ بِضعَةِ أَيَّامٍ إِلى كَفَرناحوم، فسَمِعَ النَّاسُ أَنَّهُ في البَيت.

٢ فَاجتَمَعَ مِنهُم عَدَدٌ كثير، ولَم يَبقَ موضِعٌ خالِياً حتَّى عِندَ الباب، فأَلقى إِلَيهِم كلِمةَ الله،

٣ فأَتَوه بِمُقعَدٍ يَحمِلُه أَربَعَةُ رِجال.

٤ فلَم يَستَطيعوا الوُصولَ به إليه لِكَثرَةِ الزِّحام. فَنَبشوا عنِ السَّقفِ فَوقَ المَكانِ الَّذي هو فيه، ونَقَبوه. ثُمَّ دَلَّوا الفِراشَ الَّذي كانَ عليه المُقعَد.

٥ فلَمَّا رأَى يسوعُ إِيمانَهم، قالَ للمُقعَد:((يا بُنَيَّ، غُفِرَت لكَ خَطاياك)).

٦ وكانَ بينَ الحاضِرينَ هُناكَ بَعضُ الكَتَبَة، فقالوا في قُلوبِهم:

٧ ((ما بالُ هذا الرَّجُلِ يَتَكَلَّمُ بذلك ؟ إِنَّه لَيُجَدِّف. فمَن يَقدِرُ أَن يَغفِرَ الخَطايا إِلاَّ اللهُ وَحدَه ؟))

٨ فَعَلِمَ يسوعُ عِندَئِذٍ في سِرِّه أَنَّهم يقولونَ ذلك في أَنفُسِهم، فسأَلَهم: ((لماذا تقولونَ هذا في قُلوبِكم ؟

٩ فأَيُّما أَيسَر ؟ أَن يُقالَ لِلمُقعَد: غُفِرَت لكَ خَطاياك، أَم أَن يُقال: قُم فَاحمِلْ فِراشَكَ وَآمشِ ؟

١٠ فلِكَي تَعلَموا أَنَّ ابنَ الإِنسانِ له سُلطانٌ يَغفِرُ به الخَطايا في الأَرض))، ثُمَّ قالَ لِلمُقعَد:

١١ ((أَقولُ لكَ: قُمْ فَاحمِلْ فِراشَكَ وَاذهَبْ إِلى بيتِكَ)).

١٢ فقامَ فحَمَلَ فِراشَه لوَقتِه، وخَرَجَ بِمَرْأَى مِن جَميعِ النَّاس، حتَّى دَهِشوا جَميعاً ومَجَّدوا اللهَ وقالوا: ((ما رَأَينا مِثلَ هذا قَطّ)).

إنَّ رواية شفاء الكسيح تجد عقدها، في شكلها الحاليّ، في جدال يسوع مع الكتبة حول غفران الخطايا (آ٥ب- ١٠).

يبدأ كلُّ شيء بمشهد هادئ (آ١). فلقد عدنا إلى كفرناحوم حيث دشَّن يسوع رسالته (١:٢١). وقد يكون البيت الذي هو فيه هو بيت سمعان وأندراوس (١:٢٩). شدَّد مرقس على تهافت الناس بصورة خاصّة على الموضع المحاصَر الذي وُجد فيه يسوع (آ٢). فالجمهور الذي يزدحم للسماع هو كبير جدًّا بحيث أنَّ الباب صار موصدًا. فبدا المعلّم وكأنَّه سجين الحضور الذين يشكّلون عائقًا جدّيًّا لكلِّ من يريد أن ينضمَّ إليه من الخارج. وفي الواقع، وصل أربعة رجال يحملون كسيحًا (آ٣). إنه أمر طارئ وملحّ. فالكسيح هو إنسان "مبعَد" مرَّتين: بسبب الأصحّاء، وبسبب الجماعة التي تحيط بيسوع.

وفتحة السقف -تلك الوسيلة الذكيَّة التي وجدها الحاملون (آ٤)- تُدهش القارئ كثيرًا. نحن نشرحها بطريقة البناء في ذلك العصر. فالبيت الفلسطينيّ كان بدون طوابق، ويمتلك سطحًا يسهل الوصول إليه. من هذا السقف المصنوع من الأغصان ومن الطين، وُجدت فتحة. ولكن هذا لا يمنع أن نكون أمام فعلة أثارت الإعجاب. أخذ يسوع في الحساب الإيمان الذي أظهره هؤلاء الدخلاء الذين تجرأوا فوقفوا بين المعلّم وجمهوره (آ٥أ). ولكنَّ أقوال يسوع هي التي تذهلنا بنوعٍ خاص ومن أوجه عديدة. فلقد كنَّا ننتظر أمرًا بشفاء المريض. ولكنَّ هذا الأمر سيأتي فيما بعد (في آ١١). وبدل ذلك، أعلن يسوع للكسيح "أنَّ خطاياه غفرت" (آ٥ب). عبارة جاءت قصدًا في صيغة المجهول: وهكذا يتجنَّب، بصفة يهوديّ ورع، أن يسمّي الله. ولكنَّ الهدف هو أن يفهمهم أنَّ الله هو صاحب الغفران.

وما أن تلفَّظ يسوع بهذه الكلمة الربانيّة، حتّى انطلق الجدال. هوذا الكتبة يتّهمون في داخلهم: هذا الرجلُ الذي يحسب نفسه الله، "يجدِّف" حين يغفر الخطايا (آ٦-٧). وتُفهَم ردَّة الفعل هذه لدى هؤلاء المختصين بالأسفار المقدَّسة. ففي البيبليا، وحده الله، بيده سلطان غفران الخطايا للبشر. غير أنَّ اتِّهام يسوع كمجدِّف ينقل القارئ منذ الآن إلى مناخ مسموم لمحاكمة المعلّم في آلامه (١٤:٦٣-٦٤).

كشف يسوع أفكار خصومه حالاً، قبل أن يعبِّروا عمّا في قلوبهم. وراح بأسئلته

الصائبة يجعل الكتبة أمام حائط مسدود، وهم المفتخرون بعلمهم (آ٩). لا شكَّ أنَّه أسهل علينا التفوَّه بكلمة على المستوى الروحيّ، حيث لا يمكن التحقّق من فاعليَّتها، من أن نجعل الكسيح يمشي. غير أنَّ هذه المواجهة التي تشكّل رأس الحربة في عبارة يسوع الاحتفاليَّة، لها أهمِّيَّتها (آ١٠). فهي المرَّة الأولى التي يضع فيها مرقس في إنجيله عبارة "ابن الإنسان" على شفتي يسوع، ومعناها غامض ومثير للنقاش. ففي العبريَّة كما في الأراميَّة، "ابن الإنسان" هو "الإنسان" بكلّ بساطة (راجع حز ٢:١؛ ٣:١-٤...). ولكن في القرن الثاني ق.م. نرى في سفر دانيال ظهور "شبه ابن إنسان" سرِّيّ، منحه الله كلّ سلطان على الأرض (دا ٧:١٣-١٤). لقد أخذت هذه الصورة اللغز مدلولاً مسيحانيًّا واضحًا في التقليد اليهوديّ حتّى زمان يسوع ؟ فابن الإنسان هو الماسيّا الذي منحه الله ملء السلطات الإلهيَّة كديّان، وهو مخلّص الكون في نهاية الأزمنة.

هنا اتخذ يسوع لنفسه لقب "ابن الإنسان" هذا، كما استخدم سلطانه ليبرِّر الغفران الذي مُنح لهذا الإنسان من خطاياه. قدَّم نفسه على أنَّه الماسيّا المشارك ملء المشاركة في قدرة الله، وفي ذلك إدعاء هائل. فغفران الخطايا أُعلن بفم الأنبياء على أنَّه أحد الأحداث المحفوظة لزمن الخلاص (إر ٣١:٣١-٣٤؛ حز ٣٦:٢٥-٢٩). بل هو قلب العهد الجديد، وعمل الخلاص الأساسيّ، لأنَّ يسوع بذل حياته من أجل ذلك (راجع متى ٢٦:٢٨). وان ما شكّك الكتبة بشكل خاصٍّ هو أنَّ يسوع غفر الخطايا بمجرَّد كلمة تفوَّه بها، وهو في غمرة حياته، في الوقت كان قائماً نظام مهيب من "الذبائح عن الخطيئة" في هيكل أورشليم (أح ٦:١٧-٢٣). إنَّ شفاء الكسيح صار البرهان المنظور بأنَّ بيد يسوع سلطان مغفرة الخطايا (آ١١-١٢). فالرجل ملقى، وهو راقد مثل ميت. وها هو ينهض ويستطيع أن يحمل فراشه. وحين قال له يسوع "قمْ"، استعمل فعلاً سوف يُستعمل في الكلام عن قيامته هو (١٦:٦). نستطيع أن نقرأ الأمر هكذا: "قمْ (من بين الأموات)". نحن نرى أنَّ مرقس أعاد قراءة الحدث على ضوء فصح المسيحيِّين في أيَّامه. ثمَّ إنَّ "البيت" حيث يعلّم يسوع، صار، في الكنيسة الأولى، الموقع العاديّ لالتئام الجماعة المسيحيَّة (رسل ١٢:١٢). فالإنجيليّ لاحظ جيِّدًا منذ البداية أنَّ يسوع كان "يبشّر بالكلمة" (آ٢ب). فصارت تُستعمل هذه العبارة في الكنيسة الأولى للدلالة على الكرازة بالإنجيل (٤:٢٩-٣١؛ ٨:٢٥). وهنا (كما في ١:١٢-١٧) نلاحظ، بالنسبة إلى مرقس، أنَّ أفضل تعليم ليسوع هو عمله الخلاصيّ. والخلاص يطال الإنسان كلَّه، نفسًا وجسدًا. لقد كان المرض، في العهد القديم، -ولاسيَّما الكسح- علامة الخطيئة (أح ٢١:١٦-٢١). فجاء يسوع ينتزع الإنسان من المرض ومن الخطيئة. والمدلول العميق لكلّ هذه المعجزات يُعطى بوضوح في هذا الخبر. وسوف تتواصل سلسلة المجادلات التي بدأت في هذه الصفحة (٢:١٣-٣:٦).

هذا الجدال الأوَّل مع الكتبة يتحدَّث عن سلطان يسوع الفائق الطبيعة. ويأتي فيقلب كلَّ النظام الذبائحيّ الذي رتَّبته السلطاتُ اليهوديَّة لنيل غفران الخطايا. فالعمل الخلاصيّ واللقب السرِّيّ، لقب ابن الإنسان الذي اختصّه، يطرحان بقوَّة مسألة شخصيَّته العميقة: من هو هذا الرجل؟

وتبيِّن نهايةُ الخبر (آ١٢ب) بوضوح أنَّ الناظرين لبثوا مذهولين أمام موقف المعلِّم.

دعوة لاوي والطعام مع الخطأة (٢: ١٣-١٧)

١٣ **وخَرجَ ثانيَةً إلى شاطئِ البَحْر، فأتاه الجَمْعُ كُلُّه، فَأَخذَ يُعَلِّمُهم.**

١٤ **ثُمَّ رأَى وهو سائرٌ لاوِيَ بْنَ حَلْفى جالساً في بَيت الجِباية، فقالَ له: ((اتبَعْني !)) فقامَ فتَبعَه.**

١٥ **وجَلَسَ يسوعُ للطَّعامِ عندَه، وجَلَسَ معَه ومع تَلاميذِه كثيرٌ مِنَ الجُباةِ والخاطِئين، فقد كانَ هُناكَ كثيرٌ مِنَ النَّاس. وكانوا يَتبَعونَه.**

١٦ **فلَمَّا رَأَى الكَتَبَةُ مِنَ الفرِّيسيِّينَ أنَّه يَأكُلُ معَ الخاطِئينَ والجُباة، قالوا لِتلاميذِه: ((أَيأكُلُ مَعَ الجُباةِ والخاطِئين؟))**

١٧ **فسَمِعَ يَسوعُ كلامَهم، فقالَ لهم: ((ليسَ الأَصِحَّاءُ بِمُحْتاجينَ إلى طَبيب، بلِ المَرْضى. ما جِئتُ لأَدعُوَ الأَبرار، بلِ الخاطِئين)).**

يبدأ هذا الجدال الثاني مع لوحة صغيرة مليئة حلاوة (آ١٣). فالمشهد يرسم وقتًا هادئًا من بدايات يسوع مع الإطار المعهود: شاطئ البحيرة، الجمهور، التعليم. كلُّ شيء هنا هو لكي يُطلق يسوع نداءه، كما فعل من قبل مع التلاميذ الأوَّلين (١: ١٦-٢٠). ولكنَّ هذه المرَّة، ذاك الذي عرفنا سلطانه في مغفرة الخطايا (٢: ١٠) يتقدَّم باتجاه الخطأة (آ١٤أ).

لاوي عاملٌ في الجمرك. هو واحد من هؤلاء الموظَّفين الصغار الموكَّلين بجمع الضرائب العامَّة: هو من العشّارين. وشهرة مثل هؤلاء الناس سيِّئة، وذلك لسببين. الأوَّل، هو أنَّهم ينعمون بحرِّيَّة تحديد الضرائب، فيغتنون بشكل جائر. الثاني، هو أنَّهم يعملون لحساب السلطة المحتلَّة. فاتُّهموا بأنَّهم يتعاملون مع الوثنيِّين. هذان السببان جعلا هذه الفئة من الناس محتقرة من قبل الشعب، وبشكل خاصٍّ من قبل اليهود المتعلِّقين بالشريعة. فلاوي خاطئ عام يدعوه يسوع لكي ينضمَّ إلى أخصَّائه. "قال له: اتبعني". فقام الرجل وتبعه (آ١٤ب). ذكَّرنا هذا الخبر بالألفاظ الواردة في دعوة التلاميذ الأوَّلين (١: ١٨-٢٠). وننذهل مرَّة أخرى بمبادرة يسوع وسلطانه، وبإمكانيَّة الناس المدهشة في السير وراءه. والغريب الغريب هو أنَّ يسوع اختار خاطئًا مشهورًا.

رتَّب مرقس الحدث في هذا الموضع ليعدَّ الطريق المباشرة للجدال الآتي (آ١٥-١٦). فالسيناريو الذي يصوِّره لنا الإنجيليّ يشبه حدثًا نموذجيًّا، أرانا مرقس فيه يسوع وهو يشارك في الطعام -ربَّما في بيت لاوي (راجع لو ٥:٢٩)- في رفقة جمهور من الخطأة. وإذا أردنا أن نفهم معنى ما يحصل هنا، ينبغي أن نعرف البُعد الدينيّ للطعام عند اليهود. فتناول الطعام هو موضع الشراكة بامتياز، وفي الوقت عينه هو موضع الاستبعاد. ونهتمّ أيضًا بمعرفة من هم ممثّلو الدراما التي تبدأ عقدتُها هنا: العشّارون والخطأة، الكتبة والفرِّيسيُّون.

"العشّارون والخطأة" (آ١٥ب). يضع المجتمع اليهوديّ في صف "الخطأة" (وينضمّ إليهم مرارًا العشّارون) أناسًا من كلّ نوع. بعضهم ذوو سلوك لاأخلاقيّ (الزناة، المومسات، الدجّالون...). وآخرون يمارسون مهَنًا تدفع إلى الكذب، مثل أصحاب النقل (المكاريّ، الجمَّال، قائد المركبة، الملاّح) والتجّار (البقّال، اللحّام، الطبيب). وهناك أيضًا أناس يُشكّ في أخلاقيّاتهم، مثل أصحاب الوظائف التي تتَّصل بالنساء (القصّارون، البائعون الجوّالون، الخيّاطون...). وأخيرًا يُرتَّب في لائحة الأشخاص الذين ينبغي ألاَّ يُعاشَروا، أولئك الذين يقومون بأعمال مقرفة (مثل الدبّاغين، السبّاكين، وجامعي القمامة...). وهكذا نرى، عبر لعبة تمييزات اجتماعيَّة أكثر منها خُلقيَّة، أنَّنا أمام عالم واسع يُستبَعَد من جراء الروابط البشريَّة والدينيَّة. ففي نظر اليهود المهتمِّين بالطهارة بحسب الشريعة، كلّ اتِّصال طبيعيّ مع الخطأة الكبار كان ممنوعًا. فكم بالأحرى اقتسام الطعام الذي كان يخلق نجاسة خطيرة عقابها الاستبعاد.

"الكتبة الذين من حزب الفرِّيسيِّين" (آ١٦أ). سبق أن عرفنا الكتبة (راجع ١:٢٢؛ ٢:٦). فعلمُهم الواسع في مجال الشرائع اليهوديَّة جعل منهم رؤساء حزب الفرِّيسيِّين. وشكّل الفرِّيسيُّون، في زمن يسوع، إحدى الحركات الدينيَّة الأكثر روحانيَّةً وانفتاحًا. وكانت لهم فكرة رفيعة عن الله وعن متطلّباته تجاه البشر، وكان تأثيرهم كبيرًا في الشعب. وبورعهم العميق، سعوا إلى تعليم الجميع ممارسة دينيَّة تضمِّخ الحياة كلَّها. كانوا مفسِّرين نابهين للكتب المقدَّسة بروحهم المجدِّد، ومتعلِّقين تعلُّقًا حارًّا بالتقاليد الشفهيَّة التي تقود المؤمنين في الحياة اليوميَّة. كان همُّهم الكبير في الحياة الجماعيَّة، وانتظارهم الحارّ للماسيّا، وتوقهم الكبير لتطهير إسرائيل من كلّ خطيئة، جعل منهم مدافعين غيورين عن شريعة موسى وعن التقليد. وشارك يسوع الفرِّيسيِّين عددًا من الأفكار التي يساندونها، ولكن المعلِّم عارض معارضة قاسية هؤلاء اليهود الورعين في نقاط من الشريعة هي موضع جدال، وكذلك في بعض تصرُّفاتهم. ولنا البرهان هنا.

كلَّمنا مرقس عن التشكّي الذي يجلب العثار تجاه يسوع، عبر تلاميذه (آ١٦ب).

فالمعلّم الذي سمع هذا الانتقاد، أجاب عليه بكلام قاطع (آ١٧). والتوازي مع الجدال السابق جليّ وواضح. هناك طالبَ يسوع بسلطان بغفران الخطايا على أنّه "ابن الإنسان" (٢: ١٠). وهنا، وفي الخطّ عينه، أعلن نفسه "الطبيب" ذاته الذي أتى ليشفي هؤلاء المرضى، أي الخطأة. وإذ تكلّم يسوع عن "الطبيب"، أختصّ لقبًا إلهيًّا جديدًا. ففي العهد القديم، ولدى الأنبياء، يُقدَّم الله على أنّه وحده الطبيب القادر أن ينشل إسرائيل من خطاياه (راجع هو ٦: ١-٣؛ إر ٣٠: ١٧).

هوذا يسوع يفتتح عهد غفران الخطايا. ففي نظره، ليس الخاطئون أناسًا أنجاسًا، نبعدهم، أو ننفصل عنهم، بل هم رجالٌ ونساء مدعوّون إلى المصالحة، إلى المشاركة. وتناوله الطعام في رفقة جمهور المبعَدين، يعني أنّ زمن الغفران قد جاء، والمسيح هو هنا.

لا تقول لنا الرواية ردّة فعل التلاميذ الذين يشاركون في الوليمة، إذ ان لاوي صار واحدًا منهم، صار "تلميذًا". فالرسالة مفتوحة أيضًا أمام الخطأة التائبين. ويسوع بتصرُّفه الثوريّ، بلبل الطقوس الدينيَّة في زمانه وجعلها شيئًا من الزمن الغابر.

رفع يسوع كلَّ الاستبعادات، وهذا أمر له أهمّيّته. فالفرّيسيُّون أنفسهم صاروا خصومه، وأقرُّوا بذلك وكأنّهم يملقونه: "يا معلّم، نحن نعرف أنّك تقول الحقيقة دومًا وأنّك لا تتأثّر بأحد، لأنّك لا تحابي الناس بل تعلّم طريق الله الحقّة" (١٢: ١٤).

حين روى مرقس، بعناية كبيرة، وليمة يسوع مع الخطأة تحت نظر الكتبة والفرّيسيّين المرتابين، كان الاستبعاد الاجتماعيّ والدينيّ مسيطرًا بعدُ في قلب الكنيسة في السنوات ٦٠-٧٠. ودلّت نصوص العهد الجديد على المسائل الشائكة التي طرحتها المائدة المشتركة بين المسيحيّين من أصل يهوديّ ومن أصل وثنيّ (رسل ١٠: ١-١١: ٣؛ غل ٢: ١٦).

تحتفظ صفحة الإنجيل هذه بكلّ آنيَّتها في أوضاع الاستبعاد من كلّ نوع، باسم متطلّبات دينيَّة أو خلقيَّة.

الصوم والعريس (٢: ١٨-٢٢)

١٨ **وكانَ تَلاميذُ يوحَنَّا والفرِّيسيُّونَ صائمين، فأتاه بَعضُ النَّاسِ وقالوا له: ((لِماذا يَصومُ تَلاميذُ يوحَنَّا وتَلاميذُ الفَرِّيسيِّين، وتَلاميذُك لا يَصومون ؟))**

١٩ **فقالَ لَهم يسوع: ((أَيَستَطيعُ أَهلُ العُرسِ أَن يَصوموا والعَريسُ بَينَهم ؟ فما دامَ العَريسُ بينَهم، لا يَستَطيعونَ أَن يَصوموا.**

٢٠ **ولكِن سَتَأتي أَيَّامٌ فيها يُرفَعُ العَريسُ مِن بَينِهم. فعِندئِذٍ يَصومونَ في ذلك اليَوم.**

٢١ ما من أَحَد يَرقَعُ ثَوباً عَتيقاً بقُطعَة من نَسيجٍ خام، لئَلاَّ تَأخُذَ القِطعَةُ الجديدَةُ على مِقْدَارِها مِنَ الثَّوب وهو عَتيق، فيَصيرُ الخَرقُ أسوأَ.

٢٢ وما من أَحَد يَجعَلُ الخَمرَةَ الجَديدَةَ في زِقاق عَتيقة، لئَلاَّ تَشُقَّ الخَمرُ الزِّقَاقَ، فَتتلَفَ الخَمرُ والزِّقاقُ معاً. ولكِن للخَمرَةِ الجَديدة زِقاقٌ جَديدة)).

بدأ الجدال الثالث بين يسوع وخصومه دون إشارةٍ سابقة إلى الزمان والمكان. فهو يجري على مثال الجدال السابق (٢:١٥-١٧). وانطلاقًا من واقع مزعج، يُطرَح سؤال على يسوع، ممّا يدفعه إلى أن يعطي جوابًا قاطعًا يَجعل الأمور في موضعها.

لننظر إلى ما حصل (آ١٨أ). كانت ممارسة الصوم محبَّبة جدًّا في الأوساط الدينيَّة اليهوديَّة. فالصوم تقليد قديم في شعب الله. وهو طريقة بها يستعدُّون للّقاء بالربِّ (هكذا موسى في خر ٣٤:٢٨). وفي زمن يسوع، كان تلاميذ يوحنّا أكبر المدافعين عن هذا الانقطاع الطوعيّ عن الأكل. وبانتظار يوم الربِّ وما فيه من حمّى، يدلُّون إلى توبة جذريَّة، ويرفضون في طعامهم استعمال المشروبات الكحوليَّة.

والسؤال الذي طُرح على الرابِّي خطير (آ١٨ب). يجب أن يبرِّر تجاوز أصدقائه لواحدة من الممارسات الثلاث التي تبني حياة الإيمان الصادق لدى اليهود الورعين: الصدقة، الصّلاة، الصوم (راجع متى ٦:١-١٨).

بوسعنا أن نفكِّر بأنَّ يسوع سوف يشهر خطأ تلاميذه بسبب تهاونهم الكبير مع قاعدة عامّة. لا شيء من هذا. بل عذرَهم المعلّم وقدَّم سببًا أسمى لم يتوقَّعه أحد (آ١٩). وما هو؟ من الواضح أنَّ يسوع أختصّ لنفسه هنا لقبًا جديدًا، هو الثالث، لقب "العريس". إنَّه لقب إلهيّ. ففي العهد القديم، كان العهد الذي قطعه الله مع شعبه يُشبَّه بالعرس. الله هو عريس إسرائيل (اش ٥٤:٥-٦؛ ٦٢:٤-٥). وأعلن الأنبياء أنَّه، بالرغم من خيانات العروس، سيجعل الربُّ عرسه مع اسرائيل حاسماً في نهاية الأزمنة (هو ٢: ١٨-٢٢). لهذا انتظر الناس مجيء الماسيّا على أنَّه افتتاح زمن الأعراس، حيث تُقدَّم وليمة عامرة من الطعام الدسم والنبيذ المعتَّق لجميع الشعوب، احتفالاً بانتصار الله الحاسم على الشرِّ والموت (اش ٢٥:٦-٩).

إذن، جعل يسوع من معاصريه شهود العرس. فإن كان تلاميذه لا يصومون، فلأنَّهم أوَّل "المدعوِّين إلى العرس". إنَّهم العلامة الحيَّة للحدث التاريخيّ الذي انطلقت مسيرته: العريس هو هنا، وقد دُشّن زمن أعراس الله مع البشر. افتتح الماسيّا عيد الخلاص الذي ينبغي على الجميع أن يستقبلوه بالفرح. يجب أن نقرَّ بأنَّ أقوال يسوع صدمت

المتكلّمين معه، كما كان صدمة أيضًا موقفُ تلاميذه الذي هو موقفه. واحتفظت الأناجيل ببعض آثار هذا الصراع الذي برز بين شخصيَّتين قويَّتين، شخصيَّة يوحنّا المعمدان وشخصيَّة يسوع. فالسابق عاش ناسكًا، لا يأكل ولا يشرب. وحُسب يسوع عكسه أنَّه يستطيب طعم الحياة: "هو أكول وشرّيب للخمر" (متى ١١:١٨-١٩).

ونستشفّ التعارض العنيف الناجم عن مهاجمة الماسيّا في تلك الحقبة. ولكنَّ مناخ العيد الذي نظَّمه يسوع (راجع أعراس قانا في يو ٢:١-١٢) تحوَّل مع توالي الأحداث: نُفِّذ حكم الموت بيسوع. هذا ما توحي به الجملة الآتية: "سيأتي وقت يُوخذ منهم العريس، في ذلك اليوم يصومون" (آ٢٠). وحين مضى المعلِّم، أعاد التلاميذ الصوم إلى مكانته، بانتظار عودته في حنين محموم (رسل ١٣:١-٣).

وانتهى الجدال في العودة إلى الوضع الجديد الذي خلقه يسوع: تدشين الأزمنة الجديدة. وجاء مثلان قصيران فوسَّعا المنظار المفتوح (آ٢٢). فبهذه الصورة المعبِّرة، يوحي يسوع أنَّ تدبيراً جديداً حقاً ظهر معه. انه تدبير مزَّق القماش العتيق الذي كان يغلِّف الممارسات الطقوسيَّة، وجعل النظام القديم شيئًا من الماضي. وأنهى يسوع هذا النقاش، مع الأوساط المتديِّنة جدًّا في عصره، بكلام مأثور وبليغ يتحدَّى الأجيال: "نبيذ جديد، زقاق جديدة" (آ٢٣ب).

وهكذا برّز مرقس وعيَ الجماعة المسيحيَّة بأنَّها دخلت، مع المسيح، في عهد جديد. فالثوب العتيق والزقاق العتيقة، توحي بالدين اليهوديّ الذي كانت حركات "يقظة روحيَّة" -مثل الفرِّيسيِّين والعماديِّين- قد ادّعت تجديده، والحال عرّضته هذه الحركات للخطر بحسب قول يسوع. وحين رفض يسوع الترقيع والتحميل، أحلَّ محلَّ القديم نظامًا جديدًا كلَّ الجدَّة. وأوجز الإنجيليّ يوحنّا هذه الجدَّة الجذريَّة التي جاءت مع المسيح حين كتب: "أجل، من ملئه نلنا نعمة فوق نعمة. إذا الشريعة أعطيَتْ بموسى، فقد جاءت لنا النعمة بيسوع المسيح" (يو ١:١٦-١٧).

السنابل المقلوعة: ربُّ السبت (٢:٢٣-٢٨)

٢٣ **ومَرَّ يسوعُ في السَّبت من بين الزُّروع، فأَخَذَ تَلاميذُه يَقلَعونَ السُّنبُلَ وهم سائرون.**

٢٤ **فقالَ له الفرِّيسيُّونَ: ((أُنظُرْ ! لماذا يَفعَلونَ في السَّبت ما لا يَحِلّ ؟))**

٢٥ **فقالَ لهم: ((أَمَا قَرأتُم قَطُّ ما فَعَلَ داوُد، حينَ احتاجَ فجاعَ هو والَّذينَ معَه ؟**

٢٦ كَيفَ دخَلَ بَيتَ اللهِ على عَهدِ عَظيمِ الكَهَنَةِ أَبْياتار، فأَكَلَ الخُبزَ المُقدَّس، وأَعطى منه لِلَّذينَ معَه، وأَكْلُه لاَ يَحِلُّ إلاَّ لِلكَهَنَة)).

٢٧ وقالَ لهم: ((إن السَّبتَ جُعِلَ لِلإنسان، وما جُعِلَ الإنسانُ لِلسَّبت.

٢٨ فَابنُ الإنسانِ سَيِّدُ السَّبتِ أَيضاً)).

هذا الجدال الرابع بين يسوع والفرِّيسيِّين يشبه نموذج الجدالات السابقة. انه ينطلق من حدث تافه (آ٢٣). وهذا الحدث يحرِّك عند اليهود سؤالاً دينيًّا يُخضعونه لتقييم يسوع (آ٢٤). ويأتي جواب يسوع صائبًا لا نظير له (آ٢٥-٢٦). ويبرِّر يسوع جوابه بكلام قاطع (آ٢٧-٢٨). حين تبع مرقس هذا المخطط، فهو انما بيَّن أنّ يسوع لا يتصرَّف بطريقة تختلف عن طريقة الرّابِّينيِّين في زمانه: إنَّه يشارك في النقاش بين المدارس الرابِّينيَّة. ولكنَّه يتفوَّق في عمله بشكل لا جدال فيه.

هوذا الحدث موضوع الجدال: اجتاز تلاميذ يسوع في الحقول، واقتلعوا بعض السنابل من الحقل (آ٢٣). لا يرى القارئ السطحي ما هو الإشكال في هذا الحدث البسيط: فأصدقاء يسوع السائرون في الطريق أشبعوا جوعهم دون أن يتوقَّفوا. أمّا الفرِّيسيُّون الأخصّائيُّون في فرائض الشريعة اليهوديَّة، تشككوا لهذا الموقف. واشتكوا في الحال إلى يسوع (آ٢٤). هناك تجاوز واضح لشريعة السبت. فبحسب شريعة موسى، يوم السبت هو يوم راحة مطلقة، وهو يوم مكرَّس لله (خر٢٠:٨-١١). ومنذ المنفى البابليّ (القرن ٦ ق.م.)، جعل شعبُ الله من السبت العلامة الملموسة لأمانته لإرادة الله، وهي ترقي إلى البدايات (تك ٢:١-١٤أ).. ومع الوقت، قونن التقليد الإسرائيليّ ذلك، فمنع الجماهير من جملة أعمال اعتُبرت متعارضة مع راحة السبت المقدَّسة. وفي زمن يسوع، سهر الفرِّيسيُّون بعناية دقيقة على ما اعتبروه مرفوضًا، للحفاظ على قداسة يوم السبت. ومُنع في هذا اليوم المقدَّس ٣٩ نشاطًا، ومنها كلّ الأعمال المرتبطة بالحصاد. وهكذا يحرَّم حتّى جمع بعض الحبّات وراء الحصّادين. فهذا يتماهى مع عمل الحصّادين.

ودُعيَ يسوع، شأنه شأن الرابِّينيِّين في زمانه، ليشجب قطاف سنابل القمح بيد تلاميذه. وكان لا بدَّ من العودة إلى الينابيع. وهكذا أحال الأخصّائيّين في الشريعة إلى التجاوزات الشهيرة الواردة في الكتاب المقدَّس (آ٢٥-٢٦). لقد أخذ مثل داود نفسه حين تجاوز الشريعة (١ صم ٢١:١-٧). وهكذا توخَّى يسوع أن يُعطي الشرعيّة لعمل تلاميذه، ولعمله بدرجة أولى. فداود هو وجه من الوجوه البارزة للماسيّا الآتي. وتجاه المتعلِّقين بدقائق شريعة موسى، أراد يسوع أن يعلمهم بأنّ الأزمنة الجديدة وصلت معه إلى هدفها. فالمسيح هو هنا، وهو يمضي أبعد من الشريعة ويقيم عهدًا جديدًا.

وقدَّم يسوع هذا البلاغ الواضح -بالنسبة إلى الذين لم يفهموا بعد- كمدخل إلى الخبر. فأعلن بجملة من هذه الجمل المعبِّرة التي تناقلتها الأجيال: "جُعل السبت للإنسان، لا الإنسان للسبت" (آ٢٧). إنه انقلاب كامل في مفاهيم السامعين. فلقد كانت راحة السبت قد اصبحت نظامًا ثقيلاً، وذكَّر يسوع بغايته الأولى: تحرير الإنسان لخدمة الله والبشر. ويُنهي المعلِّم كلامه بتبرير هذا الموقف: "ولهذا فابن الإنسان هو سيِّد السبت أيضًا" (آ٢٨). إنها مطالبة هائلة: إذ أكَّد يسوع بدون مواربة أنَّ له سلطة على نظام يُعتبر عائدًا إلى الله ذاته (تك ٢:١-١٤). في الحقيقة، إنَّه "ابن الإنسان"، هذا الشخص السرِّيّ (كما في ٢:١٠) الذي يعطي لنفسه سلطات فائقة هي بيد الله وحده. فمن يكون هذا الرابِّي الذي يطالب -بكلِّ بساطة- بامتيازات تخصُّ الله وحده؟ وانطلقت من جديد وبقوَّة مسألة طبيعة شخصه: من هو هذا الرجل؟

الرجل صاحب اليد اليابسة (٣:١-٦)

٣ ١ **وَدَخَلَ ثانِيَةً بَعضَ المَجامِعِ وكانَ فيه رَجُلٌ يَدُه شَلاَّء.**

٢ **وكانوا يُراقِبونَه لِيَرَوا هَل يَشفيهِ في السَّبْت ومُرادُهم أَن يَشكوه.**

٣ **فقالَ لِلرَّجُلِ ذي اليَدِ الشَّلاَّء: ((قُمْ في وَسْطِ الجَمَاعة)).**

٤ **ثُمَّ قالَ لهم: ((أَعَمَلُ الخَيرِ يَحِلُّ في السَّبتِ أَم عَمَلُ الشَّرّ ؟ أَتَخليصُ نَفْسٍ أَم قَتْلُها ؟)) فظَلُّوا صامتين.**

٥ **فأَجالَ طَرْفَه فيهِم مُغضَباً مُغتَمّاً لِقَساوةِ قُلوبِهم، ثُمَّ قالَ لِلرَّجُل: ((اُمدُدْ يَدَك)). فمَدَّها فعادَت يَدُه صَحيحَة.**

٦ **فخَرَجَ الفِرِّيسيُّونَ وتآمَروا علَيه لِوَقْتِهم معَ الهيرودُسِيِّينَ لِيُهلِكوه.**

يبدو هذا الخبر القصير والمكثَّف بشكل دراما حقيقيَّة. هو الجدال الخامس والأخير بين يسوع والكتبة والفرِّيسيِّين. وجاءت المواجهة أكثر خطورة من قبل (منذ٢: ١) ومع ذلك، توقف يسوع مرارًا عند المواجهة الكلاميَّة، أمّا الآن فقد انتقل إلى الفعل: إنه امتحان القوى.

يبدأ الخبر بشكل اعتيادي جدًا في الظاهر (آ١). لا يُقال لنا إن كان يسوع في كفرناحوم، حيث شكَّكهم حين شفى كسيحًا آخر (٢:١-١٢). ولكنَّ المجمع هو موضع اليهود المتدينين، بامتياز، موضع إعلان شريعة موسى حيث يُنتظَر أن تُراعى. ولكنَّ الفرِّيسيِّين هم الآن بالمرصاد، ويسعون ليأخذوا يسوع في الجرم المشهود من جراء تجاوز

الشريعة (٢آ). وهذا ما يدلّ عليه فعلان مستعملان (حفظ، اتّهم). فالتوتُّر على أشدِّه بين يسوع وخصومه. وهكذا انتقلنا منذ الآن إلى المحاكمة التي تُهيَّأ له.

بعد الكلمات التي قالها (٢:٢٨)، تأتي المحافظة على السبت في قلب اهتمام الجماعة المجمعيَّة، وهي المرمى المباشر للصراع. في الأصل كان اليهود يحتفلون بالراحة الأسبوعيَّة من خلال المحافظة على راحة السبت، وبتحرير الشعب من العبوديَّة في أرض مصر (تث ٥:١٢-١٥). ومع الزمن، حوَّلت الروحُ الشريعانيَّة هذا العيد إلى إكراه مرعب. ففي زمن يسوع، مُنعت فيه كلُّ أنواع الأعمال، حتّى البدائيَّة منها. وقد يرتضون أن تتوقَّف الراحة المقدَّسة إذا كان المريض في خطر الموت. ولكن ليس الأمر كذلك هنا. لقد توخَّى يسوع أن يجعل من هذا المعاق الذي لاقاه، نموذجًا حيًّا للخلاص. فدعاه شخصيًّا (٣آ). وهوذا في الوسط، في قلب الجماعة، ممّا جعله يشعر ببعض الإحراج. ومع ذلك، ما تردَّد يسوع بأن يؤخِّر تدخُّله بعض الوقت. ومن خلال اطار حالة ضميريَّة حول العناية التي يُسمَح بها أو لا يُسمح، يواجه متَّهميه بسؤال أوَّل: ما المسموح أن يُعمل يوم السبت، الخير أمّ الشرّ؟ إنقاذ الحياة أو تركها للموت؟ (٤آ). ويطلب الخيار المطروح جوابًا سريعًا، بدون مواربة. ولكنَّ مرقس كشف، باقتضاب، عن تنصّل المحافظين على شريعة الراحة من المسؤولية (٤ب). لقد كان على الفرِّيسيِّين أن يتَّخذوا جانب صنع الخير، في الوقت الذي هم فيه سجناء عادات تمنعهم من كلِّ عمل. والصمت المذنب لدى محاوري يسوع ملأه غيظًا وحزنًا. ونستطيع أن نقرأ اغتياظه في عينيه (٥أ). بعد ذلك سوف يشير مرقس مرارًا إلى هذه النظرة الدائريَّة، نظرة يسوع، التي تعبِّر عن دينونة شاجبة تجاه الذين يتطلَّع فيهم (٣:٣٤؛ ٥:٣٢؛ ١٠:٣٢؛ ١١:١١). وأضاف أنَّ يسوع كان "مُغضَبًا من قساوة قلوبهم" (٥ب). هي كلمات قاسية، تعبِّر عن انغلاق الفرِّيسيِّين الإراديّ على الإنجيل. وهذا الرفض لم يوقف يسوع، بل اكتفى بكلمة واحدة ليعيد إلى هذا المعاق الاستخدام الطبيعي ليده. وبيَّن يسوع، وهو سيِّد السبت، أنَّه يعرف كلَّ المعرفة كيف يوفِّق بين الراحة المقدَّسة ونشاط الخلاص الذي أعطيَ له من لدن الله (راجع يو ٥: ١٦-١٧). وتنتهي الرواية بانقلاب فجائيّ: لقد أثار فعل يسوع ما يشبه كثيرًا بداية التآمر (٦آ).

الدرس الذي أعطاه يسوع الآن واضح، وقد سبق وأعلنه بشكل احتفاليّ: جُعل السبتُ للإنسان، لا العكس (٢:٢٧). فإذا تجاوز ما تحرِّمه الشريعة، فما ذلك إلا لكي يعيدها إلى نقائها الأصليّ. السبتُ هو عيد التحرير، وقد تحقق هذا التحرير في الدور المُعطى للماسيّا. والماسيّا هو تقليديًّا مُرسَل الله ليعيد بناء العالم في الخير والحياة. معه يتدشَّن النظامُ الجديد الذي فيه يستعيد الإنسان كرامتَه الأولى. وسيشدِّد كتّابُ العهد الجديد على

"عودة النظام" الذي سيأتي به المسيح (١٢:٩؛ رسل ٢١:٣). وأشار مرقس إلى قرّائه المسيحيِّين من طرف خفيّ إلى هذا الأمر، ملاحظًا أنّ يد المعاق "عادت صحيحة" (آ٥ب).

الخبر الذي قرأناه الآن -وهو درّة في الإيجاز والحيويَّة- صار موضوع دراسات مركّزة. وتساءل الشرّاح كيف توصل مرقس إلى هذا الفنِّ العجيب في الإخبار. هناك مَن ظنُّوا أنّ الإنجيليّ ترك قلمه يلتصق بمسيرة الأحداث، كالصحفي، وعارض آخرون البُنية الدقيقة للحدث الذي يُشغلنا. ونحن نكتشف فيه تركيبًا بليغًا. فكلُّ عنصر من الخبر يجد ما يقابله، وكلُّ هذا في تداخُل مُلفت للنظر.

ونستطيع أن نكتشف التعارضات التالية، منطلقين من طرفَي الخبر وماضين نحو مركزه:

- في البداية، "دخل" يسوع إلى المجمع (آ١أ). وفي النهاية "خرج" منه الفرِّيسيُّون (آ٦أ).
- ثمّ تدع الرواية هنا الرجل صاحب اليد اليابسة في الوسط (آ١ج). وفي الطرف الآخر، نراه مع يده التي شُفيَتْ (آ٥ج).
- يسوع يُرصَد من لدن الذين يراقبونه (آ٢). ويقابل هذا الرصد نظرُه الشاجب (آ٥أ).
- طرح يسوع سؤالاً جذريًّا (آ٤أ)، والجواب صمتُ خصومه (آ٤ج).

وهكذا، من لمسة إلى لمسة، نصل إلى قلب الخبر. وهنا أيضًا نجد تعبيرًا عن مفارقة أرادها الكاتب: صُنع الخير أم الشرّ. تخليص حياة أو قتلها (آ٤ب).

ويشكِّل المجموع لعبة كاملة من التقابلات. هذا النهج معروف في الأدب الساميّ. وهذا هو البرهان أنّ مرقس لا يكتب فقط بعفويَّة الشاهد، بل يعرف أن يركِّب روايته بحسب القواعد الأدبيَّة المثبتة في زمانه. وتكشف روايته هنا -كما في مواضع أخرى، وأبعد من الظاهر الغاشّ- عن تقرير حول الحدث في هيئة "ترتيب دقيق للمشهد" يدفع القارئ إلى التفكير.

ونعود إلى أهمِّيَّة هذا المقطع. فهو يدلّ في الانجيل على ذروة، وعلى نقطة لا رجوع عنها. فمنذ بداية الجدالات، رسم مرقس، بفنٍّ كبير، الخصومة المتنامية من قبل الكتبة والفرِّيسيِّين تجاه يسوع. والمبارزات البلاغيَّة في ف ٢ تجد كلُّها، في الواقع، سؤالاً مطروحًا حول شخص يسوع: تُرى، من هو هذا الرجل؟

وأبرز مرقس، على امتداد روايته صورة لا مثيل لها للنبيّ الجليليّ. إنّه "ابن الإنسان" الذي له السلطان على الأرض بأن يغفر الخطايا (١٠:٢). إنّه "الطبيب" الذي جاء ليشفي الناس من جميع أمراضهم (١٧:٢). إنّه "العريس" الذي به تدشَّنت أعراس الله مع البشريَّة (١٩:٢). وفي النهاية، جاء يبيِّن فعلاً أنّه "سيِّد السبت" السامي (٢٨:٢).

وفي الوقت عينه، وضع الإنجيليّ إطارًا ديناميكيًّا في كتابه كلّه. بالرغم من أنّ مؤامرة القتل من قبل الفرّيسيّين والهيرودوسيّين جاءت مبكرة في هذا الحدث (٣:٦)، فمرقس يجعل الآلام في خضم الصراعات القائمة. واستعمال فعلين: "اتّهم" (آ٢ب)، و"أهلك" (آ٦ب)، يكشف لنا الكثير: محاكمة يسوع وموته يجدان جذورهما في الطريقة التي بها يُبلبَل النظام الذي وضعه أهل النظام.

في هذا الخبر، بدا مر ٣:١-٦ إنجيلاً مصغّرًا. وكلُّ وحي يسوع عن شخصه وعن رسالته يؤدي إلى عدم الفهم، ويجعل منه مشروع قتْل من قبل السلطات الدينيَّة في إسرائيل. وهكذا وجدت مأساة موته جذورها هنا. وما يعزّي، هو أنّنا نرى يسوع يضع قصدَ الله الخلاصيّ تجاه قصد القتل لدى البشر.

يسوع والجموع (٣:٧-١٢)

٧ **فانصَرَفَ يسوعُ إلى البَحرِ ومعَه تلاميذُه، وتبِعَه حَشْدٌ كَبيرٌ مِنَ الجَليل، وجَمعٌ كثيرٌ مِنَ اليَهوديَّة،**
٨ **ومِن أُورَشليمَ وأَدومَ وعِبرِ الأُردُنّ ونَواحي صورَ وصَيدا، وقد سَمِعوا بما يَصنَعُ فجاؤوا إليه.**
٩ **فأَمَرَ تلاميذَه بأَن يَجعَلوا له زَورَقاً يُلازِمُه، مَخافَةَ أَن يُضايقَه الجَمع،**
١٠ **لأَنَّه شَفى كَثيراً مِنَ النَّاس، حتَّى أَصبَحَ كُلُّ مَن به عِلَّةٌ يتَهافَتُ علَيه لِيَلمسَه.**
١١ **وكانتِ الأَرواحُ النَّجِسَة، إِذا رَأَته، تَرتَمي على قَدَمَيه وتَصيح: ((أَنتَ ابنُ الله !))**
١٢ **فكانَ يَنهاها بِشِدَّةٍ عن كَشْفِ أَمرِه.**

مقابل الخبر المتواصل الذي يعرض نشاط يسوع، يسعى مرقس، بين وقت وآخر، إلى أن يعطي للقارئ وقفة قصيرة، فيوجز الوضعَ الحاضر في لوحة قصيرة معبِّرة. هكذا فعل في بداية رسالة يسوع، وبعد شفاء حماة بطرس (١:٣٢-٣٤). وهكذا الآن، بعد أن حدد الانجيلي الحذر الذي احاط الكتبة والفرّيسيّون به يسوع، خرج بالنتيجة: أيُّ مناخ يسود بين النبيّ والشعب؟ كيف يتطوَّر موقف يسوع تجاه جمهوره؟

لقد حدَّد المشهد الحاضر الوضع: إنه يرسم التطوُّر الجاري في علاقات يسوع مع الجمهور. فبعد مواجهات منهكة قام بها يسوع، أراد أن يأخذ قسطًا من الراحة. هوذا يعتزل مع أصدقائه على شاطئ البحيرة (آ١٧). ولكنَّ موضع العزلة هذا بدا سرابًا. فيسوع وجد نفسه من جديد عرضة لهجمة من الكثيرين الذين تهافتوا إليه. وجاء الناس إليه من كلِّ مكان، من كلِّ المقاطعات اليهوديَّة، من الجليل ومن اليهوديَّة ومن أورشليم (آ٨أ)؛ وحتى من مناطق وثنيَّة أبعد من حدود إسرائيل أيضًا: من أدومية (في الجنوب)،

وشرق الأردنّ (في الشرق)، ونواحي صور وصيدون (في الشمال). انها شهرةُ الشافي الخارقة قد اجتذبتهم بأعداد كبيرة (آ٨ب). وأحسَّ يسوع أنَّ هذا المدَّ البشريّ يجتاحه، فاضطر أن يتَّخذ إجراءات تحميه: ابتعد عن الشاطئ وصعد في السفينة مع أصدقائه (آ٩). شدد مرقس بقوَّة على أنَّ هذا الزحف البشريّ، سببه نجاح يسوع بصفته الشافي. انه صانع المعجزات الذي يجعل الناس يتهافتون إليه (آ١٠). ونفهم هذا الهجوم على الشافي في اعتقاد شعبيّ شائع في ذلك الوقت، وهو أنّ مجرد الاتصال به يمنح الشفاء السريع من كلّ الأوجاع.

بدا يسوع ضحيَّة نجاحه "الطبِّيّ"، ونحن نفهم لماذا أراد أن يجعل مسافة بينه وبين هذا الحماس الجنونيّ. ففي نظره، المعجزات التي يجريها هي "علامات" تساند تعليمه، وهي علامات تُعطى للإيمان، لأنَّه لا ينبغي للمعجزات أن تثير لدى الجموع آمالاً كاذبة بعالم يتخلَّص من كلّ شرّ، في الوقت الحاضر.

فالجموع العمياء جائعة إلى الخوارق. أمّا يسوع، فلا يريد أن يتعامل مع حشد الآمال الجنونيَّة. انه لا يُشبه الشفّائين في عصره. ورسالته الأولى هي إعلان ملكوت الله. ففي الماضي، ساعة كان تلاميذه يلحُّون عليه ("الجميع يطلبونك")، أجاب: "تعالوا نذهب إلى مكان آخر... لأعلن الإنجيل، لأنّي لهذا خرجت" (١:٣٧-٣٨).

فبعد أن وضع النقاط على الحروف، عاد مرقس، كما في ردَّة تتكرَّر، إلى السيناريو المعروف حول الأرواح النجسة (آ١١). فهذه الأرواح لا تتوقف عن محاصرته عبر ايحاءات عابرة، مستلهَمة من الاحاديث الواردة عن أصل المعلِّم الفائق الطبيعة. لنتذكَّر حادثة ممسوس كفرناحوم (١:٢٣-٢٥). هي اللعبة ذاتها دومًا: الشياطين يصرخون بأفواه المرضى، فيبيِّنون معرفتهم التامَّة بهويَّة يسوع: إنَّه الماسيّا، ابن الله. ولكنَّ يسوع يفرض عليهم الصمت: انه مشهد "السرِّ المسيحانيّ" الدائم (آ١٢). لأن إعلان ألقاب تكشف شخصيَّة يسوع، سابق لأوانه، وهو يهدِّد بجرِّ الجموع السريعة التصرُّف -والتلاميذ أنفسهم- إلى اعتقاد خاطئ بمسيح زمنيّ. فالألقاب المعطاة ليسوع، والحقيقة حول هويَّته الإلهيَّة العميقة التي لا تُسبَر، لن تأخذ كلَّ قوَّتها إلاَّ بعد الآلام والقيامة. ونحن هنا ما زلنا بعيدين عنها.

المحطّة الثانية

من تأسيس الإثني عشر إلى إرسالهم

(٣: ١٣-٦: ٦)

وضعت المحطَّة الأولى (١:١٤-٣:١٢) أمامنا يسوع في نشاطه كمحرِّر. وبكلمته القديرة الفاعلة، هو حامل إنجيل ما زال حتّى اليوم يُدهشنا. وهذه المحطَّة الثانية (٣:١٣-٦:٦) ترينا إيَّاه وهو يواصل أعماله وأفعاله، فيطرح السؤال على الجميع: "إذًا، من هو هذا الرجل؟"

ثلاث متتاليات تجعل هذا التساؤل يتدرَّج في فكر تلاميذه خصوصًا.

- تفهمنا **متتالية أولى** (٣:١٣-٣٥) أنَّ يسوع يريد ان يتجاوز علاقات اللحم والدم، فيؤسس عيلة جديدة منفتحة على الجميع.

+ **يسوع يؤسِّس الاثني عشر** (٣:١٣-١٩)
+ **تدخُّل قرابة يسوع** (٣:٢٠-٢١)
+ **يسوع وإبليس** (٣:٢٢-٣٠)
+ **عيلة يسوع الحقيقيَّة** (٣:٣١-٣٥)

- وتجمع **متتالية ثانية** تعليم يسوع في الأمثال. هذا التعليم الذي هو في متناول الجميع، يطلب يسوع من التلاميذ أن يفكّروا في معناه العميق. ونجد فيه على التوالي:

+ **مثل الزارع** (٤:١-٩)
+ **لماذا الأمثال** (٤:١٠-١٢)
+ **شرح مثل الزارع** (٤:١٣-٢٠)
+ **مثل السراج** (٤:٢١-٢٣)
+ **مثل الكيل** (٤:٢٤-٢٥)
+ **مثل الزرع الذي ينمو وحده** (٤:٢٦-٢٩)
+ **مثل حبَّة الخردل** (٤:٣٠-٣٢)
+ **نهاية "الخطبة" بأمثال** (٤:٣٣-٣٤)

- وضمَّت **المتتالية الثالثة** والأخيرة أربعة أفعال تدلُّ على قدرة يسوع. تكشف هذه الأفعال أنَّ يسوع يضع موضع التنفيذ تعليم الأمثال في أفعال تحمل الخلاص. وهو يبيِّن لتلاميذه أنَّ الإنجيل يجب أن يُحمَل، لا إلى إسرائيل فقط، بل إلى الوثنيِّين أيضًا. ذاك هو المعنى الذي نكتشفه في الأخبار التالية:

+ **تهدئة العاصفة** (٤: ٣٥-٤١)

+ **ممسوس جرش** (٥: ١-٢٠)

+ **ابنة يائيرس والمرأة النازفة** (٥: ٢١-٤٣)

في نهاية هذه المحطَّة الطويلة جدَّد مرقس الموقف حول الطريقة التي بها ينظر إلى يسوع محيطه الأصليّ وتلاميذه الأخصّاء. فما زالت الطريق طويلة لهؤلاء، لكي يبلغوا إلى الإيمان.

+ **يسوع في الناصرة** (٦: ١-٦)

يسوع يؤسِّس الاثني عشر (٣: ١٣-١٩)

١٣ **وصَعِدَ الجَبَلَ ودَعا الَّذينَ أَرادَهم هو فأَقبلوا إِلَيه.**
١٤ **فأَقامَ منهُمُ اثنَي عَشَرَ لِكَي يَصحَبوه، فيُرسِلُهم يُبَشِّرون،**
١٥ **ولَهم سُلْطانٌ يَطرُدونَ به الشَّياطين.**
١٦ **فأَقامَ الاثنَيْ عَشَر: سِمْعان ولَقَّبَه بُطرُس،**
١٧ **ويَعقوبُ ابْنُ زَبَدى ويوحَنَّا أَخو يَعقوب، ولقَّبَهما بَوانَرْجس، أَي : ابنَي الرَّعْد،**
١٨ **وأَندَراوس وفيلُبُّس وبَرتُلْماوُس، ومتَّى وتوما، ويَعقوبُ بْنُ حَلْفى وتَدَّاوُس وسِمْعانُ الغَيور،**
١٩ **ويَهوذا الإِسْخَرْيوطيّ ذاكَ الَّذي أَسلَمَه.**

ترك يسوع شاطئ البحيرة "وصعد إلى الجبل" (آ١٣أ). حول البحيرة هناك التلال فقط. أمّا "الجبل"، فيذكِّرنا بلا شكّ بجبل سيناء حيث جمع موسى قبائل إسرائيل الاثنتي عشرة ليجعل منها شعب الله (خر ٢٤: ٤).

"دعا الذين أرادهم فأتوا إليه" (آ١٣ب). هذه المبادرة السامية تذكِّرنا بمبادرة الله. ليس هناك أي اعتبار للأشخاص. وقد كرّر مرقس مرَّتين: أسَّس حلقة الاثني عشر (١٤أ، آ١٦أ). والرقم هنا هو ليبيِّن أنَّ يسوع يريد أن يلد شعب الله الجديد. ونحن لا ننسى أنَّ

إسرائيل تكوَّن من اتِّحاد اثنتي عشرة قبيلة (تك ٤٩: ٢٨أ). وحُدِّدت حالاً وظيفة التلاميذ الاثني عشر. ووظيفتهم وظيفتان (آ١٤-١٥): الأولى، تكوين جماعة يسوع: يكونون "معه". الثانية، المشاركة في رسالته: إعلان الإنجيل بقوَّة تجعلهم يقومون بعلامات الخلاص.

وحالاً بعد الاختيار، أعطى مرقس لائحة الاثني عشر، هؤلاء الرجال الذين يقاسمون عن قرب حياة يسوع ورسالته. سنجد هذه اللائحة لدى الإنجيليِّين الآخرين مع بعض اختلافات في ترتيب الأسماء (متى ١٠: ٢-٤؛ لو ٦: ١٤-١٦).

في الدرجة الأولى، نجد التلاميذ الأربعة الذين اختارهم يسوع حين بدأ نشاطه (١: ١٦-٢٠): بطرس، يعقوب، يوحنّا، أندراوس. لقد ركّز مرقس على أنّ ثلاثة منهم نالوا اسماء جديدة. ففي العالم الساميّ، يدلُّ تبديل الاسم على دعوة. وفي رأس اللائحة، يأتي سمعان الذي لقّبه يسوع: بطرس (آ١٦)، ويعني هذا اللفظ في الأراميَّة كما في اليونانيَّة "الصخر". انه تلميح واضح إلى الأولويّة التي سوف يُعترَف بها لسمعان – بطرس (متى ١٦: ١٥-١٩). وأعطى يسوع ليعقوب ويوحنّا ابنَيْ زبدى اسم "بوانرجس" أي "ابني الرعد" (آ١٧). وهذا الاسم هو استذكار للطبع العنيف جدًّا للأخوين (لو ٩: ٥٤). وهناك ألقاب أخرى ألصقت بالشخص، لا أكثر ولا أقلّ. مثلاً، سمعان الثاني هو "الغيور" (آ١٨ب). لا يعني اللفظ، كما يُظَنّ مرارًا، شخصًا وطنيًّا مقاومًا في الحرب اليهوديَّة (وقد اندلعت سنة ٦٦ب.م.)، فهذا الكلام هو في غير زمانه! يكفي أن نعرف فيه غيورًا مدافعًا عن الشريعة. أمّا الآخر في اللائحة فهو "يهوذا الإسخريوطيّ" (آ١٩ب)، لانه يحمل لقب أبيه (راجع يو ٦: ٧١) –ولم يُوضَح بعد معنى هذا اللقب. أمّا عبارة "ذاك الذي أسلمه" فهي في الماضي، لا في المستقبل. وهذا يدلُّ على الاثر الذي حفظه المسيحيُّون الأوَّلون من حادثة خيانة يهوذا في خبر الآلام (١٤: ١٧-٢١).

يدلُّ المقطع في مجمله على اهتمام مرقس، وهو اهتمام الكنيسة الأولى، بأن يؤكّد على أنّ تأسيسها يرقى إلى يسوع شخصيًّا. هو تأسيس يعود إلى قلب رسالته.

تدخُّل قرابة يسوع (٣: ٢٠-٢١)

٢١ **وبَلَغَ الخَبَرُ ذَويه فَخَرَجوا لِيُمسِكوه، لأَنَّهم كانوا يَقولون: ((إِنَّه ضائِعُ الرُّشْد)).**

٢٠ **وجاءَ إِلى البَيت، فعادَ الجَمعُ إِلى الآزدِحام، حتَّى لم يَستَطيعوا أَن يَتَناوَلوا طَعاماً.**

المشهد الصغير الذي نقرأه الآن يلفت النظر. لا نجده إلاّ عند مرقس، وهو أصيل. فالوضع الذي حصل في كفرناحوم في بداية رسالة يسوع (٢: ١-٢) يُصوَّر هنا من جديد (آ٢٠أ). فيسوع وتلاميذه وجدوا انفسهم محاصرين داخل الجماعة، في البيت، بسبب

هجمة الناس الذين يتزاحمون لسماعه. لا شكَّ في أنَّنا لسنا بعد أمام الجموع التي تحتشد حوله في الهواء الطلق عند شاطئ البحيرة، حين كان عليه أن يحمي نفسه منها (٣:٧-١٢). قد تكون مجموعة صغيرة أخذت تسمع المعلِّم وتتبعه حتّى إلى زوايا البيت. غير أنَّ مرقس شدَّد على ان الظروف لم تكن مؤاتية. فالناس الذين يملأون البيت ويُقفلون المداخل يهدِّدون توازن المعلِّم. لم يعد يستطيع أن يأكل طعامًا (آ ٢٠ ج)، واصبحت حياته في خطر.

ونفهم ردَّة فعل أقرباء يسوع (آ ٢١). أتوا إليه، ما دام هناك وقت، لينتزعوا ابنهم من عبوديَّة اعتبروها لا تُحتَمل. ولكن يبدو أنَّ عملهم لا يخلو من نوايا مشبوهة. أليست وقاحة من قبل الذين يعرفونه أن يتَّهموه بأنَّه قد جُنَّ؟ إنها مشاعر غريبة، على أقل تقدير، وبعيدة عن الكياسة. وإذ لاحظ مرقس أنَّهم يريدون أن "يأخذوه"، جعل الناس يصدِّقون أنَّهم أمام عمليَّة خطف. وفعل "أخذ" يتكرر أربع مرَّات في رواية الآلام ليدلَّ على توقيف يسوع (١٤:٤٦...). وما عتم الإنجيليّ أيضًا أن جعل عيلة يسوع مصطفة، بشكل قاطع، إلى جانب خصومه. وجاء ما يُثبت هذا الرأي، وهو موضع ورود هذا الحدث القصير: حالاً قبل الجدال المرعب بين يسوع والكتبة، أعدائه المعلنين (٣: ٢٢-٣٠).

هل نجحت محاولة أقرباء يسوع بأن يضعوا حدًّا لمهمَّة جنونيَّة ؟ لن يعرف القارئ ذلك إلاَّ حين يستمر في القراءة ليرى كيف انتهى تدخُّلهم الجديد بعد تدخُّل الكتبة (راجع ٣:٣١-٣٥).

يسوع وابليس (٣:٢٢-٣٠)

٢٢ وكانَ الكَتَبَةُ الَّذينَ نَزَلوا من أُورَشَليم يَقولون: ((إِنَّ فيه بَعلَ زَبول، و إِنَّه بِسَيِّدِ
الشَّياطين يَطرُدُ الشَّياطين)).

٢٣ فدَعاهم وكَلَّمَهم بالأَمثال قال: ((كَيفَ يَستطيعُ الشَّيطانُ أَن يَطرُدَ الشَّيطان ؟

٢٤ فإِذا انقَسَمَت مَملَكَةٌ على نَفْسِها فلا تَستَطيعُ تلكَ المَملَكَةُ أَن تَثبُت.

٢٥ وإِذا انقَسَمَ بَيتٌ على نَفْسه، فلا يَستَطيعُ ذلكَ البَيتُ أَن يَثبُت.

٢٦ وإِذا ثارَ الشَّيطانُ على نَفسه فَانقَسَم فلا يَستَطيعُ أَن يَثبُت، بل يَنتَهي أَمرُه.

٢٧ فَما من أَحد يَستَطيعُ أَن يَدخلَ بَيتَ الرَّجُلِ القَوِيِّ وينهَبَ أَمتِعَتَه، إِذا لم يُوثِقْ ذلكَ
الرَّجُلَ القَوِيَّ أَوَّلاً، فعندئذ يَنهَبُ بَيتَه.

٢٨ ((الحَقَّ أَقولُ لَكم إِنَّ كُلَّ شَيءٍ يُغفَرُ لِبَني البَشَرِ من خَطيئة وتَجْديف مَهما بَلَغَ تَجْديفُهم.

٢٩ وأَمَّا مَن جَدَّفَ على الرُّوحِ القُدُس، فلا غُفرانَ له أبداً، بل هو مُذنِبٌ بِخَطيئةٍ لِلأَبَد)).

٣٠ ذلك بأَنَّهم قالوا إِنَّ فيه رُوحاً نَجِساً.

بعد التدخُّلَين المعاديين من قبل عيلة يسوع (٣:٢٠-٢١ و٣١-٣٥)، أقحم مرقس مشاجرة طويلة بين المعلِّم والكتبة وخصومه الألدّاء (آ٢٢أ). انه هجوم خطير. فقد جاء رؤساء الفرِّيسيِّين من أورشليم، مركز السلطات الدينيَّة في إسرائيل، ومعهم اتِّهام خطير جدًّا: ليس يسوع فقط ذاك الرجل الذي قال عنه أقاربه إنَّه فقد صوابه (٣:٢١)، بل هو متعاون مع إبليس. وبعل زبول هو أحد أسماء إبليس، مستوحى من اسم إله وثنيّ: بعل الأمير. لا شكَّ أنَّ هؤلاء الحكماء لا يجادلون في أنَّ يسوع يعزِّم (يخرج الشياطين)، فوظيفة التعزيم كانت منتشرة في العالم اليهوديّ، في ذلك الزمان، وكانت مقبولة (رسل١٩:١٣)، ولكنَّهم اتَّهموا يسوع على أنَّه يفعل بقوَّة فائقة الطبيعة، لم تأتهِ من الله، بل من إبليس نفسه (آ٢٢ج).

لم يدع المعلِّم مثل هذا الافتراء يمرَّ مرور الكرام (آ٢٣). فهي المرَّة الأولى يستعمل فيها يسوع المثل كفنٍّ أدبيّ: هو تشبيه يفرض على الإنسان أن يفكِّر، انطلاقًا من صور مأخوذة من الحياة اليوميَّة. أشار المعلِّم إلى أسرة منقسمة، آخرها الدمار (آ٢٤-٢٥). ومنطق يسوع لا يرحم: إذا وقف إبليس في وجه نفسه، فهذا يعني هلاكه (آ٢٦)! واستخلص يسوع من هنا، وبحنكة، النتيجة في مثل آخر قصير جدًّا (آ٢٧). فليس على المعلِّم أن يلقي خطابًا لشرح هذا اللغز. فالمسيح الآن يسلب بيت إبليس، ذاك "الرجل" القويّ. وانتصاره على هذا "الرجل" الذي يجسِّد قوى الشرّ، يأتي من أنَّه سبق أنّ قيَّد خصمه. وهكذا، في شخص يسوع، ينهي المسيح "مُلكَ أبليس"، بعكس ما يظنُّ خصومه. لنتذكَّر صرخة الأرواح الشرِّيرة التي أخرجها يسوع من ضحاياها: "ما لنا ولك، يا يسوع الناصريّ؟ أجئت لتهلكنا؟" (١:٤٤). لقد وجب وضع الأمور في نصابها. فيسوع ليس عميل إبليس، بل هو سيِّده السّامي.

وتنتهي الحرب بتحذير قاسٍ من المعلِّم لمعارضيه: غفران الخطايا الذي يحرِّكه، يخصّ جميع خطايا البشر، باستثناء خطيئة واحدة جديرة بالتفكير (آ٢٨-٢٩). والفخامة الخاصَّة لهذا القول واللهجة القاطعة شغلا بال القرَّاء في كلِّ زمان. فلقد كانت مناقشات حول هذا "التجديف ضدَّ الروح القدس" الذي يبقى بدون غفران. ما هو في الحقيقة هذا التجديف؟ وُضعت لوائح خطايا وُصفَت بأنَّها "مميتة". ولكنَّهم لم يجدوا ذنوبًا لا تُغفَر حقًّا. فإذا أردنا أن نفهم كلام يسوع، ينبغي أن لا نقتلعه من السياق الذي يعطيه معناه: "تكلَّم يسوع هكذا لأنَّهم قالوا: فيه روح نجس" (آ٣٠). لقد انغمس الكتبة في الفساد بحيث نسبوا إلى إبليس عملاً آتيًا من الروح القدس. واهتمَّ مرقس اهتمامًا خاصًّا بأن يبيِّن أنَّ يسوع، منذ بداية رسالته، نال روح الله. وهو هذا الروح نفسه الذي يُقيم فيه منذ

معموديَّته ويجعله يفعل ما يفعل لتحرير البشر من الشرّ (١:٩-١٢). فمن اعتبر يسوع، حين يطرد الشياطين، انه يتعامل مع إبليس، انغلق عمدًا على غفران الله الذي يُقدَّم لـــه بسخاء. وهذه الخطيئة ضدَّ الروح هي وحدها لا تُغفَر.

ونرى -يوم دوَّن متَّى إنجيله- أنَّ المسيحيِّين كانوا عرضة لاتِّهامات مفـــسدة في أوساط يهوديَّة معادية جدًّا، لا تريد أن ترى في يسوع، المسيحَ المنتصر على الشرّ. ويبقى عليهم أن يختاروا بين يسوع وإبليس.

أسرة يسوع الحقيقيَّة (٣:٣١-٣٥)

٣١ **وجاءَت أُمُّه وإِخوتُه فوقَفوا في خارِجِ الدَّار، وأرسَلوا إِليهِ مَن يَدْعوه.**
٣٢ **وكانَ الجَمعُ جالساً حَولَه فقالوا له: ((إِنَّ أُمَّكَ وإِخوَتَكَ في خارِجِ الدَّار يَطلُبونَكَ)).**
٣٣ **فأَجابَهم: ((مَن أُمِّي وإِخوَتي ؟))**
٣٤ **ثُمَّ أجالَ طَرفَه في الجالسينَ حَولَه وقال: ((هؤُلاءِ هُم أُمِّي وإِخوَتي،**
٣٥ **لأَنَّ مَن يَعمَلُ بِمَشيئَةِ الله هو أخي وأُخْتي وأُمِّي)).**

المشهد الذي نراه الآن هو نهاية المحاولة التي بدأت في ٣:٢٠-٢١. جاء أقارب يسوع ليضعوا يدهم عليه. والسبب: اجتاحته الجموع "ففقد صوابه" (آ٢١ب). وها هو الصراع يتهيَّأ، ويندلع الآن (آ٣١). انه العناد نفسه كما في السابق. فيسوع هو في البيت، ولا شكَّ أنَّه يعلِّم (آ٣٢أ). أخبروا يسوع بزيارة مفاجئة من أمِّه وإخوته (آ٣٢ب)، وألحَّ مرقس على ذلك مرَّتين: أقرباء يسوع لبثوا "في الخارج". انهم يصطدمون بحلقـــة تحـــيط بالمعلِّم. وهم يريدون أن يخرجوه من البيت، أن ينتزعوه من رسالته. من هنا كانت قسوة كلام، في سؤال أراده يسوع تحدّيًا (آ٣٣). اندهش السامعون بأن يتكلَّم يسوع عن أمِّه بمثل هذه القساوة. أمّا مرقس، فلم يكن يتدخّل في المسائل السيكولوجيَّة. وتساءلوا أيضًا من هم "إخوة" يسوع، في الوقت الذي يقول التقليد عنه أنَّه ابن وحيد. هنا نعـــرف أنَّ لفظ "أخ" في الوسط الساميّ يدلُّ على قريب، وهذا لا يهمُّنا الآن. ما شدّد عليه الإنجيليّ هو أنَّ يسوع جعل مسافة كبيرة تجاه رباطات الدم. وفحوى الكلام في الخبر جاء ليثبت ذلك. ألقى المعلِّم نظرة دائريَّة إلى جميع الذين التأموا حوله (آ٣٤أ). وهذه النظرة الثاقبة، عند مرقس، تدلُّ دومًا على وقت هامّ (راجع ٣:٥؛ ١٠:٢٣؛ ١١:١١). وبالفعل، كان هناك إعلان رئيسيّ من قبل يسوع (آ٣٤أ). فلقد حدّدَ موقع عيلته الحقيقيَّة، لا في قرابة لحميَّة، بل في هؤلاء الرجال والنساء الذين يسمعون كلامه. وها هو يحدِّد ذلك بـــدون مواربة: "من يعمل مشيئة الله هو أخي وأختي وأمِّي" (آ٣٥).

انها طريقة واضحة وبسيطة معًا، بالنسبة إلى مرقس، لتقديم الكنيسة للمسيحيِّين في زمانه. فالاضطهاد الرومانيّ دفع العائلات إلى افتراقات موجعة. والأعضاء الذين يهتدون يُدفعون مرارًا لأن يقوموا بخيار بين الرباطات العائليَّة وانتمائهم إلى الجماعة المسيحيَّة. فبيَّن لهم الإنجيليّ أنَّ يسوع نفسه أُجبر أن يُتمَّ قطيعة تامَّة بالنسبة إلى أخصّائه. فهم لا يستطيعون من ثم أن يطالبوا بامتيازات. وهكذا بيَّن مرقس بشكل عابر، نمطين من العلاقات القائمة بين يسوع ومعاصريه: أولئك الذين يرفضونه وأولئك الذين يتقبَّلونه.

فمن جهة، يقف المعارضون، واشدّهم الفرِّيسيُّون والكتبة الذين وصل بهم الأمر حتّى التجديف على الروح القدس، حين قالوا عن يسوع: "فيه شيطان" (آ٣٠). ومن جهة أخرى، أقرباء يسوع الذين سقطوا في خطيئة مماثلة حين أعلنوا: "أضاعَ صوابه" (آ٢١). وتساءل القارئ كيف أنَّ مرقس جعل جدال يسوع حول بعل زبول (آ٢٢-٣٠) داخل إطار تدخُّل غاضب من قرابة يسوع (آ٢٠-٢١ و٣١-٣٥). هذان الحدثان، حيث يبدو الواحد غريبًا عن الآخر، يمتلكان النقاط المشتركة. فما يُعمَل في الجهتين هو العداوة "لرسالة" كان يؤديها يسوع. ففي نظر مرقس، لا تتصرَّف عيلة يسوع تصرُّفًا يختلف عن "عيلة منقسمة على نفسها"، تم الكلام عنها في الصراع مع الكتبة (٣:٢٥). فاقتران المقطعين، إذن، أمرٌ له معناه.

ومن جهة أخرى، نحن إزاء تلاميذ يسوع. هم أوَّلاً الاثنا عشر الذين تبعوه (٣: ١٣-١٩). وبشكل أوسع هم الناس السامعون وسط الجمع، وقد تقبَّلوا الإنجيل من فمه. في بداية الحدث، اكتفى الناس بأن "يجتمعوا" حول يسوع ويتبعوه حيث هو (آ٢١). وفي النهاية، تلاحموا وتنظَّموا بشكل أفضل، لأنَّهم بدوا "جالسين حوله" (آ٣٢أ، ٣٤أ). فتجاه الناس الذين "في الخارج"، تتنامى جماعةُ التلاميذ. وقد أعطانا يسوع في ذلك المعيار لمعرفة أولئك الذين يخصُّونه ويعملون مشيئة الله. سيأتي يوم، بعد العنصرة، حيث المسيحيُّون يُدعَون عمليًّا "إخوة" و"أخوات" يسوع لأنَّهم يؤسِّسون سلالة روحيَّة، أي عائلته الحقيقيَّة في الجماعة "الكنيسة" (راجع ف ١-٢).

الخطبة بالأمثال (٣:١-٣٤)

وتبرز هنا سلسلة من خمسة أمثال. وتُدعى هذه المجموعة "الخطبة في الأمثال"، فيها يواصل مرقس مخطَّطًا عزيزًا على قلبه: تنشئة التلاميذ. لا شكَّ في أنَّ الأمثال هي تعليم يسوع للجموع؛ ولكن، كما سنرى، بدت هذه الأمثال صعبة. فاستفاد يسوع من هذه المناسبة ليأخذ تلاميذه على حدة ويسلِّمهم سرَّ تعليمه.

في هذا الفصل رسمَ الإنجيليُّ بوضوح نظرته إلى السرِّ المسيحانيّ. ففي نظره وفي نظر مسيحيِّي رومة، رذل الشعبُ اليهوديّ سرَّ ملكوت الله الذي حمله يسوع. لهذا يجب أن ينشَّأوا بيد المعلِّم لكي يدخلوا بالإيمان إلى هذا الجديد الجذريّ الذي هو شخص يسوع ورسالته. وآلام يسوع وحدها وقيامته تتيح للمؤمنين بأن يفهموا بوضوح تامّ البلاغ الذي وصل الآن.

بقيت الأمثال لغة لغزية لمن لا يمتلك "المفتاح" الذي سيُعطى في ما يلي من الأحداث. في الظاهر، لا يتكلَّم يسوع في هذه الأخبار المصوَّرة، عن نفسه ولا عن رسالته، بل عن ملكوت الله. في الحقيقة، سوف نكتشف أنَّ يسوع يعبِّر عن نفسه ويتصرَّف على أنَّ شيئًا جديدًا كلَّ الجدَّة اجتاح العالم معه الآن، وهو سيبدِّل مجرى الأحداث.

مثل الزارع (٤: ١-٩)

٤ ١ **وعادَ إِلى التَّعليمِ بِجانبِ البَحْرِ، فازدَحَمَ علَيه جَمعٌ كثيرٌ جدّاً، حَتَّى إِنَّه رَكِبَ سَفينَةً في**
البَحرِ وجَلَسَ فيها، والجَمعُ كُلُّه قائمٌ في البَرِّ على ساحِلِ البَحْرِ.
٢ **فعَلَّمَهم بِالأَمثالِ أَشْياءَ كثيرة. وقالَ لَهم في تَعليمِه:**
٣ **((إِسْمَعوا ! هُوَذا الزَّارِعُ خَرَجَ لِيَزرَع.**
٤ **وبَينما هو يَزرَع، وَقَعَ بَعضُ الحَبِّ على جانبِ الطَّريق، فجاءَت الطُّيورُ فأَكَلَتْه.**
٥ **ووَقَعَ بَعضُه الآخَرُ على أَرضٍ حَجِرَةٍ لم يَكُنْ فيها تُرابٌ كثير، فنَبَتَ مِن وَقتِه لأَنَّ تُرابَهُ**
لم يَكُنْ عَميقاً.
٦ **فلَمَّا أَشرَقَتِ الشَّمسُ احتَرَقَ، ولم يَكُنْ له أَصْلٌ فَيبس.**
٧ **ووَقَعَ بَعضُه الآخَر في الشَّوك، فارتَفَعَ الشَّوكُ وخَنَقَهُ فلَم يُثمِرْ.**
٨ **ووَقَعَت الحَبَّاتُ الأُخْرى على الأَرضِ الطَّيِّبَة، فارتَفَعَت ونَمَت وأَثمَرَت، بَعضُها ثلاثين،**
وبَعضُها ستِّين، وبَعضُها مائة)).
٩ **وقال: ((مَن كانَ له أُذُنانِ تَسْمعان فَلْيَسمَعْ !)).**

الإطار الذي يجري فيه المشهد معروف من قبل (آ١): شاطئ البحيرة، الجمع الكبير، القارب الذي فيه يجلس يسوع بعيدًا عن الشاطئ (٢: ١٣؛ ٣: ٧-٩). كلُّ هذا يعطي اللوحة شيئًا من التفخيم. كان يسوع جالسًا في القارب وهو يعلِّم، مثل الرابِّينيِّين في المجمع (آ١ج). الجمهور المجتمع على الأرض بدا في حالة سماع جيدة. ومع ذلك، ألحَّ عليهم يسوع بشكل خاصّ مرَّتين بأن يكونوا منتبهين (آ٣أ). وفي نهاية تعليمه، كانت عنده هذه العبارة اللافتة: "من له أذنان سامعتان فليسمع" (آ٩).

لماذا هذان النداءان إلى انتباه خاصّ؟ لأنَّها المرَّة الأولى يتوجَّه فيها يسوع إلى الجمهور "بأمثال". ها قد قيلت الكلمة (آ٢أ). فالمثل في أبسط شكل له، هو خبر مأخوذ من الطبيعة أو من الحياة اليوميَّة. وبطابعه الغريب يقرع أذن السامع ويفرض عليه التفكير في ما يريده المتكلِّم بدقَّة، عبر الصور.

ولنا هنا أوَّل مثل: خروج الزارع ليزرع (آ٣ب). للوهلة الأولى يوجِّه الخبر انتباه القارئ إلى الحقول وغلاَّتها (آ٤-٧). ها هي إذًا ثلاث خبرات تعيسة: قارعة الطريق (آ٤)، حقل فيه حجارة (آ٥)، أو أشواك (آ٧). كلُّ هذا، ولأسباب مختلفة، لا يعطي ثمرًا. ولكن حين تجد الحبَّة حقلاً صالحًا تحمل ثمارًا مدهشة: الأرقام ٣٠، ٦٠، ١٠٠ تدلُّ على نموٍ عجيب.

لا نستطيع إلاَّ أن نفكِّر، عبر هذه الصور البسيطة والسريعة، بأنَّ يسوع يقدِّم تقريرا أوَّل عن نشاطه. وحتى لو ان ذلك جاء في الانجيل مبكرا، فيسوع باشر رسالته: فهو "الزارع" "الذي خرج" من لدن الله (١:٣٨) ليزرع البشرى السّارّة، والتقى زرعُه أرض البشر بنجاحات متنوِّعة. وها هي النتائج. فهناك أكثر من فشل واضح. ثلاث مرَّات توقَّف الخبرُ طويلاً على الحواجز التي أعاقت نموَّ الكلمة. فلقد اصطدم يسوع حقًّا بقوى الشرِّ المدمِّرة (الأرواح النجسة، الكتبة والفرِّيسيُّون، وحتّى قرابته). ولكنَّ هناك أيضًا الأمل والنجاح. وقد جاء النجاح من الذين أخذوا يؤمنون: التلاميذ. شيء قليل ولكنَّه مشجِّع. ففي نظرة تتجاوز شخص يسوع، يكرر مرقس أقواله باتِّجاه قرَّائه في رومة. ينبغي ألاَّ ييأسوا من صعوبات نشر الإنجيل في فلسطين. فينبغي أن يعملوا معًا من أجل نجاحه أبعد من حدود إسرائيل، أي حيث هم، في قلب الإمبراطوريَّة الرومانيَّة.

لماذا الأمثال؟ (٤:١٠-١٢)

١٠ **فلَمَّا اعتَزَلَ الجَمْع، سأَلَه الَّذينَ حَولَه معَ الاثْني عَشَرَ عنِ الأَمثال.**

١١ **فقالَ لَهم: ((أَنتُم أُعطيتُم سِرَّ مَلكوتِ الله. وأَمَّا سائرُ النَّاس فكُلُّ شَيءٍ يُلقى إِلَيهِم بِالأَمثال**

١٢ **فَيَنظُرونَ نَظَراً ولا يُبصِرون ويَسمَعونَ سَماعاً ولا يَفهَمون لِئَلاَّ يَرجِعوا فَيُغفَرَ لَهم)).**

ان اكثر ما يصدم القارئ، للوهلة الأولى، هو هذه الآيات الثلاث في إنجيل مرقس. فلقد بدا يسوع فيها وكأنَّه يحصر "سرّ ملكوت الله" (آ١١أ) في تلاميذه وحدهم، كما لو كانوا معتادين على تعليمه. ويحكم على "الذين في الخارج" أن يلبثوا عميانًا وصُمًّا "في لغز الأمثال" (آ١١ب). لطالما حسبنا أنَّ الأمثال توجَّهت إلى الشعب، بصفتها لغة بسيطة جُعلت في متناول الجميع. وها نحن نكتشف أنَّها غشاوة ارادها الله نفسه لكي

تتحقَّق نبوءة اشعيا (٦:٩-١٠): "ينظرون جيِّدًا بكلِّ عيونهم ولا يرون" (آ١٢).

كيف نشرح هذا؟ تفرض علينا الحقيقةُ التاريخيَّة أن نقول أوَّلاً بأنَّ يسوع ما أراد يومًا أن يخفي تعليمه عن الجموع، أو أن يمنع "الذين في الخارج" أن يهتدوا ويتوبوا. بل إنَّ هذه الأمثال دعت الجمهور الواسع ليكتشف سرَّ الملكوت (٤:١ب). ولكن فهم آ١٠-١٢ يصبح ممكنًا إذا جعلنا نفوسنا في زمن يدوِّن فيه مرقس إنجيله، سنة ٧٠ في رومة. في ذلك الوقت، عرف تعليم يسوع في فلسطين فشلاً واسعًا. فأكثريَّة اليهود الذين توَّجه إليهم، لبثوا منغلقين. وما انضمَّ إليه سوى البعض: هم التلاميذ. وهذه المجموعة بدت مثل كرة الثلج حين ضمَّت إليها الوثنيِّين. والكنيسة التي في رومة هي المثال النموذجيّ. وانطلاقًا من هنا يتوضَّح كلُّ شيء.

لنتناول النصَّ آية فآية. سُئل يسوع بعيدًا عن الجمع حول الأمثال (آ١٠). ولم نلاحظ أنَّ الذين سألوه هم فقط من الاثني عشر، بل أولئك الذين هم حوله، معهم. فالمقصود عيلة يسوع الجديدة، "أولئك الذين يعملون مشيئته" (بحسب ٣:٣٥). فسرُّ ملكوت الله الذي دشَّنه يسوع، كُشف تمام الكشف لجميع الذين تبعوه: الاثني عشر وعدد من القادمين الجدد إلى الإيمان. فهؤلاء جميعًا، يهودًا ووثنيِّين مهتدين دخلوا إلى "حضن الكنيسة"؛ مقابل ذلك لبث هذا السرُّ مغلقًا على "الذين في الخارج"، أي كتلة الشعب من اليهود والوثنيِّين الذين لم يتوبوا: ذاك هو المعنى المعقول للآية ١١. ولقد أشار بولس جيدا إلى هذا "الواقع التاريخيّ": فيسوع المصلوب كان "عثارًا لليهود وجهالة للأمم" (١قور ١:٢٣). فكان من الملحّ "للمسيحيِّين الأوَّلين أن تتوضَّح لهم هذه المسألة. فهؤلاء المسيحيِّون الأوَّلون عادوا عفويًّا إلى الكتاب المقدَّس ليشرحوا عمى اليهود. ففهموا أنَّ رذل اليهود للمسيح يندرج في قصد الله السرِّيّ (راجع رسل ١٣:٤٤-٤٨). لهذا عادوا إلى كلام اشعيا (٦:٩-١٠): "لكي تتحقَّق هذه النبوءة: بوسعهم أن ينظروا بملء عيونهم، فلا يرون. يستطيعون أن يُصغوا بملء آذانهم فلا يفهمون، وبالتالي لا يتوبون وينالون الغفران" (آ١٢). هذه الكلمة القاسية للسماع، بالنسبة إلينا، انما أرادت في سفر اشعيا أن تشدِّد على ما يلي: أُرسل النبيّ إلى شعب عاصٍ (في القرن ٨ ق.م.)، فكانت رسالته فشلاً موقَّتًا دون أن يتحوَّل إلى حتميَّة لا مناص منها. وهكذا كان بالنسبة إلى يسوع. فمرقس، بفضل خبرة اشعيا التعيسة، أراد أن يشرح للمسيحيِّين لماذا فشل معلِّمهم، ويحثُّهم ليشاركوا في إنجاح الإنجيل. فكما رأينا في مثل الزارع (٤:١-٩)، هناك "عيون" ترى يسوع ولا تتعرَّف إليه، "وآذان" تصغي إليه، ولكنَّها لا تتقبَّل تعليمه (هذا هو وضع التلاميذ أنفسهم، راجع ٨: ١٧ب-١٨)، بحيث إنَّ اهتداء القلب لا يتمّ، وغفران الله يبقى معلّقاً... وهذا أمر صحيح اليوم أيضًا!

شرح مثل الزارع (٤:١٣-٢٠)

١٣ وقالَ لَهم((أَما تَفهَمونَ هذا المَثَل ؟ فكَيفَ تَفهَمونَ سائرَ الأَمثال ؟
١٤ الزَّارِعُ يَزرَعُ كلمَةَ الله.
١٥ فمَن كانوا بجانب الطَّريق حَيثُ زُرِعَتِ الكَلمة، فهُمُ الَّذينَ يَسمَعونَها فيأتي الشَّيطانُ لوَقته ويَذهَبُ بالكَلمَة المَزروعة فيهم.
١٦ وهؤُلاءِ هُم الَّذينَ زُرِعوا في الأَرضِ الحَجرَة، فإذا سَمعوا الكَلمَةَ قبلوها من وَقتهم فَرِحين،
١٧ ولكن لا أَصلَ لَهم في أَنفُسهم، فلا يثبُتونَ على حالة. فإذا حَدَثَت بَعدَ ذلك شِدَّةٌ أَوِ اضطِهادٌ من أَجْلِ الكَلمة، عَثَروا لوَقتهم.
١٨ وبَعضُهمُ الآخَرُ زُرِعوا في الشَّوك، فهؤُلاءِ همُ الَّذينَ يَسمَعونَ الكَلمة،
١٩ ولكنَّ هُمومَ الحَياةِ الدُّنْيا وفِتنَةَ الغِنى وسائرَ الشَّهَواتِ تُداخِلُهم فَتَخنُقُ الكَلمة، فلا تُخرِجُ ثَمَراً.
٢٠ وهؤُلاءِ همُ الَّذينَ زُرِعوا في الأَرضِ الطَّيِّبَة، فهُمُ الَّذينَ يَسمَعونَ الكَلمةَ ويَتَقَبَّلونَها فيُثمِرونَ الواحِدُ ثَلاثينَ ضِعفاً والآخَرُ ستِّين وغَيرُه مِائة)).

إلى سؤال المحيطين به مع الاثني عشر، واصل يسوع الجواب (آ١٣). إذًا، نحن أمام المسيحيِّين الأوَّلين. بدأ المعلِّم يلومهم على عدم فهمهم. يجب أن نترجم بلا شكّ: "قلَّة فهمهم". فندرك هنا بالنسبة إلى تلاميذ يسوع، أنَّهم وإن كانوا مستمعيه المميَّزين، إلاَّ أنَّهم يلبثون عرضة للعمى الروحيّ والصمم. هناك أناس لا يرون ولا يسمعون، حتّى وإن كانت لهم عيون وآذان (راجع آ١٢ب).

وشرحُ مثل الزارع (٤:١-٩) الذي يُعطى الآن يدلُّ على انتقال في الموضوع. كان الاهتمام في المثل حول الغلَّة التي تخرجها الحقول المختلفة. فصار موضوعه استعدادات السامعين. فاللغة هي لغة الكنيسة الأولى. منذ البداية (آ١٤) تماهى الزرع مع "الكلمة". ويعود هذا اللفظ ثماني مرَّات في هذا المقطع. ونتذكَّر أنَّ "الكلمة" هي اللفظ الرسميّ الذي استعمله المسيحيُّون الأوَّلون للدلالة على "الإنجيل" (٢:٢ب). هذا يعني أنَّنا نُقلنا إلى قلب الجماعة المسيحيَّة التي تُسأل حول تقبُّلها للبشارة. أوَّلاً، تُشجَب العوائق لنموِّ الإنجيل في القلوب. في الدرجة الأولى، هناك أناس يجعلهم إبليس، خصمُ ملكوت الله، سريعي العطب أمام الشرّ (آ١٥). والبؤس أو الاضطهاد الدينيّ يجعلان المؤمنين غير المتجذِّرين في إيمانهم تجذُّرًا كافيًا، "يسقطون"، وإن تقبَّلوا الإنجيل بفرح (آ١٦)؛ فإن الوقت (الطويل) ومحن

الحياة (آ١٦-١٧) تسيء إلى الناس السطحيِّين. وهناك مؤمنون آخرون يرون ان إيمانهم قد خنقته انجذابات وإغراءات من كلِّ نوع: فالهوى الدُنيوي يعيق استعدادهم (آ١٨-١٩).

وهكذا يدعى كلُّ قارئ إلى فحص الضمير هذا: أي أمور -غريبة عن الانسان أو من داخله- تسيء إلى نمو الكلمة؟ الحمد لله، هناك الذين شُبِّهوا "بالأرض الطيِّبة"، الذين يتقبَّلون كلمة يسوع ويحملون ثمرًا ينمو (آ٢٠). هذه الكلمة الأخيرة تحثُّ المسيحيِّين على أن يُنموا في نفوسهم بذرةَ الإنجيل إلى أقصى الحدود.

مثل السراج (٤: ٢١-٢٣)

٢١ **وقالَ لَهم: ((أيأتي السِّراجُ لِيُوضَعَ تَحتَ المِكيالِ أَو تَحتَ السَّرير ؟ أَلا يأتي لِيُوضَعَ على المَنارة ؟**
٢٢ **فما مِن خَفيٍّ إِلاَّ سيُظهَر، ولا مِن مَكتومٍ إِلاَّ سيُعلَن.**
٢٣ **مَن كانَ له أُذُنانِ تَسْمَعان فَلْيَسْمَعْ !)).**

واصل يسوع تعليمه في كلمات مصوَّرة، وسامعوه هم ذاتهم كما في السابق: التلاميذ (آ٢١أ). وهم ايضا الذين يحيطون به، أي حلقة أوسع من الاثني عشر (٤: ١٠) يُدرج فيها مرقس، بدون شكّ، مسيحيّي رومة. والسؤال الذي يطرحه عليهم هو بسيط جدًّا (آ٢١ب): من الواضح أنَّنا لا نأتي بسراج لنخفيه تحت بعض الآثاث، بل يوضع في وسط القاعة لكي ينير الجالسين أفضل إنارة. ولكن ما الذي تخفيه هذه الصور؟ لقد قدَّم يسوع شرحًا بقي غامضًا (آ٢٢). ما الذي يعنيه حقًّا؟ نستطيع أن نفكِّر في ملكوت الله. فسرُّه المكشوف لبعض الناس، يجب أن ينتشر ويتوسَّع. ولكن يبدو بالأحرى أنَّ الموضوع هو شخص يسوع. ونلاحظ أنَّ بداية الجملة تقدِّم مجيء السراج كأنَّه حدث (آ٢١ب): "جاء السراج" -عبارة مدهشة!- كما جاء يسوع. فنحن هنا، كما كنا مع مثل الزارع الذي خرج ليزرع.

وأُريد لتجلّي يسوع أن يكون خفيًّا هادئًا. لم يستسلم يسوع إلى هذه الدعاية الصاخبة التي تجعل الناس يضلّون بشأن شخصه الحقيقيّ ورسالته. ولكنَّه لم يشأ ايضا أن يكوِّن حوله شبه "ناد" مغلق، فيه بعض الروّاد المُعتادين. "فنور العالم"، كما يقول يوحنّا (٨: ١١)، ينبغي أن ينير البشر جميعًا. وتعليمه ليس ذاك العلم الخاصّ السريّ المحفوظ، مثل سرّ، للقريبين منه. كلاّ. يجب أن تُحمَل البشارة في وضح النهار لتنير أكبر عدد ممكن. ولكن من الضروريّ أيضًا أن نفتح آذاننا واسعة (آ٢٣). هو النداء ذاته لليقظة والتنبّه، كما كان الأمر مع الزرع، الكلمة (٤: ٩). فالذين ينعمون بنور المسيح، يخطئون إن هم

خنقوه، أو أطفأوه. وسوف يخضعون لمساءلة عن كيفيَّة تقبُّلهم (٤:٩) للإنجيل: هل جعلوا الذين حولهم يعرفونه؟

مثل الكيل (٤:٢٤-٢٥)

٢٤ **وقالَ لَهم: ((انتَبِهوا لِما تَسمَعون ! فبما تَكيلونَ يُكالُ لَكم وتُزادون.**
٢٥ **لأَنَّ مَن كانَ لهُ شَيء، يُعطَى. ومَن لَيسَ له شَيء، يُنتَزَعُ مِنهُ حتَّى الَّذي له)).**

هذا المثل التصويري هو الأقصر، ولكنَّه ليس الأسهل. فيبدأ بالحث على سماع جدِّيّ (٢٤أ)، ولكنَّ الصورة التالية تبقى غامضة (٢٤ب). هل "الكيل" المذكور هو "الأهمِّيَّة" المعطاة لتقبُّل الزرع - الكلمة؟ فإن كان هذا التقبُّل واسعًا، فالله سيعرف كيف ينميه أيضًا. هو تفسير معقول، بالنظر إلى السياق السابق، حيث الموضوع هو استعداد القلوب لتقبُّل البشارة، بشكل ضيِّق أو واسع. ولكنَّنا لسنا متأكدين من ذلك. والشرح الذي أعطي حالاً هو أكثر غموضًا من المثل نفسه (٢٥). نعلم حب الشرقيِّين للمفارقة، وها هنا مثل نموذجي! نلاحظ أوَّلاً أنَّ قول يسوع هذا لبث لغزيًّا جدًّا بالنسبة إلى المسيحيِّين الأوَّلين أنفسهم. والبرهان هو أنَّنا نجده في سياقات متنوِّعة جدًّا، في التقليد الإنجيليّ (متى ١٣:١٢؛ ٢٥:٣٩). هذا النمط من القول ندعوه "جوّالاً"، او عائما، لأنَّ سياقه الخاصّ والثابت ضاع باكرًا. وهنا -في هذه الفرضيَّة- قد يشير المثل إلى الشعب اليهوديّ. فالشعب المختار لم يتقبَّل البشارة، في مجمله. ألا يرى ان مواعيد الله قد أُخذت منه لصالح المسيحيِّين الذين دخلوا في الكنيسة؟ وهنا نبقي في حيرة، لأنَّ عبارة يسوع لبثت ضبابيَّة. فيبقى على القارئ أن يتحقَّق من نوعيَّة سماعه لكلام الله الذي ناله.

مثل الزرع الذي ينمو وحده (٤:٢٦-٢٩)

٢٦ **وقال((مَثَلُ مَلَكوت الله كَمَثَلِ رَجُلٍ يُلْقي البَذْرَ في الأَرض.**
٢٧ **فسَواءٌ نامَ أو قامَ لَيلَ نَهار، فالبَذْرُ يَنبُتُ ويَنمي، وهو لا يَدري كيفَ يَكونُ ذلك.**
٢٨ **فَالأَرضُ مِن نَفسها تُخرِجُ العُشبَ أَوَّلاً، ثُمَّ السُّنبل، ثُمَّ القَمحَ الَّذي يَملأُ السُّنبُل.**
٢٩ **فما إِن يُدرِكُ الثَّمَرُ حتَّى يُعمَلَ فيه المِنجَل، لأَنَّ الحَصادَ قد حان)).**

جاء هذا الخبر بسيطًا واضحًا. وهو خاصٌّ بإنجيل مرقس. وبدأ بـ"قال" دون أن يذكر إلى من توجَّه الكلام. نستطيع أن نفترض أنَّ يسوع لا يتوجَّه الآن إلى الذين يحيطون به بشكل مباشر، كما من قبل، بل إلى الجمهور الذي مضى إليه. وهذا ما نفهمه من نهاية الفصل حول الأمثال (٤:٣٣).

يُقال، أوَّلاً، بشكل واضح إنَّ الصورة تعني ملكوت الله (آ٢٦أ). فإقامة هذا الملكوت تشبه مسيرة زراعيَّة كاملة: الزرع، نموّ الحبَّة، من الزرع إلى سنبلة القمح (آ٢٦ب-٢٨). على أيِّ شيء يكونُ تنبُّه القارئ؟ يبدو الجواب واضحًا: يشدِّد المثل على قدرة الله السرِّيَّة، التي لا تُقاوَم، وهي التي تولِّد الملكوت وتنميه دون أن يكون للبشر في ذلك يدٌ.

فيسوع يقول الأمثال مرارًا ليحلّ أوضاعًا صعبة. ويطيب لمرقس، ولا شكّ، أن يضع قرَّاءه أمام يقين بأنَّ الله يقود مشروعه -الملكوت- بأفضل ما يكون، بعمل متواصل، صامت، ولكن فاعل. فكنيسة رومة التي يكتب لها تعيش آنذاك أيّام محنة يبدو فيها الله غائبًا عن مسرح العالم. فأيُّ تعزية بأن نعرف أنَّه يعمل بالرغم من كلِّ شيء! ومثل الحبَّة التي تنمو وحدها ينتهي عند تذكُّر زمن الحصاد (آ٢٩). فسواء كانت ردَّة فعل الناس صالحة أو رديئة، فالله يواصل قصده بأمانة حتّى النهاية: جمع الحَبّ. هو رجاء عظيم للذين لا يرون الحصاد.

مثل حبَّة الخردل (٤: ٣٠-٣٢)

٣٠ **وقال: ((بماذا نُشَبِّهُ مَلَكوتَ الله، أَو بأَيِّ مَثَلٍ نُمَثِّلُه؟**
٣١ **إِنَّه مثلُ حَبَّةِ خَرْدَل: فهِيَ، حينَ تُزرَعُ في الأَرض، أَصغَرُ سائرِ البُزورِ الَّتي في الأَرض.**
٣٢ **فإِذا زُرِعَت، ارتَفَعَت وصارَت أَكبَرَ البُقولِ كُلِّها، وأَرسَلَت أَغْصاناً كَبيرة، حتَّى إِنَّ طُيورَ السَّماءِ تَستَطيعُ أَن تُعَشِّشَ في ظِلِّها)).**

ويواصل يسوع تعليمه في لغة مصوَّرة (آ٣٠). ها هو المثل الأخير من الأمثال الخمسة حول ملكوت الله. انه مأخوذ من الحياة الريفيَّة، شأنه شأن الأمثال السابقة. حبَّة الخردل الصغيرة تصبح نبتة فارعة (آ٣١-٣٢أ). هل من قاسم مشترك بين هذه الحبَّة الصغيرة جدًّا واتِّساع النبتة التي أنتجتها؟ هوذا ملكوت الله يواجه مفارقة مشابهة. فصغر بداياته لا يمكن أن يُضلّنا! إنَّه مدعوّ إلى نجاح خارق. وتقدَّم الأمثال، مرَّات عديدة، مثل هذا التفصيل اللامألوف، المحيِّر، الذي يثير المخيِّلة. هنا يشير إلى عظم حبَّة الخردل اللامنتظر (آ٣٢ب). ونعلم أن صورة الشجرة السامقة التي تستظلُّ بها الطيور الكثيرة، هي صورة بيبليَّة، نجدها عند دانيال (٤: ٧-٩) حيث تشير مسبقاً إلى أنَّ ملكوت الله على يقين من إحراز نجاح شامل.

لدينا، في مثل حبَّة الخردل، في نظر مرقس، أجمل تعبير عن السرِّ المسيحانيّ. حتّى

الآن نستطيع أن نحكم على عمل يسوع أنَّه صغير جدًّا، وملكوت الله واقع متواضع. ومع ذلك -وهذا ما اختبره المسيحيُّون في رومة- لا ترى الأمم الوثنيَّة نموَّه الخارق. والكنيسة، بالرغم من ضعفها، هي واعية بأنَّها تشارك في نجاح عمل له حيويَّة عظيمة سوف تصل، في نهاية النموّ، إلى الكون كلِّه.

خاتمة خطبة الأمثال (٤:٣٣-٣٤)

٣٣ **وكانَ يُكَلِّمُهُم بِأَمْثالٍ كَثيرةٍ كهذه، لِيُلْقِيَ إِلَيهم كلِمةَ الله، على قَدرِ ما كانوا يَستَطيعونَ أَن يَسمَعوها.**

٣٤ **ولَم يُكَلِّمْهُم مِن دُونِ مَثَل، فَإِذا انفَرَدَ بِتَلاميذِه فَسَّرَ لَهم كُلَّ شَيء.**

إنَّ مجموعة الأمثال الخمسة التي قدَّمها مرقس لم تستنفد كلّ الأمثال (آ٣٣أ). فيسوع روى، كما هو معروف، عددًا كبيرًا من هذه الأخبار المصوَّرة. ومرقس يُجيد فعلاً حين يذكّر بأنَّه تعليم يتكيَّف جيداً مع المحافل الشعبية. وكانت الجموع مستعدَّة لكي تدرك جوهرها. إلا ان الإنجيليّ اوضح بأنّ المعلّم لم يعلن الكلمة بهذا الشكل، إلاّ بقدر ما كانوا قادرين أن يفهموا (آ٣٣ب). وهكذا عاد مرقس إلى أمر معروف في زمانه وحاول أن يشرحه (في ٤: ١١-١٢): إنَّ عددًا كبيرًا من اليهود لم يتقبَّلوا الإنجيل؛ والأمثال، بالرغم من هدفها الجليّ في أن تصل إلى الجمهور الواسع، لبثت "ألغازًا" بالنسبة إلى الشعب المختار.

واختتم الإنجيليّ هذه "الخطبة" في ف٤، أمينًا لفكرته حول السرِّ المسيحانيّ. فلقد تحدَّث يسوع إلى الجموع بأمثال، ولكنَّه كان يأخذ تلاميذه على حدة ليشرحها لهم (آ٣٤). ففي نظر مرقس، يبقى سرُّ يسوع (شخصه وتعليمه) بعيدًا عن متناول "الذين في الخارج" (٤:١١). وللدخول في هذا السرّ، يجب أن نؤمن، بل بالأحرى أن نصطف وراء يسوع في الطريق (وإن كانت محيِّرة!) التي تقود إلى آلامه وقيامته. فهذه الأحداث وحدها تقرِّبنا، في الإيمان، إلى طبيعة المسيح الحقيقيَّة ورسالته الحقَّة.

أربعة أفعال قدرة من يسوع (٤:٣٥-٥:٤٣)

بعد الخطبة في الأمثال (٤:١٠-٣٤) جمع مرقس أربعة أفعال تدلُّ على قدرة يسوع:

- **تهدئة العاصفة** (٤:٣٥-٤١)
- **مجنون جرش** (٥:١-٢٠)
- **شفاء ابنة يائيرس** (٥:٢١-٢٤، ٣٥-٤٣)
- **شفاء امرأة يُستعصى شفاؤها** (٥:٢٥-٣٤)

هكذا أراد الإنجيليّ أن يبيِّن أنَّ ملكوت الله لا ينكشف بتعليم يسوع حسب، بل بعمله أيضًا. وهذان الوجهان لرسالة يسوع -الأقوال والأمثال- لا ينفصلان الواحد عن الآخر.

ونكتشف أيضًا أنَّ جولة جغرافيَّة ذات مدلول ارتسمت هنا. ففي حركة أولى، اجتذب يسوع تلاميذه إلى عبور بحيرة جنَّاسرت: انها "العاصفة المهدَّأة". انطلق المعلِّم من الضفَّة الغربيَّة، في الجليل، فأتى إلى الشرق، إلى الضفَّة الأخرى، في أرض المدن العشر الوثنيَّة. هناك يتمُّ الخبر الثاني: "شفاء مجنون جرش". وأخيرًا عاد يسوع إلى نقطة انطلاقه، إلى أرض إسرائيل، حيث أعاد الحياة إلى "ابنة يائيرس"، كما أعاد العافية إلى امرأة لا أمل في شفائها. يُروى هذان الخبران الأخيران، في تداخل، الواحد مع الآخر، بحسب نهج سبق مرقس أنْ اعتمده (راجع ٣: ٢٠-٣٥). وها نحن نتجوَّل في هذه المجموعة من أعمال يسوع التي تُبرز معنى رسالته.

تهدئة العاصفة (٤: ٣٥-٤١)

٣٥ **وقالَ لَهم في ذلكَ اليومِ نفسه عندَ المساء: ((لِنَعبُرْ إلى الشَّاطئِ المُقابِل)).**

٣٦ **فتَركوا الجَمعَ وساروا به وهُو في السَّفينة، وكانَ معَهُ سُفُنٌ أُخرى.**

٣٧ **فعَصَفَتْ رِيحٌ شَديدة وأَخَذَتِ الأَمواجُ تَندَفِعُ على السَّفينة حتَّى كادَت تَمتَلِئ.**

٣٨ **وكانَ هُو في مُؤخَّرِها نائماً على الوِسادَة، فأَيقَظوه وقالوا له: ((يا مُعَلِّم، أَما تُبالي أَنَّنا نَهلك ؟))**

٣٩ **فاَستَيقَظَ وزَجَرَ الرِّيحَ وقالَ لِلبَحْر: ((اُسْكُتْ ! اخرَسْ!)) فسكنَتِ الرِّيحُ وحدَثَ هُدوءٌ تَامّ**

٤٠ **ثُمَّ قالَ لَهم ((ما لَكم خائفينَ هذا الخَوف ؟ أَإلى الآنَ لا إيمانَ لَكم ؟))**

٤١ **فخافوا خَوفاً شَديداً وقالَ بَعضُهُم لِبَعْض: ((مَن تُرى هذا حتَّى تُطيعَه الرِّيحُ والبحر ؟)).**

هذا الخبر الصغير، ذو الالوان، يدلُّ على أسلوب مرقس. يبدأ كلُّ شيء بمبادرة يسوع الجريئة (آ٣٥). فمنذ البداية، جُعل عبور البحيرة في سياق مغامرة خطرة. فلقد جاء المساء: والليل يُحسَب، في الذهنيَّة القديمة، زمنًا موافقًا لهجمة قوى الشرّ. فالمياه العميقة هي بالنسبة إلى سكان اليابسة الخائفين من البحر، الموضع الأكبر لسكنى القوى الشيطانيَّة. والضفَّة المقابلة، شرقيّ الجليل، هي منطقة الوثنيِّين المعادية. إذًا وجد التلاميذُ ذواتهم مُبحرين في ما يشبه مجازفة قاسية. ومع العاصفة المجتاحة (آ٣٥أ)، شدَّد مرقس على مأساويَّة الوضع، وقد امتلأ القاربُ بالأمواج (آ٣٧ب). وتجاه ارتعاب أصدقاء يسوع، هوذا الإنجيليّ جعل المُعلِّم الهادئ في وضع اللاوعي: إنه نائم (آ٣٨أ). ونسمع صرخات هؤلاء الرجال الذين يتهدَّدهم الموت (آ٣٩ب). أُوقظ يسوع، "فعزَّم" على البحر كما

عزّم على الإنسان المعذّب في كفرناحوم (١:٢٥). وأمر اللجّة (آ٣٩ب)، فعاد في الحال كلُّ شيء إلى النظام (آ٣٩ب)، وكل ذلك عبر مفارقة عجيبة. ولكنَّ المعلّم لامَ رفاقه لومًا كبيرًا: لماذا هذا الخوف والنقص في الإيمان (آ٤٠)؟ ولم ينقل لنا الإنجيليّ ردَّة فعل التلاميذ على هذا التوبيخ. وينتهي الخبر مع رعدة الشهود المقدَّسة أمام تجلّي قدرة يسوع في الكون (آ٤١).

لقد قاد مرقس هذه الرواية بموهبة الراوي الحاذق التي تعرفنا عليها. فالدراما كلُّها التي تخفي توتّراً متواصلاً، تهدف في النهاية إلى إبراز السؤال الأخير: "إذًا، من هو يسوع هذا؟" من أين جاءته هذه الجلالة السنيَّة التي تتيح له أن يُهدِّئ ضجيج الأمواج الهاجمة ويخلّص ركّاب القارب؟

نستطيع القول إنَّ الحدث لا يبدو وكأنَّه مجرَّد رواية معجزة. انه يقدَّم، بشكل رمزيّ، على كونه تكثيفاً لمصير يسوع. فإذا هو اقتاد تلاميذه في العاصفة، فليس ذلك من قبيل الصدفة! فحياتُه كلُّها صراعٌ قاسٍ ضدَّ قوى الشرّ. انه يتقدم باتجاه أعنف مواجهة يمكن أن تكون: مواجهة موته هو. فالمعنى العميق جدًّا هو أنَّه ينام وكأنَّه غائب كلّيًّا في قلب العاصفة. والنوم، في الكتاب المقدَّس، هو، عادة، رمزٌ إلى الموت. وهنا ترتسم آلام يسوع في اشارة استباقية. فلقد رقد يسوع في الموت، في قلب فوضى جهنمية تشير إليها الأمواج الهاجمة. ولا نعجب إذا إصبح التلاميذ في ضياع تامّ أمام معلّمهم النائم: فعلى الصليب، كما هو الأمر هنا، يبدو عدم إيمانهم فاضحًا.

غير أنَّ مرقس، وهو صاحب أسلوب أدبيّ نادر، أعدَّ لقرَّائه مفارقة مدهشة: تجاه نوم يسوع يأتي استيقاظُه. ذلك أنَّ يسوع "القائم من الموت" يُظهر الآن انتصاره على الشرِّ والموت. وهذه السلطة السنيَّة حرَّكت لدى التلاميذ التساؤل الكبير: "من هو هذا الرجل الذي يسكنه سلطانٌ يتعدَّى سلطان البشر؟" ففي البيبليا، لله وحده السلطان بأن يكبح أمواج الموت (مز ١٠٧:٢٣-٣٠).

وهكذا، من حدث ذي أسس تاريخيَّة أكيدة (العواصف على بحيرة طبريَّة هائلة هي)، استخلص مرقس تعليمًا ثمينًا حول هويَّة يسوع. ففي شخصه، يعمل الله بقدرة سامية. والتلاميذ مدعوون إلى وضع إيمانهم في المكان المناسب.

حين قدَّم الإنجيليّ لوحة واقعيَّة، توخَّى قصداً مضاعفاً. في الأوَّل، أرانا، في يسوع الإنسان، شخصًا آخر يسود سيادة مطلقة على الشرِّ والموت. ثمّ، وفي الوقت عينه، أجاب على الحاجات الحاضرة في كنيسة زمانه. فمسيحيُّو رومة مأخوذون في عاصفة الاضطهاد، وهم سجناء الخوف، مثلهم مثل التلاميذ في القارب. ويبدو المسيح، بالنسبة لهم أيضًا، نائمًا. "فغيابه" الظاهر عن الأحداث المأساويَّة التي يعيشونها، ولّد عندهم أكثر من شكٍّ! ماذا يفعل الربُّ لاخراجهم من موت محتَّم؟

وأخيرًا، لا ننسَ أنَّ العاصفة جاءت حين كان يسوع يقتاد أصدقاءه، من وراء عبور البحيرة، إلى الرسالة لدى الوثنيِّين. ونستطيع أن نتساءل: ألَمْ يشعر المسيحيُّون في رومة أنَّ نقل البشارة إلى معاصريهم يشكِّل مغامرة مخيفة؟

مجنون جرش (٥: ١-٢٠)

٥ ١ ووَصلوا إلى الشَّاطِئِ الآخَرِ مِنَ البَحرِ إلى ناحِيَةِ الجَراسِيِّين.
٢ وما إن نَزَل مِنَ السَّفينَةِ حَتَّى تلقَّاه رَجُلٌ فيه روحٌ نَجسٌ قد خَرَجَ مِنَ القُبور.
٣ وكانَ يُقيمُ في القُبور، ولا يَقدرُ أَحدٌ أَن يَضبطَه حتَّى بسلسلة.
٤ فكَثيراً ما رُبِطَ بالقُيودِ والسَّلاسِلِ فقَطَّعَ السَّلاسِلَ وكَسَّرَ القُيود. ولَم يَكُنْ أَحَدٌ يَقوى على قَمعِه.
٥ وكانَ طَوالَ اللَّيلِ والنَّهارِ في القُبورِ والجِبال، يَصيحُ ويُرَضِّضُ جسمَه بالحِجارة.
٦ فلمَّا رأَى يسوعَ عن بُعْد أَسْرَعَ إِليه وسَجَدَ له
٧ وصاحَ بِأَعلى صَوته: ((ما لي ولَكَ، يا يَسوعَ ابنَ اللهِ العَليّ أَستَحْلِفُكَ بِاللهِ لا تُعَذِّبْني)).
٨ لأَنَّ يسوعَ قالَ له: ((أَيُّها الرُّوحُ النَّجِس، اُخرُجْ مِنَ الرَّجُل)).
٩ فسأَلَه: ((ما اسْمُكَ ؟)) فقالَ له: ((اسمي جَيش، لأَنَّنا كَثيرون)).
١٠ ثُمَّ سأَلَه مُلحّاً أَلاَّ يُرسِلَهم إِلى خارِجِ النَّاحية.
١١ وكانَ يَرْعى هُناكَ في سَفْحِ الجَبَلِ قَطيعٌ كَبيرٌ مِنَ الخَنازير.
١٢ فَتَوَسَّلَت إِلَيه الأَرواحُ النَّجِسَة قالَت: ((أَرسِلْنا إِلى الخَنازير فَنَدخُلَ فيها))،
١٣ فأَذِنَ لها. فخَرَجَت الأَرواحُ النَّجِسَة ودَخَلَت في الخَنازير، فوَثَبَ القَطيعُ مِنَ الجُرُفِ إِلى البَحْر، وعَدَدُه نَحوُ أَلْفَين، فغَرِقَتِ الخَنازيرُ في البَحْر.
١٤ فهَرَبَ الرُّعاةُ ونَقَلوا الخَبَرَ إِلى المَدينةِ والمَزارِع، فجاءَ النَّاسُ لِيَرَوا ما جرى.
١٥ فَلَمَّا وَصَلوا إِلى يسوع، شاهَدوا الرَّجُلَ الَّذي كانَ مَمسوساً جالِساً لابِساً صَحيحَ العَقْل، ذاكَ الَّذي كانَ فيه جَيشٌ مِنَ الشَّياطين، فَخافوا.
١٦ فَأَخبَرَهمُ الشُّهودُ بِما جَرى لِلمَمْسوس وبِخَبَرِ الخَنازير.
١٧ فَأَخَذوا يَسأَلونَ يسوعَ أَن يَنصَرِفَ عن بَلَدِهم.
١٨ وبَينَما هُوَ يَركَبُ السَّفينَة، سَأَلَه الَّذي كانَ مَمْسوساً أَن يَصحَبَه.
١٩ فلَم يَأذَنْ له، بل قالَ له: ((اذْهَبْ إِلى بَيتِكَ إِلى ذَويكَ، وأَخبِرْهم بِكُلِّ ما صَنَعَ الرَّبُّ إِلَيكَ وبِرَحْمَتِه لَكَ)).
٢٠ فَمَضى وأَخذَ يُنادي في المُدُنِ العَشْرِ بِكُلِّ ما صَنَعَ يسوعُ إِلَيه، وكانَ جَميعُ النَّاسِ يَتَعَجَّبون.

خبر غريب، مضحك، مليء بالألوان. ويشهد على صدقه التقليد الإنجيليّ (متى ٨:٢٨-٣٤؛ لو ٨:٢٦-٣٩). ولكنَّ مرقس جعل منه تحفة من تحف الفنِّ السرديّ. فلقد برهن على أنَّه راوٍ يلفت النظر بطراوةِ أسلوبه وغنى ألفاظه.

يجري الحدث مثل فيلم مأساويّ كوميديّ. انتهت مقدِّمته في العبور في العاصفة (٤:٣٥-٤١). لقد وصل يسوع وتلاميذه "إلى الجهة الأخرى من البحيرة، إلى ناحية الجرجسيِّين" (آ١). هذا الاسم الذي لا نعرفه، يدلُّ على أرض غريبة عن الشعب اليهوديّ. ومرقسُ يرينا فيها يسوعَ في مواجهة مباشرة مع العالم الوثنيّ، المصوَّر على أنَّه المخبأ المطلق للشرِّ وللموت. والممسوس الذي كان يعيش في حالة موحشة (آ٢) يسكن في القبور، تلك المغاور التي تُرمى فيها جثث تُعتبَر نجسة، بعيدًا عن مساكن الأحياء (آ٣أ). إنَّه مجنون لا تقيِّده سلسلة، وله قوَّة الوحوش (آ٣ب-٤). في هذه الأماكن المعزولة، يتيه الرجل بعد أن تحاصره غرائز الانتحار (آ٥). هذا الكائن الهائل هو رمز ملموس إلى الشرِّ والموت. وهكذا وضع مرقس أمامنا لوحة لا هوادة فيها، رسمها ليهود عصره عن العالم الوثنيّ.

والمشهد التالي -وهو حوار هذا الرجل الغريب الأطوار مع يسوع- يذكِّرنا بما حصل مع ممسوس كفرناحوم (١:٢٣-٢٧). فالروح النجس يدفع الإنسان إلى طريقة سجود كما على المسرح (آ٦). فالروح يعرف تمامًا هويَّة يسوع، ويعلنها بصوت عالٍ، قويّ (آ٧). وهو عالم بأنَّ المسيح أتى ليضع حدًّا لمملكة إبليس. والغريب، هو أنَّ يسوعَ لا يطلب خروجه (آ٨)، وانما يذهب في حوار معه: "ما هو اسمك؟" (آ٩أ). فبالنسبة إلى المعزِّم، معرفةُ اسم الخصم يعني منذ الآن إحكام القبضة عليه. والاسم الذي أعطاه الروح لذاته يلقي الضوء الكثير (آ٩ب). هو اسم جيش وثنيّ من الاحتلال: "لجيون"، وهي فرقة رومانيَّة (٦٠٠٠ رجل تقريبًا). ونفهم حالاً لماذا يتوسل هؤلاء المحتلين بيسوع أن لا يطردهم خارج البلاد (آ١٠)!

ومع ذلك، فالمعلِّم سرَّع عمل النجاة على أساس هذه المعلومات، وهي نجاة ذات غرابة! لقد عرفنا أوَّلاً، من طرف خفي، أنَّ قطيعًا من الخنازير يرعى على التلَّة القريبة (آ١١). لسنا هنا أمام تفصيل من عالم الرعي! بل أمام حيوانات نجسة، شيطانيَّة، ولا يُوجَد مثلها إلاَّ في العالم الوثنيّ. وظنَّت الأرواح النجسة أنَّها تجد في الخنازير ملجأ خلاص لها، فتوسَّلت إلى يسوع أن ينقلها (آ١٢). ومنحها يسوع طوعًا هذه المهلة (آ١٣أ). ولكنَّ ذلك كان فخًّا سيُبان أنَّه قاتل (آ١٣ب). وكما في فيلم وسترن قصير، احتال يسوع على الشياطين. فالفرقة (لجيون) الشيطانيَّة، بدخولها في الخنازير وغرق القطيع كله، تكون قد طُرِدَتْ حقًّا من المكان. وهكذا سُدَّت أفواه الشياطين وأُرجعت إلى لجَّة المياه، موطنها الأصيل!

مأثرة عظيمة! ولكنها جرّت وراءها سلسلة من ردّات الفعل. ارتعب حـرّاسُ الخنازير، هربوا، وراحوا يحملون الخبر في كلّ مكان (آ١٤أ). وأتى الناس من المدينة ومن القرى ليروا ما حصل (آ١٤ب). فوجدوا المسوس الذي شُفيَ، وحالُه الجديدة تختلـف كلّيًّا عن حاله السابقة (آ١٥أ)، جالسًا بعد أن تخلّص من تيهانه، وهو لابس –واللباس هو علامة كرامته التي استعادها. وها هو في صحّة الجسد والعقل. وحين رأى سكّان المنطقة هذا، "سيطر عليهم الخوف" (آ١٥ب)، كما اجتاحتهم تلك الرعدةُ المقدّسة التي يعرفهـا الإنسان في حضور تجلٍّ إلهيّ (راجع ٤:٤١). فطلبوا من يسوع أن يترك ديارهم (آ١٧). ونفهم هذا الموقف على ضوء التيّارات الاقتصاديّة فقط: خسروا قطيعًا كـبيرًا (٢٠٠٠ خترير!). ولكن، لهذا الموقف أيضًا طابع دينيّ: رذل هؤلاء الوثنيُّون "المخلِّـص" الـذي لم يشعروا بعد بالحاجة إليه.

واستعدَّ يسوع للصعود إلى السفينة. اما الرجل الذي استعاد كلّ ديناميَّته، فقد تمنّى أن يتبعه، وينضمَّ إلى مجموعة الاثني عشر الذين كان امتيازهم بأن "يكونوا مع" يسوع (٣:١٤). لم يسمح له المعلّم بذلك. فالساعة لم تأتِ بعد لانضمام وثنيِّين مهتـدين إلى الحلقة الرسوليَّة. وأرسل يسوع هذا التلميذ الجديد في مهمَّة (آ١٩). والألفاظ المستعملة هي ذات قصد. لقد كان على هذا "المُبعَد" أن "يخبر" ذويه بما صنعه الله (الربُّ) له في حبِّه وتسامحه. وكان عليه أن "يعلن" بشرى الخلاص بيسوع، في قلب الأرض الوثنيَّة: منطقة المدن العشر (في الأردنّ) (آ٢٠أ). والإنجيل الذي حُمل هكذا، أثار التعجُّب لدى الجميع (آ٢٠ب).

من المفيد أن نبحث عمّا دفع مرقس لأن يروي مطوَّلاً هذا الخبر الجميل. كـان همُّه الأوَّل ولا شكّ أن يبيِّن بأنّ قدرة يسوع الخلاصيَّة قد امتدَّت إلى العالم الوثنيّ. فكنيسة رومة العائشة في قلب هذا العالم ترى أنّ أصل تبشير العالم الوثنيّ، هو في يسوع بالذات، وقد رسم الطريق للرسالة لدى الوثنيِّين. وكان على التلاميذ، والمسيحيِّين من بعدهم، أن لا يخافوا كلّ ما يعترض دخول الإنجيل. من المؤكّد أنّ العوائق هي هائلة. ولكنّ يسوع لم يتخلّ عن مواجهة العاصفة (٤:٣٥-٤١) التي رمزَتْ منذ الآن إلى الحرب على تحـالف قوى الشرّ والموت. واجتذب أصدقاءه إلى ساحة هذه القوى المتمرِّدة. وبـشفاء مجنـون الجراسيِّين وإرساله في مهمَّة، بيَّن بشكل واسع انتصاره على العالم الوثنيّ: خلاص هؤلاء الناس القابعين في ظلمة الشرِّ والموت. لا شكَّ في أنّ هذا الحدث الضالع في القدم، من خلال سمات عديدة، قد أعيدَتْ قراءتُه على ضوء آلام يسوع وقيامته وانتصاره الحاسم على سرِّ الشرّ.

هناك اهتمام آخر للرواية على مستوى تدوينها. بالنسبة إلى السرِّ المسيحانيّ، في هذا الحدث كما في سائر التعزيمات، نرى الأرواح النجسة وقد امتلأت برؤية علويَّة. ففي فمها -وفقط في فمها لا في فم البشر- نجد إعلان إيمان كامل حول هويَّة يسوع ورسالته. إنَّه حقًّا المسيح الآتي ليضع حدًّا لمملكة إبليس (راجع ٢٣:٢-٢٤). مع هذه الإيحاءات الخفيَّة، الشبيهة بتلك التي يمليها ملقِّن النصّ في المسرح، يدعو مرقس قرَّاءه ليواصلوا بحثهم حول مسألة أساسيَّة في كتابه: من هو يسوع إذن؟

وهكذا يُبقي مرقس قارئَه، بشأن هذه النقطة، في ترقب. فالقارئ، لا ينبغي عليه يسرع فيعلن ماسيانيَّة يسوع، وبدرجة أقل لاهوته. إذ ينبغي أن يتنقى لقبا "المسيح" و"ابن الله" من كلِّ لُبس من خلال آلام يسوع. وهذا ما يفسّر جانبًا من صمت تلاميذ يسوع المطلق حول الحدث الذي نقرأ. والأمر الأساسيّ هو ان نواصل القراءة بصبر وطول بال.

ابنة يائيرس والمرأة التي تصدّر شفاؤها (٥:٢١-٤٣)

٢١ ورجَعَ يسوعُ في السَّفينَةِ إلى الشَّاطِئِ المُقابِل، فازدَحَمَ علَيه جَمعٌ كثير، وهو على شاطِئِ البَحْر.

٢٢ فجاءَ أَحَدُ رُؤَساءِ المَجْمَعِ اسمُه يائيرس. فلَمَّا رآهُ ارتَمى على قَدَمَيْه،

٢٣ وسأَلَه مُلِحًّا قال: ((ابنَتي الصَّغيرةُ مُشرِفَةٌ على المَوت. فتَعالَ وضَعْ يَدَيكَ علَيها لِتَبرَأَ وتَحيا)).

٢٤ فذَهبَ معَه وتَبِعَهُ جَمْعٌ كثيرٌ يَزحَمُه.

٢٥ وكانت هُناكَ امرأَةٌ مَرْوفَةٌ مُنذُ اثنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَة،

٢٦ قد عانَت كثيراً من أَطِبَّاءَ كَثيرين، وأَنفَقَت كُلَّ ما عِندَها فلَم تَستَفِدْ شَيئاً، بل صارت من سَيِّئٍ إلى أَسوَأَ.

٢٧ فلمَّا سَمِعَت بأَخبارِ يسوع، جاءَت بَينَ الجَمعِ من خَلْفُ ولَمَسَت رِداءَه،

٢٨ لأَنَّها قالت في نَفسِها: ((إن لَمَسْتُ ولَو ثيابَه بَرِئْتُ)).

٢٩ فجَفَّ مَسيلُ دَمِها لِوَقته، وأَحَسَّت في جِسمِها أَنَّها بَرِئَت من عِلَّتِها.

٣٠ وشَعَرَ يسوعُ لِوَقْتِه بالقُوَّةِ الَّتي خَرجَت منه، فالتَفَتَ إلى الجَمعِ وقال: ((مَن لَمَسَ ثِيابي ؟))

٣١ فقالَ له تَلاميذُه: ((تَرى الجَمْعَ يَزحَمُكَ وتقول: مَن لَمَسَني ؟))

٣٢ فأَجالَ طَرْفَهُ لِيَرَى الَّتي فَعلَت ذلك.

٣٣ فخافَت المَرأَةُ وارتَجَفَت لِعلمِها بِما حدَثَ لَها، فَجاءَت وارتَمَت على قَدَمَيه واعتَرَفَت بالحَقيقَةِ كُلِّها.

٣٤ فقالَ لها: ((يا ابنَتي، إيمانُك خَلَّصَك، فَاذهَبي بِسَلام، وتَعافَي مِن عِلَّتِك)).
٣٥ وبَينَما هُو يَتَكَلَّم، وَصَلَ أُناسٌ مِن عِندِ رئيسِ المَجمَعِ يقولون: ((ابنَتُكَ ماتَت فلِمَ تُزعِجُ المُعَلِّم ؟))
٣٦ فلَم يُبالِ يسوعُ بِهذا الكَلام، بل قالَ لِرئيسِ المَجمَع: ((لا تَخَفْ، آمِنْ فقط)).
٣٧ ولَم يَدَعْ أَحَداً يَصحَبُه إلاَّ بُطرُسَ ويعقوبَ ويوحَنَّا أَخا يَعقوب.
٣٨ ولَمَّا وَصَلوا إلى دارِ رئيسِ المَجمَع، شَهِدَ ضَجيجاً وأُناساً يَبكونَ ويُعْوِلون.
٣٩ فدَخلَ وقالَ لَهم: ((لِماذا تَضجُّونَ وتَبكون ؟ لم تَمُت الصَّبيَّة، وإنَّما هيَ نائمة))،
٤٠ فَضَحِكوا منهُ. أَمَّا هو فأَخرَجَهم جَميعاً وسارَ بِأَبي الصَّبيَّةِ وأُمِّها والَّذينَ كانوا معَه ودخَلَ إلى حَيثُ كانَت الصَّبيَّة.
٤١ فأَخَذَ بيَدِ الصَّبيَّةِ وقالَ لها: ((طَليتا قوم !))أَي: يا صَبيَّة أَقولُ لك: قومي.
٤٢ فقامَت الصَّبيَّةُ لوَقتِها وأَخَذَت تَمْشي، وكانت ابنَةَ اثنَتَي عَشْرَةَ سَنَة. فَدَهِشوا أَشَدَّ الدَّهَش،
٤٣ فَأَوصاهم مُشَدِّداً علَيهِم أَلاَّ يَعلَمَ أَحَدٌ بذلك، وأَمَرَهُم أَن يُطعِموها.

جمع مرقس هنا، شأنه شأن متّى (٩:١٨-٢٦) ولوقا (٨:٤٠-٥٦)، في خبر واحد، روايتين متداخلتين. وهكذا نجد اسلوب دمج سبق الإنجيليّ أن استعمله (٣:٢٠-٢٥). ويأتي التسلسل كما يلي: توسّل يائيرس (٢١-٢٤)؛ شفاء المرأة التي تعذّر شفاؤها (٢٥-٣٤)؛ قيامة ابنة يائيرس (٣٥-٤٣).

وارتباط الروايتين ببعضهما يتضمَّن نقاطًا مشتركة. أوَّلاً، هناك وجهان نسائيّان على المسرح: امرأة وصبيَّة. وفي الحالتين، الإيمان هو في قلب المسعى نحو يسوع.

إذًا، عاد يسوع وأخصّاؤه إلى ضفَّة البحيرة الغربيَّة، في أرض إسرائيل. والجموع هنا هي كثيرة كالعادة (٢١). وكلُّ شيء قد كُثّف لتجلّي قدرة يسوع الخلاصيَّة: "وجاء رئيس مجمع اسمه يائيرس" (٢٢أ). وبرهن هذا الوجيهُ اليهوديُّ على إجلال تجاه يسوع وثقة كبيرة جدًّا (٢٢). كما كشفَتْ صلاته إيمانًا عميقًا. فالصبيَّة وصلت إلى الحد الاقصى بين الحياة والموت (٢٣). لم يقل يسوع شيئًا، بل أحسَّ بضيق هذا الرجل الذي يسكنه مثلُ هذا الإيمان. فمضى معه وتبعه جمع ساحق بكلّ معنى الكلمة (٢٤).

في هذا الإطار من التدافع الشعبيّ، جاءت امرأة مصابة بترف دم مزمن منذ اثنتي عشرة سنة (٢٥). وانفرد مرقس بين الإنجيليِّين حين شددّ على الوضع اليائس لهذه المريضة التي جعل طبُّ ذلك الزمان حالها تزداد سوءًا (٢٦). ولكن ما يجب خصوصًا أن يلفت النظر، هو أنَّ هذه المرأة، بحسب الشريعة اليهوديَّة، هي في حالة النجاسة: هكذا

يُمنَع بشدة كلُّ اتِّصال بها (أح ١٥:١٩-٢٧). ولكنَّ إيمانها الحارّ دفعها لكي تلمس يسوع من طرف ثوبه، في الخلف، وإن بطريقة خفية (آ٢٧). يبدو لنا هذا الفعل اليومَ غريبًا؛ وقد أعطانا مرقس سبب ذلك (آ٢٨).

في الشرق القديم، يرمز الثوب إلى الشخص. ومن لمس ثوب إنسان لمسه هو. وهناك أيضًا ممارسة عاديَّة في العالم القديم، ممارسة اتِّصال بين جسم المريض وجسم الشافي. ونجح هذا الاتِّصال، وتوقَّف نزفُ هذه المرأة في الحال. فلقد أحسَّت بذلك في جسمها (آ٢٩). وأدرك يسوع، من جهته، أنَّ قدرته كانت فاعلة جداً (آ٣٠أ). لقد كان التشديد على الطابع الفيزيولوجيّ للشفاء واضحا. ولكنَّ المشهد التالي يلفت الانتباه حول المسألة الدينيَّة المطروحة. هوذا يسوع يسأل: من لمسني؟ (آ٣٠ب). إنّ الحيوية في ردة الفعل وفي السؤال جاءت بمثابة توبيخ. وبيَّن التلاميذ للمعلِّم أنَّه من المضحك السؤال عمَّن لمسه، ساعة كانت الجموع تزحمه من كلِّ جهة. أمّا يسوع فسبر الجمعَ في نظرة دائريَّة نعرفها عنده. أراد أن يعرف صاحب هذه الحركة الجريئة (آ٣٢أ). حينئذ أتت المرأة وهي خائفة من فعلتها، فتجرَّأت واعترفَتْ له بشفائها (آ٣٣). جاءت مَشيتُها متردِّدة. وانتظرت اللوم من معلِّم يهتمُّ بمراعاة الشريعة. ولكنَّ يسوع قدَّم لها بلاغًا محرِّرًا: "إيمانك خلَّصك، اذهبي بسلام" (آ٣٤).

هكذا برّزَتْ كلمة المعلِّم مدلول الحدث: فمن وراء شفاء الجسد، المهمّ هو الإيمان الذي يخلِّص. وليس من قبيل الصدفة أن يكرر يسوع العبارة التي استعملتها المرأة في طلبها: "...خلصتُ" (آ٢٨ب). وهكذا بيَّن الحدث أنَّ الإيمان بشخصه يتوصَّل إلى أن ينتزع منه معجزة تمَّت كلِّيًّا بلا إرادته. بعد هذا، تستطيع هذه المرأة التي لا نعرف اسمها أن تختفي كلِّيًّا من المشهد الإنجيليّ. ويكون مرقس قد بيَّن أنَّ يسوع هو المحرِّر من كلِّ شرّ. فالشرُّ هنا شرَّان: مرض استعصى شفاؤه في ذلك الزمان، ثمَّ الإبعاد المطلق الذي تتألَّم منه هذه المرأة "خارج شريعة" المجتمع الدينيّ الرابينيّ في زمانها.

انتهى هذا الفاصل، فعاد خبر يائيرس الذي قُطع (آ٢١-٢٣). ويسوع ماضٍ في الطريق مع هذا الرجل ليشفي ابنته التي تنازع (آ٢٤). ووصل أناسٌ من أهل بيته وأخبروه أنَّ الصبيَّة ماتت، "فلماذا تُزعج المعلِّم بعد؟" (آ٣٥). بيَّن هذا القول من جهته نقصًا في الإيمان حقيقيًّا. ولكنَّ هذا العائق الجديد لم يوقف يسوع. وهوذا يقول لهذا الأب الممتحَن: "لا تخف، آمنْ فقط" (آ٣٦). لقد كان هذا الكلام، في هذا الظرف المأساويّ حقًّا، نداء إلى يقضة رجاء. ودون انتظار، انتقل يسوع إلى العمل (آ٣٧). أحاط نفسه

بتلاميذه الثلاثة المفضَّلين، أولئك الذين سوف يضمُّهم إليه في ساعات هامَّة، في تجلِّيه (٩: ٢) وفي نزاعه (١٤: ٣٣). وهذا يفهمنا أهمِّيَّة ما سوف يعمله. وإذ وصل يسوع إلى بيت يائيرس، اصطدم ببكاء الحضور (آ٣٨). ومن العادة في الشرق أن يُعبَّر عن الحداد بالضجيج الذي يُخفي، بشكل سيئ، عجز الإنسان أمام الموت. دخل يسوع وأراد أن يوقف البكاء. فالبنت، في نظره، ليست ميتة، بل إنَّها نائمة (آ٣٩). أمّا هم فهزئوا به. (آ٤٠ أ). وشدد مرقس على عدم ايمانهم. حينئذ طردهم يسوع (آ٤٠ب). ولم يدخل إلى غرفة الميتة إلاّ مع والديها فقط ورفاقه الثلاثة (آ٤٠ ج). وهنا، في حميميَّة الإيمان، قام بفعل بسيط، ولفظَ كلمة خلاصيَّة (آ٤١). لقد احتفظ مرقس بدقَّة الألفاظ التي تفوَّه بها يسوع نفسه، في الأراميَّة، لغته الأم، وترجمها حالاً لقرَّائه اليونان. ونلاحظ جيِّدًا الكلمة: "قومي" -حرفيًّا: "استيقظي"- وهي التي تُستعمل للكلام عن قيامة يسوع (١٦: ٦). وفي الحال تمَّ الشفاء (آ٤٢)، وأعيدت الصبيَّة إلى الحياة، ومشت. فانذهل المشاهدون. أمّا يسوع، فكعادته، فرض على الشهود الصمت المطبق (آ٤٣أ). فأن يهرع المعلِّم إلى فرض الصمت المسيحانيّ على القريبين من الحدث، فذلك أمر طبيعي: ولبث الجمعُ غير قادر أن يُقرَّ ليسوع بسلطانه السامي على الموت. وهذا السلطان لا يمكن أن يُعرَف حقًّا -وبالتالي، أن يبشَّر به- إلاّ بعد قيامة المعلِّم. وأنهى مرقس هذه اللوحة ذات الألوان بتفصيل لذيذ وبليغ جداً (آ٤٣ب). فالبيت الذي هزَّته الدراما التي عاشها في هذه الساعة، يستطيع أن يرجع إلى مسار الحياة اليوميَّة -وكذلك الصبيَّة (وهي ابنة ١٢ سنة)- وكأنَّ شيئًا لم يكن.

فالحدث الذي خلّف الرعدة ازاء عمل يسوع الإنسانيّ، يجعلنا نستشفُّ طابعه التعليمي. فلقد وجَّهه مرقس إلى مسيحيّي رومة، بعد الفصح بزمان. وإذا ما أعيدَتْ قراءتُه على ضوء قيامة يسوع، فسيبدو وكأنه استباق نبويّ لأحداث تنتظره. ونستطيع أن نقرأ في عبارة "هزئوا منه" تلميحًا إلى مشهد الهزء والاستخفاف الذي سيتعرض له يسوع من قبل عظماء الكهنة والكتبة وهو على الصليب (١٥: ٣١). اما في إقامة الصبيَّة (آ٤١)، فسوف ينظر المؤمنون إلى قيامة يسوع.

مع هذا الخبر تُختَم سلسلة أربعة أفعال قدرة ليسوع (٤: ٣٥-٥: ٤٣). فتهدئة العاصفة، والشفاءات التي طالت مجنون جرش والمرأة المجهولة وابنة يائيرس، كلها شهادات عن سلطان يسوع السامي على الحياة وعلى الموت. ونستطيع أن نعنون هذه المجموعة: "أين ظفرك، يا موت؟"، على حد قول بولس في رسالته الأولى إلى مسيحيِّي قورنتس (١٥: ٥٥).

والفقرة التي جاءت بعد تعليم يسوع بأمثال (٤: ١-٣٤)، تقدِّم يسوع على أنَّه

النبيّ القدير، لا بالأقوال فقط، بل بالأفعال أيضًا. فهو منتصر تمامًا على قوى الشرّ والموت. ويترتب على التلاميذ من ثم أن يفكّروا في شخصيَّة معلّمهم المدهشة!

يسوع في الناصرة (٦:١-٦)

٦ ١ **وانصَرَفَ مِن هُناكَ وجاءَ إِلى وَطَنِه يَتبَعُه تَلاميذُه.**

٢ **ولَمَّا أَتى السَّبت أَخذَ يُعَلِّمُ في المَجمَع، فَدَهشَ كثيرٌ مِنَ الَّذينَ سَمعوه، وقالوا: ((مِن أَينَ له هذا ؟ وما هذه الحِكمَةُ الَّتي أُعطِيَها حتَّى إِنَّ المُعجِزاتِ المُبينَةَ تَجري عن يَدَيه ؟**

٣ **أَلَيسَ هذا النَّجَّارَ ابنَ مَريَم، أَخا يعقوبَ ويوسى ويَهوذا وسِمعان ؟ أَوَ لَيسَت أَخَواتُهُ عِندَنا ههُنا ؟)) وكانَ لَهم حَجَرَ عَثرَة.**

٤ **فقالَ لهم يسوع: ((لا يُزدَرى نَبِيٌّ إِلاَّ في وَطَنِه وأَقارِبِه وبَيتِه)).**

٥ **ولَم يَستَطِعْ أَن يُجرِيَ هُناكَ شَيْئاً مِنَ المُعجزات، سِوى أَنَّه وَضَعَ يَدَيهِ على بَعضِ المَرْضى فَشَفاهم.**

٦ **وكانَ يَتَعَجَّبُ مِنْ عَدَمِ إِيمانِهم. ثُمَّ سارَ في القُرى المُجاوِرَةِ يُعَلِّم.**

وعاد يسوع إلى بلدته (آ١). ويبدو أنَّه لم يَعُد إليها منذ بداية رسالته، أي منذ عماده على يد يوحنّا المعمدان (١:٩). وصارت كفرناحوم نقطة انطلاق خدمته المتجوِّلة (٢:١). فالناصرة التي إليها عاد، هي مهد طفولته وصباه. هناك تُوجَد عيلته وأصدقاؤه في الجيرة. وجاءت الأحداث فأبعدته عنهم بعض الشيء. ما الذي سيحصل؟ لم يبدّل يسوع شيئًا في عاداته (آ٢أ). مضى يوم السبت إلى العبادة المجمعيَّة ليحمل كلمته إلى هناك. استقبله المواطنون مسرورين. ولكنَّ ابن البلد هذا يشكّل لهم سؤالاً: من أين تأتيه هذه الحكمة في تعليمه، ومن أين نجاح معجزاته الباهر (آ٢ب)؟ كان كلُّ شيء من شأنه ان يدعو أهل الناصرة إلى ان يبدأوا مسيرة الإيمان. ولكنَّهم سرعان ما تحولوا، دون مرحلة انتقال، من الدهشة والإعجاب إلى العداء الساخر (آ٣). فالنبيّ الحاضر اليوم يشكّل قضية.

ما زال ماضيه وأصوله في كلّ ذاكرة. إنَّه معروف إلى درجة لا يمكنه معها ان يُفلت من الصورة المألوفة التي رسموها عنه. وطاب لمرقس هنا بأن يقدِّم لقرَّائه استمارة تدلُّ على يسوع في نظر أقاربه. ففي موطنه، هو النجّار. ونلاحظ بشكل عابر أنَّ هذه المهنة، في زمن يسوع، امتدَّت إلى أبعد من الخشب لتعانق جميع الموادّ: فالنجّار يبني البيوت أيضًا. وبالاضافة إلى مهنته القديمة، هناك مجموعة الجيران. هو "ابن مريم". إنَّه

الموضع الوحيد في هذا الإنجيل تُدعى أمُّ يسوع فيه باسمها: مريم. أمّا اسم والد يسوع، فلم يُذكر. ويُفسَّر هذا الصمت، على مستوى كتابة مرقس، في ضوء إيمان الكنيسة الأولى، بحبل يسوع البتوليّ (متى ١:١٨-٢٠؛ لو ١:٣٠-٣٥). أمّا إخوة يسوع وأخواته (لا نعرف أسماءهنَّ)، فهم، كما راينا من قبل، أبناء العم أو أقارب بعيدون (راجع ٣:٣٢)، بحسب لغة ذاك الزمان. فيعقوب ويوسى هما ابنا مريم الأخرى، غير أمِّ يسوع (١٥:٤٠).

ومع ذلك تشكك أهل الناصرة من شهرة لا اساس لها في عيونهم، حصل عليها مواطنُهم (آ٤). وشددّ مرقس على عداء غير منتظر من الأقارب تجاه شخص يسوع. وكان قد سبق وأشار إلى ردَّة فعل سلبية من أقاربه الأخصّاء (٣:٢٠-٢١). فنحن أمام مسألة أساسيَّة تملأ الإنجيل كلَّه: من هو هذا الرجل، يسوع الناصريّ؟ ونرى هنا كيف أنَّ رفاق حياته القدماء حصروا وجه المعلِّم في صورة قرويّ قبل أن يباشر رسالته.

في هذه النقطة من اللقاء، جاءت ردَّةُ فعل يسوع. لقد أورد قولاً مأثورًا (آ٤)، هو مثل ما زال شائعاً حتى اليوم: "لا يُكرم نبيّ في وطنه". وتلك هي حقيقة دائمة: فكلُّ من سبق زمانه ومحيطه، عرف الاحتقار. وسوء الاستقبال الذي لقيه يسوع أعطى نتيجة قد تبدو غريبة للوهلة الأولى: ما استطاع هناك أن يمارس فنَّه في الشفاء (آ٥أ). أترى يكون سلطانه مرتبطًا بموقف البشر؟ ولكنَّ مرقس، من جهته، بيَّن نسبيَّة هذا الارتباط، فاعترف بأنَّ يسوع أجرى معجزات قليلة في الناصرة (آ٥ب). ولكنَّه كشف بوضوح عن مشاعر المعلِّم تجاه غياب الايمان عند مواطنيه: لقد اندهش من ذلك اندهاشًا كبيرًا (آ٦أ).

ما من موضع آخر شدَّد إنجيل مرقس فيه، أفضل من هنا، على الرباط الذي جعله يسوع بين الإيمان والمعجزات. نحن نتذكّر توبيخ المعلِّم أمام عدم إيمان تلاميذه حين هدَّأ العاصفة (٤:٤٠). وعدم إيمان الوثنيِّين في جرش هو الذي اختزل إقامة المخلِّص عندهم (٥: ١٧). وبكاء بيت يائيرس المتسم بعدم الايمان دفع يسوع إلى طردهم إلى الخارج.

وبالرغم مما حصل في الناصرة، سوف يواصل يسوع تبشيره في القرى المجاورة (آ٦ب). وهكذا تنتهي المحطَّة الثانية (٣:٧-٦:٦) التي أبرزت موضوعًا أساسيًّا في الإنجيل: الرجال والنساء مع الجموع، التلاميذ والقريبون من يسوع، كلهم طرحوا على ذواتهم هذا السؤال المقلق حول هويَّته العميقة. وارتسمت منذ الآن المواقف المختلفة التي اتخذها تجاهه جميع الذين التقى بهم. متى سيُعرف على حقيقته، وعلى يد مَن؟ لنواصل القراءة...

المحطّة الثالثة

من إرسال الاثني عشر إلى اعتراف بطرس الإيمانيّ

(٦:٧-٨:٢٦)

في محطَّة أولى (١:١٤-٣:١٢) بدأ يسوع فدعا تلاميذًا لكي يتبعوه. ثمَّ، بالرغم من مقاومة الكتبة والفرِّيسيِّين، كشف لجموع الجليل شيئًا من سرِّ شخصه ورسالته. وجاءت المحطَّة الثانية (٣:١٣-٦:٦). فقوَّت لدى مجموعة الاثني عشر التي أسَّسها، عمق هويَّته وجديد تعليمه. وفي هذه **المحطَّة الثالثة** (٦:٧-٨:٢٦) سيُبرز يسوع بشكل أقوى الوحيَ الذي يقدِّمه. ونجد في هذه المحطَّة متتاليتين اثنتين:

المتتالية الأولى. هي قصيرة جدًّا (٦:٧-٢٩) وتبدأ بعمل هامّ:

- **إرسال الاثني عشر** (٦:٧-١٣).

ثمَّ معترضة لها معناها، يتوقَّف مرقس لديها ليقدِّم لنا معلومتين عن هيرودس وحاشيته:

- **آراء متنوِّعة حول يسوع** (٦: ١٤-١٦)
- **آلام يوحنّا المعمدان وموته** (٦: ١٧-٢٩)

بعد هذا، يعود الإنجيليّ إلى جوهر كلامه: إبراز تجلِّي يسوع المسيحانيّ.

المتتالية الثانية. هي طويلة جدًّا (٦:٣٠-٨:٢١)، وتُبرز كلَّ هذه العناصر. وتُدعى عادةً بـ"مقاطع الأرغفة"، لأنَّها تدور حول لفظة "الخبز". تعود هذه اللفظة تسع مرَّات، وتشكِّل خيطًا يقود الفكرة المركّزة على الطعام وعلى المآكل. نجد فيها الروايات التالية:

- **تكثير الأرغفة** (٦:٣٠-٤٤)
- **السير على المياه** (٦:٤٥-٥٢)
- **شفاءات في جنسارت** (٦:٥٣-٥٦)
- **يسوع وتقاليد الفرِّيسيِّين** (٧:١-٢٣)
- **إيمان امرأة وثنيَّة** (٧:٢٤-٣٠)
- **شفاء أخرس أصمّ** (٧:٣١-٣٧)
- **ثاني تكثير الأرغفة** (٨:١-٩)
- **يسوع يرفض آية من السماء** (٨:١٠-١٢)
- **الفهم عند التلاميذ** (٨:١٣-٢١)

الموضوع الرئيسيّ في هذه الصفحات هو أنّ يسوع يجتذب تدريجيًّا تلاميذه ليكتشفوا ملء عطاياه المسيحانيَّة. وفي استطاعته أن يجمع الحشود في شعب الله الجديد، كما ان له السلطان على أن يشبع جوعه. ويتعاظم عدمُ فهم التلاميذ شيئًا فشيئًا، لاسيَّما وأنَّ يسوع يتجاوز حدود العالم اليهوديّ ويفتح للوثنيِّين وليمة الملكوت واسعة.

وتنتهي المحطَّة هذه **بشفاء أعمى بيت صيدا**. هذا الخبر، له معناه الرفيع. فهو يعلن أنَّ التلاميذ سوف يفتحون عيوهم أخيرًا ويعلنون حقًّا أنَّ يسوع هو "للماسيّا" (٨: ٢٧-٣٠).

ارسال الاثني عشر (٦:٧-١٣)

٧ ودَعا الآثنَيْ عَشَر وأَخَذَ يُرسِلُهُمُ اثنَينِ اثنَين، وأَولاهُم سُلْطاناً على الأَرواحِ النَّجِسَة.

٨ وأَوصاهُم أَلاَّ يَأخُذُوا لِلطَّريقِ شَيئاً سِوى عَصاً: لا خُبزاً ولا مِزوَداً ولا نَقداً مِن نُحاسٍ في زُنَّارِهم،

٩ بل: لِيَشُدُّوا النِّعالَ على أَقْدامِهم، ((ولا تَلبَسوا قَميصَين)).

١٠ وقالَ لَهم: ((وحَيثُما دَخَلتُم بَيتاً، فأَقيموا فيه إِلى أَن تَرحَلوا.

١١ وإِن لم يَقبَلْكُم مَكانٌ ولم يَستَمِعْ فيه النَّاسُ إِليكم، فارحَلوا عنهُ نافِضينَ الغُبارَ مِن تَحتِ أَقدامِكم شَهادَةً علَيهِم)).

١٢ فمَضَوا يَدْعونَ النَّاسَ إِلى التَّوبَة،

١٣ وطَرَدوا كَثيراً مِنَ الشَّياطين، ومَسَحوا بِالزَّيْتِ كَثيراً مِنَ المَرْضى فَشَفَوْهم.

حتّى الآن روى لنا مرقس دعوة بعض التلاميذ ليتبعوا يسوع (١:١٦-٢٠). ثمّ أرانا اياه يؤسس الاثني عشر "ليكونوا معه" ويقاسموه خدمته (٣: ١٣-١٩). والآن حان وقت إرسالهم (آ٧). في هذا المقطع الصغير، بدا مرقس وكأنّه يستعمل دليل المرسَل الكامل. و يدلُّ أسلوبه الذي يفتقر الى الربط والتجانس أنّه استعمل من جديد تقليدًا أقدم منه.

بدأ المعلِّم فأرسل تلاميذه "اثنين اثنين" (آ٧ب). هل هي عادة يهوديَّة؟ ففي شريعة موسى، الشاهدان الاثنان ضروريّان للدلالة على صدق الشهادة (تث ١٩:١٥). ولكنَّ الرقم اثنين يرمز أيضًا إلى الجماعة: فعلى المرسلين أن لا يعملوا منفردين، بل في فريق. وممارسة يسوع هذه، أخذ بها المسيحيُّون الأوَّلون بحرفيَّتها. ففي أعمال الرسل، يسير المرسَلون دومًا اثنين اثنين: بطرس ويوحنّا (رسل ٣:١؛ ٤: ١٣)؛ بولس وبرنابا (رسل ١٣:٢)؛ يهوذا وسيلا (رسل ١٥:٢٢ب) إلخ... وأعطى يسوع أيضًا لمرسليه بعضًا

من السلطان الذي هو سلطانه: طرد الشياطين، وهي إحدى العلامات التي تشهد أنّ ملكوت الله قد ابتدأ منذ الآن.

فأوّل ما يلفت النظر في التعليمات التي أعطاها يسوع لمرسليه (آ٨-٩)، هي أنّها تتوجّه إلى أناس متجوّلين. ولكنّها تُبرز بشكل خاصّ شهادة الفقر التي يجب أن يؤدّوها. فوسائل العيش نفسها (الخبز، النقود) يتسلّمونها عطيّة من الذين يستقبلونهم. ولباسهم يكون أبسط ما يكون، كما يليق بمسافرين لا يعيقهم شيء (لا كيس سفر، ولا ثوب ثانٍ). ومن أجل وضع مريح للسير -بعكس متّى ولوقا- أكّد مرقس أنّ العصا والنعلين شيء ضروري. في ذلك الوقت، كانوا يسيرون غالبا حُفاة الأرجل. ولكن من أجل المسافات الطويلة، بدت العصا والنعال لازمة. وقد تكون هناك فكرة تقديم مساعدي يسوع مثل "حجّاج" مستعدّين دومًا للانطلاق، كما يصوّرهم كتاب طقوس الفصح: "أوساطكم مشدودة، وأحذيتكم في أرجلكم، وعصيّكم في أيديكم" (خر ١٢:١١).

والأكثر غرابة هي النصائح المعطاة حول الضيافة (آ١٠-١١). فالمرسلون الحاملون بلاغًا مجّانيًّا، ينعمون باستقبال مجانيّ في بيت مضيفيهم. ولكنّ البشارة لا يمكن أن تُفرَض فرضًا. فهي تُعرَض على حرّيّة الناس. فإن رفضتها مدينة أو قرية، يجتاز المرسلون محترمين هذا الرفض. والطقس المصوَّر هنا يعود إلى تقليد شرقيّ قديم: ينفضون الغبار عن أرجلهم حين يتركون مكانًا معاديًا، فيسجّلون القطيعة.

على مثال يسوع (آ١٢-١٣) يمضي المرسلون على الطرقات ويبشّرون بأنّ ملكوت الله قريب، ويدعون إلى التوبة (١:١٥). ومثله يبيّنون صدق كلامهم، فيعطون علامة مصداقيّته. واستعمال مَسح المرضى بالزيت يدلُّ على ممارسة قديمة جدًّا. ورأت الكنيسة في هذه الممارسة بذرة سرٍّ من الأسرار السبعة: مسحة "المرضى" من أجل الشفاء الجسديّ والروحيّ (راجع يع ٥:١٤).

قد تبدو لنا اليوم "خطبةُ" الإرسال هذه عتيقةً في شكلها. فهي تحمل بعمق طابع الزمن الذي وُلدَتْ فيه. انها عادات الريف في العالم القديم. ولكنّها تبقى، في عمقها، آنيّة. فالبشرى تُحمَل في تحرُّك كبير، في جميع الأمكنة، بوسائل فقيرة. تُقدَّم مجّانًا فتدعو الضمائر إلى القبول الحرّ. إنّها كلمة ترافقها علامات انتصار المسيح على الشرّ والموت. هنا يكمن التعليم المستمرّ في هذه الرواية القديمة جدًّا.

آراء متنوّعة حول يسوع (٦: ١٤-١٦)

١٤ وسَمِعَ المَلِكُ هيرُودُسُ بأَخباره، لأَنَّ اسمَهُ أَصبَحَ مَشهوراً، وكانَ أُناسٌ يقولـــون: ((إِنَّ يوحنَّا المَعمَدانَ قامَ مِن بَينِ الأَموات، ولِذلك تَعمَلُ فيه القُدرَةُ على إِجراءِ المُعجِزات))

١٥ وقالَ آخرون: ((إِنَّه إِيليَّا)). وقالَ غَيرُهم: ((إِنَّه نَبِيٌّ كَسائِرِ الأَنبياء)).

١٦ فلمَّا سَمِعَ هيرودُس قال: ((هذا يوحَنَّا الَّذي قَطَعْتُ أَنا رأسَه قد قام)).

حين انطلق الاثنا عشر إلى الرسالة، أخذ مرقس وقت استراحة، فأفاد قرَّاءه برأي الناس في يسوع. فبسبب تعليمه، وبالأكثر بسبب معجزاته، صنع المعلِّم لنفـــسه اسمًـــا! وانتشرت شهرته ووصلت إلى قصر هيرودس أنتيباس، ملك الجليل (آ١٤أ).

وتوزَّعت الآراء حول يسوع (آ١٤ب). فشخصيَّة المعلِّم تركت اثرهـــا في رأي الناس. فالذهنيَّة اليهوديَّة في ذلك الزمان كانت منفتحة على فكرة "القيامة" التي اعتادوا أن يتصوَّروها عودة بسيطة إلى الحياة الأرضيَّة، مما كان يمنح "القائم من الموت" إمكانيَّـــات سامية: القدرة على إجراء المعجزات.

ورأى تيّار آخر في يسوع -وهو أقوى على ما يبدو- عودة النبيّ إيليّا (آ١٥أ). كيف نفهم ذلك؟ كان إيليّا على رأس الأنبياء. والحرب البطوليَّة عند رجل الله هـــذا (في القرن ٩ ق.م.) كانت مشهورة. وقد روى كتابُ الملوك اختفاءه العجيب: اختُطف إلى السماء على مركبة ناريَّة (٢ مل ٢: ١-١١). فهذا الشخص القدِّيس لا يمكن إلاَّ أن يكـــون حيًّا قرب الله. فانتظر التقليدُ اليهوديُّ عودته، قبل نهاية الأزمنة، ليحثّ العالم الخاطئ على التوبة (ملا ٣: ٢٣-٢٤). وهكذا اعتُبر يسوع، بتعليمه وبعمله، إنه إيليّا العائد.

وحسب آخرون يسوع نبيًّا يرتبط بالذين أتوا قبله (آ١٥ب). يجب أن نعرف أنَّه منذ الاضطهاد اليهوديّ في القرن الثاني ق.م.، سيطر شعورٌ بأنَّ التيّار النبويّ قد مات. لم يعد هناك أحدٌ من "حاملي كلمة" الله العظام. فصار الانتظار حارًّا بأن يروا هذا الفـــراغ مملوءًا بظهور نبيٍّ رفيع، شبيه بموسى، يسمع له الشعب كما سمع لموسى (راجع تث ١٨: ١٥). كلُّ هذه الشائعات اخذت سيرها. لذا نرى أنَّ الملك هيرودس قدَّم فرضيَّة تقول إنَّ يسوع هو المعمدان الذي قام من الموت (آ١٦). لا شكَّ أنَّ هذا الملك لاحقته خيالات لا تُطاق بسبب الرجل البارِّ الذي قتله.

كلُّ الآراء التي قُدِّمت عن يسوع كانت خاطئة. وهي تبرز الحمّى الدينيَّة السائدة في العالم اليهوديّ في القرن الأوَّل. وتشترك كلُّها في شيء واحد، وهو أنَّها تحسب يسوع

"نبيًّا". وهي توجّه العقول نحو تدخُّل حاسم من قبل الله لكي يخلِّص البشر. ووراء هذه السلسلة من وجهات النظر، نستشفُّ منذ الآن الاستقصاء الذي قام به يسوع نفسُه حول هويَّة شخصه الحقَّة (٨:٢٧-٣٠). عندئذٍ تفوَّه بطرس باسم التلاميذ بالكلمات المفاتيح.

آلام يوحنا المعمدان وموته (٦:١٧-٢٩)

١٧ ذلكَ بأَنَّ هيرودُسَ هذا كانَ قد أَرسَلَ إلى يوحَنَّا مَن أَمْسَكَه وأَوثَقَه في السِّجْن، مِن أَجْلِ هَيروديَّا امرَأَة أَخيه فيلبُّس لأَنَّه تَزَوَّجَها.

١٨ فكانَ يوحَنَّا يقولُ لِهيرودُس: ((لا يَحِلُّ لَكَ أَن تَأخُذَ امرَأَةَ أَخيك)).

١٩ وكانَت هيروديَّا ناقِمَةً عليه تُريدُ قَتْلَه فلا تَستَطيع،

٢٠ لأَنَّ هيرودُسَ كانَ يَهابُ يوحَنَّا لعلمه أَنَّه رَجُلٌ بارٌّ قدّيس. وكان يَحْميه. وإذا استَمَعَ إليه، وقَعَ في حَيرةٍ كَبيرة، وكانَ مَعَ ذلكَ يَسُرُّه الإِصغاءُ إليه.

٢١ وجاءَ يومٌ مُوافِقٌ إِذ أَقامَ هيرودُسُ في ذِكْرى مَولِده مَأدُبَةً للأَشراف والقُوَّاد وأَعْيان الجَليل.

٢٢ فدَخَلَت ابنَةُ هيروديَّا هذه ورَقَصَت، فأَعجَبَت هيرودُسَ وجُلَساءَه. فقال المَلِكُ للصَبِيَّة: ((اُطلُبي مِنِّي ما شِئْتِ أُعطِك)).

٢٣ وأَقسَمَ لَها: ((لأُعطِيَنَّكِ كُلَّ ما تَطلُبينَ مِنِّي، ولَو نِصفَ مَملَكَتي)).

٢٤ فخَرَجَت وسأَلَت أُمَّها: ((ماذا أَطلُب ؟)) فقالت: ((رأْسَ يوحَنَّا المَعمَدان)).

٢٥ فدَخَلَت مُسرِعَةً إلى المَلِك وطَلَبَت فقالَت: ((أُريدُ أَن تُعطِيَني في هذه السَّاعَة على طَبَقٍ رأسَ يوحَنَّا المَعمَدان)).

٢٦ فاغتَمَّ الملك، ولكنَّه من أَجلِ أَيمانه ومُراعاةً لجُلَسائه، لم يَشأ أَن يَرُدَّ طلَبَها.

٢٧ فأَرسَلَ المَلِكُ من وقتِه حاجباً وأَمَرَهُ بأَن يَأتيَ بَرأسه. فمَضى وقطَعَ رأسَه في السِّجْن،

٢٨ وأَتى برأسِ يوحَنَّا على طَبَق، فأَعطاه للصَّبِيَّة والصَّبِيَّةُ أَعطَتْه لأُمِّها.

٢٩ وبَلَغَ الخَبَرُ تَلاميذَه، فجاؤوا فَحمَلوا جُثمانَه ووضَعوه في قَبْر.

واصل مرقس كلامه هنا ليملأ غياب الاثني عشر الذين مضوا إلى الرسالة (٦: ١٢). ففي عودة مدهشة إلى الوراء، استفاد من الوقت ليروي آلام يوحنّا المعمدان المسجون قبل بداية رسالة يسوع (١:١٤).

إنه نموذج رائع من التأليف الدرامي. ففي لوحة أولى (آ١٧-٢٠)، يأتي الأشخاص على المسرح وتحصل العقدة. والممثِّل الأوَّل في الدراما هو هيرودس أنتيباس

أحد أبناء هيرودس الكبير. وقد ملك على الجليل في زمن يسوع. والثاني هو فيلبُّس شقيق هيرودس أنتيباس هذا. والثالث -وليس أقلّهم شأنًا، كما سوف نرى- هي هيرودية، حفيدة هيرودس الكبير. تزوَّجت أوَّلاً فيلبُّس عمَّها. ثمَّ أغوَتْ هيرودس أنتيباس شقيق زوجها. اما يوحنّا المعمدان، فكان في السجن لأنَّه لام الملك على زناه العلني. كانت تلك جرأة لا تصدَّق من قبل النبيّ. ولهذا وقع البغض القاتل من لدن المرأة الخائنة (آ١٩-٢٠). ولكنَّ هيرودية، في رغبتها الجامحة للقتل، اصطدمت بإعجاب الملك للمزوج بالخوف، تجاه النبيّ.

واللوحة الثانية، التي بقيت شهيرة (آ٢١-٢٨) تقدِّم حلاًّ لهذا الوضع الذي يبدو مأزقاً. فالبطلة العاملة هنا هي ابنة هيرودية (آ٢١أ). وعن طريق المؤرِّخ اليهوديّ في ذلك العصر، فلافيوس يوسيفس، نعرف أنَّ اسم الصبيَّة هو سالومة. ووعد هيرودس (آ٢٣) بقسم -والقسم المفرط متداول عادة عند الملوك في الشرق. وتمّت اللعبة (آ٢٤-٢٦). إذ ان طلب سالومة أغرق الملك في عمق المأساة، فتمزَّق تمزُّقًا عميقًا بين وعده الجنونيّ أمام جمهور مختار (الوجهاء الكبار في الحاشية) وبين اعتباره الشخصيّ الخاصّ للنبيّ. وهكذا قُطع رأس يوحنّا، وقُدِّم على طبق إلى ملهمة القتل. جريمة مشينة وقتل بشكل مرعب (آ٢٧-٢٨). وجاء التلاميذ ودفنوا معلّمهم الجليل (آ٢٩).

هذا الخبر، في خشونته الرهيبة وجماله الوحشيّ، يحمل قوَّة ايحاء مؤثِّرة. فمن دون ان يشير إلى يسوع البتة، إلاّ انه يتوجه كلُّه اليه. والنبيُّ المسجون الذي قُتل بسرعة ودفنه أصدقاؤه، يجعلنا نفكّر بالمصير الذي ينتظر يسوع نفسه. انها صورة مسبقة هنا عن آلامه وموته ودفنه.

تكثير الأرغفة (٦: ٣٠-٤٤)

٣٠ **واجتَمَعَ الرُّسُلُ عِندَ يسوع، وأَخبَروه بِجَميعِ ما عَمِلوا وعلَّموا.**

٣١ **فقالَ لهم: ((تَعالَوا أَنتم إِلى مَكان قَفرٍ تَعتَزِلونَ فيه، واستَريحوا قَليلاً)). لأَنَّ القادِمينَ والذَّاهِبينَ كانوا كَثيرينَ حَتَّى لم تَكُنْ لَهم فُرصَةٌ لِتَناوُلِ الطَّعام.**

٣٢ **فمَضَوا في السَّفينَةِ إِلى مَكانٍ قَفرٍ يَعتَزِلونَ فيه.**

٣٣ **فرآهُمُ النَّاسُ ذاهبين، وعَرَفَهُم كثيرٌ مِنهُم، فأَسرَعوا سَيراً على الأَقدامِ مِن جَميعِ المُدُن وسبَقوهم إِلى ذلك المَكان.**

٣٤ **فلَمَّا نَزَلَ إِلى البَرّ رأَى جَمعاً كثيراً، فَأَخذَتْه الشَّفَقَةُ علَيهم، لأَنَّهم كانوا كَغَنَمٍ لا راعِيَ لها، وأَخَذَ يُعَلِّمُهم أَشياءَ كثيرة.**

٣٥ وفاتَ الوَقْت، فدَنا إلَيه تَلاميذُه وقالوا: ((المَكانُ قَفْرٌ وقد فاتَ الوَقْت،
٣٦ فَاصرِفْهُم لِيذهَبوا إلى المَزارِعِ وَالقُرى المُجاوِرَة، فيَشتَروا لَهم ما يَأكُلون)).
٣٧ فأجابَهم: ((أَعطوهُم أَنتم ما يَأكُلون)). فقالوا له: ((أَنَذهَبُ فنَشتَرِيَ خُبزاً بِمائَتي دينار وَنُعطيَهم لِيَأكُلوا ؟))
٣٨ فقالَ لهم: ((كَم رغيفاً عِندَكُم ؟ اذهَبوا فَانظُرُوا)). فتحقَّقوا ما عِندَهم، ثُمَّ قالوا: ((خَمسَةٌ وسَمَكتان)).
٣٩ فأَمَرهم بأَن يُقعدوا النَّاسَ كُلَّهم فِئَةً فِئَةً على العُشبِ الأَخضَر.
٤٠ فقَعدوا أَفواجاً منها مائة ومنها خَمْسون.
٤١ فأَخَذَ الأَرغِفَةَ الخَمسَةَ والسَّمكَتَين ورَفعَ عَينَيه نَحوَ السَّماء، وبارَكَ وكسرَ الأَرغِفَة، ثُمَّ جعَلَ يُناوِلُهَا التَّلاميذَ لِيُقَدِّموها لِلنَّاس، وقسَّمَ السَّمَكَتَيْنِ علَيهم جَميعاً.
٤٢ فأَكَلوا كُلُّهم حتَّى شبعوا.
٤٣ ورَفعوا اثنَتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مُمتَلِئَةً مِنَ الكِسَرِ وفَضَلاتِ السَّمَكَتَين.
٤٤ وكانَ الآكِلونَ مِنَ الأَرغِفَةِ خَمسَةَ آلافِ رَجُل.

وانضمَّ التلاميذ إلى معلِّمهم وقدَّموا إليه تقريرًا عن رسالتهم. لقد دقّت ساعة أول تقرير للمرسلين. وهي المرَّة الوحيدة التي يعطي فيها مرقس، في إنجيله، للاثني عشر لقب: "الرسل"، اي "المرسلين". لقد دعا المعلِّم أصدقاءه لكي يبتعدوا قليلاً عن الناس لينعموا بطعام استحقوه (آ٣١أ). وها هي الجموع تضايق المجموعة بحيث تمنعهم من تناول الطعام (آ٣١ب). وهكذا أُعلن مسبقا عن موضوع الطعام الذي سوف يلي. والتضادّ قويّ بين مشروع اعتزال الجمع (عبر البحيرة) وتهافت الناس الذين يسبقون المجموعة سيرًا على الأقدام (آ٣٢-٣٣).

حين نزل يسوع إلى الأرض، وجد جمعًا كبيرًا جدًّا (آ٣٤). انه لا يقدر أن يهرب منهم ولا يريد ذلك، بل بالعكس. وشدَّد مرقس على عناية يسوع الخاصَّة بهم. وعبارة "أخذته الشفقة" قويَّة جدًّا في اليونانيَّة. يقول النصُّ حرفيًّا: "تحرَّكت أحشاؤه" على شبه أحشاء الله تجاه شعبه (هو ١١: ٨). وشفقة يسوع هذه تشبه شفقة الراعي على خرافه الضالَّة؛ وهنا يبرز موضوع جوهريّ في العهد القديم: يقدَّم فيه إسرائيل على أنَّه قطيع يقوده الله، مع الرعاة الذين أُعطوا له. ومن المؤسف أنْ ليس هؤلاء كلُّهم نماذج، مثل موسى وداود (راجع حز ٣٤: ١-٣١). فلقد عرف شعب الله ويعرف الآن قادة غير جديرين برسالتهم. لهذا وعد الله إسرائيل براعٍ صالح في شخص المسيح المنتظر. وبدا

يسوع في هذا المقطع هذا الراعي الإلهيّ الذي جاء يعتني بشعبه أكبر عناية. وشدَّد مرقس أنَّ المعلّم بدأ "يعلّم" الجمع مطوَّلاً. وسبق الإنجيليّ ولاحظ مرَّتين أهمِّيَّة تعليم المعلّم (١: ٢٢؛ ٤: ١-٢). ولكنَّه لم يحدِّد أبدًا موضوعه. وهذا ما يحصل هنا أيضًا. لكنَّ الأمر، له مدلوله. فقبل أن يعطي يسوع الخبز، راح يُشبع الناس بكلمته. وخبرُ تكثير الأرغفة الذي يلي، يجب ألاَّ ينفصل عمّا سبق. فإنَّ يسوع يسعى "بالكلمة" أن يجمع الناس في شعب الله الجديد. وهذا ما احتفظت به الكنيسة. ففي ممارستها للإفخارستيّا، وجدت دومًا "مائدتين" تتواصلان: مائدة الكلمة أوَّلاً، ثمَّ مائدة الخبز.

يبدأ الخبر بإشارات خفيَّة مملوءة باستذكارات بيبليَّة. الساعة متأخِّرة والموضع قفر (آ٣٥-٣٦): بهاتين الصورتين، صوَّر مرقس الظروف التي كان فيها شعب إسرائيل، في الماضي، في برِّيَّة الخروج، وهو يتألَّم من الجوع (خر ١٦: ٣ي). اما بالنسبة إلى الجمع الذي تبع يسوع، بعيدًا عن القرى والمزارع، فهو في وضع مشابه. لم يَعِ تلاميذه واجبهم بأن يساعدوا الجائعين، فطلبوا من المعلّم أن يطلق الناس ليمضوا ويجدوا لهم طعامًا؛ وليس هذا ما يريده يسوع، فألحَّ: "أعطوهم أنتم ليأكلوا" (آ٣٧أ). وهذه الدعوة المباشرة إلى التلاميذ لاتخاذ مسؤوليتهم كرعاة، جعلتهم غير مصدّقين. فقدَّموا إلى يسوع سببًا اقتصاديًّا (آ٣٧ب). كان للاعتراض قيمته: أن نطعم كلَّ هؤلاء الناس يكلِّف ثروة! ولكنَّ يسوع أعادهم لكي يبحثوا عمَّا يجدوه من طعام هنا (آ٣٨أ). انتهى البحث بسرعة: خمسة أرغفة وسمكتان (آ٣٨ب). فالزاد فقير جدًّا. ولكن، في وضع مشابه، أتمَّ النبيُّ إليشع، قبل تسعة قرون من الزمن، معجزة وفر (٢ مل ٤: ٤٢-٤٤). لا شكَّ في أنَّ هذه الفعلة النبويَّة المشهورة ألهمت مرقس وكلَّ التقليد الإنجيليّ حول "تكثير الأرغفة". ففي خطِّ هذه المأثرة القديمة دعا يسوع تلاميذه لكي يُعدُّوا الوليمة المسيحانيَّة (آ٣٩-٤٠). والتفصيل حول العشب الأخضر في غير محلِّه، لأنَّ المشهد يحصل في البرِّيَّة! ولكنَّ له رنَّة بيبليَّة. فيسوع يتصرَّف مثل راعي المزمور حيث الله نفسه يقود شعبه إلى الراحة، "على مراعي عشب أخضر"، ليعدَّ له مائدة (مز ٢٣: ٢-٣). وجلس الناس في دوائر في مجموعات من مئة ومن خمسين. لا يرد هذان الرقمان مصادفة، بل هما يعيدان إلى الذاكرة تنظيم بني إسرائيل في البرِّيَّة ليكونوا شعب الله (خر ١٨: ٢١-٢٥).

في هذا الوقت يرتدي الخبر وجهًا ليتورجيًّا عميقًا (آ٤١). فعل يسوع الأفعال الأربعة التي سوف يفعلها في الوقت الاحتفاليّ لتأسيس الإفخارستيّا (١٤: ٢٢): أخذ الخبز، تلا البركة، كسر الخبز، وأعطاه لتلاميذه لكي يوزِّعوه. تلك هي في الحقيقة صورة مسبقة عن الطقس الإفخارستيّ. والتلفّظ بكلام البركة، "بعيون مرفوعة إلى السماء"، انما

هي صلاة الحمد والتسبيح التي يشكر اليهود بها الله، خلال الطعام، على جميع الحسنات الممنوحة لشعبه، وأوَّلها خلاصه.

ونهاية الخبر هي أيضًا مضخَّمة بتلميحات بيبليَّة دقيقة (آ٤٢-٤٣). لقد شدَّد النصُّ على أنَّ الجميع شبعوا. فنحن، منذ الآن، ازاء موضوع "الوفر" في الخبر المأخوذ من دورة النبيّ إليشع: "يأكلون ويفضل عنهم" (٢ مل ٤: ٣-٤ب). فالله في سخائه اللامحدود يفيض على البشر أكثر من حاجاتهم. أمّا الرقم "اثني عشر" بالنسبة إلى السلال الباقية، فهو صدى لقبائل إسرائيل الاثنتي عشرة، وهو يبيِّن أنَّ شعبًا آخر يمكن أن يُشبَع بفائض العشاء المسيحانيّ. فعطيَّة الله لا حدود لها.

ويُختَم الخبر بإشارة في شكل طرفة: الآكلون خمسة آلاف (آ٤٤). فإن نظرنا عن قرب، نرى المعنى الرفيع لهذا الرقم. فهو يقابل الرقمين اللذين أُعطيا من أجل ترتيب المدعوِّين في مجموعات: نضرب مئة بخمسين فيكون العدد خمسة آلاف. وهكذا لمَّح مرقس أنَّ الناس المجتمعين لم يعودوا مجموعة متفرِّقة، بل هم شعب منظَّم.

إذًا، تلك هي الخطوط الرئيسيَّة في خبر تكثير الأرغفة:

١- يسوع هو "الراعي الحقيقيّ" الذي أخبر به الأنبياء. وهو الماسيّا الآتي ليجمع شعب الله الجديد، بالكلمة والطعام اللذين يعطيهما بوفرة. وهو يستطيع أن يُشبع كلَّ جوع بشريّ.

٢- دُعيَ التلاميذ ليشاركوا ملء المشاركة في مهمَّة الماسيّا، ويكلَّفون بأن يتجاوبوا وحاجات البشر: فبوسائل فقيرة يجمعون شعب الله ويقيتونه، بانتظار وليمة نهاية الأزمنة، دون حساب للحدود (راجع اش ٢٥:٦-٩). فحين كان المسيحيُّون في جماعة مرقس، في رومة، يحتفلون بالإفخارستيّا، كانوا يتأمَّلون في أبعاد هذه الصفحة الإنجيليَّة.

السير على المياه (٦:٤٥-٥٢)

٤٥ **وأَجبَرَ تَلاميذَهُ لوَقته أَن يَركَبوا السَّفينة، ويَتَقَدَّموه إِلى الشَّاطِئِ المُقابِل نَحوَ بَيتَ صَيدا، حتَّى يَصرِفَ الجَمْعَ.**

٤٦ **فلمَّا صَرَفَهم ذهَبَ إِلى الجَبَلِ لِيُصَلِّي.**

٤٧ **وعِندَ المساء، كانَت السَّفينَةُ في عُرْضِ البَحْر، وهو وَحدَه في البَرّ.**

٤٨ **ورآهم يَجهَدونَ في التَّجديف، لأَنَّ الرِّيحَ كانت مُخالِفةً لَهم، فجاءَ إِليهِم عِندَ آخِرِ اللَّيل ماشِيًا على البَحْرِ وكادَ يُجاوِزُهم.**

٤٩ فلمَّا رَأَوهُ ماشياً على البَحْر، ظَنُّوه خَيَالاً فصَرَخوا
٥٠ لأنَّهم رَأَوْهُ كُلُّهم فَاضطَربوا. فكَلَّمَهم مِن وَقْتِه قالَ لَهم: ((ثِقوا. أَنا هو، لا تَخافوا)).
٥١ وصَعِدَ السَّفينَةَ إِلَيهم فسَكَنَتِ الرِّيح، فدَهِشوا غايةَ الدَّهَش،
٥٢ لأنَّهم لم يَفهَموا ما جَرى على الأَرغِفَة، بل كانت قلوبُهم قاسِيَة.

حدث غريب، ويبدو، خطأ، كأنه معجزة أكبر من معجزة تكثير الأرغفة. فالإنجيليّ يقدِّم لنا فيه، عبر صوَر قويَّة، مختارة، الخبرة الأساسيَّة في الإيمان المسيحيّ.

بدأ المشهد بحركة ذات شكل عنيف (آ٤٥). انفصل يسوع بعزم عن الجموع الجليليَّة التي أشبعها (٦:٤٤). وأوضح مرقس أنَّه "أجبر" التلاميذ ليصعدوا إلى السفينة بدونه ويسبقوه "إلى الضفَّة المقابلة". وبيت صيدا واقعة إلى الشرق من نهر الأردنّ. مدينة تشكِّل الحدود بين إسرائيل والمناطق الوثنيَّة. هكذا نستطيع أن نفهم تردُّد التلاميذ في الذهاب إلى هذه المنطقة الوثنيَّة واللامضيافة (منذ قضيَّة جرش: ٥:١-٢٠). إذًا، ألزمهم يسوع أن ينطلقوا في السفينة، ويتوجَّهوا طوعًا نحو الرسالة لدى الوثنيِّين؛ وهكذا منح لنفسه وقتًا ليبتعد وحده نحو الجبل للصلاة (آ٤٦).

ابتعد يسوع عن البشر واقترب من الله، ممّا يجعلنا ننتظر حدثًا حاسمًا. التلاميذ وحدهم في البحر، خلال المساء (آ٤٧). لقد شدَّد مرقس بقوَّة على غياب يسوع. وللمرَّة الأولى، سُلِّم قارب أصدقائه إلى العناصر الطبيعية دون قبطانه. وجاء الليل: هذا التفصيل لا يشكِّل دعابة، لا هو ولا التفاصيل الأخرى. فهو يُعدُّنا قبل الوقت إلى مغامرة صعبة لهؤلاء الرجال المتروكين وحدهم. وينبغي أن نتذكَّر هنا أنَّ البحر مخيف جدًّا للعبرانيِّين، وهم أهل الرمل والصحراء. فالبحر يخبِّئ في داخله قوى الشرِّ والموت. وها هو مرقس يدعونا الآن لنقرأ خبرًا بشكل دراما صغيرة، ونسخة أخرى عن العاصفة التي هُدِّئت (٤:٣٥-٤١). وهذه المرَّة يصوِّر تدخُّل يسوع المسبَق والسيِّدي، ساعة حملنا كلُّ شيء ان نخاف من غرق التلاميذ (آ٤٨ب). أمور جوهريَّة عديدة قيلت في هذه الآية القصيرة. وفيما كان التلاميذ منهَكين، ومهدَّدين بالعناصر الهائجة، "أتى إليهم" يسوع، في شكل سرِّيّ. وداست رجلاه الأمواج بدون جهد، بل "تجاوز" أصدقاءه... في اندفاعه المنتصر! في البيبليا، لا يستطيع البشر أن يمشوا على المياه. فذلك سلطان محفوظ لله. وهو وحده القادر على ضبط قوى الشرِّ والموت التي يمثِّلها الماء (راجع أي ٩:٨؛ إلخ...). لا شكَّ أنَّ الطريقة التي بها بيَّن يسوع، في الصباح، انتصاره على الشرِّ والموت، توحي مباشرة بالقيامة.

ورأى قرَّاء مرقس الذين يعرفون نهاية الإنجيل، في هذه اللوحة العجيبة إعلانًا مسبقًا للبلاغ الذي سيُحمَل بشأن المصلوب، أمام القبر الفارغ: "إنَّه قام... ويسبقكم إلى الجليل" (١٦:٦-٧). ووراء صور الرواية، ينبغي أن نقرأ خبرة الإيمان لدى المسيحيِّين الأوَّلين. إنهم أُخذوا في عاصفة الاضطهاد الروماني وفي مضايق أخرى، فجاءتهم تجربةُ اليأس. المسيح غائب بجسمه؛ لقد انسحب في حميميَّة الآب (ذاك هو معنى اعتزاله للصلاة على الجبل، ٤٦آ). قد نظنُّه غريبًا عن المشاريع التي بدأ هو بها. ولكن يجب أن نشعر بحضوره الفاعل، وسط القلق. فكنيسته التي أبحرت في مهمَّة صعبة نحو الوثنيِّين، بوسعها أن تبقى واثقة: المخلِّص هو حقًّا هنا، حيّ، لكي ينجِّيها من كلِّ خطر.

وردَّةُ فعل التلاميذ معبِّرة (٣٩-٥٠أ)، وتلتقي مع الاضطراب -الارتياب- الذي سوف يهاجمهم ساعة ظهورات القائم من الموت. أما هو شبح؟ لقد أذهلهم "منظره" وأرعبهم (راجع لو ٢٤:٣٧). وكما فعل يسوع في روايات الترائيات الفصحيَّة، فعل هنا أيضًا حين طرد أوَّلاً الخوف من أصدقائه (٥٠ب). وأكثر من هذا، عرَّفهم بنفسه في ملء هويَّته. والعبارة "ها أنا" هي قويَّة جدًّا في اليونانيَّة، إذ تشير إلى الله نفسه، وهو يؤكِّد لموسى حضوره السيِّدي ليواجه الفرعون: "أنا هو" (خر ٣:١٤). ولن نندهش أن تكون الريح -العاصفة- هدأت بفعل هذا التأكيد الإلهيّ (٥١أ). وشدَّد مرقس، كعادته، على الصدمة التي حصلت لدى التلاميذ: فالخوف والرعدة اللذان استوليا عليهم، هما واقع كلِّ إنسان يكون في حضرة الله (٥١ب). ولكنَّ الإنجيليّ يختم اعتباراته حول موضوع عزيز على قلبه، من بين جميع المواضيع: عدم فهم أصدقاء يسوع سرَّه (٥٢آ). فمرقس لا يبدو رقيقًا مع التلاميذ. حرفيًّا: كان قلبهم "مقسَّى" مثل قلب خصوم يسوع (٣:٥). ويبدو السببُ الذي يعطيه باهتًا: لم يفهموا "مدلول معجزة الأرغفة". والمقصود أنَّ المعنى العميق لشخص يسوع ورسالته يُفلت منهم... كلِّيًّا! انه أمر طبيعي. ففي "مقطع الأرغفة" الذي نحن بصدده، يوجِّه نشاط يسوع نظر الذين يتبعونه نحو العالم الوثنيّ الذي ينبغي مواجهته، لخلاصه. وعلى غرار العاصفة المهدّأة (٤:٣٧-٤١)، بيَّن السيرُ على المياه اليقين الذي يسكنُ الكنيسة في الصعوبات التي تعترضها: المسيح القائم من الموت يأتي إلى معونتها.

شفاءات في جنسارت (٦: ٥٣-٥٦)

٥٣ وعَبَروا حتَّى بَلَغوا أَرضَ جِنَّاسَرِت فأَرسَوا.

٥٤ وما إِنْ نَزَلوا مِنَ السَّفينة حتى عَرَفَه النَّاس.

٥٥ فطافوا بتلكَ النَّاحيَةِ كُلِّها، وجَعلوا يَحملونَ المَرْضى على فُرُشِهم إِلى كُلِّ مَكانٍ يَسمَعونَ أَنَّه فيه.

٥٦ وحَيثُما كانَ يَدخُل، سَواءٌ دَخَلَ القُرى أَو المُدُنَ أَو المَزارِع، كانوا يَضَعونَ المَرْضى في السَّاحات، ويَسأَلونَه أَن يَدَعَهم يَلمِسونَ ولَو هُدْبَ رِدائِه. وكانَ جميعُ الَّذينَ يَلمِسونَه يُشفَون.

كان على قارب التلاميذ -وقد انضمَّ إليهم يسوع في العاصفة (٦:٥١)- أن يصل إلى بيت صيدا، شرقيَّ نهر الأردنّ. ولا نعرف السبب الذي لأجله وصل إلى وجهة أخرى، إلى جنِّسارت (آ٥٣). فهذه المدينة تقع على الضفَّة الغربيَّة، قرب كفرناحوم. وهكذا نبقى في أرض يهوديَّة. وفي الحال كان المعلِّم ضحيَّة شهرته (آ٥٤). نحن هنا في الواقع، ازاء عودة إلى الوراء. تلك هي "خلاصة" حول شفاءات يسوع على شاطئ البحيرة، كما سبق وقرأنا مثلها مرَّتين (١:٣٢-٣٤؛ ٣:٧-١٢).

نجدنا ازاء تزاحم الناس في طلب معجزة من يسوع. هذا ما شدَّد عليه النصُّ (آ٥٥-٥٦أ). هو تعميم نقرأه مع لفظة "كلّ"، "كلِّهم". فمهمَّة يسوع الجوّالة تشرح تنقُّلاته من موضع إلى آخر. وبوسعنا ان نلتقي في كلِّ الأمكنة: في قلب المدن والقرى، وحتّى في الحقول وعلى مدى الطرق. فكما في خبر المرأة المصابة بنزف دم (٥:٢٧-٢٨)، تحدَّث مرقس عن توق المرضى لأن يلمسوا "الشافي". لقد كان اللمس إحدى طرق الشفاء الممارَسة في العالم القديم. والتشديد على "الثوب" أمرٌ معروف. لنتذكَّر أنَّ اللباس في العالم الساميّ يرمز إلى الشخص؛ ولمس رداء يسوع يعني الوصول إلى شخصه بالذات. والتفصيل "ولو طرف ثوبه" معبِّر جدًّا. ويلمِّح مرقس إلى أنَّ يسوع، وهو حافظ الشريعة اليهوديَّة الأمين، يرتدي الاهداب المعروفة في طرف ثوبه (راجع عد ١٥:٣٧-٣٩). وأفهمنا مرقس أخيرًا أنَّ يسوع يشعُّ، عبر ذاته كلِّها، قدرة إلهيَّة تخلِّص (آ٥٦ج). والإحسان الذي يمنحه المسيح هو خلاص يتجاوز مجرَّد شفاء الأجسام. ولا ننسَ في شرقنا، أنَّ المرضى يبقون مُبعَدين عن الاقتراب من الله، لأنَّ المرض يبدو مرتبطًا بالخطيئة. وهنا، إذ يدع يسوع المرضى والمعاقين -هؤلاء المساكين بامتياز- يقتربون منه ويلمسونه، فهو يمارس حقًّا دوره "كالراعي الصالح" الذي يستقبل خرافًا لا راعي لها (٦:٣٤).

لا ينبغي لهذه البانوراما حول أشفية يسوع أن تنفصل أبدًا عن الصفحات التي سبقت وأُغلقت الآن: إعلان البشرى التي تنجِّي من كلِّ شرّ، في الفعل كما في العمل.

يسوع وتقاليد الفرّيسيّين (٧: ١-٢٣)

٧ ١ واجتَمَعَ لَدَيه الفرِّيسيُّونَ وبَعضُ الكَتَبَةِ الآتينَ مِن أُورَشَليم،
٢ فرَأَوا بعضَ تَلاميذه يَتناوَلونَ الطَّعامَ بأَيد نَجسَة، أَيْ غَيرِ مَغْسولة
٣ (لأَنَّ الفرِّيسيِّينَ واليَهودَ عامَّةً لا يَأكُلونَ إِلاَّ بَعدَ أَن يَغسِلوا أَيديَهُم حتَّى المِرفَق، تَمَسُّكاً بسُنَّة الشُّيوخ.
٤ وإِذا رجَعوا منَ السُّوق، لا يَأكُلونَ إِلاَّ بَعدَ أَن يَغتَسلوا بإِتْقان. وهُناكَ أَشياءُ أُخرى كَثيرةٌ منَ السُّنَّة يَتمسَّكونَ بها، كَغَسْلِ الكُؤُوسِ والجِرارِ وَآنيَةِ النُّحاس).
٥ فسأَلَه الفرِّيسيُّونَ والكَتَبة: ((لِمَ لا يَجري تَلاميذُكَ على سُنَّة الشُّيوخ، بل يَتناولونَ الطَّعامَ بأَيد نَجسَة ؟))
٦ فقالَ لهم: ((أَيُّها المُراؤون، أحسَنَ أَشعْيا في نُبُوءته عَنكم، كما وَرَدَ في الكِتاب: ((هذا الشَّعبُ يُكرِمُني بشَفَتَيه وأَمَّا قَلبُه فبَعيدٌ منِّي.
٧ إِنَّهم بالباطلِ يَعبُدونَني فلَيسَ ما يُعَلِّمونَ منَ المذاهب سِوى أَحكامٍ بَشَرِيَّة)).
٨ إِنَّكم تُهملونَ وصيَّةَ الله وتَتمَسَّكونَ بسُنَّة البَشَر)).
٩ وقالَ لَهم: ((إِنَّكُم تُحسنونَ نَقْضَ وَصيَّة الله لتُقيموا سُنَّتَكم !
١٠ فقد قالَ موسى: ((أَكرِمْ أَباكَ وأُمَّكَ))، و((مَن لعَنَ أَباه أَو أُمَّه، فلْيَمُتْ مَوتاً)).
١١ وأَمَّا أَنتُم فتَقولون: إِذا قالَ أَحَدٌ لأَبيه أَو أُمِّه : كُلُّ شيءٍ قد أُساعِدُكَ به جَعَلتُه قُرباناً،
١٢ فإِنَّكم لا تَدَعونَه يُساعِدُ أَباه أَو أُمَّه أَيَّ مُساعَدة
١٣ فَتنقُضونَ كلامَ الله بسُنَّتكمُ الَّتي تَتَناقلونَها. وهُناكَ أَشياءُ كثيرةٌ مِثلُ ذلكَ تَفعَلون)).
١٤ ودعا الجَمعَ ثانيةً وقالَ لَهم: ((أَصغوا إِليَّ كُلُّكُم وافهَموا:
١٥ ما مِن شَيءٍ خارجٍ عنِ الإِنسان إِذا دخَلَ الإِنسانَ يُنَجِّسُه. ولكِن ما يَخرُجُ مِنَ الإِنسان هو الَّذي يُنَجِّسُ الإِنسان)).
١٦ [مَن كان له اذنان تسمعان، فليسمع!"].
١٧ ولَّما دخَلَ البَيتَ مُبتَعداً عنِ الجَمْع، سأَلَهُ تَلاميذُه عَنِ المَثَل،
١٨ فقالَ لَهم: ((أَهكَذا أَنتم أَيضاً لا فَهمَ لكم ؟ أَلاَ تُدرِكونَ أَنَّ ما يدخُلُ الإِنسانَ مِنَ الخارِج لا يُنَجِّسُه،
١٩ لأَنَّهُ لا يَدخُلُ إِلى القَلْب، بل إِلى الجَوْف، ثُمَّ يَذهَبُ في الخَلاء)). وفي قَولِه ذلك جَعَلَ الأَطعِمَةَ كُلَّها طاهِرة.

٢٠ وقال: ((ما يَخرُجُ مِنَ الإِنسان هو الَّذي يُنَجِّسُ الإِنسان،
٢١ لأَنَّهُ مِن باطِنِ النَّاس، من قُلوبِهم، تَنبَعِثُ المَقاصِدُ السَّيِّئَةُ والفُحشُ وَالسَّرِقَةُ والقَتْلُ
٢٢ والزِّنى والطَّمَعُ والخُبثُ والمَكْرُ والفُجورُ والحَسَدُ والشَّتْمُ والكِبرِياءُ والغَباوة.
٢٣ جَميعُ هذِهِ المُنكَراتِ تَخرُجُ مِن باطِنِ الإِنسانِ فتُنَجِّسُه)).

نحن هنا أمام جدال جديد، كما سبق أن كان ليسوع مع أتقى اليهود في عصره: الفرِّيسيِّين والكتبة (آ١). فالخلاف الذي يجعلهم يقاومون المعلِّم يتوجَّه نحو نقطة بسيطة في ظاهرها حول تصرُّف التلاميذ: هؤلاء بدأوا يأكلون بأيد نجسة، أي غير مغسولة (آ٢). واضطُرّ مرقس أن يشرح مطوَّلاً، لقرَّائه الرومان الذين يجهلون العادات اليهوديَّة، لبَّ المسألة (آ٣-٤). فهذه الممارسات الدقيقة لدى اليهود بالنسبة إلى الطعام، تعود إلى شريعة موسى. فلكي يُحفَظ الشعب المختار موحدًا على المستوى الاجتماعيّ والدينيّ، منع من كلّ اتِّصال بالأشخاص وبالأشياء المعتبرة "نجسة" (أح ١١-١٦). ففي الحياة اليوميَّة، ولدى العودة من الأسواق والأماكن العامَّة، يحسُّ بنو إسرائيل، على المستوى الطقسيّ، أنَّهم "نجسون": أما كانوا بجانب خطأة ووثنيِّين (تجّار ومحتلين رومان)؟ من هنا كثرة التطهيرات قبل الطعام. فطرحوا على يسوع سؤالاً حول تساهل أصدقائه بالنسبة إلى هذه القواعد (آ٥).

بدأ المعلِّم بدون مواربة، فشجب رياء خصومه، أي كذبهم (آ٦-٧). وبما أنَّ يسوع أمام أخصَّائيِّين في البيبليا، رجع إلى الكتاب المقدَّس (هنا، اش ٢٩: ١٣). ومنذ القرن الثامن، سبق هوشع وشجب عبادة لا قلب فيها لدى معاصريه (هو ٥:٢١-٢٥). ولم يخشَ يسوع أن يستعيد هذا الحكم القاسي، فاستنتج: تُحلُّون تقاليد محض بشريَّة محلَّ كلمة الله! (آ٨) اتِّهام خطير! والمعلِّم الذي يعرف حسنًا نقاط شريعة موسى التي هي موضوع جدال بين الرابِّينيِّين، اتَّخذ مثلاً لافتًا: النذور (آ١٠-١٣). انه مجال يسمح بالتعسُّفات حيث توصَّل الفرِّيسيُّون، عبر علم الفتاوى الذي يجولون فيه ويصولون، أن يحوِّلوا نقطة جوهريَّة من كلمة الله (العون المفروض من أجل الوالدين في الوصايا العشر) (خر ٢٠:١٢) للحصول على هبات من أجل الهيكل. لا شكَّ أنَّ هؤلاء المدافعين الورعين عن التقليد يحوِّلون كلمة الله بدهائهم ويلغونها.

في هذه النقطة من الجدال، وسَّع يسوع حلقة سامعيه المحصورة، إلى جمهور واسع لكي ينشر تعليمه بشكل أفضل (آ١٤-١٥). فقدَّم مثلاً صغيرًا ذا وجه سرِّيّ. هل يقدر الجمع أن يفهم؟ وكما هي العادة عند مرقس (٤:٣٣-٣٤)، احتفظ المعلِّم بشرح كلامه

للتلاميذ وحدهم، على حدة (آ١٧). لقد لامهم أوَّلاً على نفورهم المستمرّ عن إدراك شيء من تعليمه (آ١٨أ)، ثمَّ أعطاهم مفتاح اللغز (آ١٨أ-١٩أ). ما ينجِّس الإنسان ليس الطعام الذي يبتلعه المرء، وترميه إلى الخارج دورةُ الهضم. كلاَّ! ما ينجِّس الإنسان، انما هي الأفكار الخارجة من قلبه. من هنا تأتي المقاصد الماكرة (آ٢٠-٢٣). في البيبليا، القلب هو مركز الأفكار والعواطف. هناك تولَد المفاسد الخلقيَّة. وتُعطى هنا لائحة طويلة عنها، فتوافق لائحة الرذائل التي نجدها عند علماء الأخلاق في ذلك الزمان (راجع غل ٥:١٩-٢٢).

قد نظنُّ أنَّ يسوع، في كلامه إلى الجمع وإلى تلاميذه، نسي صراع نقطة الانطلاق التي جعلته في مواجهة مع الفرِّيسيِّين. كلاَّ ثمَّ كلاّ. وان جملة قصيرة من مرقس تبرز بشكل واضح تمامًا الدرس الرئيس من كلام المعلِّم (آ١٩ب). فالخلاف يصيب، قبل كلِّ شيء، قواعد الطعام التي يتَّبعها اليهود الورعون. هناك عدد من الأطعمة يعتبرونها "نجسة"، محرَّمة، فلا تُؤكَل (راجع أح ١١:١-٣٠). أعلن يسوع مباشرة باليه تلك التقاليد التي تتوخَّى تقسيم المجتمع في كتلتين على مستوى المانويَّة: الصالحون والأشرار. من جهة، "الأطهار"، الفرِّيسيُّون (والاسم يعني "المنفصلين")؛ ومن جهة ثانية، "النجسون" الذين لا تجوز معاشرتُهم: الخطأة. أمّا يسوع، فجاء يقيم مجتمعًا منفتحًا. انه، من قبل الله، دخل في مشاركة مع جميع الذين هم ضحايا التمييز الاجتماعيّ والدينيّ الذي يواصل وجوده في حزب "الأطهار والقساة"، أي الفرِّيسيّين. فهو يتناول الطعام مع النجسين، مع "المبعَدين" (العشّارين، المومسات، الجنود الرومان، إلخ...) وهذا هو الجديد الذي يقلب رأسًا على عقب انغلاقات ذلك الزمان.

وبكياسة كبيرة، أورد مرقس هذا الجواب الطويل ليسوع على الهجمات الفرِّيسيَّة. فالمسيحيَّة الناشئة اصطدمت بمسائل استقبال الوثنيِّين المهتدين. والممارسة اليهوديَّة للأطعمة، الخاضعة لقواعد الطهارة الطقوسيَّة، منعت معاشرة الغرباء، وإن صاروا إخوة في الإيمان. ولنا شاهد واضح على ذلك، وهو صعوبة العلاقات بين المسيحيِّين الذين من أصل يهوديّ والمسيحيِّين الذين من أصل وثنيّ، في أعمال الرسل (١٠:١-١١:١٨). فنحن نرى هنا بطرس شخصيًّا، وهو أوَّل الرسل، ما زال أسير "المحرَّمات" الطعاميَّة اليهوديَّة في لقائه مع كورنيليوس الوثنيّ. ويشير الواقع أنَّ اليهود المسيحيِّين صرفوا وقتًا طويلاً لكي يتحرَّروا من الأفكار المسبقة، العنصرية والدينية، التي كانت تغلقهم عن كلِّ مشاركة في المائدة مع إخوانهم الذين من أصل وثنيّ. وهكذا وجدت رسالةُ الكنيسة الأولى نفسها محاصرة. فجماعة مرقس المسيحيَّة كانت بلا شكٍّ في مواجهة مع مثل هذه المسائل.

وتذكَّرت الردَّ الذي قدَّمه يسوع للفرِّيسيِّين. وهكذا أسَّس هذا الخبرُ، بالنسبة إليها، ممارسة "المائدة المفتوحة" التي انتُقدت عليها.

ولن نعجب إذا كان هذا الحدث قد وجد مكانه هنا في "مقطع الخبز" (٦:٣٠-٨:٢١)، في الوقت الذي يستعدُّ يسوع فيه ليميل بنظر التلاميذ باتِّجاه ضرورة الرسالة لدى الوثنيِّين، (انظر الخبر الذي يلي مباشرة: ٧: ٢٤-٣٠).

ايمان امرأة وثنيَّة (٧:٢٤-٣٠)

٢٤ **ومضى من هُناكَ ، وذَهبَ إلى نواحي صور، فدَخَلَ بَيتاً، وكانَ لا يُريدُ أَن يَعلَمَ بِه أَحَد، فلَم يَستَطِعْ أَن يُخفيَ أَمرَه.**

٢٥ **فقد سَمِعَت به وَقتئذ امرَأَةٌ لَها ابنَةٌ صَغيرَةٌ فيها روحٌ نَجس، فجاءَت وارتَمَت على قَدَمَيْه.**

٢٦ **وكانتِ المَرْأَةُ وَثَنِيَّةً من أَصْلٍ سوريٍّ فينيقيّ. فسَأَلَته أَن يَطرُدَ الشَّيطانَ عنِ ابنَتِها.**

٢٧ **فقالَ لَها: ((دَعي البَنينَ أَوَّلاً يَشبَعون، فلا يَحْسُنُ أَن يُؤخَذَ خُبزُ البَنين، فيُلقى إِلى صِغارِ الكِلاب)).**

٢٨ **فأَجابَت: ((نَعَم، يا ربّ، ولكِنَّ صِغارَ الكِلابِ تَأكُلُ تَحتَ المائدة من فُتاتِ الأَطفال)).**

٢٩ **فقالَ لَها: ((من أَجْلِ قولِكِ هذا، اذْهَبي، فقَد خَرَجَ الشَّيطانُ مِن ابنَتِك)).**

٣٠ **فرجَعَت إِلى بَيتِها، فوَجدتِ ابنَتَها مُلقاةً على السَّرير وقَد خَرَجَ مِنها الشَّيطان.**

اعتاد يسوع، حتّى الآن، أن يحصر نفسه في الجليل (٦:٥٣). وها هو الآن يمضي إلى مدينة صور والمنطقة المحيطة بها (آ٢٤أ)، في الشمال الغربيّ من بحيرة طبريَّة، في قلب العالم الوثنيّ: سورية - فينيقيا (اليوم، لبنان).

وهكذا تبدأ أوَّل إقامة طويلة ليسوع خارج أرض إسرائيل. حتّى الآن، كانت له انطلاقات سريعة، أُجهضت في جزء منها، في المدن العشر، إلى الشرق من نهر الأردنّ (٥: ١-٢٠). أما الآن، فهو يفتح رسالة حقيقيَّة لدى الوثنيِّين سوف تتواصل حتّى بعد ثاني تكثير الأرغفة (٨:١-١٠). وهذه الرحلة الرسوليَّة، راح يسوع يهيِّؤها في احاديثه مع كتبة أورشليم والفرِّيسيِّين حول "الطاهر والنجس" (٧:١-٢٣). ففي نظره لا يمكن أن نعتبر الوثنيِّين خارج نطاق المعاشرة.

غير أنَّ مجيئه إليهم طرح أكثر من سؤال. فهناك بغض حقيقيّ ينتصب منذ زمان

طويل بين اليهود والوثنيِّين. إذ ان شريعة موسى تحرِّم دومًا الاتِّصال بين الفئتين. لهذا جاء يسوع **خفية** إلى أرض وثنيَّة، وإن لم يتوصَّل أن يخفي أمره كليًّا (آ٢٤ب). فالغريبة التي جاءت تتوسَّل إليه برهنت على ثقة كبيرة جدًّا بحيث تجرَّأت واقتربت من رابّي يهوديّ (آ٢٥). وأبرز مرقس بقوَّة الطابعَ الجريء في هذا الحدث: انها امرأة، وفوق ذلك وثنيَّة. أرادت من يسوع أن يطرد الشيطان من ابنتها (آ٢٥). تلقَّى المعلِّم هذا الطلب بتحفُّظ. وجاء جوابه بشكل يدلُّ على الرفض (آ٢٧). "الأولاد" يدلُّون على الشعب اليهوديّ. أما ينبغي على المسيح أوَّلاً أن يحمل البشارة إلى "الخراف الضالَّة من بيت إسرائيل" (متى ١٥: ٢٤)؟ وكيف سيفهم التلاميذ إذا اعطى معلِّمهم، "أوَّلاً"، الخبز للوثنيِّين؟ حتّى وإن كانت العبارة مخفَّفة في فم يسوع، "صغار الكلاب"، للدلالة على الوثنيِّين، فهي تبقى قاسية. فاليهود يبرهنون على احتقار عميق لهؤلاء الغرباء عن الشعب المختار: كانوا يدعونهم "الكلاب"، وبكل وقاحة.

وراء موقف يسوع المتحفِّظ، نستشفُّ جدار عدم الفهم الذي يفصل اليهود عن الوثنيِّين. غير أنَّ مجيء المعلِّم (وإن خفيًّا في انطلاقته) إلى ما وراء حدود إسرائيل الثقافيَّة والدينيَّة، فتح ثغرة في هذا الجدار. وما انتظرت المرأة طويلاً لتدخل من هذه الثغرة الثمينة (آ٢٨). انها لثقة عجيبة لدى هذه الوثنيَّة، وقد بيّنت للمسيح أنَّ الوثنيِّين يعرفون أن يلتقطوا -ولو كان الفتات- الطعام الذي يقدِّمه للشعب المختار. ويسوع، ما أخطأ حين رأى في هذا الكلام إعلان إيمان حقيقيّ (آ٢٩). فهو عندما يجد الإيمان، حتّى عند الغرباء عن المواعيد، لا يتردَّد من أن يعطي العلامة بأنَّ ملكوت الله هو هنا (آ٣٠). وشفاء الابنة، وقد تمَّ عن بُعد، يرمز إلى ما يتمُّ الآن في العمق: بدأ يسوع يقلب الحواجز التي تفصل بين عالمين، العالم اليهوديّ والعالم الوثنيّ (راجع أف ٢: ١٣-١٨).

في "مقطع الأرغفة" حيث يجد هذا الحدثُ الجميل موضعه، طلب مرقس من قرَّائه أن يتأمَّلوا في سلوك يسوع. ففي كنيسة القرن الأوَّل، ما زالت أفكار مسبقة عنيدة قائمة، تمنع المسيحيِّين من أصل يهوديّ أن يشاركوا في المائدة مع الذين هم من أصل وثنيّ. ذلك انهم لم يتجاوزوا كليًّا العداوة القديمة بين اليهود والوثنيِّين. وهذه العداوة تنهض من جديد في قلب ما يجب أن يدلَّ على وحدة الإيمان والمحبَّة: مقاسمة الخبز الإفخارستيّ. وموقفُ يسوع، في نظر جميع المسيحيِّين، هو نداء ملحّ. إذ ان إيمان الغرباء وتقبُّلهم للإنجيل، يمنحانهم الحقَّ بأن يشاركوا في الوليمة المسيحانيَّة. وسوف نرى قريبًا كيف قدَّم يسوع لهم أكثر من الفضلات (راجع ثاني تكثير الأرغفة، ٨: ١-٩).

الأمثولة مستمرَّة، فالإنجيل لا يعرف الحدود. ومهما كان وضع الناس الأصليّ، على مستوى الحضارة والمعتقد، فالإيمان يفتح لجميع البشر ينبوع الخلاص.

شفاء الأصمّ الأخرس (٧: ٣١-٣٧)

٣١ وانصَرَفَ مِن أَراضي صور ومرَّ بِصَيدا قاصداً إِلى بَحْرِ الجَليل، ومُجتازاً أَراضِيَ المُدُنِ العَشْر.
٣٢ فجاؤوه بِأَصَمَّ مَعقودِ اللِّسان، وسأَلوه أَن يَضَعَ يدَه عليه.
٣٣ فانفَرَدَ به عنِ الجَمْع، وجعَلَ إِصبَعَيه في أُذُنَيه، ثُمَّ تَفَلَ ولَمَسَ لِسانَه.
٣٤ ورَفَعَ عَينَيْه نَحوَ السَّماءِ وتَنَهَّدَ وقالَ له: ((إِفَّتِحْ!)) أَي: انفَتِحْ.
٣٥ فانفَتَحَ مسمَعاه وانحَلَّتْ عُقدَةُ لِسانه، فَتَكَلَّمَ بِلِسانٍ طَليق.
٣٦ وأَوصاهم أَلاَّ يُخبِروا أَحَداً. فكانَ كُلَّما أَكثَرَ مِن تَوصِيَتِهم، أَكثَروا مِن إِذاعَةِ خَبَرِه.
٣٧ وكانوا يَقولونَ وَهُم في غايةِ الإِعْجاب: ((قَد أَبدَعَ في أَعمالِه كُلِّها، إِذ جَعَلَ الصُّمَّ يَسمَعون والخُرْسَ يَتَكَلَّمون!)).

فيما واصل يسوع سيره، غيَّر الاتِّجاه. فانتقل من الغرب، من بحيرة طبريَّة (صور، صيدون - لبنان الحالي) إلى الشرق (المدن العشر - الأردنّ) (آ٣١). وجاب الأرض الوثنيَّة حيث تواصلت رسالته. وكما شفى ابنة امرأة وثنيَّة، منح إحسانه لوثنيّ آخر (آ٣٢). وقد انفرد مرقس بين الإنجيليِّين الأربعة حين أورد شفاء الأصمّ الأخرس. ولكنَّ الخبر يقدِّم وجهة نظر غريبة لا بدَّ من إيضاحها. فيسوع لا يتحرك على المريض، كما طلبوا منه، عبر وضع اليد عليه. وانما اجتذب المعلم الرجل على حدة، وأخذ يلمس أعضاءه المصابة: وضع أصابعه في الأذنين، واللعاب على لسان المريض (آ٣٣). هذه الطريقة قد تصدم حساسيَّتنا المعاصرة واهتمامنا بالصحَّة. أمّا يسوع، فأخذ من طبِّ ذلك الزمان بعض الاستعمالات: الاتِّصال الجسميّ المحدَّد واللعاب -وكان يُظنُّ أنَّه ينبوع الحياة وقريب من النطق. وصلاة يسوع وتأوُّهه (تعبير عن عمل يصعب القيام به) والكلمة التي لفظها في الأراميَّة: "انفتح!"، كلّها إشارات ثمينة للدلالة على تاريخيَّة هذا الشفاء (آ٣٤). ففي قلب الأرض الوثنيَّة، تَوافق عمل يسوع مع الممارسة الطبيعيَّة في ذلك الزمان وفي ذلك المكان. وهذا النمط من التطبيب، غالبًا ما نجده في أخبار عجائب وثنيَّة في ذلك الزمان. لم يكن ذلك يُحيرِّ قراء انجيل مرقس الأوَّلين، العارفين جيدا بعوائد معاصريهم. فالنتيجة المنتظرة لأفعال المعلِّم وكلمته، لم تتأخَّر في الظهور (آ٣٥). فالأصمّ بدأ يسمع، والذي كان يتلجلج ويصطدم بالألفاظ، أخذ يتكلَّم بطلاقة وسهولة. ها قد وصلنا إلى الهدف المنشود، وكان بالامكان للخبر أن يتوقَّف هنا. إلا ان الإنجيليّ عاد من جديد إلى السرِّ المسيحانيّ (آ٣٦أ). هوذا يسوع يفرض الصمت على الذين يحيطون بالرجل الذي شُفيَ، كما سبق له أن فعل مع الأبرص (١: ٤٤) ومع والدَي الصبيَّة الميتة (٥: ٤٣). في

كلٌّ هذه الحالات، يكشف الماسيّا قدرة ملكوت الله التي تسكنه. ولكنَّه لا يريد أن تُشهَر قدرة مسيحانيَّته قبل الأوان: فقد يتوهمون حول "الماسيّا" الذي يريد ان يكون. وهذا اللقب الموافق لن يُعطى له حقيقة إلاّ بفم بطرس، وباسم التلاميذ (٨: ٣٠). ولن ينال ملء مضمونه إلاّ مع آلام يسوع وقيامته. ولكن، في الوقت الحاضر، يلاحظ مرقس علناً أنَّ المريض قد اخترق، بوعي، تعليمات يسوع في الصمت (٣٦ب). وحين كتب مرقس هذا الخبر، كانت قد انتشرت بشارةُ المسيح المخلِّص لدى الوثنيِّين، حتّى رومة. فمن المستحسن الآن أن "تُعلَن" في قلب العالم. وفي النهاية، راح الإنجيليّ يقدِّم ردَّة الفعل لدى جمهور يسوع الأوَّل (الوثنيّ)، على أنَّه اعتراف إيمانيّ رائع جدًّا (٣٧). وهكذا عُظِّم المسيح بأقوال مأخوذة من اشعيا (٣٥: ٥-٦): "جعل الصمَّ يسمعون والخرس يتكلَّمون".

تلك هي ذروة الخبر وليست مجرد مصادفة. فمرقس لا ينسى، في "مقطع الأرغفة" (وقد افتتحت في ٦: ٣٠)، الموضوع الرئيسيّ، ألا وهو سوء فهم الذين يتبعون يسوع، تلاميذه. لقد لبثوا منغلقين أمام آيات يجريها المعلِّم بكثرة. لم تُذكَر هنا، لا بل تبدو كأنَّها غائبة عن الرواية، مع أنَّها ترافق يسوع في رسالته لدى الوثنيِّين (راجع ٨: ١ي). إذًا، يحقُّ لنا أن نعتبر الرواية تمسّهم بشكل مباشر. فأولئك الذين لبثوا معاندين في صممهم وبكمهم أمام تعليم المعلِّم، هم اول من توجَّه إليهم النداء الملعلع: "انفتح!" (٣٤ب).

لقد دعا يسوعُ رفاقَه حقًّا -ومرقسُ قرَّاءه- لينفتحوا على كلام المخلِّص وعمله، وأن لا يخافوا أن "يعلنوه" في العالم.

ثاني تكثير الأرغفة (٨: ١-٩)

٨ ١ **وفي تلك الأَيَّامِ احتَشَدَ أَيضاً جَمعٌ كثير، ولَم يَكُنْ عِندَهم ما يأَكُلون، فدَعا تَلاميذَه وقالَ لَهم:**

٢ **((أُشفِقُ على هذا الجَمْع، فَإِنَّهُم مُنذُ ثَلاثَة أَيَّامٍ يُلازِمونَني، ولَيسَ عِندَهم ما يَأكُلون.**

٣ **وإِن صَرَفتُهم إِلى بُيوتِهم صائمين، خارَت قُواهم في الطَّريق، ومنهُم مَن جاءَ من مَكانٍ بَعيد)).**

٤ **فأَجابَه تَلاميذُه: ((من أَينَ لأَحدٍ أَن يُشبِعَ هؤُلاءِ من الخُبزِ ههُنا في مَكانٍ قَفْر ؟))**

٥ **فَسأَلَهم: ((كَم رَغيفاً عِندكم؟))قالوا: ((سَبعَة)).**

٦ **فأَمَرَ الجَمْعَ بالقُعود على الأَرض، ثُمَّ أَخَذَ الأَرغِفَةَ السَّبعةَ وشَكَر وكسرَها، ثُمَّ جعلَ يُناوِلُ تَلاميذَه لِيُقَدِّموها، فقَدَّموها للجَمْع.**

٧ وكانَ عندَهم بَعضُ سَمَكات صغار، فبارَكَها وأَمَرَ بتَقديمِها أَيضاً.
٨ فأَكَلوا حَتَّى شَبِعوا، ورَفَعوا مِمَّا فَضَلَ مِنَ الكِسَرِ سَبعَ سِلال.
٩ وكانوا نَحوَ أَربعَةِ آلاف. فصَرَفَهم،

نعجب حقًّا حين نجد هنا رواية جديدة عن تكثير الأرغفة، مع بنية وموضوعات شبيهة بما في الرواية الأولى (٦:٣٠-٤٤). والإشارة إلى الزمان غامضة جدًّا ("في تلك الأيّام") (آ١أ). كما لا يُشار ايضا إلى المكان. ولكن حين ننتبه إلى الموضع الذي يجري فيه هذا الحدث في الإنجيل، وإلى تفاصيل السرد، نكتشف المدلول العميق.

أوّلاً، أين نحن؟ منذ ٧:٢٤، نرى يسوع في مهمَّة لدى السكّان الوثنيِّين. توسَّلت إليه امرأة وثنيَّة، فمنحها فتاتًا من وليمة مقدَّمة إلى الشعب المختار (٧:٢٤-٣٠). ثمّ فتح أذني وفم أصمّ وأخرس في منطقة المدن العشر ، فبيَّن أنَّ خلاصه يتوجَّه إلى الوثنيِّين أيضًا. وهنا، يقدِّم للكثيرين وليمة شبيهة بتلك التي حظي بها اليهود.

أمّا التفاصيل، فبليغة جدًّا. لنقرأ البداية بتمعُّن (آ١ب-٣). في الرواية الأولى، التلاميذ هم الذين لفتوا انتباه يسوع إلى حاجات الجموع (٦:٣٥-٣٦). اما هذه المرَّة، فيسوع هو من اتَّخذ المبادرة ليطعم الذين يتبعونه. هم معه منذ "ثلاثة أيَّام" (تلميح خفي إلى فصح يسوع). وشدَّد مرقس، بشكل خاص، على أنَّ البعض "أتوا من بعيد". في البيبليا، تدلُّ هذه العبارة، بلا شكّ، على الوثنيِّين الذين اعتبرهم اليهود "بعيدين عن الله" (راجع يش ٩:٦-٩؛ اش ٦٠:٤).

كلُّ هذا يعيد إلى الذاكرة مواضيع كان قد أشار إليها أوَّلُ تكثير للأرغفة. فيسوع يقدِّم نفسه على أنَّه الراعي الصالح المهتمّ بأن يُطعم أولئك الذين آمنوا به. مقابل ذلك، نحسُّ أنَّ التلاميذ غير جديرين، كرعاة، بأن يلبُّوا طلبات قطيعهم (آ٤). فأرسلهم يسوع أوَّلاً ليبحثوا عن "الأطعمة" التي يمكن أن يجدوها في الموقع ذاته (آ٥). والمسيح هو من يجعل الجمهور المبعثر يتخذ هيئة شعب يُجمَع (آ٦أ). انه وضع الراحة المؤاتي من أجل الطعام. حينئذ يتم تسلسل الامور كما من أجل أفخارستيّا جديدة (آ٦ب). ونتعرَّف، بشكل عابر، إلى الأفعال الأربعة في الطقس الإفخارستيّ التي يقوم بها يسوع في العشاء السرِّيّ (١٤: ٢٢-٢٤): أخذ الخبز، وشكر الله على جميع حسناته، وكسرَ الخبزَ كعلامة للمقاسمة، وكلَّف التلاميذ بأن يوزِّعوا: تلك هي مهمَّتهم. ولا ينسى مرقس السمك (آ٧) الذي كان يُشوى. ففي الجليل، أرض الصيّادين، كان السمك بمثابة اللحم يقدَّم للفقراء، وهذا ليس بالشيء البسيط. إلا ان ذروة الرواية، مرَّة أخرى، تقصد الشبع التامّ الذي جُعل

للكثيرين، مع الوفرة (آ٨-٩). والأرقام المستعملة تعطي الرواية -كما سبق ورأينا- كلَّ جديدها. ففي أوَّل تكثير للأرغفة، أحالنا الرقم "اثني عشر" إلى شعب إسرائيل (٦:٤٣). وهنا الرقم "سبعة" الذي يتكرر مرَّتين (سبعة أرغفة، سبع سلال) هو رقم الوثنيِّين تقليديًّا (في اليونان، كان سبعة حكماء يتولَّون السلطة في كلِّ حاضرة). وما يُثبت هذا الانفتاح الشامل هو استعمال رقم "أربعة" في عبارة "كانوا نحو أربعة آلاف": وهي إشارة خفية إلى أربعة أقطار الكون.

وحين روى مرقس تكثير الأرغفة مرَّة ثانية، أراد أن يشدِّد على أنَّ يسوع فتح الوليمة المسيحانيَّة للغرباء عن الشعب المختار. فالوثنيُّون، مثلهم مثل اليهود، مدعوُّون إلى خيرات الخلاص. وعلى شعب الله الجديد أن يتقبَّل جميع الذين بدأوا يتبعون يسوع في الإيمان. فهو لم يأت فقط ليجمع الشعب اليهوديّ ويطعمه. وفي النهاية، وهذا ما يشدِّد عليه مرقس: بوسع الإفخارستيّا أن تشبع جوع كلِّ البشر بدون تمييز، حتّى البلوغ إلى وليمة الملكوت، حيث يُلغى كلُّ جوع وكلُّ عطش، والموت خصوصًا (راجع اش ٢٥:٦-٩).

يسوع يرفض آية تجيء من السماء (٨:١٠-١٢)

١٠ **ورَكِبَ السَّفينَةَ عندَئذٍ مَعَ تَلاميذِه، وجاءَ إِلى نواحي دَلْمانُوتا.**

١١ **فَأَقبلَ الفرِّيسيُّونَ وأَخَذوا يُجادِلونَه فطَلَبوا آيةً مِنَ السَّماءِ لِيُحرِجوه.**

١٢ **فتَنَهَّدَ من أَعماقِ نَفْسِه وقال: ((ما بالُ هذا الجيلِ يَطلُبُ آيةً ؟ الحَقَّ أَقولُ لَكم: لَن يُعْطى هَذا الجيلُ آيةً !))**

لا يتوقَّف يسوع عند معجزة تكثير الأرغفة. فمهمَّته تدعوه إلى مكان آخر، وإلى ما وراء الآيات المعطاة (آ١٠). وعبثًا سعى الشرّاح لكي يحدِّدوا موضع دلمانوثا ومنطقتها، ولكن من الأكيد أنَّ يسوع عاد إلى الضفَّة الغربيَّة لبحيرة طبريّة، إلى أرض إسرائيل.

وانطلق الجدالُ الصريح والجميل أيضًا مع الفرِّيسيِّين. ولكن، في كلِّ مرَّة يلتقي بهم يسوع، يتولَّد الخلاف معهم. في المرَّة الأخيرة، كان ذلك بمناسبة تقاليدهم الشفهيَّة (٧: ١-١٣)؛ وفي هذه المرَّة، بشأن عجائبه (آ١١ب). اما خلفيَّة المشهد، فبيبليَّةٌ واضحة. في برِّيَّة الخروج، ما فتئ بنو إسرائيل "يجرِّبون الله" طالبين منه معجزة أكبر من معجزة (راجع خر ١٦:١-٣٦؛ عد ١٤:١-٣٨). وراح الفرِّيسيُّون يجرِّبون يسوع بشكل مشابه. أرادوا أن يروه يُنتج آيات تأتي من الله فتبيِّن، بلا التباس، الطابعَ الإلهيّ لعمله ولشخصه. رفض يسوع كلِّيًّا أن يُجري أعمالاً تظاهرية خارقة. لنتذكَّر هنا موقفه في

التجارب التي عرضها إبليس (متى ٤: ١-١١). لا شكَّ أنَّه أكثرَ من المعجزات، من طرد شياطين وشفاءات، ولكنَّه لم يشأ يومًا أن يعطيها شكل دعاية كريهة. فهو يعلم أنَّ عجائبه يرافقها خطر سَجْن العقول في ماديَّتها، بدلاً من أن "تكون علامة" تجتذب القلوب نحو عطاء روحيّ في جوهره. وآية تكثير الأرغفة ذاتها -مع أنَّها عظيمة- لم تهدف إلى إثارة دهشة المستفيدين منها، بل إلى شهادة بشأن السخاء في عطيَّة الله. ولهذا اغتاظ يسوع! (آ١٢أ). نادرًا ما بدا انزعاجه واضحًا كما ظهر في هذا التأوُّه العميق. وسؤاله الذي جاء بشكل اتِّهام، التقى مع شكوى الله المتواصلة تجاه بني إسرائيل "هذا الجيل الخائن" (مز ٩٥: ١٠). لقد عرف الماسيّا عدم إيمان الشعب اليهوديّ عبر قادته الرسميِّين. فهو لن يعمل أيَّة آية (آ١٢ب).فما أُعلن هنا بشكل احتفاليّ ليس نهاية العجائب، بل وضْع حدٍّ لاعتدادات الكبرياء في العقل البشريّ. فعلى التلاميذ والذين تبعوا يسوع في الإيمان أن يستخرجوا الدرس.

عدم الفهم عند التلاميذ (٨: ١٣-٢١)

١٣ **ثُمَّ تَرَكَهم وعادَ إلى السَّفينَة فرَكِبَها وانصَرَفَ إلى الشَّاطِئِ المُقابِل.**

١٤ **فنَسِيَ التَّلاميذُ أَن يأخُذوا خُبزاً ولَم يَكُنْ عندَهم في السَّفينَة سوى رَغيفٍ واحد.**

١٥ **وأَخذَ يَسوعُ يُوصيهم فيقول: ((تَبَصَّروا واحذَروا خَميرَ الفِرِّيسِيِّين وخَميرَ هيرودُس !))**

١٦ **فجعَلوا يتجادَلونَ لأَنَّه لا خُبزَ عندَهم.**

١٧ **فشَعَرَ يسوعُ بأَمرِهم فقالَ لَهم: ((ما بالُكم تَتَجادَلونَ لأَنَّه لا خُبزَ عِندكم ؟ أَلَم تُدرِكوا حتَّى الآنَ وتَفهَموا ؟ أَلَكم قُلوبٌ قاسيَة ؟**

١٨ **أَلَكم عُيونٌ ولا تُبصرون، وآذانٌ ولا تَسمَعون ؟ أَلا تَذكُرونَ،**

١٩ **إذ كَسَرتُ الأَرغِفَةَ الخَمسَةَ لِلخَمسَةِ الآلاف، كَم قُفَّةً مَملوءةً كِسَراً رَفَعتُم ؟((قالوا لَه: ((اثنَتَي عَشْرَةَ)),**

٢٠ **((وإذ كَسَرْتُ الأَرغِفَةَ السَّبعَةَ لِلأَربعَةِ الآلاف، كَم سَلَّةً مِنَ الكِسَرِ رَفَعتُم ؟)) قالوا: ((سَبعاً)).**

٢١ **فقالَ لَهم: ((أَلَم تَفهَموا حتَّى الآن؟)).**

ترك يسوع الفرِّيسيِّين عند طلباتهم المفرطة (آ١٣)، عبر حركة هي عينها دومًا: لا يدع المعلِّم أيّة مجموعة تتمكن منه. فرسالته المتجوِّلة هي فوق كلِّ شيء. وها إن حدثًا عاديًا يتيح له أن يكمِّل تنشئة أصدقائه (آ١٤). هنا أيضًا نجد موضوع الخبز. واستفاد منه مرقس ليوضح تعليم يسوع، مع اعتبار الفجوة التي تتوسع شيئًا فشيئًا بسبب عدم الفهم

لدى التلاميذ (آ١٥). ففي العالم اليهوديّ، "تأتي الخميرة"، هذا المخمِّر الفاعل، رمزًا للفساد. ويسوع الذي تخلّص من فخِّ الفرِّيسيِّين، يتمنّى أن يرى أصدقاءه الأخصّاء متسلحين بوجه مشاريعهم الماكرة.

ولكنَّ التلاميذ لم يفهموا، وهم الملتصقون بالأرض، والمهتمُّون ببعض النقص في الخبز (آ١٦). أيّة هوَّة بين اهتماماتهم المادِّيَّة والنظرات الروحيَّة التي يريد يسوع أن يحملها إليهم (آ١٧-١٨). فليست هي المرَّة الأولى التي يوبِّخ فيها أصدقاءه على عدم إيمانهم (راجع ٦: ٥٢). ولكنْ هذه المرَّة، طفح الكيل، وجاء التوبيخ لاذعًا. والألفاظ التي استعملها تذكِّرنا بتشكّي الله من شعبه ذي "القلب القاسي". ولم يتردد مرقس في أن يضع على شفتي يسوع الاتِّهام القاسي الذي كان الأنبياء يلومون به بني إسرائيل: "لهم عيون ولا يرون، لهم آذان ولا يسمعون" (إر ٥: ٢١). ونتذكّر أنَّ هذا الرجوع إلى الكتاب المقدَّس يشجُب عند اليهود قلّة الإيمان بسر يسوع. (يُستعمل لش ٦:٩-١٠ في هذا المعنى في مر ٤:١٢).

يبدو الإنجيليّ وكأنَّه تشنج بموضوع التلاميذ العميان والصمّ أمام عمق كلمة يسوع وعمله. وهنا يصل هذا التشنج إلى ذروته. وينكبُّ يسوع فيلحُّ إلحاحًا غير عاديّ، لكي يحرِّك أولئك الذين يتبعونه في الإيمان. فيذكِّرهم دومًا بأهمِّيَّة الآيات التي أعطاهم اياها عن عمله المسيحانيّ. فكيف استطاعوا سريعًا أن ينسوا تكثير الأرغفة مرَّتين، وأن لا يميزوا مدلولهما العميق (آ١٨-٢١)؟

في "مقطع الأرغفة" الذي يجد هنا نهايته (٦: ٣١-٨: ٢١)، بذل مرقس كلَّ جهده لكي تُطرح بوضوح هويَّةُ يسوع العميقة. والمسيح اقتاد تلاميذه، بشكل واسع، لكي يستشفُّوا وجهه. فلقد كشف لهم، بشكل تام، عن إمكانيّاته بأن يجمع ويُقيت، في الإيمان، شعب الله الذي تجدد باستقبال الوثنيِّين. إلى متى ستبقى آذانهم بعدُ صمّاء عن سماع رسالة هذا الخلاص الشامل؟

شفاء أعمى بيت صيدا (٨: ٢٢-٢٦)

٢٢ ووصلوا إلى بَيتَ صَيدا فأَتَوه بأَعمى، وسأَلوهُ أَن يَضَعَ يَدَيه علَيه.
٢٣ فأَخَذَ بيَدِ الأَعمى، وقادَه إِلى خارِجِ القَريَة، ثُمَّ تَفَلَ في عَينَيه، ووضَعَ يَدَيهِ علَيه وسأَلَه: ((أَتُبصِرُ شَيئاً ؟))
٢٤ ففَتَحَ عَينَيه وقال: ((أُبصِرُ النَّاسَ فَأَراهُم كَأَنَّهم أَشجارٌ وهم يَمْشون)).
٢٥ فوَضَعَ يَدَيه ثانيَةً على عَينَيه، فأَبصَرَ وعادَ صَحيحاً يَرى كُلَّ شيءٍ واضِحاً.
٢٦ فأَرسَلَه إِلى بَيتِهِ وقالَ له: ((حتَّى القَريَةُ لا تَدخُلْها)).

العبور الذي قاموا به (في ٨: ١٣) أوصلهم إلى بيت صيدا، شرقيّ نهر الأردنّ (آ٢٢أ). انها رسالة يسوع الثالثة في أرض وثنيَّة. الأولى اقتادته إلى المدن العشر، فكانت قصيرة (٥:١-٢٠). والثانية، إلى منطقة صور، وكانت أطول (٧:٢٤-٨:٩). وهذه التي تبدأ الآن ليس لها نهاية محدَّدة بدقّة.

وضع مرقس هنا خبرًا خاصًّا اتخذ له اطاراً خاصاً جداً في هذا الموضع: لقد أتوا إلى يسوع بأعمى لكي يلمسه (آ٢٢ب-٢٣أ). الظروف هي هي، كما بالنسبة إلى شفاء الأصمّ الأبكم (٧:٣١-٣٧). بدأ يسوع بأخذ المريض على حدة، بعيدًا عن الدعاية والضجيج. وكما في السابق، وبحسب الشافين في ذلك الزمان، استعمل قوَّة اللعاب الشافية، وأضاف وضع الأيدي (آ٢٣ب).

ولكن، ما هو غريب بشكل خاصّ، هو أنَّ المعلّم أجرى هذا الشفاء على مرحلتين. في اتِّصال أوَّل من الاعمى مع الشافي، فتح الأعمى عينيه واسعتين، ولكنَّ نظره لبث مشوَّشًا، إذ حسب الناسَ أشجارًا تتحرَّك (آ٢٤). وكرر يسوع حركته، فنجح هذه المرَّة (آ٢٥).

مثل هذه المعجزة حيث اضطر يسوع أن يتدخل مرَّتين لكي ينجح الشفاء، أمرٌ فريد في كلّ الأناجيل، ومدلوله الرمزيّ لا غبار عليه. ففي العبور الذي قام به مع تلاميذه، دعاهم يسوع عميانًا بكلّ معنى الكلمة (٨:١٧-١٨). وقد طال عماهم -كما بيَّنّا- شخص يسوع ورسالته. والحدث الحالي يعكس الصعوبة التي لاقاها التلاميذ لكي يتعرَّفوا على هويَّة معلّمهم العميقة وعلى عمله المسيحانيّ. كما يشهد على بطء الناس في البلوغ إلى إيمان لا لُبس فيه. لهذا بدت مثل هذه المسيرة ضروريَّة.

ليس من قبيل الصدفة إن كان هذا الخبر قد سبق مباشرة مشهد اعتراف بطرس الإيمانيّ (٨:٢٧-٣٠). فقد احتاج يسوع إلى كثير من الصبر لكي يتقبَّل مسيرة تلاميذه الطويلة نحو الإقرار بصفته المسيح. فبشكل تدريجيّ جدًّا، قبل هؤلاء الرجال بأن تنفتح عيونهم، بل -وهذا ما سوف نلاحظه- لن يتوصل بطرس إلا إلى اكتشاف ناقص، باسم الاثني عشر حين أعلن ليسوع: "أنت هو المسيح". فيجب أن ننتظر بعد طويلاً قبل أن يبلغ التلاميذ -بصوت فريد لوثنيٍّ مهتد غير مسمّى- إلى نظرة تامَّة واضحة لسرِّ المعلّم: "في الحقيقة، كان هذا الرجل "ابن الله" (١٥:٣٩).

إنَّ شفاء أعمى بيت صيدا في هذا الموضع من السرد الإنجيليّ، انما يقدِّم بلاغ الرجاء هذا. فمن أخذ يتبع يسوع، تكون الطريق إلى الإيمان مليئة أمامه بالفخاخ. ولكنَّ الثبات، سيكون له أجره. فيسوع نفسه يهبّ إلى المساعدة، "لينير" أولئك الذين يسعون لكي يروه. ولكنْ هذا لا يمنع أن ينتهي المشهد، كما هو معلوم، بفرْض السرِّ المسيحاني (آ٢٦).

المحطّة الرابعة

من إعلان بطرس إلى إنباءات الآلام المتكرِّرة

(٨: ٢٧-١٠: ٥٢)

تركّزت المحطّات السابقة كلُّها على تنشئة التلاميذ، فوجدت هنا النتيجة الرئيسيَّة. للمرَّة الأولى توصَّل الاثنا عشر الى الاعتراف بشكل واضح وصافٍ بأنَّ يسوع هو "المسيح".

- **اعتراف الإيمان عند بطرس** وعند أصدقائه، هو منعطف هامّ (٨:٢٧-٣٠)

لقد اجتاز التلاميذ العتبة، ولا رجوع إلى الوراء. ولكنَّ يسوع اجتذبهم في الحال إلى تعميق إيمانهم. ففي شكل متكرِّر ومتسارع، أفهمهم يسوع أي نموذج للمسيح يختصه: مسيح متألّم وخادم الجميع. وتأتي ثلاثة إنباءات بالآلام -تعليم "جديد"- لتندرج في هذه الصفحات (٨:٣١؛ ٩:٣١؛ ١٠: ٣٣-٣٤). انها تحيِّرُ كلِّيًّا مجموعة الاثني عشر، كما تُحيّر، من خلالهم، أولئك الذين يقولون إنَّهم مسيحيُّون.

تجري أمامنا، إذن، ثلاث متتاليات في مخطط مماثل:

١- أعلن يسوع أنَّ عليه أن يمرَّ في العذاب والموت.
٢- تمرُّد التلاميذ أمام هذا المنظور المعتم.
٣- يسوع يعطيهم نصائح مفيدة لكي يتبعوه في طريق - صعبة - هي طريق الاتِّضاع والخدمة التامَّة.

تدشِّن **متتالية أولى** (٨:٣١-٩:٢٩) هذا التعليم الجديد، وتبدأ بـ:

- **الإنباء الأوَّل بالآلام والقيامة** (٨:٣١-٣٣)

وعدم الفهم لدى بطرس يدفع المعلِّم إلى ان يحدِّد طريقة الحياة التي يجب على التلاميذ أن يتبنوها إذا أرادوا أن يتبعوه بأمانة:

- **اتباع يسوع وبذل الحياة في سبيله** (٨:٣٤-٩:١)

ثمَّ أعطى يسوع عربون رجاء هامّ للذين يقلقهم الشرُّ والموت:

- **التجلّي** (٩:٢-٨)

- **الحوار حول إيليّا** (٩:٩-١٣)
- **شفاء مصروع** (٩:١٤-٢٩)

وتأتي **المتتالية الثانية** (٩:٣٠-١٠:٣١) لتسند المتتالية الأولى. وتبدأ بـ:

- **الإنباء الثاني بالآلام** (٩:٣٠-١٠-٣١)

وبدأ يسوع -مع تلاميذه وحدهم- صعوده إلى أورشليم، سائرًا نحو مصير العذاب الذي ينتظره. هوذا تلاميذه مترددّون، أكثر من أيٍّ وقت مضى، للدخول في منظار معلّمهم. واستفاد يسوع من المسيرة الطويلة التي أعطيَتْ له لكي يُدخل تلاميذه في الطريقة الوحيدة التي بها يتبعونه حقًا:

- **كيف يتبعون يسوع: الطفل** (٩: ٣٣-٣٧)
- **تعليمات إلى الجماعة المسيحيَّة** (٩: ٣٨-٥٠)

ندرك هنا، بشكل أوضح ممّا في موضع آخر، مجهود التفكير الذي قامت به الكنيسة الأولى لتتعمَّق في أقوال يسوع. فجاءت سلسلةٌ من المسائل الحياتيَّة (الزواج، استقبال المبعَدين، عوائق الغنى) موسَّعة في الأخبار التالية:

- **مسألة الطلاق** (١٠:١-١٢)
- **يسوع والأطفال** (١٠:١٣-١٦)
- **دعوة الرجل الغنيّ** (١٠:١٧-٢٢)
- **ملكوت الله والأموال** (١٠:٢٣-٣١)

واستعادت **متتالية ثالثة** (١٠:٣٢-٤٥) الأمثولة الأساسيَّة في هذه المحطَّة:

- **الإنباء الثالث بالآلام** (١٠:٣٢-٣٤)

ويتبع هذا الإنباء، كما تبع الإنباءين الآخرين، عدم فهم حادّ لدى التلاميذ. ويأتي التعبير عنه عبْرَ:

- **طلب ابنَيْ زبدى** (١٠:٣٥-٤٥)

انها مناسبة ليسوع لكي يعطي المعنى العميق لحياته ولموته: خلاص البشر جميعًا.

وتنتهي هذه المحطَّة بخبر رائع:

- **أعمى أريحا** (١٠:٤٦-٥٢). جعل مرقس من هذا الرجل نموذج "التلميذ الحقيقيّ"، فأرانا إيَّاه، وقد شُفيَ من عماه بواسطة الايمان، واضعا خطاه على خطى يسوع، عبر مسيرة باتِّجاه أورشليم، موضع الأحداث الخلاصيَّة.

اعتراف الايمان لدى بطرس (٨:٢٧-٣٠)

٢٧ وذَهبَ يسوعُ وتَلاميذُه إِلى قُرى قَيصَرِيَّةِ فيلُبُّس، فسألَ في الطَّريقِ تَلاميذَه: ((مَن أَنا في قَولِ النَّاس ؟))

٢٨ فأَجابوه: ((يوحَنَّا المَعمَدان. وبَعضُهم يقول: إِيليَّا، وبَعضُهمُ الآخَرُ: أَحَدُ الأَنبياء)).

٢٩ فسأَلَهم: ((ومَن أَنا، في قولِكم أَنتُم ؟)) فأَجابَ بُطرس: ((أَنتَ المسيح)).

٣٠ فنَهاهُم أَن يُخبِروا أَحَداً بِأَمرِه.

اجتذب يسوع تلاميذه إلى المدى الواسع (آ٢٧أ). نظرة بسيطة نلقيها على خارطة فلسطين القديمة تعرِّفنا أنَّ قيصريَّة فيلبُّس موجودة في أقصى الشمال من البلاد، عند منابع الأردنّ، وسفح جبل حرمون. هي منطقة منعزلة، في قلب الأرض الوثنيَّة.

واستفاد المعلِّم من هذه الطريق الطويلة التي أعطي له أن يسير فيها مع تلاميذه، ليكتشف رأيهم فيه (آ٢٧ب). والألفاظ المستعملة، قد استُعملت عمدًا. فحين نسير مع يسوع وندعه يسألنا، نستطيع أن نلتقي وجهه الحقيقيّ بشكل أفضل. وكان السؤال الأوَّل: "من أنا في رأي الناس؟" (آ٢٧ج). ونجدنا بازاء استقصاء آراء حقيقيّ. يجب أن يُعرَف أوَّلاً ما يفكِّر الجمهور العريض بشخص المعلِّم. انه اختبار مهمّ ذو ايحاء. لقد سبق لمرقس ان رفع الحجاب عن الأفكار التي كانت شائعة في الشعب اليهوديّ، من القاعدة إلى القمَّة (راجع ٦:١٤-١٦). فمن الجموع المجهولة الهوية إلى شخص هيرودس أنتيباس نفسه، كانت تعابير عن آراء مشابهة لتلك التي تلتقط الآن من فم التلاميذ. في نظر البعض، يسوع يماثل يوحنّا المعمدان أو إيليّا، وفي نظر البعض الآخر، واحدًا من الأنبياء القدماء (آ٢٨). هذه النظرة الشعبيَّة هامَّة، لأنَّها تجعل من المعلِّم رسولاً من لدن الله. ولكنَّها لا زالت مشوَّشة، مثل نظرة أعمى بيت صيدا في بداية شفائه (راجع ٨:٢٣أ-٢٤أ). أن يروا في يسوع نبيًّا عظيمًا، فذلك أمرٌ له قيمته: انها خطوة أولى في طريق الإيمان. ولكنَّ هذا أقلّ من الحقيقة بكثير. لهذا حرَّك يسوع المحيطين به لكي يعطوا رأيهم بشكل واضح حول شخصه (آ٢٩أ).

هذا السؤال المطروح على التلاميذ في هذا الوقت المحدَّد، هو في غاية الاهمية. فمنذ أشهر -وربَّما منذ سنة أو سنتين- تبع هؤلاء الرجالُ يسوع في تعليمه وفي حياته وأفعاله. وساروا بجانبه مسيرة لم تكن فقط جغرافية، بل روحيَّة. والساعةُ باتت مؤاتية للمعلِّم ليُنعم النظر في تنشئة تربية الإيمان الطويلة هذه. ويحقُّ لنا تماما أن نتساءل إن كان

أصدقاء يسوع ما زالوا منغلقين في هذا "العمى" الذي شجب استمراره الاليم (٨:١٧-١٨)؟ هل أدركوا بوضوح هويَّته الحقيقيَّة؟

وصدح جوابُ بطرس مثل برق لامع في سماء مظلمة (آ٢٩ب). وها نحن، أخيرًا، ازاء اعتراف إيمان لا لُبس فيه. فالتلاميذ بيَّنوا، بفم المتقدّم بينهم، أنَّهم توصَّلوا بالتالي إلى رؤية هوية يسوع الدقيقة: "المسيح". أي المرسل الخاصّ من لدن الله -ذاك الذي "كرَّسه" بكلّ معنى الكلمة- لكي يقيم ملكه على الأرض بشكل حاسم.

جعل مرقس هنا ذروة القسم الأوَّل من إنجيله. فمنذ بداية مؤلَّفه، ما فتئ يرينا يسوع بصفته ذاك الذي، عبر أقواله وأفعاله، يطرح هذا السؤال: "من هو هذا الرجل؟" لقد تقدَّمت أصواتٌ فائقة الطبيعة (الشياطين) بالجواب الصحيح (١:٢٤؛ ٣:١١؛ إلخ...)؛ أمّا الناس، فلبثوا دونه. لقد اتَّخذ المسيح المنتظر، في الفكر اليهوديّ المعاصر، وجه محرِّرٍ سياسيّ أكثر منه دينيّ. وكان عليه، قبل كلّ شيء، أن يوطد حقوق الله، طاردًا المحتلّ الرومانيّ خارج حدود مملكة داود. وكان مزمعًا ان يحمل معه وفرة الخيرات الاقتصاديَّة، ونهاية كلّ الأمراض. وهكذا يكون بطلاً بشريًّا كبيرًا (راجع متى ٤:١-١١). وكما رأينا، كان يترتب على يسوع ذاته، بسبب معجزاته وانتصاراته على الشرّ والموت، أن يحدّ من الآمال الكاذبة التي وُضعت في شخصه. كما وجب عليه دومًا أن يميل بسامعيه عن تلك الصورة الخاطئة بماسيّا بشريّ يعيد إلى إسرائيل "الفردوس المفقود".

ودعم مرقس موقف المعلِّم المتحفِّظ ازاء انتظارات بشريَّة مفرطة. فلقد لعب كلّيًّا لعبة "السرّ المسيحانيّ". ولا ينبغي أن نعجب حين نراه هنا أيضًا يلجأ اليها (آ٣٠). انها الاوامر بالصمت التي فرضها يسوع على الشياطين (١:٢٥، ٤٣-٤٤)، وعلى المرضى الذين شفاهم (٥:٤٣؛ ٧:٣٦). وهي تفرض نفسها على التلاميذ أنفسهم. والسبب بسيطٌ جدًّا. وتتمة الخبر وحدها ستتيح للتلاميذ -وللقرّاء الذين يمثّلونهم- بأن يكوِّنوا فكرة صحيحة عن "الماسيّا" الذي هو يسوع. وآلام المعلِّم وقيامته وحدها، ستقدِّم للذين تبعوه حتّى الآن، وسيلة بها يدركون كلّ حقيقة سرّ شخصه ورسالته.

ولكنَّنا، مع إعلان بطرس الإيمانيّ الحالي، تجاوزنا ولا شك عتبة لا رجوع عنها. فيسوع الناصريّ لا يمكن أن يُحصَر في صورة عاديَّة نرسمها عنه: رجل مثل سائر الرجال (راجع ٦:٣). كما لا يمكن أن نحصره في وجه ذاك الشافي الشهير، صاحب المواهب المدهشة (راجع ٣:٧-١١). فضلاً عن ان المعلِّم لا يتماهى مع وجه "النبيّ" الذي يعكسه هو ذاته (راجع ٦:٤-٦). ان فيه أكثر من نبيّ: إنَّه "المسيح" بالذات (تفسير الكلمة العبريَّة: م ش ي ح : مشيح)

ويكون إيمانُ بطرس -وقد لعب هنا دور التلميذ النموذج- هو إيمان الكنيسة الأولى. فيسوع "المسيح" سوف يُعلَن بعد قيامته، بصفته ذاك الذي ينال به الخلاص جميعُ البشر -يهودًا كانوا أم وثنيِّين- أي نجاة جذريّة من شرورهم القاتلة، بحيث يستطيعون منذ الآن أن يكوِّنوا "انسانية جديدة" (أف ٢: ١٣-٢٢).

الانباء الاوّل بالآلام والقيامة (٨: ٣١-٣٣)

٣١ **وبَدأَ يُعَلِّمُهم أَنَّ ابنَ الإنسان يَجبُ علَيه أَن يُعانيَ آلاماً شديدة، وأَن يرْذُلَه الشُّيوخُ وعُظماءُ الكَهَنَة والكَتَبَة، وأَنَ يُقتَل، وأَن يقومَ بَعدَ ثَلاثة أَيَّام.**

٣٢ **وكانَ يقولُ هذا الكلامَ صَراحةً. فانفَرَدَ بِه بُطرُس وجَعَلَ يُعاتِبُه.**

٣٣ **فالتَفَتَ فَرأَى تَلاميذَه فزَجَرَ بُطرسَ قال: ((إِنسَحِبْ ! وَرائي ! يا شَيطان، لأَنَّ أَفكارَكَ لَيسَت أَفكارَ الله، بل أَفكارُ البَشَر)).**

إن ما يبدأ الآن ليس ملحقًا بسيطًا يُطلعنا على يسوع وتلاميذه. انه تعليم حقيقيّ يشكِّل بداية جديدة. فالظرفُ مؤات، والتلاميذ، وعلى رأسهم بطرس، شخَّصوا المسيح في معلِّمهم (٨: ٢٩). وسيتيح لهم هذا الاكتشاف الذي توصَّلوا إليه حديثًا بأن يرتاحوا بعض الشيء.

ولكنَّ قرار يسوع كان غير هذا. لقد بدأ يكلِّمهم عن نفسه، كونه مسيحاً ينبغي أن يموت (آ٣١أ). فلقد اختار كلماته بدقَّة. والغريب أنَّ المعلِّم لا يكرر لقب "المسيح" الذي أعطيَ له الآن، إذ لبث ملتبَسًا في العقول، وحاملاً نظرات بشريَّة، هي سياسيَّة أكثر منها دينيَّة. وهكذا استخدم عمدًا، من جديد، التسمية الشهيرة "ابن الإنسان" التي نسبها لنفسه منذ البداية (راجع ٢: ١٠؛ إلخ...). انها تشير إلى شخص التزم التزامًا عميقًا سرَّ الله ومخطَّطه الخلاصيّ في العالم (دا ٧: ١٣-١٤). ولكنَّ الجديد هو أنَّ هذا الإنسان المُعَدَّ ليحقِّق انتصار ملكوت الله على الشرّ، ينبغي عليه أن يتألَّم ويموت. ونلاحظ أنَّ هذا المصير لن يكون حادثًا تافهًا من التاريخ، ولا نتيجة حتميَّة غامضة. فالفعل البسيط "ينبغي"، يريد أن يُدرج، بشكل خفي، آلام المسيح وموته في مخطَّط الله الذي لا يُسبَر، من أجل خلاص البشر (راجع لو ٢٤: ٢٥-٢٧).

إذًا وضع يسوع تلاميذه أمام سرٍّ يتجاوزهم، فحدَّثهم عن موته الذي لا مناص منه. واوضح لهم، في الوقت ذاته، بعض الشيء عن هذا الموت. سيأتي على يد أناس

خطأة، ويتَّخذ شكل استبعاد من الجماعة اليهوديَّة، بفعل السلطات الدينيَّة في الشعب المختار (آ٣١ب). ويعلن يسوع بشكل خاصّ أنَّه يموت موتًا عنيفًا: يقتلونه (آ٣١ج). كل هذا، في نظر الأفكار المسيحانيَّة في ذلك العصر، لا يمكن تصوُّره. ففي الفكر اليهوديّ في ذلك الوقت، لا يمكن للمسيح أن يعرف الألم، وبالاكثر، الموت. إنَّه كائن خارق -أنَّه من عالم الميتولوجيّا- يجعله الله يفلت من مصير البشر العاديِّين. فلقد انتظروه في خطِّ عودة إيليّا، ذاك الوجه النبويّ ذي المصير الأسطوريّ: خُطف إلى السماء بيد الله دون أن يمرَّ بالموت (٢ مل ٢:١-٨؛ مر ٦:١٥؛ ٨:٢٨). هذا النمط من الانتظار، يقول لنا الكثير عن ماسيّا مثاليّ أسطوريّ، لا يخضع للشرائع القهرية في البشريَّة، بينما يندرج يسوع في تعارض مع الإسطورة. لا شكَّ أنَّ يسوع أضاف إلى إنباء موته موضوع الرجاء: قيامته (آ٣١ج). ولكنَّ هذا الوعد لا يمكن أن يُسمع الآن إلاَّ بشكل غامض جدًّا. في أيِّ حال، هذا الإنباء الأوَّل بموته - موت عنيف - صفع التلاميذ صفعًا. وشدَّد مرقس على طابع كلام يسوع الطوعيّ والواضح جدًّا (آ٣٢أ).

اختُتم القسمُ الأوَّل من الإنجيل (١:١-٨:٣٠) حيث جاء الكلام عابراً عن موت المعلِّم، مع الإشارة إلى مؤامرة ممكنة من قبل خصومه (٦:٣). والآن كَشف يسوعُ المصيرَ الذي ينتظره وسيكون ذلك صدمة عميقة للتلاميذ. ونتبين ذلك لدى احتجاج المتقدم بينهم (آ٣٢ب). فرئيس الاثني عشر، ذاك الذي، قبل قليل، أعلن إيمانهم بالمسيح، يثور بكلِّ قواه. بل يمضي إلى لوم المعلِّم: كيف يمكن أن نتبع إنسانًا يسير إلى هلاكه وهو عالم بذلك؟ هنا يتعرض إيماننا للخطر!

أمّا يسوع، فلا يشاء ان يترك تلاميذه في سراب كاذب بشأن مصيره. فالمشهد هو ذو حيوية مدهشة، وكأنَّه صُوِّر على الفور (آ٣٣أ). وكأننا نرى ما حصل. كان يسوع، بحسب تقليد الرابِّينيِّين في ذلك العصر، يمشي أمام تلاميذه وهم يتبعونه، على بُعد بضع خطوات وراءه. التفت المعلِّم، إذن، نصف التفاتة، وأدار وجهه ليكلِّم بطرس ورفاقه. والكلمات التي تلفَّظ بها حينذاك قاسيةٌ جدًّا (آ٣٣ب). انه امر قاطع: على التلميذ أن يتخذ بسرعة موضعه كتلميذ: خلف المعلِّم. ليس عليه أن يحلَّ محلَّ يسوع الذي وحده يعرف الطريق الواجب اتِّباعها. ولم يتردَّد يسوع من أن يصف المتقدّم بين أصدقائه بـ "شيطان". فشيطان يعني حرفيًّا في العبريَّة: "الخصم"، ذاك الذي يدفع الناس لكي يتهرَّبوا من مشيئة الله. كشف يسوع عن شخصيته هنا، في شخص بطرس، المجرِّب، الذي وقف في وجهه في بدء رسالته (راجع ١:١٢-١٣).

لحظة دراماتيكيَّة. فبطرس في حركة احتجاج مندفعة، اكتفى بأن يعبِّر عن أمل بشريّ محضّ يسكن الشعب اليهوديّ في ذاك العصر: مجيء ماسيّا منتصر ليس بوسع الألم والموت ان ينالا منه. فوجب على يسوع، لاعادة التلاميذ إلى الطريق المستقيم، أن يدمِّر هذا الحلم الجنونيّ لديهم: انه فكر البشر، لا فكر الله! (آ٣٣ج).

هناك هوَّة تفصل مخطَّط الله عن النظريات البشريَّة. ويتطلَّب "عثار" موت الماسيّا زمانًا طويلاً لكي يتجاوزه البشر. وحين كتب مرقس هذا المقطع، كانت الكنيسة الأولى ما زالت تصطدم بحجر العثار هذا، عثار البلاغ المسيحيّ: "نحن نعلن مسيحًا مصلوبًا، عثارًا لليهود وجهالة للأمم" (١ قور ١:٢٣).

وهكذا نفهم لماذا خصَّص مرقس كلَّ القسم الثاني من إنجيله (٨:٣١-١٦:٢٠) ليُقنع قرّاءه بهذه النظرة الجوهريَّة في الإيمان المسيحيّ: أراد الله من مسيحه أن يلتصق كلَّ الالتصاق بالوضع البشريّ، بما فيه الألم والموت، قبل أن يعطيه، بقيامته، سلطان الدّيّان ومخلِّص المسكونة، العائد إليه، في نهاية الأزمنة.

اتباع يسوع وبذل الذات في سبيله (٨:٣٤- ٩:١)

٣٤ **ودَعا الجَمعَ وتَلاميذَه وقالَ لهم: ((مَن أَرادَ أَن يَتبَعَني، فَلْيَزْهَدْ في نَفْسِه ويَحمِلْ صَليبَه ويَتبَعْني.**

٣٥ **لأَنَّ الَّذي يُريدُ أَن يُخَلِّصَ حَياتَه يَفقِدُها، وأَمَّا الَّذي يَفقِدُ حَياتَه في سَبيلي وسَبيلِ البِشارَة فإِنَّه يُخَلِّصُها.**

٣٦ **فماذا يَنفَعُ الإِنسانَ لو رَبِحَ العالَمَ كُلَّه وخَسِرَ نَفْسَه ؟**

٣٧ **وماذا يُعطي الإِنسانُ بدلاً لنَفسِه ؟**

٣٨ **لأَنَّ مَن يَستَحْيي بي وبِكَلامي في هذا الجيلِ الفاسِقِ الخاطِئ يَستَحْيي به ابنُ الإِنسان، متى جاءَ في مَجدِ أَبيه ومعَه المَلائكَةُ الأَطهار)).**

٩ ١ **وقالَ لَهم: ((الحَقَّ أَقولُ لَكُم: في جُملَةِ الحاضِرينَ ههُنا مَن لا يَذوقونَ المَوت، حتَّى يُشاهِدوا مَلكوتَ اللهِ آتِياً بِقُوَّة)).**

دعا يسوع الجموع لكي ينضمُّوا إلى التلاميذ (آ٣٤أ). هل ترى نسي مرقس أنَّ المعلِّم هو في أرض وثنية، محاطًا بتلاميذه وحدهم؟ (راجع ٨:٢٧). هذا احتمالٌ ضعيف. وإذا ضمَّ مرقس هنا "الجمع" إلى حلقة أصدقاء يسوع الضيِّقة، فلأنَّه يعتقد أنَّ "التعليم

الجديد" للمعلّم حول ضرورة موته، يعني قرّاءه بشكل عامّ. لقد استفاد الإنجيليّ من الإنباء الأوّل بآلام يسوع (٨:٣١) لكي يُدرج الآن "تعليمًا" ظرفيًّا حول الطريقة التي بها يُدعى المسيحيُّون إلى ان يتبعوا معلّمهم (آ٣٤ب). هذه الدعوة هي صعبة لمن يسمعها. والألفاظ المستعملة هي مدهشة في هذا الموضع من الإنجيل! إنّ الصليب هو العذاب الذي يسومه الرومان ليسوع. وفي الوقت الذي نحن فيه، لا يتكهن يسوع أنّه سيموت هذه الميتة. أمّا مرقس، فدوّن هذا الإرشاد بعد صلب يسوع بخمس وثلاثين سنة أو أربعين. ذلك ان "حمل الصليب" لاتبّاعه، اتّخذ معنى عميقًا جداً. فالكنيسة التي في رومة غائصة في الاضطهاد. والاستشهاد -وبالتحديد طريق الصليب- هو على ابواب المسيحيِّين المضطهَدين. فما عليهم أن يرتعبوا إذا اقتيدوا إلى موت يشبه موت المسيح. والتخلّي التامّ عن الذات، بوسعه أن يُطلَب من أيِّ إنسان يريد حقًّا أن يضع خطاه في خطى المسيح.

والسبب الذي أعطاه يسوع يشكّل مفارقة مشهورة (آ٣٥): من رفض أن يعطي حياته من أجل المسيح -من أجل قضيَّة الإنجيل- يكون قد خسرها خسارة تامَّة. و"الخلاص"، بالنسبة إلى كلٍّ واحد، لا يقوم في ان ينجو الإنسان بحياته. لذا شدَّد مرقس على هذه النقطة (آ٣٦-٣٧). فالحياة البشريَّة أثمن من كلٍّ ما في العالم. إذًا يهمُّنا أن نخلّصها "مهما كان الثمن"، ولو بدا ذلك غاليًا جدًّا في نظر البشر. لم يخشَ الإنجيليّ من أن ينقل هذا البلاغ الذي يعطي القوَّة للشهداء: عطاء الحياة من أجل المسيح هو ملء نجاح الحياة. واللهجة الثابتة في أقوال يسوع لا لُبس فيها (آ٣٨). و"الحياء" من المسيح ومن أقواله، يشير إلى تجربة كامنة لدى المسيحيِّين المضطهَدين بأن "ينكروا" معلّمهم بدلاً من أن يموتوا لأجله. ووُضعت في فم يسوع أقوال قويَّة جدًّا، خاطب بها الأنبياءُ شعبَ الله الذي خان العهد. وهكذا وصف اشعيا إسرائيل "بنسل الفاسقة والزانية" (٥٧: ٣). وقساوة يسوع في هذا المقطع، لا تُفهَم جيدا إلاّ بصفتها أقوال الربِّ القائم من الموت، أعيدت قراءتُها في مناخ كنيسة مضطهدة ومجرَّبة تجربة قويَّة بأن تجحد إيمانها. لقد ذكّرها الإنجيليّ بحزم أنّ "ابن الإنسان" يحاسب المسيحيِّين الخائنين حين يأتي في المجد ليدين العالم. لنتذكر إرشاد يسوع، وهو اكثر وضوحاً في خطبته حول نهاية الأزمنة (١٣:٩-١٣).

وفي النهاية، جاءت لمسة أمل خففت من خطورة هذه الأقوال. فقد وعد يسوعُ وعدًا احتفاليًّا (٩: ١). وهذا القول فسح المجال لتفسيرات لا تحصى. لا شكَّ في أنّه يحمل كلَّ السمات التاريخيَّة: أوَّلاً، الوجه الاحتفاليّ الذي اتسم به. ثمّ وجوده حرفيًّا عند الإنجيليِّين الآخرين (متى ١٦:٢٨؛ لو ٩:٢٧). ولكن يُطرَح السؤال التالي: إلى أيِّ حدث يشير يسوع؟ فكّر البعض في تجلّيه الذي يأتي خبره مباشرة من بعده (٩:٢-٨). وفكّر

آخرون، وبأدلة أكثر، بقيامته: فالتلاميذ سوف يفرحون حين يعيشونها (راجع ١٦:١-٢٠). غير أنَّ هذا التفسير يبقى مشكوكًا فيه. فمن الأفضل أن نفكّر أنّنا هنا أمام قول ليسوع يحتفظ بأثر تاريخيّ. فالمسيح كان يعلم أنَّ ملكوت الله يأتي مع شخصه. ولكنَّه ليس من المؤكد أنَّه عرف مسبقًا زمن مجيئه المجيد "بقدرة"، وكيفيَّة هذا المجيء (راجع ١٣:٣٠-٣٣). وعلى مثل هذا القول استند المسيحيُّون الأوَّلون فاعتبروا أنَّ نهاية الأزمنة قريبة جدًّا (راجع ١ تس ٤:١٤-١٨).

تبقى هذه الصفحة من الإنجيل، في قساوتها، دعوة ملحَّة إلى كلّ مسيحيّ ألاّ يتأخَّر في اتِّباع المسيح حتّى موتٍ شبيه بموته، وهو متأكّد من انتصار ملكوت الله في الأخير.

التجلي (٩:٢-٨)

٢ **وبعدَ ستَّة أيَّام مضى يسوعُ بِبُطرُسَ ويعقوبَ ويوحَنَّا فانفَرَدَ بِهِم وَحدَهم على جَبَلٍ عال، وتَجَلَّى بِمَرأى منهم.**

٣ **فَتَلأْلأَت ثيابُه ناصِعَةَ البَياض، حتَّى لَيَعجزُ أَيُّ قَصَّارٍ في الأَرضِ أَن يأتِيَ بِمِثلِ بَياضِها.**

٤ **وتَراءَى لَهم إيليَّا مع موسى، وكانا يُكَلِّمانِ يسوع.**

٥ **فخاطَبَ بُطرُسُ يسوعَ قال: ((رابِّي، حَسَنٌ أَن نَكونَ ههُنا. فلَو نَصَبْنا ثَلاثَ خِيَمٍ، واحِدَةً لَكَ، وواحِدةً لِموسى، وواحِدَةً لإيليَّا)).**

٦ **فلم يَكُن يَدْري ماذا يَقول، لِما استَولى عَلَيهِم مِنَ الخَوف.**

٧ **وظَهَرَ غَمامٌ قد ظَلَّلَهم، وانطَلَقَ صَوتٌ مِنَ الغَمامِ يَقول:((هذا هُوَ ابنيَ الحَبيب، فلَهُ اسمَعوا)).**

٨ **فأَجالوا الطَّرْفَ فَوْراً في ما حَولَهم، فلَم يَرَوا معَهم إلاَّ يسوعَ وَحدَه.**

الحدث المضيء الذي يمرُّ الآن أمامنا، بكلّ إشعاعه، يختلف عن المناخ الثقيل الذي يسود الإنجيل منذ إعلان موت المسيح بشكل لا رجعة فيه (٨:٣١ي). فكأنَّنا في استراحة جاءت في وقتها في مسيرة المعلِّم وتلاميذه باتِّجاه الموت. اجتذب يسوع معه، بعيدًا عن الآخرين، تلاميذه الثلاثة المفضَّلين (آ٢). فلقد حقَّ لهم وحدهم أن يدخلوا إلى غرفة الصبيَّة الميتة التي أعادها يسوع إلى الحياة (٥:٣٧-٤٣). وسيكونون وحدهم الشهود المميَّزين لتراع معلِّمهم (١٤:٣٣-٣٤). وإذا ضمَّهم يسوع إلى الأوقات القويَّة من وحيه، فلأنَّهم مدعوُّون لأن يكونوا الأركان في كنيسته. وفرز التلاميذ الثلاثة بعيدًا عن الآخرين، يجعلنا ننتظر من المعلِّم أن يكشف لهم سرًّا عميقًا. والموقع التقليديّ لصعودهم، حُدِّد في جبل طابور، وهو هضبة لا تبعد كثيرًا عن الناصرة في الجليل. ولكنَّ تحديد هذا الموقع متأخِّر،

يعود إلى القرن الثالث. ثمَّ إنَّه لا يقابل البتَّة، في الإنجيل، المسيرة الشمالية التي قام بها يسوع في أرض وثنيَّة (٨:٢٧). لهذا فكَّر الأخصّائيُّون بالأحرى بحرمون، ذاك الجبل الذي يرتفع ٢٧٦٨ مترًا عن سطح البحر، والذي يكسوه الثلج، والقريب جدًّا من قيصريَّة فيلبُّس حيث وُجد يسوع.

على أيِّة حال، لا يهتمُّ مرقس بأن يقدِّم لنا هنا معلومات جغرافية، بقدر ما يقدم لاهوتاً. ففي نظره، هذا "الجبل العالي" كما سنرى، يذكِّرنا بجبل سيناء، كما في الخروج، حيث التقى الله بموسى في قُربى بقيت مشهورة (راجع خر ٢٤:١٢-١٨). وهكذا يقود الخبر إلى تجلّي يسوع الإلهيّ (آ٢ج). ففي وقت لامع كالبرق، وجد المعلّم نفسه متجلّيًا في نظر تلاميذه. ونفكّر في الحال بظاهرة وردت بالنسبة إلى موسى الذي "شعَّ محيّاه" بعد أن وُجد وجهًا لوجه مع إله سيناء (خر ٣٤:٢٩-٣٥). واستعان مرقس، بشكل طبيعيّ، بصور بيبليَّة ليصف الحدث الذي حصل ليسوع (آ٣). فالثياب عند الساميِّين، كما نعرف، تدلُّ على الشخص بالذات. هذه الثياب شعَّت ببياض ما اعتاد عليه الناس. واللباس الأبيض يشير إلى لمعان المجد الإلهيّ عند الملائكة (١٦:٥) أو المختارين (رؤ ٣:٥).

هذه الرؤية المدهشة ليسوع "في المجد" برزت أيضًا بمعية ظهورين آخرين أمام التلاميذ: إيليّا وموسى (آ٤). ماذا جاء هذان الشخصان يفعلان هنا؟ موسى هو أبو الشريعة اليهوديَّة، وقد تلقَّاها على جبل سيناء في بهاء حضور الله (خر ١٩ و٢٠). وبعد أربعة قرون من الزمن، قام إيليّا بحجٍّ إلى الجبل المقدَّس ذاته ليلتقي الله الحيّ هناك (١ مل ١٩:١-١٣). يعتبر التقليد اليهوديّ هذين الوجهين للشعب المختار حيَّين في المجد: موسى على أنَّه المشترع الكبير لإسرائيل، وإيليّا على أنَّه الوجه المتقدِّم بين الأنبياء! واجتمع الاثنان كلاهما هنا ليجسدا الشريعة والأنبياء: الكتب المقدَّسة التي تشهد برمتها ليسوع. ويدلّ حديث المعلّم معهما، على أنّ المواعيد المسيحانيَّة قد تمت في شخصه.

حتّى الآن كان التلاميذ منذهلين أمام المشهد الخارق الذي كان أمامهم، فلبثوا صامتين. وتجرَّأ بطرس وكلَّم يسوع باسمهم (آ٥). دعاه "رابّي"، أي المعلّم الذي ينبغي اتباع تعليمه؛ وذلك ليعبِّر له عن السعادة التي يحسُّ بها مع رفيقيه، بأن يشاركوا في هذا العيد السماويّ. ولكنَّ تصرُّفه بدا بشريًّا جدًّا. ألم يتمنَّ أن يُطيل هذا الوقت من السعادة التي لا تُوصَف؟ وحين عرض أن ينصب ثلاث مظالّ يلجأ إليها يسوع ومحاوراه السماويَّان الآخران، قد يكون لمَّح إلى عيد "المظالّ" عند اليهود. ففي الخريف، وفي زمن القطاف، كانوا ينصبون في الكروم خيامًا من أغصان الشجر، وكلهم أمل أن يستقبلوا فيها المسيح (راجع أح ٢٣:٣٣-٣٦). ولكنَّ بطرس أخطأ، كما حصل له ذلك مرارًا في

الأناجيل. إنّه لم يُدرك المدلول العميق للحدث الذي أُعطيَ له أن يعيشه. كما يشير النص إلى اللاوعي التامَّ في تدخُّله (آ٦). وسجل مرقس حيرة التلاميذ في هذا الوضع البعيد عن الواقع اليوميّ. وبدا بطرس وكأنّه يريد أن "يدجِّن" ظاهرة إلهيَّة تفلت منه...

هناك رؤية اضافية وجَّهت القارئ نحو فهم الحدث فهمًا شموليًّا (آ٧أ). لقد جاءت هذه "السحابة" مباشرة من سفر الخروج (وقد استُغلّ كثيرًا في هذا المشهد). فالشعب المختار، في مسيرته الصعبة في البرِّيَّة، قادته سحابةٌ مضيئة (راجع خر ١٣: ٢١ي). وهذه السحابة السماويَّة التي أخذَها القدماء من ظاهرة العاصفة المخصبة، دلَّت على قرب الله من شعبه. انها صورة رائعة تعبِّر عن حضور الله بين البشر، حضورًا خفيًّا ومكشوفًا معًا. ذاك هو الوضع هنا، حيث يُقدِّم الله بلاغًا هامًّا: "هذا هو ابني الحبيب" (آ٧ب). ومن المهمّ أن نلاحظ أنّ كلام الله هذا يتوجَّه إلى التلاميذ، وهو يستعيد، مع بعض الفوارق، قولاً دلَّ على تنصيب يسوع في عماده (١:١١). كان الآب آنذاك قد أجلسَ يسوع على العرش في مهمَّته كمسيح. والآن بعد أن تمّ الاعتراف بمعلِّمهم بفم بطرس والتلاميذ (٨:٢٩)، فعلى التلاميذ أن يتقبَّلوا بشكل أعمق سرَّ شخصه. لا شكَّ في أنه المسيح، ولكنّه أيضًا "الابن الحبيب" للآب.

لقد دفع الصوت السماويّ التلاميذ، إذن، لمواصلة طريقهم، في الإيمان، إلى اكتشاف ملء هويَّة يسوع. ذاك هو المعنى العميق للحدث الذي عاشوه قبل قليل. ولكن يجب أن نضيف أنّ قمّة الخبر تكمن، على ما يبدو، في هذه الكلمة: "اسمعوا له" (آ٧ج). إلى ماذا يشير هذا النداء القصير؟ بدون ادنى شكٍّ، إلى إعلان يسوع لتلاميذه عن الألم والموت (٨:٣١-٣٣). رأينا كيف تخبَّط بطرس مثل شيطان -صفة في مكانها الآن!- أمام هذا البُعد المأساويّ الذي كشفه معلِّمهم مؤخراً. واستصعب التلاميذ ولا شك ان "يسمعوا" يسوع يتحدث عن هذه النقطة الدقيقة في تعليمه. والآن، بعد أن استشفُّوا -كما في ضياء لامع- أنّ يسوع هو "ابن الله"، وأنّه معدّ لمصير مجيد، بعد الموت، أفلا يدفعهم ذلك الى أن التمسك بالأمل والاستمرار في اتباع معلِّمهم على طريق الصليب؟

وعبَّرت الآية الأخيرة عن عودة مفاجئة إلى الحياة العاديَّة (آ٨). وحرص مرقس أن يبيِّن بأنّ تجلّي يسوع لن يكون -للذين يتبعونه- سوى برهة نعمة "خاطفة" جديرة بإسناد إيمانهم في طريق صعب. ومن الواضح جدًّا أنّ مرقس أعاد قراءة الحدث على ضوء الفصح والاسفار المقدسة، فتوخَّى أن يسند الرجاء لدى مسيحيّي رومة الذين هم عرضة للعذاب والموت من جرّاء الاضطهاد.

الحوار حول ايليّا (٩:٩-١٣)

٩ وبَينَما هم نازِلونَ مِنَ الجَبَل أَوصاهم أَلاَّ يُخبِروا أَحداً بِما رَأَوا، إِلاَّ متى قامَ ابنُ الإِنسانِ
مِن بَينِ الأَموات.
١٠ فَحَفِظوا هذا الأَمْر وأَخذوا يَتَساءَلونَ ما مَعنى ((القيامة من بَينِ الأَموات)).
١١ وسَأَلوهُ: ((لِماذا يَقولُ الكَتَبَةُ إِنَّه يَجبُ أَن يأتيَ إِيليَّا أَوَّلاً ؟)).
١٢ فقالَ لَهم: ((إِنَّ إِيليَّا يَأتي أَوَّلاً ويُصلِحُ كُلَّ شَيء. فكيفَ كُتِبَ في شأَنِ ابنِ الإِنسان أَنَّه
سَيُعاني آلاماً شديدَةً ويُزدَرى ؟
١٣ على أَنّي أَقولُ لَكم إِنَّ إِيليَّا قد أَتى، وصَنَعوا بِه كُلَّ ما أَرادوا كَما كُتِبَ في شأَنِه)).

انتهى التجلّي (٩:٢-٨)، وها هو يسوع يفرض الصمت مرةً اخرى على شهود الحدث (آ٩). إنّنا نفهم جيدا هذا الطلب الجديد. فلقد أدخل يسوع حلقة اصدقائه الثلاثة الأقربين في جزء من السرِّ الذي هو سرُّه، واستطاعوا أن يروا بعض المجد الذي وعد به بصفته "الابن الحبيب" للآب. انه حدث يتجاوزهم بشكل كبير، ومن السابق لأوانه أن يتكلّموا عنه، حتّى ولا إلى سائر أعضاء حلقة الاثني عشر. فبشرى يسوع "ابن الله" ينبغي أن لا تُشهَر وتُقبَل بشكلٍ لائق، إلاّ بعد قيامته. تلك هي قاعدة "السرِّ المسيحانيّ" التي تعلّق بها مرقس تعلّقاً عميقاً لأسباب سبق ان ذكرناها (راجع ١:٢٥، ٣٤؛ إلخ).

سجَّل الإنجيليّ الاحترام المطلق من قبل بطرس ويعقوب ويوحنّا للسرِّ الذي كُشف (آ١٠أ). ولكنَّه في الحال رجّع صدى حيرة أصدقاء يسوع: إذا لم يتفوّهوا بشيءٍ لأحد، فهم يتساءلون الآن عن معنى قول المعلّم: "القيامة من بين الأموات" (آ١٠ب).

وحيرة التلاميذ في هذا المجال تلفت الانتباه. فالاعتقاد بقيامة الموتى كان منتشراً لدى اليهود انتشارًا واسعًا. وهيرودس نفسه، كما رأينا، ألم يكن يشاطر هذا الاعتقاد؟ فلقد كان يسوع، بالنسبة له، شخص يوحنّا نفسه القائم من الموت (٦:١٤). ولكنَّ هناك قيامة وقيامة. فأكثريَّة اليهود في ذاك الزمان -ونضع جانبًا الصدُّوقيِّين- تصوَّروا القيامة مثل عودة بسيطة إلى الحياة الأرضيَّة بعد الموت (راجع ١٢:١٨-٢٧). أمّا في نظر يسوع، فهو سرٌّ عميق جدًّا: بلوغ بشريَّته المنبعثة والمتحوِّلة بين يدي الله. وحين شدد مرقس على تساؤل الأقربين منه عن معنى القيامة، أشار بلا شكٍّ إلى صعوبة مسيحيِّي رومة بأن يؤمنوا بالمسيح الذي مرَّ في الموت وهو الآن حيّ لدى الآب.

فتجلّي يسوع -وهو بمثابة حجاب أزيح قليلاً عن هذا السرِّ العميق- مكّن من

طرح مجموعة من الأسئلة أقلّ أهمّيّة (آ١١) وليس بغريب أن يُطرَح مثل هذا التساؤل في ذلك الزمان. ففي انتظار محموم لنهاية قريبة جدًّا، ظنَّ اليهود أنَّ عودة النبيّ إيليّا على الأبواب. وبحسب التقليد البيبليّ، ينبغي "أوّلاً" أن يعود بطلُ حقوق الله، بصفة سابق للمسيح. والقى الكتبة -الأخصّائيُّون في الكتب المقدَّسة- الضوء على قول ملاخي الشهير جدًّا: "قال الله: ها أنا أرسل إيليّا النبيّ قبل أن يأتي يوم الربّ، اليوم العظيم الرهيب" (ملا ٣:٢٣). كان يسوع يعرف كلَّ المعرفة هذا الإنباء البيبليّ (آ١٢أ). لا بل ثبَّت مهمَّة سابقه: تحقيق التوبة الضروريَّة لاستقبال المسيح (ملا ٣: ٢٤). غير أنَّ المعلّم استفاد من المناسبة ليبيِّن أنَّ الكتبة لا يُعطون القراءة الكاملة للكتاب المقدَّس حقّها (آ١٢ب). لذا شدَّد يسوع هنا على نصوص نبويَّة -أهملها اليهود كلَّ الإهمال- تتحدَّث عن مسيح يتألَّم ويُرذَل. انَّه لمّح بشكل تام إلى وجه خادم الله الذي اضطره البشر على المرور في الألم والموت قبل أن يرفعه الله (اش ٥٢:١٣-٥٣:١٢). وكان لا بد للمعلّم أن يلفت انتباه تلاميذه -والكتبة- إلى الإنباء بمسيح متألّم، لاسيَّما وأنَّ الجميع يرفضون مثل هذا النظرة إلى الأمور (راجع ٨:٣١-٣٣).

تحيَّر التلاميذ بدون شكّ حين رأوا يسوع يجمع بين هاتين الصورتين المتعارضتين عن المسيح: ابن الإنسان المنتصر (في دا ٧) والخادم المتألّم (في اش ٥٢-٥٣). فمثلُ هذا المزيج شيءٌ مذهل! وما زال حتّى الآن يحيِّر اليهود... والمسيحيِّين ايضا. إذًا، وضعَ يسوعُ الأمورَ في نصابها في عقل التلاميذ (آ١٣). هل سبق وأتى إيليّا؟ ويسوع، من دون ان يدعوه باسمه، اشار إلى شخص يوحنّا المعمدان. فهو الذي لعب دور السابق للمسيح، حين دفع الشعب اليهوديّ إلى التوبة التي تُعدُّ للخلاص (راجع ١:٢-٤)؛ وأما هم، فلم يسمعوا للسابق، بل اذاقوه، للاسف، مصير الأنبياء المعروف: قتل لأنَّه حملَ كلام الله إلى قصر الملك هيرودس بالذات (٦:١٧-١٩). وهذا ما كان ينبغي أن يفتح عيون التلاميذ. إذا كان السابق قد عرف الألم والموت، اليس من المتوقع ان نرى مصيرًا مماثلاً للمسيح نفسه؟

هذا الحوار الكثيف جدًّا بين يسوع والتلاميذ الثلاثة (الشهود المميَّزين للتجلّي) يكشف الكثير: مكانة يسوع الحقيقية، شخصه ومصيره، كانت تطرح سؤالاً على المسيحيِّين الأوَّلين. إذا أرادوا الدخول في سرِّ يسوع كلِّه، ينبغي عليهم الدخول في "الكتاب المقدَّس" كلِّه (ذُكر مرَّتين في هذا المقطع، آ١٢ وآ١٣). لقد دفع مرقس مسيحيِّي عصره لكي يتجاوزوا "عثار" الصليب، ودعاهم ليفهموه على ضوء مخطّط الله، واكثر ممّا احتفظ به الكتبة والشعبُ اليهوديّ عبر الكتب. فآلام المسيح وموته التي نرفض قبولها، موجودة في الكتاب المقدَّس، شأنها شأن مستقبله المجيد.

وقارئ هذا المقطع من إنجيل مرقس اليوم، قد يكون سمع ببرهان يدعم الاعتقاد بالتقمُّص. ففي نظر المتشيِّعين لهذا المعتقد -وهو منتشر في هذا الأيّام- يكون يسوع قد أكَّد بوضوح (١٣:٩) أنَّ المعمدان هو "إيليّا المقمَّص". وحينذاك لن نكون بعيدين عن القول بأنَّ يسوع اعتقد بالتقمُّص! لنقُل باختصار بأنَّه لا يستحيل أن يكون دارجاً اعتقاد بالتقمُّص في العالم اليهوديّ في زمن يسوع دارجًا (مثل رأي هيرودس ومحيطه: ١٤:٦-١٦). ولكنَّ هذا الرأي ليس اكيدا. ويبدو أنَّ عودة إيليّا كانت بالأحرى منتظرة بشكل "ظهور ثان" للنبيّ (الذي خُطف حيًّا إلى السماء بحسب رواية ٢ مل ٩:٢-١٨). على أيّة حال، لا يمكن الاستناد إلى اقوال يسوع للقول بانه يؤمن بتقمص مزعوم لإيليّا في شخص يوحنّا المعمدان.

شفاء مصروع (٩:١٤-٢٩)

١٤ ولَمَّا لَحقوا بالتَّلاميذ، رَأَوا جَمْعاً كَثيراً حَولَهم وبَعضَ الكَتَبَة يُجادلونَهم.
١٥ فما إِن أَبصَرَه الجَمْعُ حتَّى دَهِشوا كُلُّهم وسارَعوا إِلى السَّلامِ علَيه.
١٦ فسأَلَهم: ((فيمَ تُجادلونَهم ؟))
١٧ فأَجابَه رَجُلٌ مِنَ الجَمْع: ((يا مُعَلِّم، أَتيتُكَ بابنٍ لي فيه رُوحٌ أَبكَم،
١٨ حَيثُما أَخذَه يَصرَعُه، فيُزبِدُ الصَّبِيُّ ويَصرِفُ بِأَسنانه ويَيبَس. وقد سأَلتُ تَلاميذَكَ أَن يَطرُدوه، فلَم يَقدِروا)).
١٩ فأَجابَهم: ((أَيُّها الجيلُ الكافِر، حَتَّامَ أَبْقى معَكم ؟ وإِلامَ أَحتَمِلُكم ؟ علَيَّ به !)).
٢٠ فأَتَوهُ به. فما إِن رَآهُ الرُّوحُ حتَّى خَبَطَه، فوَقَعَ إِلى الأَرضِ يَتَمَرَّغُ ويُزبِد.
٢١ فسأَلَ أَباه: ((مُنذُ كم يَحدُثُ له هذا ؟))قالَ: ((مُنذُ طُفولَته.
٢٢ وكَثيراً ما أَلقاهُ في النَّارِ أَو في الماءِ لِيُهلِكَهُ. فإِذا كُنتَ تَستَطيعُ شَيئاً، فأَشفِقْ علَينا وأَغِثْنا)).
٢٣ فقالَ له يسوع: ((إِذا كُنتَ تَستَطيع ! كُلُّ شَيءٍ مُمكِنٌ لِلَّذي يُؤمِن)).
٢٤ فَصاحَ أَبو الصَّبِيِّ لِوَقتِه: ((آمنتُ، فشَدِّدْ إِيمانيَ الضَّعيف !))
٢٥ ورأَى يسوعُ الجَمْعَ يَزدَحمون، فانتَهَرَ الرُّوحَ النَّجِسَ وقالَ له: ((أَيُّها الرُّوحُ الأَخرَسُ الأَصَمّ، أَنا آمُرُكَ، أُخرُجْ مِنه، ولا تَعُدْ إِلَيه)).
٢٦ فصَرَخَ وخَبَطَه خَبْطاً عَنيفاً وخَرَجَ منه. فعادَ الصَّبِيُّ كالمَيت، حتَّى قالَ جَميعُ النَّاس: ((لَقَد مات)).
٢٧ فأَخَذَ يسوعُ بِيَدِه وأَنهَضَه فقام.

٢٨ ولَّما دَخَلَ البَيت، انفَرَدَ به تَلاميذُه وسأَلوه: ((لماذا لَم نَستَطِعْ نَحنُ أَن نَطرُدَه ؟))
٢٩ فقالَ لَهم: ((إِنَّ هذا الجِنسَ لا يُمكِنُ إِخْراجُه إِلاَّ بِالصَّلاة)).

أنهى يسوع والمحظوظون الثلاثة من اصدقائه جدالهم حول إيليّا (٩:١١-١٣)، فانضمُّوا إلى الآخرين (آ١٤). ووجود الكتبة والجمع هو الدليل بأنّنا على أننا عُدنا إلى الأرض اليهوديَّة، دون أن يكون مرقس قد أشار إلى نهاية إقامة يسوع في أرض وثنيَّة (منذ ٨:٢٧). ثمّ إنَّ مرقس أرانا التلاميذ وهم يتجادلون مع الكتبة، وسط الجمع. ينبغي أن نذكر هنا التأثير الهائل للكتبة على الشعب اليهوديّ. فهؤلاء الفرِّيسيُّون الغيورون جدًّا من أجل الله، والعارفون بالكتب المقدَّسة معرفة دقيقة، قاموا بتعليم متواصل بشكل مجادلات: فلعبة السؤال والجواب هي فنُّهم في إثارة جميع المسائل الدينيَّة التي تستدعيها شريعة موسى. ويسوع، ذاك الرابّي الحقيقيّ في عصره -وها نحن نرى صورة أخرى عنه- يستعمل هذا النهج عينه في الجدال مع تلاميذه، وحتّى مع الجمع (آ١٥-١٦). ولقد تمّ لقاء المعلّم مع الجمع، بعد انفصال طويل (٨:٩)، في مناخ من الاستقبال الحارّ. فيسوع هو رابّي معروف يطلبونه لأنَّه سيِّدٌ في تعليمه ومواهبه الشفائيَّة. وكان من الطبيعيّ جدًّا ان يهتم بمضمون "جدالات" الشعب مع معلّمي الفكر هؤلاء الذين هم الكتبة. وسؤاله ("عمَّ تتحدَّثون؟") يجد صدى مباشرًا. فقد اقترب منه رجلٌ جعل الشيطانُ ابنَه أخرس (آ١٧). لنتذكّر عقليَّة ذاك الزمان: إنَّ كلَّ مرض يُحسَب امتلاكًا شيطانيًّا. ولكنَّ الرجل ما انفك يصف، بشكل دقيق، المرض الذي يصيب ابنه (آ١٨أ). لا يستصعب القارئ المعاصر، عبر الوصف الذي يُعطى، أن يكتشف مرض الشابّ: هو داء الصرع. والعلامات الطبيعيَّة هي الارتجافات والزبد الخارج من فمه. واشتكى الرجل لدى يسوع من عجز تلاميذه الفاضح بأن يُتمُّوا الشفاء (آ١٨ب). ذلك هو بالفعل موضوع "الجدالات" التي كانت تحرِّك الجمع والكتبة والتلاميذ. فوجب على المعلّم أن يشرح أوَّلاً للجميع عجزَ أصدقائه. أما نالوا منه سلطان التعزيم وطرد الشياطين (٦:٧، ١٣)؟ ولكن اللوم الذي يوجِّهه إلى التلاميذ، يتوجّه إلى أبعد منهم، إلى الشعب اليهوديّ كلّه (آ١٩أ). إنَّه "جيل لا يؤمن"، سبق الأنبياء واتَّهموه أنَّه لا يؤمن بقدرة الله (راجع مثلاً مز ٩٤:٧-٩). ووجَّه يسوع لمعاصريه نداءً ملحًّا لكي يؤمنوا أنَّ الشرَّ قد غُلب في شخصه بالذات. وإذ ضمَّ الفعل إلى القول، شفى الولد (آ١٩ب-٢٠أ). وجعلنا مرقس نشهد أزمة حادَّة من داء الصرع بعد أن وصفها بقوَّة دراماتيكيَّة (آ٢٠ب). وبالرغم من الإلحاح على يسوع بأن يتدخَّل، فقد أخذ وقته ليعطي تعليمًا آخر (آ٢١). ذلك ان الداء قديم وعميق، وربَّما منذ الولادة، ويبدو قاتلاً (آ٢٢أ).

اهتمَّ الإنجيليّ اهتمامًا أكيدًا (مثل متّى في ١٤:١٧-٢١) بالوجهة الظاهريَّة لداء الصرع. هناك إغماءات طارئة تجعل المريض يسقط في أيِّ مكان، فتجعل حياته في خطرٍ أحيانًا. وحين ذُكر الموت الذي يمكن أن يحصل في كلِّ وقت لهذا الولد، عبَّر الرجل عن ضيقه. وتوسَّل إلى يسوع بالحاح (آ٢٢ب). بدا المعلِّم رقيقا أمام هذا النداء الذي يمزِّق القلب. ومع ذلك أراد منه فعلَ إيمانٍ صريح (آ٢٣). وهكذا قُهر الشكُّ والارتياب (آ٢٤). وإذ طلب الرجل من يسوعَ أن يسند نقص إيمانه المترنِّح، برهن يسوع عن ثقة كافية للقيام بالعمل المحرِّر. وبمجرَّد كلمة فاعلة تمامًا، شفى المسيحُ الولد (آ٢٥). والآن فقط، اكتشف القارئ أنَّ هذا المريض الصغير، المصاب إصابة خطرة، خسر استعمال ملكاته الجوهريَّة: الكلام والسماع. وتمَّت نجاتُه وسط أزمة قصوى لم يُخف مرقس مدلولها العميق (آ٢٦). فليس بنادر أنَّ داء الصرع، في محطّاته التشنُّجيَّة، يُوصل المتألِّم إلى الغياب عن الوعي، بحيث يُحسَب ميتًا. "أمّا يسوع فأمسكه بيده وأنهضه وأقامه" (آ٢٧). استعمل مرقس هنا، عمدًا، فعلين: "انهض" و "أقام". إنَّهما يعبِّران في موضع آخر عن قيامة يسوع. ومن الواضح أنَّه يدعونا لكي نقرأ هذه المعجزة، شأنها شأن معجزات كثيرة غيرها، ونرى فيها الفعل الخلاصيّ لدى القائم من الموت الذي "يُنهض" و"يُقيم" الموتى (راجع ١:٣١؛ ٢:١١؛ ٥:٤١-٤٢).

الحدثُ كلُّه، شاء أن يذكِّر المسيحيِّين أنَّ يسوع هو المنتصر حقًّا على الشرِّ والموت. وإذ ألحَّ الإنجيليّ فوصفَ، بشكل محدَّد وواقعيّ، الخراب الذي يسبِّبه للبشر مرضٌ قاتل، دعا المؤمن دعوة ملحَّة لكي يجعل كلَّ إيمانه في شخص المخلِّص. ذاك هو الدرس الأساسيّ من هذا الخبر المشوِّق. والنهاية، تزيد في قناعتنا (آ٢٨). انه مشهد مألوف عند مرقس. ويسوع يخصّ تلاميذه، بعيداً عن الجمع، بتفسير عن عجزهم كمعزِّمين، مع أنَّه هو أعطاهم هذا السلطان (آ٢٩). إنه درس قاسٍ. وللانتصار على هذا النوع من الشرِّ، ينبغي على التلاميذ أن لا يهملوا الصّلاة. فقوَّتهم تكمن في أن يكونوا في حضرة الله، في الإيمان.

لقد عالجَ مرقس هذا الخبر كله بفنٍّ تامّ، فجعل تضاداً كبيرًا بين عدم ايمان الجمع المستمرّ -والتلاميذ أنفسهم- وبين إيمان نموذجيّ لدى شخص لا اسم له. وشدَّد بقوَّة على الموضوع الوحيد الذي يتحكّم بالرواية منذ الإنباء الأوَّل بآلام يسوع (٨:٣١-٣٣) وتجلّيه (٩:٢-٨)، وهو: الذين يضعون إيمانهم في شخص يسوع، يحمل معه إليهم الغلبة على الألم والموت. ومع هذا التعزيم الرابع (الثلاثة الأولى هي ١:٢٣-٢٦؛ ٥:١-٢٠؛ ٧: ٢٤-٣٠) أعطى يسوع مرَّة أخرى للكتبة -وللذين يحاكونهم- شهادة تعليم رفيع: ففي شخصه تظهر قدرةُ الله المخلِّص.

الإنباء الثاني بالآلام (٩: ٣٠-٣٢)

٣٠ ومَضَوا من هُناكَ فمَرُّوا بالجَليل، ولَم يُرِدْ أَن يَعلَمَ به أَحَد،

٣١ لأَنَّه كانَ يُعَلِّمُ تَلاميذَه فيَقولُ لَهم: ((إِنَّ ابنَ الإِنسانِ سيُسلَمُ إِلى أَيدي النَّاس، فيَقتُلونَه وبَعدَ قَتْلِه بِثَلاثَةِ أَيَّامٍ يَقوم)).

٣٢ فلَم يَفهَموا هذا الكلام، وخافوا أَن يَسأَلوه.

لم تحدَّد نقطةُ انطلاق يسوع. ولكنَّ الإشارة الجغرافيَّة الأخيرة حدَّدت موقعه في أعلى شمالي فلسطين: منطقة قيصريَّة فيلبُّس (٨: ٢٧). إذًا من الشمال إلى الجنوب يجتاز يسوعُ الجليل كلَّه مع تلاميذه (آ٣٠أ). وبدأ هنا ما اعتدنا أن ندعوه الصعود إلى أورشليم (راجع الإطار: جغرافية مرقس). ان مرقس حاكى متّى ولوقا، فلم يورد سوى سَفَرٍ واحد ليسوع إلى اليهوديَّة وعاصمتها (٩: ٣٠-١١: ١). وهذه المسيرة الأخيرة قادت يسوع إلى مصيره الدمويّ. ولكنَّه "ما أراد أن يعرف به أحد" (آ٣٠ب). انها قاعدة "السرِّ المسيحانيّ" دومًا. فالجموع الجليليَّة تلقت أقوالاً وآيات كافية عن مسيحانيَّته. ولكنَّهم لم يتوبوا. فعلى يسوع الآن أن يتكرَّس كلَّه لتنشئة تلاميذه والوصول بهم، إذا أمكن، لتقبُّل منظورِ مسيحٍ يرذله شعبُه (آ٣١أ).

انها المرَّة الثانية يقدِّم فيها يسوع لأصدقائه مثل هذا الإنباء. ولقد صبه في قالب مماثل للإنباء الأوَّل (راجع ٨: ٣١). إنَّ ابن الإنسان سوف "يُسلَّم" إلى أيدي البشر. صيغةً الفعل قويَّة: بيد من سيُسلَم؟ وسوف يحدِّد مرقس ذلك بشكل أوضح، فيما بعد. سيُسلَّم يسوع إلى الموت على ايدي الناس: يهوذا (١٤: ١٠)، عظماء الكهنة (١٥: ١)، بيلاطس (١٥: ١٥). ولكنَّ صيغة الفعل هنا هي في المجهول: يسوع سوف "يسلَّم". انه أسلوبٌ معروف لدى اليهود للدلالة على ان الله هو الفاعل، متجنّبين تسميته احترامًا. لنتذكَّر هذا جيِّدًا: موت يسوع على ايدي البشر الخاطئين، لم يكن مع ذلك مجرَّد حادث في التاريخ. فالمسيحيُّون سيشرحون هذا "العثار" ويبيِّنون أنَّه يدخل في سرِّ مخطَّط الله. هذا ما أرادت منذ الآن أن تقوله الصيغةُ المفاجئة في الإنباء الأوَّل: "**ينبغي**" أن يعاني ابن الإنسان الألم والموت (٨: ٣١). هنا، أضيف في الحال الوعد بقيامته (آ٣١ب). غير أنَّ هذا لم يعزِّ التلاميذ -كما حصل من قبل- من منظور الموت الأليم. ولبث الأصدقاء في عناد صممهم تجاه تعليم المعلِّم (آ٣٢). هذا هو موضوع "عدم الفهم" لدى التلاميذ أمام الجهد الذي بذله يسوع دومًا ليُدخلهم في لغز مقصده. وكان بطرس قد بيَّن، كما رأينا، ثورة حقيقيَّة ازاء إنباء يسوع بموته (راجع ٨: ٣٢). إلا ان انغلاق التلاميذ، هذه المرّة، اتسم بالخوف

من أن "يسألوه"، ومن مواصلة أي جدال مع المعلِّم بشأن المحن التي تنتظره. ويستطيع القارئ أن يفهم الصعوبة الحقيقيَّة في مواجهة الموت.

جغرافيَّة مرقس

أعطى الإنجيليّ إطارًا بسيطًا جدًّا لحياة يسوع، حيث نرى بروز قطبين اثنين: الجليل وأورشليم. فبعد العماد في الأردنّ (١:٩)، انطلق يسوع وواصل رسالته في الجليل، وهي المقاطعة الشماليَّة من فلسطين (١:٤-٩: ٢٩). وفي وقت متأخِّر، عبر الجليل من الشمال إلى الجنوب لكي "يصعدَ إلى أورشليم، عاصمة اليهوديَّة" (٩:٣٠). هناك سوف يواجه سلطات شعبه الدينيَّة ويعيش آلامه وقيامته (١١:١-١٦: ٨).

انّ خط السير الذي يبدو مستقيماً عكس من دون شكّ تبسيطًا، إذ نعلم من إنجيل يوحنّا أنّ مهمَّة المسيح امتدَّت على سنتين أو ثلاث سنوات. فالمعلِّم صعد مرَّات عديدة إلى أورشليم، كما كانت العادة، خلال الأعياد اليهوديَّة (راجع يو ٥:١؛ ٧:٢؛ ١٠:٢٢؛ ١٢:١٢).

عند مرقس، إذًا، جُعلت الجغرافيا "في خدمة" قضيَّة رفيعة. وبالفعل، يمثل الجليل وأورشليم، في نظره، موضعين متعارضين، ولكلٍّ واحد منهما مدلوله الخاصّ. فالجليل هو موضع الانفتاح والرسالة لدى الوثنيِّين. ومنذ العصر القديم، عَرفت هذه المقاطعة الشماليَّة عدَّة اجتياحات غريبة. واسمها ذاته معبِّر جدًّا : انها "جليل الأمم" الذي فيه يتمازجون (اش ٨:٢٥). ففي الجليل تربَّى يسوع (في الناصرة، لو ٤:١٦). وهناك دشَّن رسالته (١: ١٤). وفيها -في كفرناحوم وعلى ضفَّة بحيرة طبريّا- جعل أساس عمله وتعليمه (١: ١٦؛ ٢: ١، ١٣؛ ٣: ٧؛ ٤: ١). وفي بداية الإنجيل نرى الجموع الجليليَّة تتحمَّس لأقوال المعلِّم وآياته.

ومن هناك أخذ يسوع تلاميذه ليجتازوا الحدود، فعبَرَ معهم بحيرةَ طبريَّة، من الضفَّة اليهوديَّة في الغرب، إلى الضفَّة الوثنيَّة في الشرق. بهذه الحركة المتكرِّرة، دعاهم دومًا لكي يوسِّعوا آفاقهم ويحملوا البشارة إلى الوثنيِّين (راجع ٤:٣٥-٥:٢٠ بشكل إجماليّ). وبقدر ما تقدَّم الرسالة، بقدر ذلك يُكثر يسوع تنقُّلاته نحو غير اليهود: مضى إلى فينيقية (لبنان الحاليّ) في منطقة صور وصيدا (٧:٢٤، ٣١أ) أو في الدكابُّول، المدن العشر (الأردنّ الحاليّ) (٧:٣١ب).

بهذا التغلغل الذي يطول او يقصر في الأراضي الغريبة، يسعى يسوع إلى جعل أصدقائه يعتادون على فكرة لا يكون بموجبها مسيح اليهود فقط، بل مسيح الوثنيِّين أيضًا. وعلى المسؤولين المقبلين في كنيسته أن يعوا أنَّه يحمل الخلاص الشامل. ذاك هو معنى التكثير الثاني للأرغفة الذي حصل شرقيّ نهر الأردنّ (٨:١-٩) حيث فتح يسوع مائدة كلمته واحساناته إلى شعب آخر غير الشعب المختار. وليس من قبيل الصدفة ايضًا إن كان في بيت صيدا، في أرض وثنيَّة، قد فتح عيني أعمى (٨:٢٢-٢٦) تمهيدًا للكشف عن هويَّته (وهذا ما حصل في قيصريَّة

فيلبُّس، في قلب العالم الوثنيّ، ٨:٢٧-٢٩). إذًا، لا ينبغي أن ندهش إن كان يسوع، بعد قيامته، قد دعا أصدقاءه للقاء به "في الجليل" حيث سبقَهم لكي يدفعهم إلى الانطلاق، على خطاه، لحمل البشارة إلى العالم كلّه (١٦:٧-٨، ١٥).

وفي التضاد مع الجليل، جعل مرقس من أورشليم، العاصمة اليهوديَّة، قطب الانغلاق ومقاومة يسوع. فمنذ بداية رسالته "نزل الكتبةُ والفرِّيسيُّون إلى أورشليم"، وأتوا يتَّهمون يسوع بأنَّه ممسوس من الشيطان (٣:٢٢)، وبأنَّه يَدَع تلاميذه يتجاوزون تقاليد الأقدمين (٧:١). وفي أورشليم، في قلب الإيمان اليهوديّ، سيواجه يسوع الرؤساء الدينيِّين في الشعب المختار أقسى مواجهة (١١:١-١٢:٤٠). وهناك سيُلقى القبض عليه ويُدان ويُحكَم عليه بالموت وينفَّذ فيه الحكم بتحريض من أعلى السلطات اليهوديَّة (١٤:١-١٥:٤٧).

إذًا، تحمل جغرافيَّة مرقس درسًا تعليميًّا: فعلى المسيحيِّين الذين تبعوا يسوع، أن لا يتركوا الإنجيل سجينًا في أيِّ "أورشليم" كانت! انهم مُدعَون على الدوام للانضمام إلى القائم من الموت الذي -من شاطئ بحيرة طبريَّة- أمرهم "أن يرتلوا إلى العمق". ففي المسيح "لا يهوديّ بعد ولا يونانيّ" (غل ٣:٢٨). فينبغي أن يُحمَل الخلاص من أورشليم ومن الجليل، حتّى أقاصي الأرض.

طريقة اتباع يسوع: الطفل (٩:٣٣-٣٧)

٣٣ وجاؤوا إلى كَفَرناحوم. فلَمَّا دخَلَ البَيتَ سأَلَهم: ((فيمَ كُنتُم تَتَجادَلونَ في الطَّريق ؟))

٣٤ فظَلُّوا صامتين، لأَنَّهم كانوا في الطَّريقِ يَتَجادَلونَ فيمَن هُو الأَكبَر.

٣٥ فجَلَسَ ودَعا الاثنَيْ عَشَرَ وقالَ لَهم:((مَن أَرادَ أَن يَكونَ أَوَّلَ القَوم، فَلْيَكُنْ آخِرَهم جَميعاً وخادِمَهُم)).

٣٦ ثُمَّ أَخَذَ بيَدِ طِفْلٍ فأَقامَه بَينَهم وضَمَّه إلى صَدرِه وقالَ لَهم:

٣٧ ((مَن قَبِلَ واحِداً من أَمْثالِ هؤُلاءِ الأَطْفالِ إِكراماً لاسمِي فقَد قَبِلَني أَنا ومَن قَبِلَني فلَم يَقبَلْني أَنا، بلِ الَّذي أَرسَلَني)).

في كلِّ مرَّة يعلن يسوع بوضوح آلامه المقبلة (٨:٣١؛ ٩:٣١)، يشدِّد مرقس على عدم الفهم لدى تلاميذه (٨:٣٢؛ ٩:٣٢). ثمَّ يرينا المعلِّم وهو يحاول أن يُدخل في فكر أصدقائه درسًا يتوافق والموضوع: كيف نسير في إثره ونكون أمناء على تواضعه. هذا ما قاله بعد الإنباء الأوَّل بموته (راجع ٨:٣٤-٩:١). وعاد يكرِّره هنا بعد الإنباء الثاني.

أشار الإنجيليّ إلى أنَّ الوقت ملائم بشكل خاصّ للمعلِّم ولفريقه (٣٣). فيسوع وأصدقاؤه رجعوا إلى الإطار الأوَّل لتعليمه، في كفرناحوم وفي البيت (راجع ٢:١-٢).

انه مكان مثاليّ للتسريع في تنشئة التلاميذ، بعيدًا عن الجموع، حول نقطة جديدة ولكن صعبة، حول فكرة مسيح "خادم". بدأ يسوع، بصفة رابّي نبيه، يسأل تلاميذه عن موضوع "جدالاتهم" في الطريق. نحن نعرف أهمّيَّة الجدال في تنشئة الرابِّينيِّين. وما يُقال فيما بينهم، في الطريق، له معناه الرفيع. سألهم يسوع و لم يعطوه جوابًا. هم يتزاحمون لمعرِفة من هو الأكبر في ما بينهم (آ٣٤). ويقر مرقس بأنّ التلاميذ خجلوا، وما تجرَّأوا على القول إنَّهم يطلبون الكرامات ساعة يسير يسوع نحو مستقبل متواضع. فالتضاد فاضحٌ هنا.

ووجب على المعلّم أن يتدخَّل، بشكل واضح، لكي يميل بتلاميذه عن الجري وراء السلطة التي تسكنهم. فلقد أعطاهم درسًا حيًّا في الأشياء (آ٣٥). لقد أرانا إيَّاه مرقس آخذًا موقف المعلّم الذي ينبغي الاستماع إليه بانتباه بالغ: جلس. هكذا يفعل الذي يعلّم بسلطان (راجع ٤: ١). جمعَ "الاثني عشر" -وقلّما يستعمل مرقس هذه التسمية (٣: ١٤؛ ٦: ٧)؛ واستعمالها هنا يعني أنَّ التعليم الذي سيُعطى يهدف مجموعة الرسل: المسؤولين العتيدين في الكنيسة. لقد كلّمهم يسوع بوضوح تامّ (آ٣٥ب). وتوجَّه المعلّم على الفور إلى الرؤساء المقبلين في شعب الله، فعكسَ الترتيب العاديّ في التراتبيَّة البشريَّة. تجاه موقع "الأوَّل" وضع موقع "آخر الكُلّ". وتجاه الذي يأمر، وضع موقع "خادم الجميع". ومن الواضح أنَّ هذه المفارقة لا تأخذ معناها إلاَّ بالمثَل الذي يعطيه يسوع في شخصه وفي رسالته. فهو، الأوَّل، جعل نفسه في المكان الأخير لكي يخدم الناس. هل كان بوسع هذا البلاغ أن يُسمَع ؟ وعمد يسوع إلى جعل كلامه مقترنا بحركة لها معناها. وضع طفلاً في وسطهم وقبَّله (آ٣٦أ). لهذه الحركة بعدٌ لا يمكن تخيُّله: أخذ طفلاً، أدخله في وسط مجموعة التلاميذ وقبَّله: هذا كلُّه يعارض عادات الزمان. فالمجتمع القديم لم يكن يعتني عناية خاصَّة بالأطفال. و لم يكونوا يعامَلون من قبل الكبار على أنَّهم أشخاص واعون، بل كائنات لا قيمة لها. وما داموا لا يستطيعون أن يتكلَّموا او يفكِّروا، كانت العادة أيضًا أن يُرذَلوا ويستَبعدوا من الجماعة الدينيَّة لأنَّهم يجهلون الشريعة.

بضربة واحدة أصاب يسوع هدفين (على المستوى البشريّ والدينيّ): لقد جعل هذا المستبعَد -الطفل- في قلب حلقة أصدقائه. وقرن هذا العمل بكلمة مُثقلة بالمعنى (آ٣٧أ). وسيترتب على الجماعة المسيحيَّة أن تتذكَّرها. أن نقبل باسم يسوع طفلاً -ويرمز هنا إلى المساكين وإلى جميع المبعَدين- يعني أنَّنا نقبل يسوع شخصيًّا. ذلك هو جواب المعلّم المحيِّر على سؤال طرحه التلاميذ في الطريق: "من هو الأعظم؟". فملاحقة الكرامات لا تليق بالذين يتبعون يسوع ساعة يتَّخذ هو الطريق الوضيع، طريقَ الألم

والموت. ومن يجعل نفسه "خادم" الجميع، ويفتح حلقة الكنيسة المغلقة بوجه الوضعاء والفقراء، فتلك هي "الخدمة" التي يطلبها يسوع من تلاميذه. وحين أراد يسوع أن يعطي ثقلاً لهذا الدرس العلني، خلصُ إلى كلمة حول "الاستقبال" (٣٧ب). فيسوع هو مرسَل الله، ومن استقبله في شخص الصغار استقبل الله ذاته. لقد اتَّخذ الله وجه طفل! ذلك هو البلاغ غير المتوقع والفريد الذي نقرأه في هذه الصفحة الجميلة من الإنجيل.

تعليمات إلى الجماعة المسيحيَّة (٩:٣٨-٥٠)

٣٨ قالَ له يوحنَّا: ((يا مُعَلِّم، رَأَينا رجُلاً يَطرُدُ الشَّياطينَ باسمِكَ، فأَرَدْنا أَن نَمنَعَه لأَنَّه لا يَتبَعُنا)).

٣٩ فقالَ يسوع: ((لا تَمنَعوه، فما مِن أَحدٍ يُجْرِي مُعْجِزَةً باسْمي يَستَطيعُ بَعدَها أَن يُسيءَ القَوْلَ فيَّ.

٤٠ ومَن لم يَكُنْ علَينا كانَ مَعَنا)).

٤١ ومَن سقاكُم كَأسَ ماءٍ على أَنَّكم لِلمَسيح، فالحَقَّ أَقولُ لكم إِنَّ أَجرَه لَن يَضيع)).

٤٢ ومَن كانَ حَجَرَ عَثرَةٍ لهؤُلاءِ الصِّغارِ المؤمنين، فأَولى به أَن تُعَلَّقَ الرَّحَى في عُنُقِه ويُلقى في البَحْر

٤٣ فإِذا كانَت يدُكَ حَجَرَ عَثرَةٍ لَكَ فاقطَعْها، فَلأَن تَدخُلَ الحَياةَ وأَنت أَقطَعُ اليد خَيرٌ لَكَ مِن أَن يَكونَ لَكَ يَدانِ وتَذهَبَ إِلى جَهَنَّم، إِلى نارٍ لا تُطفَأ.

٤٥ وإِذا كانَت رِجْلُكَ حَجَرَ عَثرَةٍ لَكَ فاقطَعْها، فَلأَنْ تَدخُلَ الحَياةَ وأَنتَ أَقطَعُ الرِّجل خَيرٌ لَكَ مِن أَن يَكونَ لَكَ رِجلانِ وتُلْقى في جَهَنَّم.

٤٧ وإِذا كانَت عَينُكَ حَجَرَ عَثرَةٍ لَكَ فاقلَعْها فَلأَنْ تَدخُلَ مَلَكوتَ اللهِ وأَنتَ أَعوَر خَيرٌ لَكَ مِن أَن يكونَ لَكَ عَينانِ وتُلْقى في جَهَنَّم،

٤٨ حَيثُ لا يَموتُ دُودُهم ولا تُطفَأُ النَّار.

٤٩ لأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ سيُمَلَّحُ بِالنَّار.

٥٠ المِلْحُ شَيءٌ جَيِّد، فإِذا صارَ المِلحُ بلا مُلوحَة، فَبِأَيِّ شَيءٍ تُمَلِّحونَه؟ فَلْيَكُنْ فيكُم مِلحٌ ولْيُسالِمْ بَعضُكم بَعضاً)).

ما نقرأه الآن لا يرتبط ارتباطًا ظاهرًا بما سبق (٩:٣٣-٣٧). ونستطيع أيضًا أن نتصوَّر يسوع جالسًا وهو يعلِّم تلاميذه. ولكن من الواضح أنَّ هذه الأقوال تتجاوز هذا الأفق الأوَّل. فمرقس، هذا المعلِّم النبيه، جمع هنا تعليمات متنوِّعة ووجَّهها إلى الجماعة المسيحيَّة. وهذا التجميع هو ميزة نهج قديم في الحضارات الشفهية لمساعدة الذاكرة: انها تقنيَّة "الألفاظ المتلازمة". كلمات مبعثرة من يسوع، لم يكن لها في الأصل ارتباط بعضها

ببعض، تُضَمُّ الواحدة إلى الأخرى بواسطة لفظة أو عبارة. يبدأ المقطع بكلمة: "باسمي". ويضمُّ أربع جُمَل: آ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤١. ثمَّ تتوالى سلسلة من الأقوال كما في مسبحة حول فعل "شكَّك" الذي نجده أربع مرَّات في آ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٤٧. وفي النهاية نجد لفظين: "النار" و"الملح" وهما يربطان ثلاثة أقوال مأثورة (آ٤٨، ٤٩، ٥٠).

كان تدخُّلُ واحد من الاثني عشر، يوحنّا (آ٣٨) قد اثار التعليمَ الأوَّل ليسوع. وان كلام أحد الأخوين اللذين دُعيا مسبقا "ابني الرعد" (٣:١٧)، يدهشنا. وهو يكشف عن بعض الصرامة في المجموعة. كانت الجماعة قد مالت إلى استبعاد أشخاص هامشيين، لا ينتمون إليها كلَّ الانتماء. لقد رفض يسوع هذه الروح "المنغلقة" في كنيسته. وذكَّر أخصَّاءه بأهمِّيَّة الانفتاح على الأخ القريب (آ٣٩). وطالبَ التعليم بأوسع استقبال ممكن للذين ليسوا خصومًا خطرين. "من ليس عليكم هو لكم" (آ٤٠). لنفكِّر بأهمِّيَّة هذا الكلام في كنيسة مثل كنيسة مرقس، يدفعها الاضطهاد إلى التقوقع والانغلاق على الذات. وراح يسوع أبعد من ذلك، مع مثَل كأس الماء، البارد الحيويّ في الشرق. فأقلّ فعل محبَّة يقوم به خصمٌ، في المناخ الأكثر عداء، من أجل مسيحيّ، يتَّخذ قيمة كاملة. فيسوع سيتذكَّره يوم الدينونة (راجع متى ٢٥:٣١-٤٦).

وفي الآيات التالية (آ٤٢-٣٧) تتبدَّل اللهجة وتصبح أكثر صرامة. تتداخل سلسلةٌ من الأقوال بفضل فعل "شكَّك" (آ٤٢أ). فالتنبيه جدِّيّ. حرفيًا: لا "تنصبْ عثارًا" على طريق المؤمنين. "فهؤلاء الصغار" الذين يؤمنون بي، هم مسيحيُّون ما زال إيمانُهم الناشئ سريع العطب. فكلُّ "عثار"، بمعنى "فخ" تنصبه تحت أقدامهم، يضرُّ بأمانتهم أكبر ضرر. فيجب أن نتحفّظ بالغ التحفّظ من أيِّ تشكيك. وينبغي أيضًا على كلِّ أخٍ في الجماعة أن يسهر على علاقاته مع الآخرين. ثلاثَ مرَّات أعطيَ الأمر: "إذا يدك... إذا رجلك... إذا عينك دفعتك إلى الخطيئة، فاقطعْها" (آ٤٣أ، ٤٥أ، ٤٧أ). فاليد والرجل والعين هي الأعضاء الرئيسيَّة في الاتِّصال بالآخرين، وهي تُلزمُ الإنسانَ كلَّه. فإن كانت سببًا للإساءة إلى القريب، فالأفضل أن ننفصل عنها. هناك حالات حيث قطْعُ عضوٍ مريض يُخلِّص الإنسان كلَّه. وعلى المستوى الروحيّ، يصبح الرهان أساسيًا. فالأفضلَ الدخول في الحياة الأبديَّة "أقطع... أعرج... أعور"، من أن نُرمى بكلِّيَّتنا "في جهنَّم حيث الدود لا يموت والنار لا تنطفئ" (آ٤٣ب، أ٤٥ب، آ٤٧ب).

هذه الأقوال قاسية جدًّا، بل فظَّة! يُذكر فيها مصير الخطيئة في صوَر من الموت الأبديّ ترافقه عذابات رهيبة (الدود والنار). لننظر إليها عن قرب. نبدأ أوَّلاً القراءة -الحرفيَّة- للصور المستعملة. فالكنيسة لم تقرأ يومًا في هذه الصفحة من الإنجيل دعوة إلى

قطع عضو من أعضاء جسمنا. بل ترى فيها، بالنسبة إلى كلٍّ مسيحيّ، نداء ملحًّا للتجرُّد ممّا هو شرٌّ في ذاته، لتأمين الخلاص. فالقضيَّة هي نجاح الوجود الإنساني أو عدم نجاحه. من جهة، هناك "الحياة الأبديَّة"، الحياة التي لا تنتهي، مع المسيح القائم من الموت. ومن جهة أخرى، هناك "الجحيم". ماذا يعني هذا؟ الصورة هي في أصل رؤيةُ دانتي لـ"جهنَّم"؛ حالة من الدمار الموجع لخطأة قسُّوا قلوبهم! "جهنَّم" هي وادٍ محصور، في جنوبيّ تلَّة أورشليم. فمنذ أجيال، وفي زمن يسوع، يُستعمَل هذا الموضع المتوحِّش لرمي قمامة المدينة. ونستطيع أن نرى على مدى النظر تلالاً من الزبالة الحيوانيَّة والنباتيَّة، وقد احتلها الدود. تُحرَق هناك على الدوام الأقذار المختلفة والجثثُ البشريَّة في وقت الأوبئة. وبموجز الكلام، توحي جهنَّم لمعاصري يسوع بالمصير العادل المحفوظ للذين مالوا عن نداءات الله. هذه الرؤية المرعبة وُجدَت من قبل لدى النبيّ اشعيا: "ويخرجون (من المدينة) ويشاهدون جثث الناس الذين تمرَّدوا عليَّ (يقول الله). فدودهم لا يموت ونارهم لا تنطفئ. ويكونون مرذولين من جميع البشر" (٦٦:٢٤).

لقد عمل هذا المشهد بقوَّة في المخيِّلات. فمن بعد دانتي -الشاعر الإيطاليّ المشهور في القرن الرابع عشر- انتقلت جهنَّم ونارها الشيطانيَّة، لدى العديد من الناس، من مجرَّد رمز إلى واقع لا يُحتمل. لذا يجب أن نعيد إلى الحقيقة مكانها. فالصور البيبليَّة، مع تطرُّفها بالذات، تريد أن تنقل فكرة بسيطة: عدالة الله تعاقب أولئك الذين انغلقوا كلَّ الانغلاق على محبَّته. وهكذا يجدون انفسهم محرومين من الاتِّحاد بالله، ومفصولين عن المسيح وعن القدِّيسين. فجهنَّم التي يشهد عليها الكتاب المقدَّس، تبقى مع ذلك واقعًا سرِّيًّا يصعب علينا "فهمه" مع فكرة إله كله محبَّة!

وفي النهاية، ينتهي هذا النصُّ بقولَين غامضين يربطهما لفظان متلازمان: "الملح" و "النار". "لأنَّ كلَّ إنسان يملَّح بالنار" (٤٩آ). انها جملة ليس من السهل فهمها. قد يوحي ذلك بأنَّ لا أحد يُفلت من التطهير. ذلك ان النار تحرق وتطهِّر. والملح، كان يُستعمَل في الماضي لتغذية النار. غير أنَّ الجملة الأخيرة تبدو أكثر سهولة (٥٠آ). هنا يُؤخَذ الملح في استعماله المفيد: انه يُستعمَل لحفظ الأطعمة. فالمسيحيّ مدعوٌّ إلى ان يتغلَّب على كلِّ فتور في حياته، ويطلبَ السلام مع إخوته، بالرغم من صعوبات الحياة الجماعيَّة.

مسألة الطلاق (١٠:١-١٢)

١٠ ومَضى من هُناكَ، فجاءَ بِلادَ اليَهوديَّة عِندَ عِبْرِ الأُردُنّ فَاحتَشَدَت لَدَيهِ الجُموعُ مَرَّةً أُخرى. فَأَخَذَ يُعَلِّمُهم أَيضاً على عادَتِه.

٢ فدَنا بَعضُ الفرِّيسيِّينَ وسأَلوه لِيُحرِجوه هَل يحِلُّ لِلزَّوجِ أَن يُطَلِّقَ امرَأَته.
٣ فأَجابَهم: ((بِماذا أَوصاكم مُوسى ؟))
٤ قالوا: ((إِنَّ مُوسى رَخَّصَ أَن يُكتَبَ لَها كِتابُ طَلاق وتُسَرَّح)).
٥ فقالَ لَهم يسوع: ((مِن أَجْلِ قَساوَةِ قُلوبِكم كَتَبَ لَكُم هذِهِ الوَصِيَّة.
٦ فمُنذُ بَدْءِ الخَليقَة ((جعَلَهما اللهُ ذَكَراً وأُنْثى.
٧ ولِذلِكَ يَترُكُ الرَّجُلُ أَباهُ وأُمَّه ويَلزَمُ امرأَتَه.
٨ ويَصيرُ الاثنانِ جسَداً واحداً)). ((فلا يكونانِ اثنَيْنِ بَعدَ ذلك، بل جسَدٌ واحِد.
٩ فما جَمَعَه اللهُ فَلا يُفَرِّقَنَّه الإِنسان)).
١٠ وسأَلَه التَّلاميذُ في البَيتِ أَيضاً عن ذلك،
١١ فقالَ لَهم: ((مَن طَلَّقَ امرَأَتَه وتَزَوَّجَ غَيرَها فقَد زَنى علَيها.
١٢ وإِنْ طَلَّقَتِ المَرأَةُ زَوجَها وتَزَوَّجَت غَيرَهُ فقَد زَنَت)).

أعطيَت، في كفرناحوم، في الجليل، مختلف النصائح حول الحياة في الجماعة، (٩: ٣٣). وتم العبور الطويل في فلسطين، من الشمال إلى الجنوب (آ١أ). وقادت يسوعَ خطواتُه باتِّجاه أورشليم. وها هو الآن في صلة بسكّان الجنوب الفلسطينيّ، على جانبيّ نهر الأردنّ؛ في الغرب مع أهل اليهوديَّة، معاصريه اليهود، وفي الشرق مع سكّان بيريه (الأردنّ الحاليَّة)، أي الوثنيِّين. وأراد مرقس أن يبيِّن أنَّ رسالة يسوع تتواصل مع الجميع. الجمع هو هنا، ويسوع يعلِّمه (آ١ب). ونجدنا ازاء جميع الشروط المطلوبة لتبلغ رسالة المعلِّم إلى اوسع الجماهير.

واقترب منه فرِّيسيُّون (آ٢أ). كانت آخر جدالات يسوع مع هؤلاء المدافعين الاشدّاء عن شريعة موسى، ترقى إلى وقت بعيد (٨: ١١-١٢). ومرقس، كما فعل في تلك المرَّة، شدد على أنَّ هؤلاء اليهود الأتقياء المميَّزين أتوا يسألونه "لكي يجرِّبوه" (آ٢ب). يجب أن نتذكَّر أنَّ الإنجيليّ، من خلال هذا الكلام، يشير إلى موقف بني إسرائيل الذين، في برِّيَّة الخروج، عبَّروا عن عدم إيمانهم بموسى وبالله ذاته: "جرَّبوا الربَّ فقالوا: هل الله في وسطنا أم لا؟" (خر ١٧: ٧). والفخّ الذي نُصب هنا ليسوع يتطرَّق إلى مسألة الطلاق: "هل يحقُّ للزوج أن يطلِّق امرأته؟" (آ٢ج). كان جدال حامٍ بين الرابِّينيِّين حول مسألة طلاق الزوجة في منعطف القرن المسيحيّ الأوَّل. وتواجهت مدرستان مشهورتان برأيين متعارضين. من جهة، رابِّي هيلّيل، ذلك الفرِّيسيّ المتحرِّر الذي قبِلَ الأسبابَ

العديدة التي تتيح للرجل والمرأة أن ينفصلا. وبالمقابل، لم يكن رابّي شمعي، ذو الميل الضيِّق، يقبل إلاّ قليلاً من الحالات التي تسمح بالطلاق. وفي الحقِّ الإسرائيليّ، لما كان يحقُّ للزوج وحده أن يطلِّق امرأته، دافع شمعي عن قضيَّة النساء في مجتمع ذكوري وقح. ويسوع، بصفته "رابّي" رفيع المستوى، طُلب منه أن يأخذ موقفًا إلى جانب هذا الموقف أو ذاك. والفخّ الذي نُصب له واضح: سيكون بالامكان اتهامه بالتساهل او التشدد. لقد أرادوا أن يركنوه في هذا الموقف أو ذاك. إلا ان المعلِّم أعاد محاوريه إلى أصل الجدال: "بماذا أوصاكم موسى؟" (٣آ). وكان الجواب سهلاً (٤آ). وعودة الفرِّيسيِّين إلى شريعة موسى تدلُّ على استعمال قديم وشرعيّ للطلاق (راجع تث ٢٤: ١). والتشريع الإسرائيليّ (هل يعود إلى موسى؟) مال فقط إلى إعطاء صفة إنسانيَّة لتلك الممارسة، ففرض على الزوج أن يقدِّم إلى زوجته المطلَّقة شهادة مكتوبة. غير أنَّ يسوع لا يجهل أنَّ التقليد اليهودي أخطأ، عبر إفراط في التساهل، لصالح الزوج وحده. فالرجل يستطيع أن يطلِّق زوجته لأكثر الأسباب تفاهة! وكانت آية من سفر التثنية قد فتَحَتْ السبيل إلى جميع التعسُّفات: "إذا تزوَّج رجل بامرأة و لم تعُد تجد حظوة عنده لعَيب أنكره عليها، فعليه أن يكتب لها كتاب طلاق ويسلِّمه إلى يدها ويصرفها من بيته" (٢٤: ١). وشهد المؤرِّخ اليهوديّ فلافيوس يوسيفس (في القرن الأوَّل المسيحيّ) على الحرِّيَّة الكبيرة التي اتَّخذها مؤيدو هيلّيل، انطلاقًا من هذا المقطع من التوراة. "من أراد أن يطلِّق لأيِّ سبب كان (وكثيرةً كانت الأسبابُ التي تستطيع أن تصل إلى هذه النتيجة بين الناس)، ليشهد على ذلك كتابة..." (**العاديّات اليهوديَّة**، ٤، ٨، ٢٣).

ولما كان يسوع يعي هذا النمط من التفسير وغيره، بدأ يعيد شريعة موسى إلى مستواها المستقيم: "لأجل قساوتكم كتب (موسى) هذه الشريعة" (٥آ). وموضوع "قساوة" الشعب المختار تجاه كلام الله، يملأ تاريخه. وما فتئ الأنبياء ينددّون بمأساة إسرائيل، هذا الشعب ذي "الرقبة القاسية"، والمتمرِّد على ارادة الله. ويسوع نفسه، سبق له ان شجب "قساوة القلب" هذه لدى الفرِّيسيِّين الذين يمثِّلون الشعب (راجع ٣: ٥). ولكنَّ المعلِّم توخَّى أن يعطي لفكره دافعاً أعمق. فكما فعل من قبل، في ما يخصُّ شريعة موسى الأخرى، شريعة السبت (راجع ٢: ٢٣-٢٨)، إحتكم هنا، إلى غاية الخالق الأصيلة (٦آ)، متجاوزًا التقليد اليهوديّ. فلقد رجع يسوع في الزمن إلى أبعد من سفر التثنية. رجع إلى سفر التكوين (١: ٢٧) الذي قدَّم الاتِّحاد بين الرجل والمرأة على أنَّه الأساس المتين الذي يجب أن تُبنى عليه البشريَّة، فلا تُدمَّر. فالرجل والمرأة، في ثنائيَّة الجنس، خُلقا على "صورة الله". هنا تكمن عظمة اتِّحادهما. واستخلص يسوع من هنا النتيجة التي

أرادها الخالق: "لهذا... يصيران كلاهما واحدًا" (آ٧). وذلك مرجع صريح من رواية الخلق الثانية (تك ٢: ٢٤). والنصُّ قويٌّ جدًّا: الرجل والمرأة مدعوّان إلى أن يؤسِّسا خليَّة عائليَّة مستقلَّة. والبيت الذي يكوِّنانه يشكِّل وحدة أساسيَّة، وُلدت من علاقتهما على مستوى الحبِّ والجنس.

هذه الوحدة الأوَّليَّة التي أسَّسها الله، هي واقع يجب أن نحافظ عليه مهما كان الثمن. ولقد شدَّد يسوع على هذا الأمر بقوَّة: "إذًا ما جمعه الله لا يفرِّقه الإنسان!" (آ٩).

وهكذا يكون جواب المعلِّم على السؤال المطروح عليه تسامياً في النظرة. وهنا، كما سيقول القدِّيس يوحنّا، نجد نبيًّا أعظم من موسى، مشرِّعا للشعب المختار (يو ١: ١٧). فالمسيح جاء بملء السلطات الإلهيَّة، لكي يعيد للخليقة الترتيب الذي أراده لها الخالق. وإذا دخل يسوع في الجدال الذي يَجري بين الحكماء (هؤلاء الربانية المشهورين في زمانه)، إلا انه لم يقع في لعبة المشترعين اليهود وفتاواهم. هوذا يؤكِّد بقوَّة على المعنى الذي أعطاه الله، في الأصل، للاتِّحاد الزوجيّ. فالطريق التي يفتحها هي أكثر تطلُّبًا من النظرة البشريَّة. وبقيت صرامته تطرح السؤال على أصدقائه الأخصّاء. وكالعادة تعجّب التلاميذ أنفسهم من صرامة تعليم معلِّمهم. فاتَّخذوا أسلوب الفرِّيسيِّين وسألوا يسوع على حدة، في البيت (آ١٠). يمكن الاعتقاد بأنها الجماعة المسيحيَّة الأولى هي التي تسأل، وقد تعرّض اعضاؤها لمسألة الطلاق، سعيا إلى تحديد فكر الربِّ بشأن هذه الحالات الصعبة. وأجاب يسوع تلاميذه بعبارة مدهشة (آ١١-١٢). نستطيع أن نقدِّم ملاحظتين: الأولى، هي أنَّنا بصدد حالة تتعدّى الانفصال بين زوجين، وتدور حول زواج مطلَّقين. هذه الحالة تُعتبَر "زنى"، وهو لفظ قاس، به ندَّد الأنبياء بإسرائيل ازاء "نقضه" المتكرر للعهد مع الله (راجع هو ١-٣). والملاحظة الثانية هي في المفردات التي تُقرُّ للمرأة بعين الامكانية التي للرجل في طلب الطلاق. هذه الحالة لم تكن موجودة في التشريع اليهوديّ، في زمن يسوع، بل تكشف وضعا يرتبط بالحقِّ الرومانيّ. فحين دوَّن مرقس إنجيله ووجَّهه إلى المسيحيِّين الآتين من العالم الوثنيّ، كان عليه أن يحسب حساب الشرائع الرومانيَّة.

هاتان الملاحظتان تكفيان لتبيِّنا أنَّ فكر يسوع الثابت حول الطلاق، قد طبَّقته الكنيسة الأولى على أوضاع جديدة. فلا نعجب إذا كان الأمر هكذا اليوم. فالكنيسة تجد نفسها دومًا في مواجهة مع زواجات فُسخت وأعيد بناؤها. وفي جميع هذه الحالات، علينا ان نتذكَّر بأنَّ فكر يسوع لم يُبنَ على نظرة شريعانيَّة، بل مارس دومًا استقبالاً واسعًا للمُبعَدين والخطأة (راجع ٢: ١٥-١٧).

يسوع والأطفال (١٠:١٣-١٦)

١٣ وأَتَوهُ بِأَطفالٍ لِيَضَعَ يَدَيه علَيهم، فَانتَهَرهُمُ التَّلاميذ.

١٤ ورأَى يسوعُ ذلك فاستاءَ وقالَ لَهم: ((دَعُوا الأَطفالَ يأتونَ إِليَّ، لا تَمنَعوهم، فَلأَمثـال هؤلاءِ مَلَكوتُ الله.

١٥ الحَقَّ أَقولُ لَكم: مَن لم يَقبَلْ مَلكوتَ الله مِثْلَ الطِّفل، لا يَدخُلْه)).

١٦ ثُمَّ ضَمَّهم إِلى صدرِه ووَضَعَ يَديه علَيهِم فبارَكَهم.

ضمن التعليم الذي يقدِّمه يسوع حول الطريقة التي بها نصبح تلاميذه (منذ ٨: ٣٤)، أدرج مرقس الآن مشهدًا صغيرًا، حيًّا ومرحًا: يسوع يستقبل الأطفال. لقد سبق للمعلِّم أن بيَّن اهتمامه بعالم الطفولة (٩:٣٥-٣٧)؛ وتجاه ادِّعاءات الاثني عشر وما فيها من كبرياء، قدَّم نفسه حينذاك على أنَّه خادم الجميع. وهنا، اعيد هذا البلاغ بلهجة مختلفة بعض الشيء. هوذا يسوع بيَّن لتلاميذه أنَّ الأطفال هم النموذج لاستقبال ملكوت الله.

لقد قدَّموا له أطفالاً لكي يلمسهم (آ١٣أ). لم يُعطَ عمر هؤلاء الأولاد، لكنَّهم ليسوا صغاراً جدًّا. فاللفظ اليوناني المستعمل يدلُّ على صبيان من ٧ إلى ١٤ سنة. ولا يُقال أيضًا السبب الذي لأجله رغب الناس في أن يلمسهم يسوع. لقد رأينا، مرَّات عديدة، الناس ولاسيَّما المرضى، يتزاحمون على يسوع للحصول على اتِّصال جسدي مع الشافي (٣:١٠؛ ٥:٢٥-٢٨). ولكنَّ الأولاد ليسوا بمرضى. هل ترى الذين يقدِّمونهم إلى يسوع يريدون منه فقط ان يشملهم بحمايته؟

يصدمنا موقف التلاميذ المعادي بوضوح (آ١٣ب). انها حركة استبعاد عنيفة. لماذا؟ يجب أن نبحث عن السبب في عادات المجتمع القديم. ففي زمن يسوع، كان الأطفال موضوع احتقار من قبل الكبار. فهؤلاء الأولاد الذين يتحرَّكون ويشكِّلون افواهاً جائعة يجب إطعامُها، لا يحظون باعتبار كبير في عالم يسوده الفقر. ثمَّ إنَّ كلَّ هؤلاء الصبيان الذين يتغلغلون في الجماعة اليهوديَّة، لا زالوا يجهلون شريعة موسى. لذا كانوا يعامَلون وكأنَّهم "خارج الشريعة"، ويُجعلون في صفِّ "المبعَدين"، مثل المرضى والنساء والعبيد، إلخ... وهذا الاحتقار الذي عبَّرَ عنه تلاميذُه الأخصّاء تجاه الأطفال، صدمَ المعلِّم في العمق: "إذ رأى يسوع هذا غضب" (آ١٤أ). لقد سبق مرقس وأشار إلى نظرة الغضب لدى يسوع (٣:٥)، ولكنَّه لم يبيِّن لنا ابداً السبب العميق لاحتدامه. وها هو السبب (آ١٤ب): الأطفال، مثلهم مثل "المبعَدين"، لهم مكانهم في الملكوت!

جعل يسوع من ملكوت الله الذي به يأتي، أحد المواضيع المفضّلة في بشارته (راجع ١:١٤-١٥). وهوذا الآن يشخّص الأطفال و "الذين يشبهونهم" على أنّهم المستفيدون من هذا الملكوت. لماذا؟ لطالما استخدمت أقوالُ المعلّم لامتداح "روح الطفولة". وكثيرًا ما تكلّم الناس عن براءة الطفولة ونقاوتها. كما انهم جعلوا منها نموذجاً للأخلاق، و لم يتجنبوا الفخّ الذي يسقط فيه الكبار السذّج: نوع من "الطفولية". فالعلوم الحديثة، وسيكولوجيا الأعماق بشكل خاصّ، كشفتْ عن رؤية عن الطفل هي أقلّ مثاليَّة. وعالم من مثل فرويد ذهب إلى الحديث عنه وكأنّه "مجبول بالفساد": كائن يخفي في اعماقه كلّ انحرافات الكبار!

لا ينبغي، اذن، أن نبالغ في المثاليَّة التي انطوى عليها استقبال يسوع للطفل. وإذا اتّخذه المعلّم مثالاً يَقتدي به الناسُ الكبار، فلأنّه، في تفكير ذاك الزمان، صغير، فقير، مُبعَد. ولنقلها من جديد: في زمن يسوع، يبدو الطفل، أوّلاً، "فقيراً"، أي كائناً يرتبط كليا بآخر. وهو أيضًا علامة حية على قدرة كبيرة للسماع والثقة: وتلك أمور خسرها الكبار إلى حد كبير! فالمطواعية العميقة لدى الطفل هي التي تجعل منه نموذجًا للمؤمنين. ولقد أكّد يسوع على ذلك باحتفالية رائعة (آ١٥). ونكتشف هنا اهتمام يسوع الدائم بأن يصحِّح نظرة تلاميذه، هو الذي ينشئهم منذ الآن لمهمَّتهم كمسؤولين في الكنيسة. عليهم أن يتخلّوا عن ادعائهم بالعظمة (٩:٣٣-٣٤)، ويجعلوا من انفسهم "صغارًا" يكون بوسعهم ان يستقبلوا ملكوت الله بأكثر ما يكون من التواضع والانفتاح.

اما خاتمة هذه الرواية الرائعة، فترينا يسوع ينتقل من الكلام إلى العمل: انه يحتضن الاطفال ويباركهم (آ١٦). وان بادرة يسوع الودية تجاه هؤلاء الصغار المبعدَين وغير المحبوبين، لهي في غاية المعنى. كما ان "البركة" التي رافقتها -وهي حركة مألوفة لدى الربابنة- هي، في الكتاب المقدس، شركة بالفعل في عطية الله. وهكذا يفتح يسوع ملكوت الله للصغار.

ان الحركة التي تملأ هذا المشهد تكشف عمّا يجب أن يحصل في كنيسة مرقس. فلقد كان بعض التلاميذ، أصحاب السلطة، يسعون ولا شكّ الى "منع" الصغار والفقراء والمبعدين من المشاركة في حياة الجماعة. لذا جعل الإنجيليّ أمام أنظارهم حركة يسوع النبوية: فبصفته خادم الجميع، يريد أن "يأتي إليه" أولئك الذين يحتقرهم العالم، وهم مع ذلك مدعوُّون إلى الدخول بالقرب من الله...وفي المرتبة الاولى!

دعوة الرجل الغنيّ (١٠:١٧-٢٢)

١٧ وبَينَما هو خارِجٌ إلى الطَّريق، أَسرَعَ إِليه رَجُلٌ فجَثا له وسأَلَه: ((أَيُّها المُعَلِّمُ الصَّالِح، ماذا أَعمَلُ لأَرِثَ الحَياةَ الأَبَدِيَّة ؟))

١٨ فقالَ له يسوع: ((لِمَ تَدْعوني صالحاً ؟ لا صالِحَ إِلاَّ اللهُ وَحدَه.

١٩ أَنتَ تَعرِفُ الوَصايا: ((لا تَقتُلْ، لا تَزْنِ، لا تَسرِقْ، لا تَشهَدْ بِالزُّور، لا تَظْلِمْ، أَكْرِمْ أَباكَ وأُمَّكَ)).

٢٠ فقالَ له: ((يا مُعلِّم هذا كُلُّه حَفِظْتُه مُنذُ صِباي)).

٢١ فحَدَّقَ إِليه يسوع فأَحبَّه فقالَ له: ((واحِدَةٌ تَنقُصُكَ: اذْهَبْ فَبعْ ما تَملِك وأَعطِه لِلفُقَراء، فَيَكونَ لَكَ كَنزٌ في السَّماء، وتَعالَ فَاتَبعْني)).

٢٢ فاغتَمَّ لِهذا الكَلامِ وانصَرَفَ حَزيناً، لأَنَّه كانَ ذا مالٍ كثير.

مشهد جميل يُدخلنا إلى هذا المقطع الجديد في الطريقة التي بها يصبح الإنسان تلميذ يسوع. لقد اعترضه رجل منعه من مواصلة السير (آ١٧أ). وحركة هذا الرجل -وهو يهوديّ كما سنرى- هي علامة تكريم غير عاديّ تجاه المعلِّم. وفعله -ركع- اصبح ليتورجيًّا (راجع ما فعل الأبرص، ١:٤٠). فالرجل المجهول وصف يسوع بأنَّه "المعلِّم الصالح" (آ١٧ب). ولكنَّ يسوع رفض للحال هذه الصفة، معلنا: ما من صالح إلاَّ الله وحده (آ١٨). قد نعجب من هذا الردِّ على لسان يسوع. فلقد شاء، في حضرة هذا العضو الذي يمثِّل الشعب المختار، أن يؤكد أوَّلاً على جوهر الإيمان اليهوديّ: الله، والله وحده، في تساميه المطلق، هو سيد "الصلاح". وبعد هذا، جاء السؤال المطروح على المعلِّم في مكانه: "ما الذي يجب أن أعمله لأرث الحياة الأبديَّة؟" (آ١٧ج). لأن الاهتمام بالوصول إلى السعادة المقبلة هو طلب مبرور لدى اليهود الأتقياء، وعلى رأسهم الفرِّيسيّين. من الواضح أنَّ يسوع تلقّى السؤال. وعلى مثال أي رابِّي في زمانه، كان يترتب عليه أن يقول بوضوح ما الذي يكوِّن -حسب التقليد اليهوديّ وحسب فكره الشخصيّ- جوهر شريعة موسى. ويسوع، وهو العارف بالشريعة معرفة تامّة، سرد مقتطفات من الكلمات العشر (خر٢٠:١-١٧): وصايا الله التي تخص محبَّة القريب. اما عبارة "لا تظلم أحدًا"، فقد أُضيفت على النصِّ البيبليّ فأوجزت الروح التي ينعش المجموعة برمتها.

أقرَّ يسوع، إذاً، أنَّ ممارسة الوصايا الإلهيَّة هي، في نظره، الطريق العاديَّة والكافية للبلوغ "إلى الحياة الأبديَّة". واسرع الرجل العارف بالتوراة فأجاب يسوع أنَّه قد "حفظ"

كلَّ هذه الوصايا منذ صباه (آ٢٠). ومثل هذا الكلام يكشف عن استقامة هذا اليهوديّ وأمانته الدينيَّة. لقد عرف يسوع ذلك جيدا –وطاب لمرقس أن يشدِّد على هذا الأمر (آ٢١أ). وكان لنَظرة المعلِّم، عند الإنجيليّ مرقس، شيء لا يُنسى. ففي أكثر الأوقات، نجدنا بازاء نظرة غضب (٣:٥؛ ١٠:١٤) أو استكشاف (٣:٣٤؛ ٥:٣٢؛ ١٠:٢٣). أمّا هنا، فالنظرة مليئة بالحنان والاحترام العميقين. كما ان للعبارة التي رافقتها ("فأحبَّهُ") غنى يصعب تصوُّرُه. فمحبَّة الله، في العهد القديم، كانت وراء اختيار إسرائيل بصفته شعبه (راجع تث ٧:٧-٨). وهو الحبّ الإلهيّ ذاته دفع بيسوع ليختارَ هذا اليهوديَّ التقيّ. فكان التعبير عن هذا الاختيار في دعوة تطلبت التزاماً نادراً (آ٢١ب).

نال هذا النداء في الكنيسة صدىً عميقًا. وكانت إحدى علامات "الاهتداء إلى المسيح" والانتماء إلى الجماعة المسيحيَّة في الكنيسة الأولى، مقاسمة الخيرات في خدمة أفقر الفقراء (راجع رسل ٢:٤٤؛ ٤:٣٢-٣٥). أمّا هنا، فينبغي أن نلاحظ أوَّلاً أنَّ نداء يسوع يتوجَّه إلى شخص فرد: الرجل الذي هو أمامه. طلب منه أن يتخلَّى عن كلِّ شيء. وهذا النوع من الطلب ليس طلبًا على غير تعيين، ولا هو موجَّه إلى الناس اجمعين. ونجده في بداية الإنجيل، في الدعوة الموجَّهة إلى التلاميذ الأربعة الأوَّلين (١:١٦-٢٠). فيسوع يعرض على بعض الناس، لا على الجميع، أن يتحرَّروا من كلِّ عائق ليسيروا في إثره. وهذا ما تفرضه، في الدرجة الأولى، الطريقة التي تبناها يسوع نفسه في رسالته: خدمة جوّالة، مجرَّدة إلى أقصى الحدود عن شروط الحياة العاديَّة: الأسرة والأملاك. وفي الوقت الذي نَحن فيه، هوذا يسوع يجدد هذا النمط من الدعوة. غير أنَّ معنى ندائه التام، والموجَّه إلى يهوديّ تقيٍّ، طرح عليه سؤالاً يكمن في هذا القول: "تعالَ اتبعني" (آ٢١د)، أي: "تجاوز إيمان آبائك" وقم بهذه الحركة الجديدة كلِّيا بالنسبة إليك، بأن تكون تلميذ "المسيح" الذي هو أنا (راجع ١:١٧؛ ٢:١٤). لم يكن هذا التجاوز سهلاً، كما يشهد عليه رفض الرجل الذي اصابه الحزن (آ٢٢). فالآن فقط عرفنا أنَّه كان غنيًّا جدًّا، وأنَّ غناه منعه من أن يجيب بنَعم على نداء يسوع. ويسوع، في الحوار الذي تلا مع التلاميذ، سوف يشدِّد على أنَّ امتلاك الغنى عائق أساسيّ لمسيرة البشر في خطاه، مع التجرُّد المطلوب (راجع ١٠: ٢٣-٣١). أمّا الآن، فيكفي الرجل الذي دعاه يسوع بأن يعرف أنَّه إذا تجرَّد من خيراته الأرضيَّة وجد "كنزًا في السماء" (آ٣١ج).

لقد أرانا هذا المشهد دعوة أخطأت هدفها. ولكن، من وراء هذه الحالة التي عرضت، رأى التقليد الإنجيليّ برمته في ذلك "درساً نموذجيّاً" (متى ١٩:١٦-٢٢؛ لو ١٨:١٨-٢٣). ومن خلال وجه هذا الرجل اليهوديّ، الامين منذ صباه على شريعة

موسى، يرتسم تاريخ اسرائيل الذي اعتبر "الكلمات العشر" -وهي قاعدة حياة- طريقاً حقيقياً، باتجاه "الحياة الأبديَّة"، والكنز الذي وعدَ به الله بالتالي الشعبَ المختار. وقُدِّم يسوع هنا على أنَّه "المسيح": لقد أتى ليكشف عن متطلّبات أرفع من الديانة اليهوديَّة. فهو يطلب "المزيد" من الشعب الذي يحفظ وصايا الله (راجع: "ينقصك شيء واحد..." (آ٢١أ). فالبشارة التي عرضها يسوع هي نداء إلى التجاوز. فلا يكفي أن يكون المرء اميناً لوصايا الله، بل أن يسير في "إثر" شخص المسيح بالذات. إنّ ذروة الخبر ليست في التخلّي عن الخيرات، بل في التعلّق بشخص يسوع المسيح؛ والإيمان المسيحيّ جاء يُتمُّ الإيمان اليهوديّ ويكمِّله. ولا ننسَ أنَّ خبر الرجل الغنيّ هذا ورد ضمن مسيرة يسوع التي لا رجعة فيها نحو آلامه (منذ ٩:٣٠-٣١). فاتِّباع المسيح -أنْ يصير المرء مسيحيًّا- لا يتم من دون تجرُّد.

ملكوت الله والثروات (١٠:٢٣-٣١)

٢٣ فأَجالَ يسوعُ طَرْفَه وقالَ لتَلاميذه: ((ما أَعسَرَ دُخولَ مَلَكوتِ اللهِ عَلى ذَوي المال)).

٢٤ فدَهشَ تَلاميذُه لِكَلامِه فأَعادَ يسوعُ لَهمُ الكَلامَ قال: ((يا بَنِيَّ، ما أَعسَرَ دُخولَ مَلَكوتِ الله!

٢٥ لأَن يَمُرَّ الجَمَلُ مِن ثَقْبِ الإِبرَةِ أَيسَرُ مِن أَن يَدخُلَ الغَنِيُّ مَلكوتَ الله)).

٢٦ فاشتَدَّ دَهَشُهُم وقالَ بَعضُهم لِبَعض: ((فَمَن يَقدِرُ أَن يَخلُص؟))

٢٧ فحَدَّقَ إِلَيهِم يسوعُ وقال: ((هذا شَيءٌ يُعجِزُ النَّاسَ وَلا يُعجِزُ الله، فإِنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قَدير)).

٢٨ وأَخَذَ بُطرُسُ يقولُ له: ((ها قد تَرَكْنا نَحنُ كُلَّ شَيءٍ وتَبِعناكَ)).

٢٩ فقالَ يسوع: ((الحَقَّ أَقولُ لَكم: ما مِن أَحَدٍ تَرَكَ بَيتاً أَو إِخوَةً أَو أَخَواتٍ أَو أُمًّا أَو أَباً أَو بَنينَ أَو حُقولاً مِن أَجْلي وأَجْلِ البِشارَة

٣٠ إِلاَّ نالَ الآنَ في هذه الدُّنيا مائةَ ضِعْفٍ مِنَ البُيوتِ والإِخوَةِ والأَخَواتِ والأُمَّهاتِ والبَنينَ والحُقولِ مع الاضطِهادات، ونالَ في الآخِرَةِ الحَياةَ الأَبَدِيَّة.

٣١ وكثيرٌ مِنَ الأَوَّلينَ يَصيرونَ آخِرين، والآخِرونَ يَصيرونَ أَوَّلين)).

الرفض الذي لاقاه يسوع من قبل رجل غنيّ (١٠: ١٧-٢٢) صار مناسبة لـه لتعميق المعنى مع تلاميذه. هل هناك توافق بين ملكوت الله والغنى؟

ومن جديد جعلتنا نظرة يسوع الشاملة (راجع ٣:٣٤-٣٥) ننتظر منه تعليمًا هامًّا (آ٢٣أ). وها هو: "ما أصعب على الذين يمتلكون الغنى أن يدخلوا ملكوت الله!" (آ٢٣ب). وبيَّنت ردَّةُ الفعل الرائعة لدى أصدقاء يسوع، رفضهم الطبيعيّ تقبُّل مثل هذا البلاغ (آ٢٤أ). واضطر المعلِّم أن يجدِّد تنبيهه، وبالحاح (آ٢٤ب). ولكي يرسم بقوَّة هذه الصعوبة، استعمل صورة أضحت مشهورة: "إنَّه لأسهل على الجمل بأن يمرَّ في خرم الأبرة من أن يدخل الغنيّ ملكوت الله" (آ٢٥). تبدو المبالغة واضحة جدًّا. والشرقيِّون يعشقون مثل هذه الصور من اجل لفت الانتباه. وفي ذلك الوقت، كان الجَمَل، بأحماله الثقيلة، يوحي تماماً بالارباك الذي يتعرض له الغنيّ بسبب ثرائه.

وتفنَّن يسوع في تحريك الفكر من جديد. هوذا التلاميذ، وهم محبَطون، طرحوا عليه هذا السؤال: "إذاً من يقدر أن يخلص؟" (آ٢٦). ونحن نعرف ان مرقس اعتاد التشديد على عدم فهم التلاميذ قبالة تعليم معلِّمهم المحيِّر. لقد ذهبوا هذه المرَّة إلى حد التساؤل إذا كان بوسع أحدٌ -في هذه الظروف- البلوغ إلى الخلاص. "فنظر إليهم يسوع (ومرَّة أخرى، لكي يرسخ جيدا فكرته في رؤوسهم) وأجاب: "بالنسبة إلى البشر، هذا مستحيل، أمّا بالنسبة إلى الله فكلُّ شيء ممكن" (آ٢٧). انه تأكيد قاطع؛ فالخلاص يتجاوز كلَّ الامكانيّات البشريَّة. إنَّه عطيَّة الله المجّانيَّة: هو وحده "قادرٌ" أن يخلِّص البشر.

لا شكَّ أنَّ وجهة النظر هذه حيَّرت التلاميذ أكثر ممّا سبق. والبرهان، ردَّة الفعل لدى بطرس، وهو الأوَّل فيما بينهم (آ٢٨). وتساءل الرسول قَلقاً، باسم الاثني عشر، ليَعلَمَ إذا كانت، لالتزام المجموعة التامّ في إثر يسوع، قيمة بعدُ في نظره. لنتذكَّر هذا الواقع: كان مرقس قد سلّط الضوء كيف أنَّ التلاميذ الأوِّلين، لدى سماعهم النداء، تخلَّوا عن أسرهم وخيراتهم ليكونوا تلاميذه (١:١٦-٢٠). أيكون هذا السخاء الكبير عبثًا؟ إذا كان الأغنياء لا يقدرون -مع غناهم- أن يدخلوا ملكوت الله، فالذين تخلَّوا عن أملاكهم الشرعيَّة، أليس لهم، أقله، حظّ في ولوجه؟ وجاء جواب يسوع متسما باحتفالية كبيرة (آ٢٩-٣٠). هناك ولا شكَّ أجر أكيد -ليس بالقليل- لجميع الذين تعلَّقوا بيسوع، وقد انتزعوا انفسهم عن أشخاص أعزّاء وعن خيرات ثمينة. وهنا أيضًا استعمل المعلِّم مبالغة "شرقيَّة": ينالون "مئة ضعف": مئة مرة أكثر ممّا تركوا.

كان مرقس واعيًا جدًّا بأنَّ هذا الكلام يلامس في العمق قلب مسيحيِّي رومة الذين يكتب لهم. فلمّا أراد البعض أن يهتدوا إلى المسيح وإلى بشارته ("من أجلي ومن أجل الإنجيل")، عرفوا انفصالات مؤلمة عن ذويهم وتخلَّوا عن ميراثهم. وشدَّد الإنجيليّ

أنَّهم، على مثال يسوع الذي قام هو نفسه بهذه الانفصالات، وجدوا في الجماعة المسيحيَّة عائلة جديدة وخيرات جديدة (راجع ٣:٣١-٣٥). فمنذ الآن، أُعطي لهم أن يذوقوا بعض السعادة المقبلة: "الحياة الأبديَّة". غير أنَّ مرقس لا يجهل أنَّ الوضع الحاضر لا يخلو من الظلال. فبواقعيَّة كبيرة، أقحم "الاضطهادات" في لائحة "المكافآت" الموعود بها! وكرّر أقوالاً تشبه ما سبق يسوع وأعلنه: "من يخسر حياته من أجلي ومن أجل الإنجيل يخلّصها" (٨:٣٥).

وينتهي هذا المقطع بقول يشبه مثلاً مأثورًا: "كثيرون من الأوّلين يكونون آخرين، ومن الآخرين يكونون أوّلين" (٣١). لا علاقة مباشرة لهذا الكلام بكلّ ما سبق وقيل عن عائق الغنى للدخول في ملكوت الله. ونجدنا أمام قول "عائم" من أقوال يسوع. فالإنجيليُّون، اذ لم يعودوا يتذكّرون المناسبة الدقيقة التي فيها تلفّظ المعلّم بهذا القول، ربطه كلٌّ منهم بسياق مختلف (راجع متى ١٩:٣٠؛ ٢٠:١٦). ربَّما كان المقصود في البداية انقلاب الوضع الذي حصل: فالأوَّلون "أي اليهود -أعضاء الشعب المختار- لم يجيبوا إلى نداء يسوع، فخسروا مردود الاختيار الإلهيّ. "والآخرون"، وهم الوثنيُّون الذين أخذوا مكانَهم، دخلوا حشودًا في الكنيسة. أمّا عند مرقس، هنا، فهذا القول المعزول يتلقّى معنى مختلفًا، بصلة مع الظروف. فالمسيحيُّون المضطهدون جُعلوا في آخر درجة بين البشر! لذا وُعدوا بانقلاب تامّ في وضعهم الحاضر.

هذه المجموعة التي استعرضناها الآن (١٠:٢٣-٣١)، نقرأها بشكل يكاد يكون مماثلاً، عند متّى (١٩:٢٣-٣٠) وعند لوقا (١٨:١٨-٣٠)، مما يبرهن على أنَّنا أمام تعليم قديم جدًّا حول "سحر الغِنى" (١٩:٤) الذي يهدِّد الكلمة فيخنقها في قلب المؤمنين. فلقد انطلق فكر يسوع من الخيرات المادِّيَّة (٢٣-٢٧) ليبلغ إلى الرباطات العائليَّة نفسها (٢٨-٣١). انه يجيب، بدون شكّ، على أسئلة طرحها على الكنيسة الأولى توسُّعها في الأوساط الميسورة. وحاولت الجماعة المسيحيَّة الأولى أن تعطي القدوة بمقاسمة الخيرات بين الجميع، بحيث لا يكون بعدُ فقراء (راجع رسل ٤:٣٢-٣٤).

يظهر من القراءة المتوازية بين إنجيل مرقس من جهة، وإنجيل متّى ولوقا من جهة ثانية، أنَّ المسائل الرئيسيَّة التي تلامس "حياة الجماعة" تكثّفت لدى كلٍّ إنجيليّ. وهكذا التقت في الأناجيل الإزائيَّة الثلاثة، وفي الترتيب عينه، نصائح يسوع حول: -الزواج والطلاق (مر ١٠:١-١٢)؛ -الأطفال ومن يشبههم (١٠:١٣-١٦)؛ -دعوة الرجل الغنيّ (١٠:١٧-٢٢)؛ - ملكوت الله والغنى (١٠:٢٣-٣١).

اما الإطار الذي عُولجَتْ فيه هذه المواضيع، فكان موفقًا كلَّ التوفيق. انه صعود

يسوع إلى أورشليم ليَلقى هناك التجرد الأقسى، ألا وهو الموت. فبين الإنباء الأوَّل بالآلام (٩: ٣٠-٣١) والإنباء الثالث الذي سوف يأتي (١٠: ٣٢-٣٤)، أتاح موضوعُ "الطريق" البحث في الشروط المطلوبة لاتِّباع المسيح والدخول في الملكوت، بشكل طبيعيّ: التقبُّل والتجرُّد.

الانباء الثالث بالآلام (١٠: ٣٢-٣٤)

٣٢ **وكانوا سائرينَ في الطَّريق صاعدينَ إلى أُورَشَليم، وكانَ يسوعُ يَتقدَّمُهم، وقد أَخَذَهُمُ الدَّهَش. أَمَّا الَّذينَ يَتبَعونَه فكانوا خائِفين. فمَضى بِالاثَنيْ عَشَرَ مَرَّةً أُخرى، وأَخَذَ يُنبِئُهم بما سيحدُثُ لَه**

٣٣ **قال: ((ها نحنُ صاعدونَ إلى أُورَشَليم، فَابنُ الإنسانِ يُسلَمُ إِلى عُظَماءِ الكَهَنَةِ والكَتَبَة، فيَحكُمونَ علَيه بالمَوت، ويُسلمونَه إلى الوَثَنيِّين،**

٣٤ **فَيسخَرونَ مِنه، ويَبصُقونَ علَيه ويَجلِدونَه ويَقتُلونَه، وبَعدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ يَقوم)).**

بعد سلسلة التعاليم التي قرأناها الآن (٩:٣٣-١٠:٣١)، اغتنم مرقس الفرصة ليذكّر بأنَّ يسوع هو في مسيرة مع تلاميذه باتِّجاه أورشليم، قلب الشعب المختار (آ٣٢أ). وحتى إن نقصت الإشارات الجغرافيَّة المحدَّدة، فنحن نعرف أنَّ المسيح صار قريبًا من أحداث جوهريَّة في مصيره. لقد عبَرَ الجليل من الشمال إلى الجنوب (٩:٣٠)، ومنذ ذلك الوقت، يحاول أن يُنشِّئ تلاميذه ويعدَّهم إلى ما ينتظره.

في هذا "الصعود إلى أورشليم" وضع مرقس ثلاث إنباءات بالآلام. ويوحي الرقم "ثلاثة" الرمزيّ بتكرار مدعوم خلال المسيرة كلِّها. والآن، ها هو الإنباء الثالث والأخير الذي يعطيه يسوع لتلاميذه عن موته القريب وقيامته. لنتذكَّر أنَّ الإنباء الأوَّل (٨:٣١-٣٣) جعلهم في حيرة عميقة. وكان بطرس، باسمهم، قد رأى في يسوع، شخص "المسيح". كما كانت صورة مسيح يتألَّم ويستعد للموت قد حرّكت، عند بطرس، احتجاجاً عنيفاً (٨: ٣٢)؛ إذ لم يكن بوسع اليهود أن يتصوَّروا مرسل الله الخاصّ من أجل خلاصهم إلاَّ عبر صورة بطلٍ منتصر. وتمّ الإنباء الثاني بالآلام (٩: ٣٢-٣٣) حين كان يسوع يتجوَّل في الجليل. وكان عليه دومًا أن يجعل فكر أصدقائه في تواز مع آلامه الآتية. فلقد قال إنَّ ابن الإنسان سوف "يُسلَّم إلى أيدي البشر" (٩: ٣١). ومرَّةً أخرى، استُقبل هذا البلاغ استقبالاً سيِّئًا، لأنَّه كان من الصعب أن يعتقدوا بأنَّ مرسل الله سوف يلاقي الفشل.

والآن، صارت ساعة مسيرة يسوع قريبة جدًّا، وأصبح المناخ مأساويًّا جدًّا. وهذا ما سلّط عليه مرقس الضوء حين كتب: "كان يسوع يتقدَّمهم"، جاعلاً تلاميذه

على الطريق الذي يقود إلى موته (آ٣٢ب). وتسرّب خوف الأصدقاء أيضًا إلى جميع الذين ساروا في خطى المعلّم. ويستطيع مسيحيُّو رومة الذين كتب لهم مرقس أن يروا نفوسهم في هؤلاء التلاميذ. ولكن على يسوع أن يُنشئ ويعلّم بشكل خاصّ أولئك الذين، من اتباعه، سيكونون قادة الآخرين: "مضى أيضًا بالاثني عشر، وأخذ يقول لهم ما سوف يحصل له" (آ٣٢ج). هذا الإنباء الأخير هو في الواقع أكثر تفصيلاً من الإنباءين السابقين. فلقد جاء التشديد واضحًا على مسؤوليَّة السلطات اليهوديَّة، وهذا ما يتوضَّح من محاكمة يسوع (آ٣٣-٣٤). فانتقال المحكوم عليه إلى بيلاطس (نموذج الوثنيّ بالذات)، والعذابات التي يسومونها ليسوع: كلُّ هذه التفاصيل، لم يكُن ممكنًا "أن يعرفها مُسبقًا"، وكان يجهل أيَّة ميتة سوف يموتُها. واستخلص مرقس هذه التفاصيل من رواية الآلام.

يجب أن نفهم جيِّدًا السبب. فلقد لبث المسيحيُّون الأوَّلون في حيرة من المصير المُعَدّ ليسوع: محاكمته التي دبَّرها وجهاء اليهود، تسليم المحكوم عليه إلى أيدي الوثنيِّين، مأساة صلبه: كلُّ هذا شكّل بالنسبة إليهم "عثارًا" لا يُحتمَل (راجع ١ قور ١:٢٣أ). وإذا وضع الإنجيليّ على لسان يسوع الإنباء بالمصير الذي سيواجهه، في ادق تفصيل، فهو انما أراد بذلك أن يساعد القرَّاء على رَفْع هذا العثار. فسرُّ ابن الإنسان المصلوب يبقى دومًا، في قلب الإيمان المسيحيّ، عنصرًا يصعب قبوله. والأفق الأخير للانتصار على الموت: "وبعد ثلاثة أيَّام يقوم" (آ٣٤ب)، لن يُحسَب له حساب إلاَّ بعد أن تتمَّ قيامةُ يسوع.

ويكرِّر مرقس هنا، كما فعل على مدى إنجيله، درس المعلِّم الذي سيعطيه لتلميذي عمّاوس: "أما كان يجب على المسيح أن يقاسي هذه الآلام لكي يدخل في مجده؟" (لو ٢٤:٢٦). فلقد احتاجت الكنيسة الأولى إلى تقليد عميق حول مخطَّط الله "في كلِّ الكتب المقدَّسة" لكي تُدرِج في إيمانها البلاغَ بمسيح "مصلوب" (لو ٢٤:٢٧).

طلب ابني زبدى (١٠:٣٥-٤٥)

٣٥ **ودَنا إلَيه يَعقوبُ ويوحَنَّا ابنا زَبَدى، فقالا له: ((يا مُعَلِّم، نُريدُ أَن تَصنَعَ لَنا ما نَسأَلُكَ)).**

٣٦ **فقالَ لَهما: ((ماذا تُريدان أَن أَصنَعَ لكما؟))**

٣٧ **قالا لهُ: ((امنَحْنا أَن يَجلسَ أَحَدُنا عن يَمينك، والآخَرُ عَن شمالكَ في مَجدك)).**

٣٨ **فقالَ لَهما يسوع: ((إِنَّكُما لا تَعلَمان ما تَسألان. أَتَستَطيعانِ أَن تَشرَبا الكَأسَ الَّتي سأَشرَبُها، أَو تَقبَلا المَعموديَّةَ الَّتي سَأَقبَلُها ؟))**

٣٩ **فقالا له: ((نَستَطيع)). فقالَ لَهما يسوع: ((إِن الكأسَ الَّتي أَشرَبُها سَوفَ تَشرَبانها، والمَعموديَّةَ الَّتي أَقبَلُها سَوفَ تَقبَلانها.**

٤٠ وأَمَّا الجُلوسُ عن يَميني أَو شمالي، فلَيسَ لي أَن أَمنَحَه، وإِنَّما هُوَ لِلَّذينَ أُعِدَّ لهم)).
٤١ فلمَّا سَمِعَ العَشَرَةُ ذلكَ الكَلامَ اسْتاؤُوا من يَعقوبَ ويوحَنَّا
٤٢ فدَعاهم يسوعُ وقالَ لَهم: ((تَعلَمونَ أَنَّ الَّذينَ يُعَدُّونَ رُؤَساءَ الأُمَمِ يَسودونَها، وأَنَّ أَكابِرَها يَتَسَلَّطونَ عليها.
٤٣ فلَيسَ الأَمرُ فيكم كذلك. بل مَن أَرادَ أَن يَكونَ كَبيراً فيكم، فَلْيَكُنْ لَكُم خادِماً.
٤٤ ومَن أَرادَ أَن يكونَ الأَوَّلَ فيكم، فَلْيَكُنْ لأَجمَعِكم عَبْداً.
٤٥ لأَنَّ ابنَ الإِنسانِ لم يَأتِ لِيُخدَمَ، بل لِيَخدُمَ ويَفدِيَ بِنَفْسِه جَماعةَ النَّاس)).

استعمل مرقس هنا مخططًا كان قد اعتاد عليه. فبعد كلِّ إنباء بالآلام، يضع مشهدًا من عدم الفهم عند التلاميذ، مما يستوجب تعليما ليسوع حول الطريقة التي بها ينبغي أن يتصرَّفوا ليكونوا أمناء لمعلِّمهم.

حين كلَّم يسوع، للمرَّة الأولى، الاثني عشر عن الآلام المقبلة، رأينا بطرس يثور، كما رأينا المعلِّم يسأل أصدقاءه أن ينكروا ذواتهم ليتبعوه (٨:٣١-٩:١). وحين أكَّد يسوع مرَّة ثانية "واجب" الذهاب إلى مواجهة الموت، رأينا التلاميذ ينغلقون عن البلاغ ويهتمون بمن يكون الأعظم فيما بينهم. عندئذٍ طلب يسوع إليهم، بقوة، أن يكونوا "خدَّام الجميع" (٩:٣٠-٣٥).

والآن، ها إنّ يسوع يجعل أمام أنظار أصدقائه، للمرَّة الثالثة، المصير المحتوم الذي ينتظره، ولا يبدو أنهم تقبّلوا ذلك اكثر من قبل (١٠:٣٢-٣٤). وها إن اثنين من بينهم، يدفعان المعلم، في اللاوعي، لكي "يضع الأمور في نصابها"، مرَّة أخرى، حول السلوك الذي يترتب ان يتخذوه الذين يريدون أن يتبعوه. فطلبُ يعقوب ويوحنّا، هذان "اللذان تبعا" يسوع منذ الساعة الأولى، وتركا كلَّ شيء من أجله (١:١٩-٢٠)، يدلُّ على جرأة كبيرة (آ٣٧). فقد أرادا أن يؤمِّنا لنفسيهما مستقبلاً زاهرًا. لم يطمحا إلى مكان الشرف بجانب الملك -المسيح في ملكوته حسب، بل إلى سلطة حقيقيَّة في الحكم. يا له من حلم جنونيّ! وستجعل سخرية القدر لصَّين يجلسان عن يمين يسوع وشماله... على الصليب (١٥:٢٧).

شجب المعلِّم حالاً الادِّعاء الباطل لدى صديقيه الأقربَين. ووضعهما تجاه ما سيحصل: هل هما مستعدان إلى أن يقاسما المعلم المصير الدمويّ الذي ينتظره؟ (آ٣٨). وكلَّمهما عن موته بصور قويَّة: "الكأس" التي تُشرَب تَرمز غالبا في البيبليا إلى العذاب الذي يحتمله الإنسان (راجع مز ٥٥:٩؛ اش ٥١:١٧-٢٢؛ إلخ...). ألا يُقال عادة عن محنٍ يجب تحمُّلها: "شرب الكأس حتّى الثمالة"؟ ويسوع نفسه، في نزاعه، توجه إلى أبيه

بهذا الطلب: "أبعدْ عنّي هذه الكأس" (١٤:٣٦). اما صورة "المعموديَّة"، فتبدو للوهلة الأولى غريبة عن الألم. ولكن ليس الأمر كذلك. فغطس الجسم غطسًا كاملاً في الماء، بما فيه الرأس، يجعل المعمَّد يمرُّ في وقت حرج: هو يُغطس في الموت. فيسوع، في آلامه، سيمر في "معموديَّة" حقيقيَّة، وسيصبح غارقاً في أمواج الموت. فهل إنّ تلميذيه مستعدان ليتبعاه إلى هذا الحد؟ لقد أكَّدا ذلك بكلٍّ بساطة (آ٣٩أ). غير أنَّ يعقوب ويوحنّا قدَّما هذا الجواب، ولا شكّ، دون أن يتحقَّقا فعلاً ما ينتظرهما. حينئذ أكَّد لهما يسوع أنَّه سيكون لهما مصير يشبه مصيره (آ٣٩ب). وفي الواقع، عرف الرسول يعقوب الاستشهاد حوالي سنة ٤٤ (رسل ١٢:١-٢). والرسول يوحنّا، وإن مات موتًا طبيعيًّا، إلا انه، بحسب التقليد، مرَّ بمحن هائلة.

على أيّة حال، تنصّل يسوع من السلطة التي نُسبت إليه لتأمين الأماكن المفضّلة لتلميذيه المفضلين، في مجده. انه على اتم الوعي، بصفته إنسانًا، أنَّ هذا السلطان لا يعود إليه. فاستعمل صيغة المجهول هذه ("وهي للذين أُعدّ لهم") التي يستخدمها اليهود للاشارة إلى الله دون ان يسمّوه (آ٤٠ب). ومن الواضح أنَّ المسيح لا يمتلك حقوقًا تعود إلى السلطان الإلهيّ وحده.

وان استياء سائر التلاميذ لم يكن مثاليًّا على كلّ حال (آ٤١)! ولا نعرف ما الذي اثار هذا الاستياء: أهي الجرأة المفرطة عند يعقوب ويوحنّا، أم هو حسد خفيّ تجاههما؟ ليست المرَّةَ الأولى التي ينتقد فيها مرقس السباق نحو الكرامات، وقد كان وراء الجدالات في قلب الفريق الرسوليّ (راجع ٩:٣٣-٣٤). ومهما يكن من أمر، فيسوع دعا الاثني عشر إلى اجتماع ليعطيهم درسًا احتفاليا. هوذا المعلّم يجعل أصدقاءه (المسؤولين المقبلين في الجماعة المسيحيَّة) يعون مفهوم السلطة في نظر الإمبراطوريَّة الرومانيَّة والمجتمعات المدنيَّة. انها دومًا تسلُّط، وغالبا ما هي استبداد. فاخلاق الأنظمة الوثنيَّة هي على طرفي نقيض ممّا يريد يسوع ان تتحلى به ادارة كنيسته (آ٤٢-٤٣أ). وشدد يسوع على الطابع الأصيل لمفهومه عن السلطة في كنيسته. وتتصل لفظة "خادم" التي استخدمها (آ٤٣ب) بلفظة "عبد". ولا يتردّد المعلّم من أن يقدّم "العبد" بمثابة نموذج في موضوع الآخرين (آ٤٤). ففي ذلك الزمان، كان العبيد في المرتبة الأخيرة من المجتمع. ولقد شاء ان تكون الصورة لافتة جدًّا. وكان الاثنا عشر يحلمون بالتسلط والتفوُّق. ويجب عليهم الآن أن يتخلّوا عن هذا السراب، ويَقبلوا بأن "يَخدموا" في أوضع حالة ممكنة.

إنه الوقت الذي اختاره يسوع ليبرِّر موقفه ويُقدِّم شخصه الخاصّ نموذجًا ومثالاً: فلقد جاء "لا ليُخدَم، بل ليَخدُم"، ماضيًا في بذل حياته "فدية عن الكثيرين" (آ٤٥).

وكشف المعلِّم هنا المعنى الأخير لحياته ولرسالته. كان بإمكانه أن يجعل من نفسه الرئيس المتسلِّط على تلاميذه وعلى شعب الله الذي جاء يجمعه؛ ولكنَّه لم يفعل، بل قدَّم نفسه كالخادم الوضيع للجميع (٩:٣٥-٣٧). وهذه الخدمة لا تتوقَّف عند بعض الأعمال الوضيعة من أجل أصدقائه وحدهم، بل تمضي حتّى بذل حياته لخلاص البشر. وهذا ما عبَّر عنه بواسطة صور مأخوذة من زمانه. وسيعطي يسوع حياته "فدية"، أي سيسفك دمه من أجل خطايا البشر، وعطيَّة حياته هذه يَجعلها "من أجل الكثيرين"، أي "من أجل جميع البشر" بدون استثناء.

لقد أُخذَتْ هذه التعابير من رمزية وجه سرِّيّ، وجه "الخادم المتألِّم"، كما رسم ملامحه النبيّ اشعيا: "إذا جعلَ من حياته ذبيحة تكفيريَّة (من أجل خطايا البشر) يرى نسلاً... لأنَّه عرف الألم (قال الله)، فالبارّ خادمي جعل الكثيرين ابراراً" (٥٣:١٠-١١).

وانسجاماً مع الكنيسة الأولى، استقى مرقس صورة "الخادم المتألِّم" من الكتاب المقدَّس، لكي يشرح للمسيحيِّين سرَّ المسيح الذي قدَّم حياته، متّضعاً حتّى الموت الدمويّ على الصليب، لكي يخلِّص البشرية. وعلى الجماعة المسيحيَّة -وهي ثمرة ذبيحة يسوع- أن تتحقَّق دومًا إذا كانت طريقة العمل فيها موافقة لطريقة مؤسِّسها: الخدمة وبذل الذات حتّى النهاية.

أعمى أريحا (١٠:٤٦-٥٢)

٤٦ **ووصَلوا إلى أَريحا. وبَينَما هو خارِجٌ من أَريحا، ومعَه تلاميذُه وجَمْعٌ كثير، كانَ ابنُ طيماوُس (بَرطيماوُس)، وهو شَحَّاذٌ أَعْمى، جالِساً على جانِبِ الطَّريق.**

٤٧ **فلمَّا سَمِعَ بِأَنَّهُ يسوعُ النَّاصريّ، أَخذَ يَصيح: ((رُحْماكَ، يا ابنَ داود، يا يَسوع !))**

٤٨ **فَانتَهَرَه أُناسٌ كثيرونَ لِيَسكُت، فَصاحَ أَشَدَّ الصِّياح: ((رُحْماكَ، يا ابنَ داود !)).**

٤٩ **فوَقفَ يسوعُ وقال: ((اُدْعوهُ)). فدَعَوا الأَعمى قالوا له: ((تَشَدَّدْ وقُم فإِنَّه يَدْعوك)).**

٥٠ **فَأَلقى عنهُ رِداءَه ووَثَبَ وجاءَ إِلى يسوع.**

٥١ **فقالَ له يسوع: ((ماذا تُريدُ أَن أَصنَعَ لكَ ؟)) قال له الأَعمى: ((رابُوني، أَن أُبصِر)).**

٥٢ **فقالَ له يسوع: ((اِذهَبْ ! إِيمانُكَ خلَّصَكَ)). فأَبصَرَ مِن وَقتِه وتَبِعَه في الطَّريق.**

إنَّ لهذه الرواية القصيرة المؤلَّفة من سبع آيات، نكهة وكثافة خاصَّة. فلقد وضع فيها مرقس حيويَّة كبيرة من خلال سمات لا تُخفي عمق فكره (انظر الإطار: العجائب في انجيل مرقس).

المشهد محدِّد بدقّة. حين يأتي الناس من شرق الأردنّ (حيث مضى يسوع، ١٠: ١) تكون أريحا هي البلدة التي منها ندخل إلى إسرائيل (آ٤٦أ). وهي، بالنسبة إلى يسوع، محطّة حاسمة في مسيرته نحو أورشليم (١١: ١). ولنلاحظ جيِّدًا أنّها المرّة الأولى التي يُرينا الإنجيليُّ فيها يسوعَ سائرًا نحو أورشليم مع أشخاص غير تلاميذه: "جمع كثير". وكأن الناس كلهم يحققون لقاءً رئيسيًّا معه! وها نحن بصدد رجل مهمّش من هؤلاء العميان المنتشرين بكثرة في فلسطين ذلك الزمان، وقد اضطُرّوا إلى التسوُّل (آ٤٦ج). ولفتت مغامرتُه مرقس، فانفرد بين الإنجيليِّين في الاحتفاظ باسمه (راجع متى ٢٠: ٢٩-٣٤؛ لو ١٨: ٣٥-٤١). "برطيما" اسم أراميّ، واسرع مرقس بترجمته لقرّائه اليونانيِّين: "ابن طيما". انه هنا في هامشيَّته القصوى: هو جالس، وعلى "جانب" الطريق.

غير أنَّ الرجل الملتصق بعزلة عماه، يبقى رجلاً يبحث ويطلب. وبعفويَّة مدهشة، نادى المعلِّم العابر من هنا (آ٤٧). فكانت صرختُه تعبيرًا عن ضيق عظيم، وخصوصًا عن ثقة تكاد لا تصدَّق. وتكمن المفارقة في أنَّ هذا الأعمى "يرى" بدقّة من هو يسوع الناصريّ. فقد دعاه: "ابن داود"، وهذه التسمية في التقليد البيبليّ، هي لقب المسيح المنتظر لدى الشعب المختار (راجع وعد الله لداود، ٢صم ٧: ١-١٧). لقد قام برطيما، إذن، بفعل إيمان لافت. مقابل هذا، كان للجمع الذي رافق يسوع، تجاه هذا المسكين، المُبعَد، حركة رذل اتّسم بها المجتمع في ذلك العصر: يريدون أن يُسكتوا هذا المزعج. وبدا لهم من غير اللائق أن يأتي متسوِّل فيزعج يسوع في مسيرته. لا يُقال لنا شيء عن موقف التلاميذ: هل شاركوا في فعل الاستبعاد هذا؟ لا شيء يمنع ذلك. أما صاحوا بالأطفال -وهم فئة أخرى من المُبعدين- الذين أرادوا أن يقتربوا من يسوع (١٠: ١٣-١٦)؟ بالرغم من هذه العداوة الشديدة من جانب المحيطين بالمعلِّم، لا يتراجع برطيما. حاولوا أن يخنقوا صوته "ولكنَّه ازداد صياحًا: "يا ابن داود ارحمني" (آ٤٨ب). وهذه الصّلاة الملحَّة، المتكرِّرة، وصلت إلى هدفها. "فتوقَّف يسوع وقال: "ادعوه". وبيَّن المسيح، مرَّة أخرى، أنَّه يريد أن يُدركه هؤلاء عينهم الذين يريدون أصدقاؤه أن يبعدوهم بشكل سافر (راجع ١٠: ١٤). وطلب أن يدعوا المُبعَد. في هذا الوقت، تحوَّلَ موقف الجمعُ (والتلاميذ؟) فدعَوا الأعمى ليقتربَ من يسوع (آ٤٩ب). اننا نجد في هذا الكلام هديَّة تُعطى للإنسان بأن يترك موقع الموت الذي هو فيه: "انهض"، يعني أيضًا "قمْ" في لغة الإنجيل اليونانيَّة. و لم تتأخر نتيجة هذه الدعوة في الظهور. في الحال، "رمى الأعمى رداءه وقفز وركض نحو يسوع" (آ٥٠). انها تفاصيل مدهشة. لقد حصل كلُّ هذا وكأنَّ برطيما لم يعُدْ أعمى! إذ رمى رداءه، ترك "وضعه" بصفة مُبعد: فالثوب، في البيبليا، يرمز إلى شخصيَّة الذي يلبسه. ورداء هذا

"المسكين" هو الخير الوحيد الذي يملك. وحين تخلّى عنه برطيما، حقّق ما لم يستطع يسوع أن يناله من الرجل الغنيّ: ترك كلّ شيء وراح في إثره. وكيف فعل ذلك؟ "قفز". هذه القفزة في الليل، وما زالت قفزته، هي قفزة الإيمان. وركض نحو يسوع: هذا الركض للانضمام إلى المخلِّص يقول لنا الكثير عن إيمانه. فباندفاع لا يُقاوَم، قفز ذاك الذي حفظته الهامشيَّة سجينًا، فوق الهوَّة التي كانت تفصله عن الجميع.

ولمّا صار في موقع حميم من المعلّم، "قال له يسوع: ماذا تريد أن أصنع لك؟" (آ٥١أ). بدا السؤال نافلاً أمام حاجات هذا الرجل الواضحة. ولكنَّ يسوع يراعي دومًا الحرِّيَّة البشريَّة لدى الذين يقتربون منه. فأجاب: "رابُّوني، أن أرى" (آ٥١ب). كلام له وقعُه. فحين يتوجَّه التلاميذ اليهود إلى معلّمهم، يدعونه بكلّ بساطة: "رابِّي"؛ اما "رابّوني"، فتعني "معلّمي"، مع حركة إكرام والفة كبيرة تجاه يسوع. والطلب "أن أرى" هو أقلّ ما يمكن أن يطلبه أعمى. ولكنَّ الرجل عبَّر عن حاجة أعمق، كما يبدو. وهذا ما تشير إليه الرواية. فكلام المعلّم يندرج في عمق لا يمكن أن يتخيَّله الأعمى ولا الحضور (آ٥٢أ). "اذهب"! تلك صيغة إرسال. فلقد حرَّر يسوع الرجل ممّا كان يشلّه. لا بل وصف بكلمة "إيمان" كلّ ما حرَّك برطيما، منذ صيحاته المتكرِّرة حتّى اندفاعه أمام شخصه، حين كان لا يرى بعدُ. وفعل "خلَّصك" يعني أنَّ العطيَّة التي وهبها يسوع للمؤمن تذهب إلى أبعد من شفاء جسدي: هي خلاص الإنسان كلّه. لقد كانت هناك أقوال مماثلة على لسان يسوع تجاه المرأة المصابة بترف دم (٥:٣٤)، كشفت عن المعنى العميق للمعجزات التي كان يُجريها. اما نهاية الرواية، فهي في منتهى الروعة. فمع المفاجأة التي يحبُّها مرقس (لاحظ تكراراً متواصلاً لعبارة "وفي الحال" ١:١٢، ٢٠؛ ٢:١٢؛ ٥: ٣٠؛ إلخ...)، سار الرجل الذي شُفيَ على خطى يسوع. فلقد شرع "يتبعه"، وتلك عبارة معروفة تدلُّ على موقف "التلميذ" (١:١٨؛ ٢:١٤).

وبلغ الفنُّ السرديّ، عند مرقس، كماله هنا (آ٥٢ب). اية مفارقة بين الوضع الأوَّل لبرطيما (هو جالس، بجانب الطريق، أعمى ومتسوِّل) وبين وضعه الأخير (انتصب، سار في الطريق، وحمل البشارة وهو يبصر...). فنحن أمام رواية وُضعت في هذا المكان، حين كان يسوع سائراً باتِّجاه أورشليم، مجتذبا أصدقاءه والجمع نحو "نور" أكبر بشأن شخصه ورسالته: انها تعكس صورة لما يجب ان يكون عليه "التلميذ الحقيقيّ". فينبغي أن ندع المعلّم يدعونا إلى "استنارة الإيمان". لقد كان شفاءُ أعمى بيت صيدا، من قبل (٨: ٢٢-٢٦)، قد دفع تلاميذ يسوع إلى ان يكتشفوا فيه شخص المسيح (٨:٢٧-٣٠). والآن، ها هو يسوع يدعو أخصّاءه -وجميع الذين يريدون أن يتبعوه- إلى ان يفتحوا قلبهم لكي يستقبلوا، في الإيمان، رؤية مسيح متألِّم ومنتصر.

ما كان بوسع مرقس أن يحدِّد موقع هذا الخبر، افضل مما فعل، حين جعله ساعة دخول يسوع إلى أورشليم: هل سيكون بوسعنا أن نعرفه كما هو ونعرف ماذا يفعل؟ فالذي جاء ليخلِّص البشر يواصل هدفين اثنين: أن يعيدهم مكرَّمين إلى مجتمع عصرهم، وأن يضمَّهم إلى جماعة الحبِّ التي يؤسِّس.

المعجزات في إنجيل مرقس

في إنجيل مرقس، تحتلُّ عجائب يسوع، بعددها المرتفع (١٧ اعجوبة)، مكانًا مهمًّا لا يتناسب مع قصر السفر نسبيًّا (١٦ فصلاً فقط)، ومع تعليم يسوع الذي قلّما يوضح (خصوصًا في البداية، راجع ١: ١٤-٨: ٣٠).

نستطيع أن نرتِّب "أعمال القدرة" هذه (كما يدعوها مرقس) في "مجموعات" متنوِّعة ترتبط بذهنيَّتنا الحديثة أكثر مما ترتبط بالفكر الشرقيّ القديم.

- هناك شفاءات بسيطة: حماة بطرس (١: ٢٩-٣١)؛ الأبرص (١: ٤٠-٤٥)؛ المرأة المصابة بنزف دم (٥: ٢٥-٣٤)؛ الأصمّ الأبكم (١٠: ٤٦-٥٢)؛ الكسيحان (في كفرناحوم، ٢: ١-٢؛ وفي المجمع، ٣: ١-٦).
- التعزيم وإخراج الشياطين: ممسوس كفرناحوم (١: ٢١-٢٨)؛ ممسوس جرش (٥: ١-٢٠)؛ ابنة السوريَّة الفينيقيَّة (٧: ٢٤-٣٠)؛ الولد المصروع الأبكم (٩: ١٧-٢٩).
- "العودة إلى الحياة": ابنة يائيرس (٥: ٢١-٢٤، ٣٥-٤٣)
- أعمال قدرة "في الطبيعة": تهدئة العاصفة (٤: ٣٥-٤١)؛ السير على المياه (٦: ٤٥-٥١)؛ تكثير الأرغفة مرَّتين (٦: ٣٠-٤٤؛ ٨: ١-١٠).

هذه الوفرة من الوقائع "العجائبيَّة"، غالبا ما تحيِّر القارئ المعاصر. فبالنسبة إلى الكثيرين من معاصرينا، تمثل المعجزات عقبة بوجه الإيمان أكثر مما هي دعوة إليه. ومع ذلك، لا شكَّ في أنَّ يسوع كان شافيًا ومعزِّمًا. ذلك ليس بأمر استثنائيّ في العالم اليهوديّ والوثنيّ، في عصره. فأدبُ الشرق القديم والعالم الهلنستيّ في ذلك الزمن، يتضمَّن روايات عديدة من معجزات جرت على يد رجال مواهبيِّين أو سحرة.

اما عجائب يسوع، فهي تفوق عجائب الشافين في عصره. انها مرتبطة بالبشرى السارة التي يحملها. وهي "آيات" تدلّ على أنَّ المسيح هو هنا (راجع متى ١١: ٢-٦)، وأنَّ ملكوت الله قد أتى. ذلك ان رسالة يسوع تعطي لأشفيته وتعزيماته كلَّ معناها. ومن وراء الراحة الجسديَّة والنفسيَّة، تصبح المعجزات علامة "تحرير" دينيّ واجتماعيّ. فيسوع أتى أوَّلاً ليعيد المرضى إلى الشركة مع الله. وهكذا يُدخلهم من جديد في جماعة الإيمان مع الأصحّاء. وفي الوقت عينه، يردُّ هؤلاء "المبعدين" إلى كرامتهم ويدمجهم في مجتمع عصرهم. ولنا مثلان جميلان عن هذا التحرير المضاعف: "شفاء الأبرص" (١: ٤٠-٤٥) و"الكسيح الذي غُفِرَتْ خطاياه ونال الشفاء" (٢: ١-١٢).

ثمَّ إنَّ معجزات يسوع في إنجيل مرقس، يجب أن تُقرأ في لحمة الإنجيل المتواصلة. ففي كلّ محطَّة من وحي المسيح، تأتي فتسند اكتشاف شخصه الحقيقيّ ورسالته الحقَّة.

في **المحطَّة الاولى** (١: ١٤-٣: ١٢) حيث يفهمنا يسوع أنَّه أتى ليدشِّن زمن الخلاص، تشهد الشفاءات التي صنعها مع حماة بطرس (١: ٢٩-٣١) والأبرص (١: ٤٠-٤٥) والكسيح (٢: ١-١٢)

والرجل صاحب اليد اليابسة (٣:١-٦) على أنّه حقّا طبيب الانفس والأجساد.

في **المحطّة الثانية** (٣:١٣-٦: ٦) يجتذب يسوع تلاميذه لكي يحملوا الإنجيل "إلى البعيد"، لدى الوثنيّين. فلقد جمع مرقس هنا أربعة أعمال قدرة تؤكّد للكنيسة الفتيّة أنّ ربّها القائم من الموت هو حقّا، وفي كل مكان من العالم، السيّد الذي لا منافس له، على قوى الشرّ والموت. ذاك هو المعنى الذي تأخذه رواية تهدئة العاصفة (٤:٣٥-٤١) وشفاء ممسوس جرش (٥:١-٢٠) وعودة ابنة يائيرس إلى الحياة وشفاء المرأة المصابة بنزف دم (٥:٢١-٤٣). فحين يقرأ المسيحيّون هذه الشهادات، ينبغي عليهم أن لا يخافوا من حمل الرسالة إلى قلب العالم الوثنيّ.

في **المحطّة الثالثة** (٦:٧-٨:٢٦)، كشفَ يسوع عن نفسه أنّه موسى جديد، قادر أن يجمع ويُقيت شعب الله الجديد، بكلمته وعطاء ذاته. ذاك هو معنى تكثير الارغفة الأول (٦:٣٠-٤٤). ولكنّه لا يتوقّف هنا: فقد جاء يفتح مائدة ملكوت الله للغرباء من غير اليهود الذين كانوا قد أُبعدوا عنها. وذاك هو مدلول طرد الشيطان من ابنة المرأة السوريّة الفينيقيّة (٧:٢٤-٣٠) والتكثير الثاني للأرغفة (٨:١-٩). وان الصعوبة التي لاقاها التلاميذ في أن يروا في يسوع مسيحًا شاملاً، تتجسد بمعجزتين ذات بعد رمزيّ رفيع: شفاء الأصم الأخرس (٧:٣١-٣٧)، وشفاء أعمى بيت صيدا (٨:٢٢-٢٦)؛ فعلى الذين يريدون اتباع يسوع أن يَخرجوا من صممهم ومن عماهم وينفتحوا على عمق كيانه ورسالته.

والمحطّة الرابعة في رسالة يسوع (٨:٢٧-٥٢) هي محطّة تنشئة التلاميذ المتواصل على تقبّل اعلان آلامه القريبة. فعلى التلاميذ ألاّ يخافوا المنظور الجديد لموت معلّمهم. وبوعي كامل، وضع مرقس هنا شفاء الولد المصروع (٩:١٤-٢٩)، حيث كشف يسوع أنّه سيّد قوى الشرّ والموت. كما بيّن قدرته على "إقامة" الإنسان السائر إلى الموت. وكان على الأصدقاء أن يتركوا يسوع يفتح عيونهم، على مثال أعمى أريحا (١٠:٤٦-٥٢). وهكذا سيمكنهم أن يسيروا على خُطى يسوع، في إيمان مستنير، وأن يرافقوا ذاك الذي، عبر الآلام، انتصر على الموت بقيامته.

والمحطّة الخامسة (١١:١-١٣: ٧) تتركّز كلُّها على دخول يسوع إلى أورشليم وتعليمه السيّدي في الهيكل. لا نجد هنا أيّة عجيبة. ومشهد "التينة التي يبست" (١١:١٢-١٤، ٢٠-٢٥) ينبغي أن يُقرَأ بصفته عملاً رمزيًّا. ويهدف المثلُ (الذي أُضفي عليه طابع تاريخي) ان ليس بوسع الشريعة ولا الهيكل اليهوديّ أن يُشبعا الجوع إلى الله (١١:١٢). فيسوع وحده يحمل الغذاء الخلاصيّ.

والمحطّة السادسة والأخيرة (١٤:١-١٦:٨) هي رواية متواصلة للآلام والقيامة. وخلال هذه الأحداث، لا يُجري يسوع أيّة علامة عن قدرته الإلهيّة. فهو، حتّى النهاية، يرفض التجربة بأن يصنع "معجزة" تخلّصه من الموت: كأن ينزل عن الصليب (١٥: ٢٩-٣٢). حينذاك تصبح المعجزة نفيًا لبشريّته.

وهكذا نرى أنّ العجائب في إنجيل مرقس ليست البتة "براهين" عن ألوهيّة يسوع، وانما فقط علامات تساعد على الإيمان. وحين يعيد الإنجيليّ وجماعته قراءتها على ضوء الفصح والكتب المقدّسة، لا تكون سوى نداءات إلى الإيمان بيسوع، المخلّص من أكبر الشرور، والموت بشكل خاص. وهذه العلامات هي دومًا آنيّة من شأنها ان تدفع إلى امام العمل الإرساليّ والأسراريّ في الكنيسة (راجع ١٦: ١٥-٢٠). وهكذا نفهم أنّها تبقى "علامة استفهام" بالنسبة إلى غير المؤمنين.

المحطَّة الخامسة

في أورشليم، المواجهة بين يسوع والسلطات الدينيَّة

(١١: ١-١٣: ٣٧)

هذه المحطّة هي حاسمة. فيسوع دخل أورشليم، واتّخذ موقفا تجاه المؤسّسة الدينيّة الكبيرة: الهيكل. إنّه يعلّم في هذا الموضع كالسيِّد، ويعلن دماره وتجاوزَه.

المتتالية الأولى (١١:١-٢٥) تبدأ إذًا بـــ:

- **دخول المسيح إلى أورشليم** (١١:١-١١)

هذا الدخول أثار حركة شعبيَّة ذات رنَّة وطنيَّة متطرِّفة. ويعجِّل يسوع فيبـــدِّد اللبس حين يقوم بعمل لافت في الهيكل.

- **طرد الباعة من الهيكل** (١١:١٥-١٩) يدلُّ على أنَّ يسوع جاء ليؤسِّس العبادة الجديدة. وشدَّد مرقس على اتِّساع الحدث من خلال العلامة التي أطّرته.
- **التينة العقيمة** (١١:١٢-١٤)
- **حول التينة التي يبست** (١١:٢٠-٢٥)

المتتالية الثانية (١١:٢٧-١٢:٤٤) تتواصل مع الأولى، وهي "قضيَّة" الهيكل التي حرَّكت السلطات اليهوديَّة ضدَّ النبيّ الجليليّ. وها هو الجواب المنتظر:

- **سلطة يسوع على المحكّ** (١١:٢٧-٣٣). الدراما التي تتعقد الآن، تجد أعمـــق تعبير لها في مثل مشهور:
- **الكرّامون القتلة** (١٢:١-١٢)

ومن ثمَّ، فان جوهر هذه المتتالية يرينا يسوعَ وهو يعلّم بسلطة سيِّديَّة في الهيكل. وهناك يواجه سلطات العالم اليهوديّ حول مواضيع الإيمان والممارسة:

- **الجزية المفروضة لقيصر** (١٢: ١٣-١٧)
- **الصدُّوقيُّون والقيامة** (١٢:١٨-٢٧)
- **الوصيَّة العظمى** (١٢:٢٨-٣٤)
- **المسيح والكتبة** (١٢:٣٥-٤٠)

وينتهي تعليم يسوع السيِّديّ في الهيكل في حدث يدفعنا إلى التفكير:

- **فلس الأرملة** (١٢ :٤١-٤٤)

المتتالية الثالثة في هذه المحطَّة هي خطبة واسعة عُرِفَتْ بصعوبتها:

- **الخطبة حول دمار الهيكل والمجيء المجيد لابن الإنسان** (١٣ :١-٣٧)

أجاب يسوع هنا على سؤال طرحه تلاميذه. ففي لغة الألغاز الـتي نجـدها في "أسفار الرؤى" (هذه الكتابات اليهوديَّة في زمن الأزمة)، اعلن عن دمار الهيكل. وعـبر انقلابات العالم التي تشير إليه، رفع يسوع نظر أصدقائه نحو الرجاء الذي يجب أن يحييهم: انتصار المسيح الحاسم على قوى الشرِّ والموت.

هذه الخطبة تسبق بشكل مباشر الخبر المتواصل لآلام يسوع وقيامته (١٤ :١-١٦ :٩)

دخول المسيح الى أورشليم (١١ :١-١١)

١١ ١ ولمّا قَرُبوا مِن أُورَشَليم ووَصَلوا إِلى بَيتَ فاجي وبَيتَ عَنْيا، عِندَ جَبَلِ الزَّيتون، أَرسَـلَ
اثنَينِ مِن تَلاميذه
٢ وقالَ لَهما: ((إِذهَبا إِلى القَريَة الَّتي تُجاهَكُما، فَما إِن تَدخُلانِها حتَّـى تَجِـدا جَحْـشاً
مَربوطاً ما رَكِبَه أَحَد، فحُلاَّ رِباطَه وأتيا به.
٣ فإِن قالَ لكُما قائِل: لِمَ تَفعَلانِ هذا ؟ فقولا: الرَّبُّ مُحْتاجٌ إِلَيه، ثُمَّ يُعيدُه إِلى هُنا بعدَ قَليل)).
٤ فذَهَبا، فوَجَدا جَحْشاً مَربوطاً عندَ بابٍ على الطَّريق، فحَلاَّ رِباطَه.
٥ فقالَ لَهما بَعضُ الَّذينَ كانوا هُناك: ((ما بالُكُما تَحُلاَّنِ رِباطَ الجَحْش ؟))
٦ فقالا لَهم: كما أَمَرَهما يسوعُ فتَركوهما.
٧ فجاءا بالجَحْشِ إِلى يسوع، ووَضَعا رِدائَيهِما علَيه فَرَكِبَه.
٨ وبَسَطَ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ أَردِيَتَهم على الطَّريق، وفَرَشَ آخَرونَ أَغصاناً قَطَعوها مِنَ الحُقول.
٩ وكانَ الَّذينَ يَتَقَدَّمونَه والَّذينَ يَتبَعونَه يَهتِفون: ((هُوشَعْنا ! تَبارَكَ الآتي بِاسمِ الرَّبّ؛
١٠ تَبارَكَت المَملَكَةُ الآتِيَة، مَملَكَةُ أَبينا داود ! هوشَعْنا في العُلى !))
١١ ودخَلَ أُورَشَليمَ فالهَيكَل، وأَجالَ طَرْفَه في كُلِّ شَيءٍ فيه. وكانَ المَساءُ قد أَقبَل، فخَـرَجَ
إِلى بَيتَ عَنْيا ومعَه الاثْنا عَشَر.

في نهاية هذه المسيرة الطويلة، وصل يسوع إلى أورشليم مع تلاميذه. ويتخذ هذا الوقت أهمية كبرى. فمرقس -شأنه شأن سائر الأنجيليين الثلاثة (متى ٢١:١-١٠؛ لو ١٩:٢٨-٤٠؛ يو ١٢:١٢-١٩)- يروي لنا الحدث عبر اخراج مسرحي مصطنع. وجاء خبره محشوا بالاستذكارات البيبليَّة. ذلك يعني أنَّ المسيحيِّين الأوَّلين أحبُّوا أن يتأمَّلوا زيارة يسوع إلى عاصمته، بصفتها استباقاً مشعاً لمجيء الربِّ القائم من الموت، في مجده.

إطار هذا الحدث معبِّر جدًّا في حد ذاته. لدى قدوم يسوع من أريحا، اقترب من المدينة المقدَّسة من جهة الشرق. فلقد عبَرَ قريتَي بيت فاجي وبيت عنيا ونزل من جبل الزيتون (آ١أ). وفي زمن يسوع، كان تقليدٌ قديم جدًّا يرى الله نفسه —ومسيحه- يأخذان هذه الطريق ليقوما بالدينونة في نهاية الأزمنة: "في ذلك اليوم تقف قدماه على جبل الزيتون، قبالة أورشليم من الشرق" (زك ١٤:٤). هذه الخلفيَّة النبويَّة تعطي نكهة خاصَّة لحدث سوف يتمُّ حالاً بعد المشهد الحاضر: تطهير الهيكل (١١:١٥-١٨).

أمّا الآن، فدخول المسيح إلى مدينته يرتدي احتفالية كبيرة. لا يدع يسوع شيئًا لعوامل الصدفة. هوذا يرسل قدَّامه اثنين من تلاميذه، ويأمرهما أن يأخذا له مطيَّة (آ١ب-٦). هذا النمط من الروايات يجد ما يوازيه في الاستعدادات للعشاء الأخير (١٤:١٢-١٦)؛ وفي الحالتين يُشدَّد على الطابع الإلهيّ للحدث: مشيئةُ يسوع بأن يرتِّب كلَّ شيء بحسب قصده الخاصّ، والتنفيذ التامّ لأوامره. تلك مبادرة رفيعة لا تترك مكانًا للارتجال.

والأمر الذي أعطاه يسوع بأن يأتوه بـ "جحش مربوط ما ركب عليه أحد" (آ٢)، يستحقُّ اهتمامنا. فالحيوان المطلوب يجب أن يكون خارجاً عن أي استخدام دنيوي. ان يكون حيوانًا "مكرّساً". ففي إسرائيل، كان الحمار حيواناً أليفا، معتاداً على أشغال الإنسان. وفي البيبليا، هو مطيَّة الملوك التقليديَّة (١ مل ١:٣٢-٣٥). وفي الظرف الحاضر الذي فيه اختار يسوع حمارًا، حقَّق إحدى النبوءات المسيحانيَّة المعروفة جدًّا: "اهتفي يا ابنة صهيون! ها ملكك يأتيك عادلاً مخلِّصًا، وديعًا راكبًا على جحش ابن أتان. يقضي على مركبات الحرب في أفرائيم وفي أورشليم. يحطِّم أقواس الحرب ويعلن السلام للأمم" (زك ٩:٩-١٠).

تلك هي مفارقة رائعة. أراد يسوع أن يقدِّم نفسه على أنَّه مسيح إسرائيل. انه وديع، متواضع، وحامل سلام. ومطيَّته البسيطة هي على طرفي نقيض من موكب الملوك المحاربين: الأحصنة المطهَّمة ومركبات الحرب. إلا ان موكب المعلِّم الخافر لا ينتقص شيئًا من الإكرام الذي يُمنَح له. إنَّه "الربّ" (آ٣). وعلى لسان مرقس، لا يمكن لهذا اللقب أن

يكون سوى زلة لسان توحي بالكثير. فالإنجيليّ، نادراً ما استعمله خلال حياة يسوع على الأرض (٧:٢٨؛ ١٢:٣٦-٣٧). انه يذكّرنا بذلك الذي يعبده المسيحيُّون من وراء موته، في انتصار قيامته، على أنَّه سيدهم، والله نفسه.

وما يحصل في ٧-١٠ يشير إلى طقس تنصيب الملك على عرشه. جاء التلاميذ بالجحش -وقد جعلوا له من ثيابهم سرجًا. وجلس يسوع فوقه (٧). هذه الحركات تُبرز كرامة المعلّم الملوكيَّة. وامتلأ الشعب حماسًا (٨). وراحوا يبسطون، تحت رجلَيْ يسوع، سجّادة الشرف في احتفال التنصيب (راجع ياهو في ٢ مل ٩:١٢ب-١٣). واستعير استعمال الأغصان المقطوعة من عيد المظالّ. ففي زمن يسوع، كانوا يحتفلون، في اجواء الفرح العارم، بمُلك يهوه الشامل. وكان انتظار المسيح يستعيد حيويته عبر تطواف يسبحون فيه الله ويحرِّكون أغصان الشجر المورقة والنخل (راجع أح ٢٣:٣٩-٤٠).

ووجد يسوع نفسه بمثابة البطل في مثل هذه الليتورجيّا. فلقد استقبلته المدائح حين كان موكب العيد يتقدم نحو المدينة (٩). وكان للهتافات التي كانت تتعالى رنَّة ليتورجيَّة واضحة. انها مأخوذة من مز ١١٨ الذي كان يُنشَد خلال عيد المظالّ. فكلمة "أوشعنا!". هي عبارة عبرية تعني: "خلّصنا، إذن!". ومع الزمن، صار هذا النداء طلباً للمساعدة، وصرخةَ مديح: "عشت!". لقد هتفوا ليسوع على أنَّه المسيح. إنَّه "ذاك الآتي" (مز ١١٨:٢٦). وعكس مرقس، بشكل جيد، المناخ المسيحانيّ في ذلك الوقت، حين أضاف العبارة التالية: "مباركة المُملكة الآتية، مملكة أبينا داود" (١٠أ). وهكذا رأى الجمع في يسوع، ابن داود، أي ذاك الذي يُتمُّ المواعيد التي أعطيَتْ في الماضي لمَلك يهوذا (٢ صم ٧:١٢-١٦). وقد تُدهشنا صرخةُ الناس الأخيرة؛ انها توازي صيحة: "ليحيَ الله!" (١٠ب).

وفي النهاية، شدد الإنجيليّ جيداً إلى أين تقود هذه المسيرة الانتصاريَّة: "ودخل يسوع إلى أورشليم، إلى الهيكل" (١١أ). هكذا أكمل المَلك المسيح مسيرته في ما يُدعى قلب المدينة المقدَّسة: موضع العبادة المؤدَّاة لله. فطريق يسوع كلُّها، منذ صعوده إلى أورشليم، تجد اكتمالها هنا. وحول المكان المقدَّس وفيه، سوف تجري اللقاءات والجدالات التالية (١١:١٢-١٢:٤٤). ولن يدهشنا كلامٌ يُنهي به مرقس روايته: حين وصل يسوع إلى الهيكل، "نظر إلى كلّ شيء فيه" (١١ب). هو المعلّم الذي يدلُّ على حضوره السيِّدي بواسطة إحدى هذه النظرات الباحثة التي يعرف الإنجيليُّ سرَّها (١٠:٢١).

إلا اننا نكتشف في نظرة يسوع هذه، قلقًا كبيرًا. فلقد انتهى العيد. والدراما

تتهيَّأ، وستتفجر قريبًا. وقد أُرجيء الفعل إلى الغد بسبب الساعة المتأخِّرة. واعتزل يسوع إلى بيت عنيا مع الاثني عشر (آ١١ب). غير ان لهذا التراجع الستراتيجيّ معناه. وبيت عنيا في العبريَّة تعني "بيت المسكين". وبوسع دخول يسوع إلى أورشليم، بفخامته الخارقة، أن يجعلنا ننسى أنَّ الابن آت ليعاني آلامه (١٠:٣٢-٣٤).

لقد قيل مرارًا إنَّ انتصار يسوع في أورشليم كان قصيرًا. وهذا يجعلنا نفكِّر بأنَّ الرواية الراهنة لم تتلقَّ لونها، لون العيد، إلاَّ بعد القيامة. ذلك ان الجماعة الاولى أحبَّت أن تقرأ من جديد، على ضوء الكتب المقدسة، حدثًا كان في الأصل بسيطًا. وكان القدِّيس يوحنّا قد أصدى لذلك حين أعلن: "ما فهم التلاميذ هذا أوَّلاً، ولكن حين مُجِّد يسوع تذكَّروا أنَّ هذا كُتب عنه..." (يو ١٢:١٦). وفي الختام نخلص إلى القول بان يسوع واجه، في هذه المناسبة الفريدة، استقبالاً شعبيًّا حارًّا، ولكنَّه كان ملتبسًا، وهذا ما ستوضحه تتمة الأحداث.

التينة العقيمة (١١:١٢-١٤)

١٢ **ولَمَّا خَرَجوا في الغَدِ مِن بَيتَ عَنْيا أَحَسَّ بالجُوع.**

١٣ **ورأى عن بُعدٍ تينَةً مُورِقَة، فقَصَدَها عَساهُ أَن يَجِدَ علَيها ثَمَراً. فلمَّا وَصَلَ إِلَيها، لم يَجِدْ علَيها غَيرَ الوَرَق، لأَنَّ الوَقتَ لم يَكُنْ وَقتَ التِّين.**

١٤ **فخاطَبَها قال: ((لا يأكُلَنَّ أَحَدٌ ثمراً مِنكِ لِلأَبَد !)). وسَمِعَ تَلاميذُه ما قال.**

القصة التي تبدأ هنا تبدو غريبة للوهلة الأولى، إن لم نقل معثّرة. فلقد عاش فيها يسوع حلمًا جنونيًّا. فلقد جاع لدى خروجه من بيت عنيا، مع تلاميذه. ورؤية التينة مورقة أثارت شهيَّته، فاقترب منها (آ١٢-١٣أ). ولكنَّ رغبته خُيِّبت، إذ لم يكن فيها ثمر -وما ألذَّ تفسير مرقس للحادثة- "لأنَّ وقت التين ما حان بعد" (آ١٣ب)! نحن نرى أنَّ جوع يسوع في غير محلِّه! ومع ذلك نستصعب بعض الشيء أن نرى المعلِّم يلعن بغضب هذه الشجرة التي حسبها عقيمة (آ١٤).

ويرتبك القارئ حين يكتشف في يسوع شخصًا لا يشبه ذاك الذي عاشره حتّى الآن. هل هو ساحر مختلّ: شخص يتلاعب بنواميس الطبيعة! إنه أشبه بيسوع صاحب النزوات والدعابة الذس تعكس وجهه الأناجيل المنحولة (وهي المؤلَّفات التي نجهل كتّابها، مما جعلها مشبوهة) التي غذَّت المخيِّلة الشعبيَّة الجائعة إلى معجزات لا مغزى لها.

أمّا مرقس، فهو كاتب ماهر. ففعل يسوع، وهو، في نظره، خالٍ من أيِّ سبب ظاهر، يتَّخذ مدلولاً فريدًا. نحن نذكر ما سبق مباشرة هذا الخبر: في العشيةً، وقد ضاقت بيسوع الساعة المتأخِّرة، ألقى نظرة غاضبة إلى ما يحدث في الهيكل (١١:١١). واكتشف أنَّ المكان المقدَّس لا يحمل الثمار المنتظرة منه. وقام باكرًا، وبضربة قاضية، جعل هذا الواقع يخرج إلى وضح النهار (١١:١٥-١٨).

وعمله الذي بدا غريبا الآن، وجد معناه في هذا الاطار. كتب مرقس ان يسوع جاع. أيَّ جوع هو المقصود؟ في الكتاب المقدَّس، يرمز التين، شأنه شأن الكرم، إلى إسرائيل. فالله اختار هذا الشعب لخلاص العالم. ولكن ها هو إسرائيل، منذ أجيال وأجيال، يجيب باللا أمانة على ما ينتظر منه إلهُ العهد (راجع مثلاً بارزًا في اش ٥:١-٧). وهوذا يسوع جاء ليبيِّن أنَّ جوع الله قد خُيِّب. فأراد أن يفعل كما فعل الأنبياء، حين فضح عقم شعب الله. وما لعنة التينة العقيمة سوى كلمة في حركة رمزيَّة: انها تعلن حكم الله على الهيكل ذي العبادة العقيمة. فنحن بازاء فعل نبويّ على مثال تلك الافعال التي قام بها أنبياء العهد القديم تجاه أورشليم (راجع إر ١٩:١-١٥). هكذا يستنير تمامًا تصرُّف يسوع الذي بدا غير معقول. وهو بذلك أعطى علامة تنبيه قبل تدخُّله العنيف في الهيكل ليطرد منه الباعة (راجع ما يلي: ١١:١٥-١٨).

واكتفى مرقس حاليا بالقول: "وسمع تلاميذه" (آ١٤ب). إنه من أجلهم صنع هذه العلامة. لا شكَّ أنَّهم لم يكن بوسعهم ان يفهموا معناها. ففي التقليد الإنجيليّ عرف خبر التينة العقيمة طرقًا مختلفة في التفسير دلَّت على ارتباك الكتَّاب أمام موقف يسوع. وحده مرقس برّز هذا الحدث حين جعل منه اطارًا لطرد الباعة من الهيكل. وبينما لم يسرده متّى إلاَّ بعد هذه الهجمة (متى ٢١:١٨-٢٢)، لم يتردَّد لوقا من أن يجعل منه "مثلاً" حول صبر الله، خارجَ السياق التاريخيّ الحاضر (لو ١٣:٦-٩).

لنتذكَّر أنَّ الإنجيليِّين لم يسعوا الى تقديم تقرير دقيق عمَّا حصل. بل كان هدفهم الاستناد إلى تعليم يسوع لتقديم الجواب على حاجات الجماعات المسيحيَّة التي إليها يكتبون. ولنا هنا مثلٌ ساطع.

طرد الباعة من الهيكل (١١:١٥-١٩)

١٥ **ووصَلوا إلى أُورَشَليم، فدَخلَ الهَيكل، وأَخَذَ يَطرُدُ الَّذينَ يَبيعونَ ويَشتَرونَ في الهَيكل، وقَلَبَ طاوِلاتِ الصَّيارِفَةِ ومَقاعِدَ باعَةِ الحَمام،**

١٦ **ولَم يَدَعْ حامِلَ مَتاعٍ يَمُرُّ مِن دَاخِلِ الهَيكَل.**

١٧ **وأَخَذَ يُعَلِّمُهم فيَقول: ((أَلَم يُكْتَب: بيتي بَيتَ صَلاةٍ يُدعى لِجَميعِ الأُمَم وأَنتُم جَعلتُموهُ مَغارَةَ لُصوص)).**

١٨ **فسَمِعَ عُظَماءُ الكَهَنَة والكَتَبَة، فجَعلوا يَبحَثونَ كيفَ يُهلِكونَه، وكانوا يَخافونَه لأَنَّ الجَمعَ كُلَّه كانَ مُعجَباً بتَعليمه.**

١٩ **وعِندَ المساءِ مَضى هو وتَلاميذُه إِلى خارِجِ المَدينَة.**

هذا الخبر القصير جدًّا له أهمِّيَّة رئيسيَّة في مسيرة يسوع. إنَّه يستحقُّ أكبر اهتمام. ويتألَّف من ثلاثة أقسام: فعلُ يسوع (آ١٥-١٦)، تفسير ما فعل (آ١٧)، ردَّات الفعل التي حصلت (آ١٨-١٩).

فعل يسوع. المعلِّم هو في طريقه، مع تلاميذه، باتِّجاه المدينة المقدَّسة. لقد سمعوه توًّا يلعن التينة العقيمة (١١:١٤). "وصلوا إلى أورشليم. حينئذ دخل يسوع إلى الهيكل" (آ١٥أ). في الامس، كان قد دخل إلى المكان المقدس؛ وبنظرة غاضبة، كان قد رأى كل شيء، ولكنه أرجأ العمل. وها هو الآن يحتل الهيكل. انه مجموعة أبنية، وقلبُها المقدس بحصر المعنى الذي لا تدخله الناس عامة (ما عدا عظيم الكهنة مرَّة واحدة في السنة). وتمتدُّ الأروقة حول الأبنية على مساحة مستطيلة، واسعة جدًّا. اما المداخل إليه، فموزعة بشكل دقيق، وفق مناطق، بين الفئات الاجتماعيَّة والدينيَّة في ذلك الزمان. يقف الكهنة في الموضع الأقرب من المقدس. وبعيدًا عنهم اليهود: الرجال أوَّلاً، ثمَّ النساء، وهم منفصلون بعضهم عن بعض. وأخيرًا في الخارج، يُحصَر الوثنيُّون الذين يُعتَبرون نجسين.

ربَّما لم يتجاوز يسوع هذه المنطقة من رواق الوثنيِّين. وهناك يقوم التجّار بأعمالهم، وبشكل خاصّ باعة الحيوانات من أجل الذبائح، وكذلك الصيارفة. فمن أراد أن يشتري حيوانًا، وجب عليه أن يبدِّل النقد الرومانيّ، المحسوب نجسًا، إلى نقد يهوديّ. أمّا يسوع، فبحركة غضب نادرة، طرد الجمع المحتشد هناك، من شارين وباعة، وقلب موائد الباعة (آ١٥ب). اننا نستشعر المعثرة التي تلت هذا العمل! ويسوع، حتى وإن لم يدفعهم بقوَّة، فقد "طرد" الباعة من الهيكل، كما طرد زبائنهم. وإذا أردنا أن نفهم معنى هذه الفعلة، يجب أن نقيس مداها. ليس المقصود إقصاء تجارة تجتاح المكان، كما نجد ذلك في مناطق الحجّ وبالقرب من المعابد. وانما غضب يسوع على ما يشرف على سير الهيكل. فبيع وشراء الحيوانات بنقد يهوديّ (طاهر) نشاط لا بدَّ منهما لحسن سير الليتورجيّا، مع الذبائح الحيوانيَّة. وشاء البعضُ أن يرى في فعل يسوع حركة تطهير للهيكل الذي دنّسته

التجارة. ولكن في الواقع، قام المسيح بفعل نبويّ: لقد أعلن إلغاء شعائر العبادة اليهوديَّة. كما دشَّن العهد الجديد المعدّ لنهاية الأزمنة، حين "لن يعود بعدُ تجّار في بيت الربّ، الإله القدير، في ذلك اليوم"، على حد قول الانبياء (زك ١٤:٢١).

تفسير ما فعل يسوع: لقد شرحَ المعلِّمُ نفسه، على الفور، تصرُّفه لكل الذين يريدون أن يسمعوه (آ١٧). فكما جرى في ظروف أخرى كانت في غاية الخطورة (١٠:٦-٩)، عاد إلى "الكتاب المقدَّس"، متجاوزا الممارسة الحاليَّة. وهكذا أراد أن يذكّر بمشيئة الله. فبدأ بسرد مقطع من النبيّ اشعيا (٥٦:١-٨): يريد الله أن يكون بيته بيت صلاة، مفتوحًا على مصراعيه، بحيث يستطيع أن يدخله حتّى الغرباء، اي "كلُّ شعوب" الأرض. وشدَّد مرقس على البعد الشموليّ للصلاة أكثر ممّا شدَّد على ضرورتها. ففي زمن يسوع، كان الوثنيُّون يُبعَدون بشدة من الاقتراب إلى الله. وهذا الاستبعاد قد نُصّ عليه بشكل واضح في باحة الهيكل. هناك حاجز لا يحق لغير اليهود ان يتجاوزوه. واكتُشفت، سنة ١٩٣٥، في أورشليم، كتابة باليونانيَّة واللاتينيَّة، مدوَّنة على هذا الحاجز: "لا يلج أيُّ غريب داخل المدار الذي يحيط بالمقدس. فمن يُؤخَذ يَحكم على نفسه بالموت". وثار يسوع على هذا التمييز الدينيّ.

وفي النهاية، لمّح تعليمه إلى نصٍّ نبويّ آخر. ففي سفر إرميا، انتقد الله بمرارة هؤلاء المؤمنين الذين يستخفُّون، كلَّ يوم من حياتهم، بالشريعة الإلهيَّة، ويحسبون نفوسهم بأمان، بممارسة العبادة في الهيكل لا غير: "أمام عيونكم، هل صار هذا البيت الذي دُعيَ باسمي مغارة للصوص؟ بل أنا رأيت ذلك، يقول الربّ" (إر ٧:١١). وتبنى يسوع هذا الإتهام الحادّ. ذلك ان إخوته في الايمان يسلكون سلوك اللصوص: يقترفون الكثير من الخطايا ويعتقدون انهم في أمان، عبر لجوئهم إلى شعائر العبادة في الهيكل، كما في مخبأ يحتمون به.

لم يأت المعلِّم ليندِّد فقط بالانحرافات التي تشوِّه عبادة الله الحقَّة. فتدخُّله الصاخب، بالفعل وبالقول، يُلزم بأكثر من إصلاح عابر. إنَّه يوحي بفكرة إلغاء الذبائح. وفي هذا المعنى، نستطيع أن نقرأ تفصيلاً مدهشًا في المشهد: "وما ترك أحدًا ممّن يحمل متاعا، يمرُّ من داخل الهيكل" (آ١٦). لقد ظنَّ البعض أنَّ يسوع اكتفى بأن يمنع عامة الناس من التجوُّل في الباحة المقدَّسة، كما لو كانوا في موضع عاديّ. ولكنَّ النصَّ يوحي بمهارة اكبر. ففي الواقع، يعترض يسوع على نقل أيِّ "غرض" من أغراض العبادة: وهو بالتالي أراد أن يضع حدًّا لليتورجيا اليهوديَّة في الهيكل.

ردّات الفعل. ان رغبة يسوع هذه بأن يوقف دوامة الذبائح الطقوسيَّة، هي وحدها تعطينا فكرة عن الإثارة التي خلّفها. فما أنْ عُرِفَتْ القضيَّة لدى المراجع العليا، حتى دفعتهم إلى البحث عن عقاب مناسب: موت من يسبِّب القلاقل (آ١٨أ). لم يسعَ يسوع ولا شكَّ إلى تدمير الهيكل، إلا أنَّ خصومه لم يجهلوا ما يتضمنه عمله من طابع ثوري. فالجليليّ يقلب النظام القائم، لذا ينبغي أن يموت. وأشار مرقس للمرَّة الأولى إلى أنَّ رؤساء الكهنة انضمُّوا إلى الكتبة. إنَّهم الأشخاص الاكفّاء بشأن كلّ ما يتعلَّق بشعائر العبادة. ونجدنا أمام عودة إلى المؤامرة التي ظهرت خطوطها الأولى في ٦:٣ على يد الفرِّيسيِّين والهيرودسيِّين. وشدَّد الإنجيليّ على الخوف الذي يسكن المسؤولين الدينيِّين في الشعب تجاه يسوع (آ١٨ب). وهذا الخوف ينمو بقدر ما ينمو تأثير المعلِّم في سامعيه.

هناك عتبة أُجتيزت لا رجوع عنها. منذ الآن، ارتسم الموت في أفق النبيّ الذي يهاجم القيم القائمة. وكان عليه، هو وفريق تابعيه، أن يختبئوا خارج المدينة (آ١٩). ذلك هو قرار حكيم، أملته الفطنة على إنسان يشعر أنَّه ملاحَق. وكانت الإقامة في بيت عنيا (١١:١١) أكثر أمانًا من الإقامة في أورشليم عينها.

حول التينة اليابسة (١١:٢٠-٢٥)

٢٠ **وبَينَما هُم مارُّونَ في الصَّباح، رَأَوا التِّينَةَ قد يَبِسَت مِن أَصلِها.**

٢١ **فتَذَكَّرَ بُطرُسُ كَلامَه فقالَ له: ((رَابّي، اُنْظُرْ، إِنَّ التِّينَةَ الَّتي لَعَنتَها قد يَبِسَت)).**

٢٢ **فأَجابَهم يسوع: ((آمِنوا بِالله.**

٢٣ **الحَقَّ أَقولُ لَكم: مَن قالَ لِهذا الجَبَل: قُم فَاهبِطْ في البَحْرِ، وهو لا يَشُكُّ في قَلبِه، بل يُؤمِنُ بِأَنَّ ما يَقولُه سيَحدُثُ، كانَ له هذا.**

٢٤ **ولِذلِكَ أَقولُ لَكم: كُلُّ شَيءٍ تَطلُبونَه في الصَّلاة، آمِنوا بِأَنَّكم قد نِلتُموه، يَكُنْ لَكم.**

٢٥ **وإِذا قُمتُم لِلصَّلاة، وكانَ لَكم شَيءٌ على أَحَدٍ فاغفِروا لَه، لِكَي يَغفِرَ لَكم أَيضاً أَبوكُمُ الَّذي في السَّمواتِ زَلاَّتِكم)).**

بعد حدث الباعة المطرودين من الهيكل، يعود خبرُ التينة الملعونة الذي كان قد توقَّف (في ١١:١٤). ونتذكَّر أنَّ الاثني عشر سمعوا يسوع حين تفوَّه باللعنة على التينة التي حُكم عليها انها عقيمة (آ١٤ب). وحين مرُّوا من جديد في المكان، ما اعظم ما كانت دهشتهم، وقد عبّر عنها بطرس باسمهم في السؤال الذي طرحه على المعلِّم (آ٢١).

وهنا يصبح الخبر غير معقول، حتى أنَّه اخذ يطرح سؤالاً على المؤرِّخين. وبوسعنا القول مع بعض منهم، أنَّ الحدث كان في الأصل مثلا من أمثال يسوع (راجع لو ١٣:٦-٩). وقد يكون التقليد المرقسيّ جعل من المثل خبرًا. لا نمتلك هنا أيَّ يقين؛ ولكن ما هو واضح، هو المدلول الرمزيّ لهذه التينة. فحين صارت يابسة حتّى الجذور، كانت صورةً معبِّرة عن الهيكل الميت الذي لم يَعُد يسوع ينتظر منه شيئًا. واغتنمها مرقس فرصة سانحة كي يقدِّم يسوعَ وهو يستخلص، من اجل تلاميذه، درسًا حول "قضيَّة" الهيكل. فالخطبة التي فاه بها يسوع لا تبدو منطقيَّة في ظاهرها. فقد نكون أمام كلام تلفَّظ به يسوع في سياق نسيه التلاميذ فيما بعد. وهذه الأقوال التي اصبحت "جوّالة"، جمعها مرقس هنا بفضل نهج الألفاظ الملحقة المشتركة. وهذه الألفاظ هي: "إيمان - آمن" (آ٢٢-٢٤)، "صلاة - صلَّى" (آ٢٤-٢٥).

الموضوع الأوَّل الذي نقرأه هو موضوع الإيمان. فما نقرأ في آ٢٣ هو كلام شهير، وقد انتقل إلينا في هيئة مثل: "إيمان ينقل الجبال". انها صيغة مبالغة مألوفة في الشرق. وهي تعبِّر خصوصًا عن قدرة الله الذي يستخفُّ بالنظام القائم. فالتينة والهيكل والجبل؟ ليس بوسع احد هذه الحواجز ان يقف بوجه الله. وبوسعه أن يتجاوزها برمتها. وقد سبق يسوع ان قال: "لا شيء يستحيل على من يؤمن" (٩:٢٣ب). وهوذا يسوع، بعد حركته في الهيكل، أراد أن يُنمّي هذه العبادة الجديدة التي هي الإيمان.

ومن هنا اصبح دخول الموضوع الثاني، الصّلاة، في محلّه. لما كان بيت الذبائح لا يُنتج أيَّة ثمرة، فيجب علينا أن نؤمن بقيمة الصّلاة وفاعليَّتها (آ٢٤). وواصل يسوع اعلانه عن العالم الجديد الذي يحلُّ محلَّ "مغارة اللصوص" (١١:١٧ب). والعبارة حول ضرورة الغفران للإخوة لنيل غفران "الآب السماويّ" تذكِّرنا بخاتمة الصّلاة الربِّيَّة عند متّى (٦: ١٥). ولما لم يورد مرقس صلاة يسوع هذه، نستطيع الاعتقاد أنَّه أراد أن يوجِّهنا إليها في نهاية هذه الفقرة.

وبالتالي، فان خبر التينة العقيمة ثمَّ اليابسة (١١:١٢-١٤، ٢٠-٢٥) "أحاط" عمدًا بخبر الباعة المطرودين من الهيكل (١١:١٥-١٩). فهو يحمل في ذاته ألفاظًا لها رنَّة معبِّرة عمّا يطلب يسوع من تلاميذه: الجوع (الروحيّ، آ١٢)، الثمار (الدينيَّة، آ١٤)؛ الجذور (الحيَّة في العمق، آ٢٠)؛ الإيمان (المتين، آ٢٢)؛ الصّلاة (الواثقة، آ٢٤)؛ الغفران (الذي يحمل المصالحة، آ٢٥). إنها أمور للتأمُّل العميق!

سلطة يسوع على الهيكل (١١:٢٧-٣٣)

٢٧ وعادوا إلى أُورشَليم. وبَينما هو يَتَمَشَّى في الهَيكَل، جاءَ إِلَيه عُظَماءُ الكَهَنَة والكَتَبَةُ والشُّيوخ
٢٨ فقالوا له: ((بِأَيِّ سُلْطان تَعمَلُ هذه الأَعمال بل مَن أَولاكَ ذاكَ السُّلطانَ لتَعمَلَ هذه الأَعمال؟))
٢٩ فقالَ لَهم يسوع: ((أَسأَلُكُم سُؤَالاً واحِداً فَأَجيبوني، ثُمَّ أَقولُ لَكم بِأَيِّ سُلطانٍ أَعمَلُ هذه الأَعمال.
٣٠ أَمِنَ السَّماءِ جاءَت مَعموديَّةُ يوحَنَّا أَم مِنَ النَّاس؟ أَجيبوني)).
٣١ فتَباحَثوا قائلين: ((إِن قُلْنا: مِنَ السَّماء، يَقول: فلماذا لم تُؤمِنوا به ؟
٣٢ أَفنقولُ مِنَ النَّاس؟))، وكانوا يَخافونَ الجَمع، لأَنَّ النَّاسَ كُلَّهم كانوا يَعُدُّونَ يوحَنا نَبِيّاً حَقاً.
٣٣ فأَجابوا يسوع: ((لا نَدري)). فقالَ لَهم يسوع: ((وأَنا لا أَقولُ لكم بِأَيِّ سُلْطانٍ أَعمَلُ هذه الأَعمال)).

هي المرَّة الثالثة، يدخل فيها يسوع إلى أورشليم ويلج إلى باحة الهيكل (١١:١١، ١٥). ولقد جعل من المكان المقدَّس مركز تعليمه (١١:١٧). وهناك سوف يواجه ممثِّلي العالم اليهوديّ في سلسلة من ثلاثة جدالات هي مثل ردّ على الجدالات اللاهوتيَّة في بداية رسالته (٢:١-٣:٣). ومن وراء الإطار المعبِّر الذي تجري فيه هذه الجدالات، نحسُّ بشكل واضح أنَّ يسوع يخضع هنا لإستجواب حقيقي: فلقد بدأت محاكمته قبل الاوان!

أمّا مواضيع الجدالات التي فُتحت الآن، فهي التالية: سلطة يسوع (١١:٢٧-٣٣)؛ الجزية المفروضة لقيصر (١٢:١٣-١٧)؛ قيامة الموتى (١٢:١٨-٢٧). إلا ان "قضيَّة" الهيكل، في الوقت الحاضر، ما زالت حامية (١١:١٥-١٧). وسؤال رؤساء الكهنة والكتبة هو في وقته: "بأيِّ سلطة تفعل هذا؟" (آ٢٨). ليس من قبيل الصدف أن يكون أعضاءُ السنهدريم، مجلس القضاء الأعلى، هم الذين يُخضعون يسوع لهذا السؤال. بأيِّ حقٍّ يتدخَّل في سير شعائر العبادة؟ انه سؤال ماكر، في الوقت الذي لا يجهل هؤلاء الأشخاص أنَّهم وحدهم جعلوا من انفسهم اسياداً في هذا المجال الخاصّ. لقد ظنُّوا انهم وكلاء سلطان آت من الله. لم يُجبّ يسوع بشكل مباشر إلى سؤالهم، وانما واجههم بسؤال يمهِّد للجواب. لقد كان هذا السؤال حكيمًا جدًّا، حتى انه جعل محاوري يسوع أمام خيار موجع. فإن أعلنوا أنَّ يوحنّا المعمدان ورسالته جاءا "من السماء"، أي من الله، وجب عليهم أن يُقرُّوا أيضًا بالأصل الإلهيّ لسلطة المسيح (آ٣٠-٣١). وإن اعتبروا أنَّ عمل يوحنّا هو بشريّ محض، فسوف يصطدمون بالرأي العامّ الذي يعتبر عمله نبويًّا (آ٣٢).

واهتمَّ مرقس بأن يسجّل خوف السلطات اليهوديَّة. لقد قرَّروا مسبقا أن يُهلكوا يسوع، ولكنَّهم خافوا، دون أن يُفصحوا عن ذلك، من الشعبيَّة الهائلة التي يتمتَّع بها، على غرار يوحنّا المعمدان (١١:١٨؛ ١٢:١٢). وجاء جوابهم انهزاماً من تحدِّي يسوع ("لا نعرف")، لا بل تهرّبا (آ٣٣أ). واستخلص يسوع النتيجة. فهو لن يسلِّم سرَّ سلطته (آ٣٣ب).

الكرّامون القتلة (١٢:١-١٢)

١٢ ١ وأَخَذَ يُكَلِّمُهُم بالأَمثال قال: ((غَرَسَ رجُلٌ كَرْماً فَسيَّجَه، وحَفَرَ فيه مَعْصَرَةً وبَنى بُرجاً، وآجَرَه بَعضَ الكَرَّامين ثُمَّ سافَر.

٢ فلَمَّا حانَ وقتُ الثَّمَر، أَرسلَ خادماً إِلى الكَرَّامين، لِيأخُذَ مِنهُم نَصيبَه مِن ثَمَرِ الكَرْم.

٣ فأَمسَكوه وضَرَبوه، وأَرجَعوه فارِغَ اليَدَين.

٤ فأَرسَلَ إِلَيهِم خادِماً آخَر، وهذا أَيضاً شَجُّوا رأسَه وأَهانوه.

٥ فأَرسَلَ آخَر، وهذا أَيضاً قَتلوه. ثُمَّ أَرسَلَ كثيرينَ غَيرَهم، فضَربوا بَعضَهم وقَتَلوا بَعضَهم.

٦ فبَقِيَ عِندَه واحِدٌ وهو ابنُه الحَبيب. فأَرسَلَه إِلَيهِم آخِرَ الأَمرِ وقال:((سَيَهابونَ، ابني)).

٧ فقالَ أُولئكَ الكَرَّموانَ بَعضُهم لِبَعْض: ((هُوَذا الوارِث، هَلُمَّ نَقتُلْه، فيَكونَ الميراثُ لَنا)).

٨ فأَمسَكوهُ وقَتَلوه وأَلقَوْهُ في خارِجِ الكَرْم.

٩ فماذا يَفعَلُ رَبُّ الكَرْم ؟ يَأتي ويُهلِكُ الكَرَّامين، ويُعطي الكَرْمَ لآخَرين.

١٠ أَوَما قَرأتُم هذه الآية: ((الحَجَرُ الَّذي رَذَلَه البَنَّاؤون هو الَّذي صارَ رأسَ الزَّاوِيَة.

١١ من عِندِ الرَّبِّ كانَ ذلك وهو عجَبٌ في أَعيُننا))

١٢ فحاوَلوا أَن يُمسكوه، ولكِنَّهم خافوا الجَمْع، وكانوا قد أَدرَكوا أَنَّه يُعَرِّضُ بِهم في هذا المَثَل، فتَركوه وانصَرَفوا.

الخبر الذي نكتشفه الآن، بدأ دون إشارة إلى الزمان والمكان. انه يندرج في قلب جدالات تجعل تضادًّا بين يسوع ومسؤولي إسرائيل: "وأخذ يخاطبهم بالأمثال" (آ١أ). لا يستطيع المعلِّم أن يتوجَّه سوى إلى رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ الذين وُضعوا، من قبل، على المسرح (١١:٢٧ب). فهم يحسُّون أنَّ يسوع أصابهم (١٢:١٢). وهذا "المثل" المرويّ، في هذا الموضع، يبدو غريبا وبعيدًا عن الأمثال التي وجَّهها يسوع، لا إلى السلطات اليهوديَّة، بل إلى الجموع الجليليَّة وإلى تلاميذه (راجع ٤:١-٣٧). فالمناخ هنا

مختلف جدًّا، والمتلقّون أيضًا. وسوف نكتشف أنّنا أمام مثل رمزي للعبرة، واستعاريّ إلى حدٍّ كبير. والخبر الاستعاري خبر مصوَّر يتيح "التكلّم عن شيء آخر". في هذا النمط من الرواية، يأخذ كلُّ تفصيل مدلولاً خاصًّا.

استندت بداية الخبر إلى نشيد حبِّ الله لشعبه، شعب العهد، بحسب النبيّ اشعيا (٥:١-٧). ففي هذه القصيدة، كما في سائر البيبليا، تمثّل الكرمة الشعب المختار. وهي التي غرسَها الله بحبٍّ جنونيّ. وأحاطها بعناية تُحسَد عليها: هذا ما يبرزه السياج والمعصرة وبرج الحراسة. وعند اشعيا، جاءت حالاً الدعوى التي أقامها الله على شعبه الخائن: "انتظرَ عنبًا طيِّبًا فنال عنبًا رديئًا" (آ٤). ويسوع، بدوره، لم يهاجم الشعب، بل قادته: الكرّامين. فلقد سلَّم الله إليهم كرمه بالايجار، ثمّ غاب. قد تكون صورة الله، في شكل إنسان يغيب، مأخوذة من الظروف الاجتماعيَّة في فلسطين القرن الأوَّل: فالملاّكون الكبار، كانوا يؤجِّرون الاراضي لفلاَّحين محلِّيِّين يستغلونها، ويعيشون هم في الخارج. فلم يكونوا معنيِّين إلاَّ بالغلَّة. وأرسل المالك ثلاث مرَّات موفدين ليتسلَّموا ثمار الكرم (آ٢-٥أ). وكلَّ مرَّة، كان لهم مصير سيِّئ. اما "خدَّام" سيِّد الكرم، فهم الأنبياء. وعلى مدى تاريخ إسرائيل، أرسلهم الله ليقطفوا ثمار العهد: الإيمان والأمانة. ولكن: أُسيء استقبالهم، وأُسيئت معاملتهم، وألغيَ وجودهم (آ٣-٥). ففي زمن يسوع، كان موضوع الأنبياء المقتولين مزدهرًا في الأدب اليهوديّ. وهذا الموضوع بالذات، توسَّع فيه يسوع هنا مع تشديد حقيقيّ. أمّا قمة الخبر، فقد تجاوزت سلسلة الأنبياء الشهداء. إذ بالرغم من العداوة المتواصلة التي أصابت مرسَلي الله، لم يملّ الله من الاهتمام بكرمته. "بعد كل هذا لم يبقَ سوى ابنه الوحيد، فأرسله إليهم في آخر الأمر" (آ٦).

التلميح إلى مصير يسوع واضح جدا. وهو المعنيّ في صورة "الابن الحبيب"، هذا اللقب الذي أعطاه إياه الآب في المعموديَّة (١:١١) وفي التجلّي (٩:٧). فلقد وعى يسوع حقًّا أنَّه مسيح نهاية الأزمنة، هذا المرسَل الخاصّ والأخير الذي بعث به الله راجيًا أن يروا فيه "الوارث" ويحترموه. ومن المؤسف أن يكون هو موضوع مؤامرة خسيسة. وتتكثف الألفاظ لتصوِّر نهايته العنيفة: أُمسك، قُتل، رُمي خارج الكرم (آ٨). وهذا يعني أنَّه مدعو ليعاني مصيرًا مشابهًا لمصير الأنبياء الذين قُتلوا. فإلى هذا الحد من المثَل، كان القارئ مدعوا إلى ان يتذكَّر إنباءات الالام، والإنباء الأوَّل بشكل خاصّ، حيث يقول يسوع لتلاميذه: "ينبغي على ابن الإنسان أن يتألَّم كثيرًا، أن يرذله الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة وأن يُقتَل" (٨:٣١).

كان بالإمكان لهذا الخبر أن يُختَم مع هذا الإنباء المتجدِّد بالالام. ولكن، لم يتم الامر كذلك. فالنصُّ يتواصل مع هذا السؤال/الجواب على لسان يسوع: "ماذا يفعل صاحب الكرم؟" (آ٩أ). ونرى الله يردُّ ردًّا قاسيًا على مقتل مُرسَله. انه يعاقب المذنبين فيسومهم الحكم بالإعدام (آ٩ب). وبالاخص، "يأخذ منهم الكرم ويسلّمه إلى آخرين" (آ٩ج). إلى من يسلّمه بالتحديد؟ لا يفصح يسوع عن ذلك. أمّا مرقس، فحين كتب هذا الكلام، فكّر بالتأكيد بالوثنيِّين الذين كانوا يدخلون بكثرة في الكنيسة، عوضا عن الشعب المختار. والمسيحيُّون القادمون من العالم الوثنيّ، هم هنا ليشهدوا أنَّ الله قام بنقْل ملكه، من شعب خائن (إسرائيل) إلى شعب جديد وأمين، من غير اليهود (١بط ٢:٩-١٠).

وليس هذا كلُّ شيء. فيسوع عاد إلى الكتاب المقدَّس، كما سبق له وفعل (١٠: ٦؛ ١١:٧): ها نحن بازاء مثل صغير وجديد يضاف إلى المثل السابق فيطعّمه (آ١٠-١١). يتوسَّع الأفق هذه المرَّة بشكل كبير جدًّا. فالحجر الذي رذله البنّاؤون، وقد أعاده الله -"الربّ"- بمثابة حجر الغلق في البناء، يوحي بقيامة يسوع. فالله لا يمكن أن يدع عمله يتشوه. وبما أنَّ البشر حكموا على ابنه ظلمًا وأزالوه، فقد قضى له بالعدالة، وردّ إليه اعتباره بشكل تام. هذا المقطع عن الحجر المرذول الذي صار حجر الغلق، قد أُخذ من مز ١١٨:٢٢-٢٣. وسبق مرقس ان وضعه في فم الذين واكبوا المسيح لدى دخوله الظافر إلى أورشليم (١١:٩-١٠). فلقد استَعملت الكنيسةُ الأولى هذا المزمورَ لتعلنَ إيمانها بالمسيح القائم من الموت (راجع رسل ٤:٨-١٢؛ ١بط ٢:٤-١٠).

من غير المحتمل أن يكون يسوع قد أعلن قيامته لخصومه بمثل هذا الوضوح. وحين يوحي بها، يفعل ذلك بطريقة خافرة، وباتجاه تلاميذه وحدهم، في خاتمة الإنباءات بالالام (٨:٣١؛ ٩:٣١؛ ١٠:٣٢-٣٤). إذًا، نحن هنا أمام إعادة قراءة أقوال يسوع على ضوء الفصح. ومَثل الكرّامين القتلة الذي أعادت ترتيبه الجماعةُ المسيحيَّة، يرسم درامة المسيح المصلوب، وينتهي الآن بالإعلان الفصحيّ.

يأتي هذا الإعلان، في سياقه الحاليّ، بمثابة ردّ أراده يسوع على مَن يعترض على سلطته، من "البنّائين" في ذلك الوقت: اعضاء السنهدريم (المجمع الأعلى). وكان ينبغي على حافظي الكتاب المقدَّس ومفسِّريه أن يتأمَّلوه. إذ لا يمكن ان يبقى دون عقاب رفض المسيح الذي وهبه الله، في نهاية قصة حبٍّ طويلة مع إسرائيل، ليقود مخطَّطه الخلاصي الشامل إلى هدفه. وينتهي مَثل الكرّامين القتلة بخاتمة تاريخيَّة (آ١٢). تحدَّث مرقس عن المسؤولين الدينيِّين الذين أحسُّوا أنَّ تعليم يسوع أصابهم في الصميم، وانتقلوا إلى بداية

تنفيذ المؤامرة التي ضمروها له (١١:١٨). وحده الخوف من الجمع جعلهم يتراجعون -مرَّة أخرى- في عملية تصفية رجل صار مزعجًا حقًّا.

الجزية المفروضة لقيصر (١٢:١٣-١٧)

١٣ **وأَرسَلوا إِلَيه أُناساً مِن الفرِّيسيِّينَ والهيرودُسيِّين لِيَصطادوه بِكَلِمَة.**

١٤ **فأَتَوه وقالوا له: ((يا مُعَلِّم، نَحنُ نَعلَمُ أَنَّكَ صادِقٌ لا تُبالي بِأَحد، لأَنَّكَ لا تُراعي مَقامَ النَّاس، بل تُعَلِّمُ سبيلَ اللهِ بِالحَقّ. أَيَحِلُّ دَفْعُ الجِزيَةِ إِلى قَيصَرَ أَم لا؟ أَنَدْفَعُها أَم لا نَدفَعُها ؟))**

١٥ **ففَطِنَ لِرِيائِهم فقالَ لَهم))لماذا تُحاوِلونَ إِحراجي ؟ هاتوا ديناراً لأَراه)).**

١٦ **فَأَتَوه به. فقالَ لَهم: ((لِمَن الصُّورَةُ هذه والكِتابَة ؟)) قالوا: ((لِقَيْصَر)).**

١٧ **فقالَ لَهم: ((أَدُّوا لِقَيصَرَ ما لِقَيصَرَ، ولِلهِ ما لِلله)). فعَجِبوا لَه أَشدَّ العَجَب.**

جدال جديد -هو الثاني (راجع ١١:٢٧-٣٣)- يجعل يسوع في مواجهة مع القادة اليهود. أمّا محاولتهم، فلم تكن مصطنعة (آ١٣أ). نجد هنا مجموعتين سبق أن اتَّحدتا لهلاكه، منذ الرسالة في كفرناحوم (٣:٦). الهيرودسيُّون، وهم الموالون لهيرودس أنتيباس رئيس الربع في الجليل، والتابعون للسلطة الرومانيّة القائمة. أمّا الفرِّيسيُّون، فيتعايشون إلى حد معقول مع المحتلّ. وهم الذين أُرسلوا -من قبل اعضاء السنهدريم ولا شكَّ (١١: ٢٧)- لينصبوا فخًّا ليسوع (آ١٣ب)، وليست تلك أوَّل محاولة من هذا النوع يقومون بها (راجع ٨:١١).

مهما كان ماكراً التملّق الذي به اقتربوا من يسوع، إلا انه يعكس حقيقة سلوكه: إنه معلّم منفتحٌ إلى حد كبير، لا يستبعد أحدًا (آ١٤أ). ولكن هذه المداهنة، في فم مهاجميه، توخّت أن تُمرِّر السؤال الفخّ: "أيحلُّ دفع الجزية إلى الإمبراطور، نعم أم لا؟ أندفعها أم لا ندفعها؟" (آ١٤ب). كان اليهود يتحمَّلون بصعوبة الجزية الثقيلة التي يدفعونها للمحتلّ. وكان دفعُ الجزية الرومانيَّة موضوع جدالات بين المدارس. كما كان الناس يحبُّون إثارة هذه النقطة لمعرفة موقف الرابِّينيِّين. ويتذكَّر الناسُ كلُّهم أنَّ ثورة يهوذا الجليليّ كانت احتجاجاً على الجزية للمحتلّ (رسل ٥:٣٧). أمّا يسوع، فقد ادرك أنَّه إذا اتَّخذ موقفًا ما، فسوف يُحشَر للحال بين المتعاونين أو بين المقاومين، ذلك ان السؤال مُربك جدًّا. ولما كان المعلّم يعلم غياب الصدق عند محاوريه، قرَّر أن يخضعهم لامتحان ملموس يكشف عن نواياهم: طلب ان يقدِّموا له قطعة نقود تحمل الصورة المعبِّرة (آ١٥). وهكذا فرض عليهم يسوع أن يُقرُّوا بالواقع: فالمبادلات التجاريَّة تتمُّ بنقود المحتلّ المتداولة

(آ١٦). عندئذ ظنَّ خصومه أنَّهم كشفوا عن قبول المعلِّم بالتعاون مع المحتل. أمّا هو، فخرج بهذا الرَّد الشهير الذي أسال كثيرا من الحبر: "ردُّوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله" (آ١٧أ). وهكذا فرض عليهم يسوع أن يعيدوا الأمور إلى نصابها. فالدولة، وإن غريبة، تبقى الدولة. ولكنَّ الله هو الله. فالفرِّيسيُّون وأصدقاؤهم مدعوون إلى أن يقيسوا مسؤوليّاتهم الدينيَّة التي هي أهمُّ من كلّ شيء.

على مدى تاريخ الكنيسة، أُريد استخراج استنتاجات هامَّة من قول يسوع القاطع. وقيل انه بدا وكأنه اراد أن يميِّز بين مجالين متداخلين: الزمنيّ والروحي. ويكمن الخطر الدائم في عزل جزء من قول يسوع ("ردُّوا لقيصر...") وانتزاعه من الظروف التاريخيَّة التي قيل فيها.

حين نتطلَّع بدقَّة إلى السياق، نرى أنَّ يسوع يعيد السائلين إلى سؤالهم. فبما أنَّهم يستعملون النقد الرومانيّ، كان من المنطق أن يؤدُّوا الجزية المفروضة للإمبراطور. تلك هي طريقة يسوع: أن يجعل دوماً خصومه ازاء مسؤوليّاتهم (راجع ١١:٣-٣٣). لهذا أثار جوابُه لديهم دهشة جديدة حول شخصيَّته (آ١٧ب). وفي الواقع، أحبط المعلِّم الفخّ تمامًا، وكشف عن ما يتضمن، منطقيا، التعامل النقدي، لدى معاصريه. وانطلاقًا من هذا الواقع، لن يستطيعوا، أن يجعلوا منه متواطئاً مع السلطة الرومانيَّة، ولا متعاونا، في الوقت ذاته، مع الثوار الوطنيِّين في زمانه. فلقد جعل نفسه بحزم فوق هذه المواقف التحزّبية. إلا ان اللُّبْس في موقفه أتاح، فيما بعد، خلال محاكمته أمام بيلاطس، بأن يُتَّهم كذبًا بأنَّه يثير الشعب ويمنعه من دفع الجزية لقيصر (لو ٢٣: ٢).

الصدُّوقيُّون والقيامة (١٢:١٨-٢٧)

١٨ وأَتاه بَعضُ الصَّدُّوقيِّين، وهُمُ الَّذينَ يَقولونَ بِأَنَّه لا قِيامَة، فسأَلوه:

١٩ ((يا مُعَلِّم، إِن موسى كَتَبَ علَينا: ((إِذا ماتَ لامرِئٍ أَخٌ فتَركَ امرَأَتَه ولَم يُخَلِّفْ وَلَداً، فَلْيَأخُذْ أَخوهُ المَرأَةَ ويُقِمْ نَسْلاً لأَخيه)).

٢٠ كانَ هُناكَ سَبعَةُ إِخوَة، فأَخَذَ الأَوَّلُ امرَأَةً ثُمَّ ماتَ ولَم يُخَلِّفْ نَسْلاً.

٢١ فَأَخذَها الثَّاني ثُمَّ ماتَ ولَم يُخَلِّفْ نَسْلاً وكَذلكَ الثَّالث.

٢٢ ولَم يُخَلِّفِ السَّبعَةُ نَسْلاً. ثُمَّ ماتَتِ المَرأَةُ من بعدهم جميعاً.

٢٣ ففي القيامة حين يَقومون لأَيٍّ منهم تكونُ امرأَةً ؟ ، فقَد اتَّخَذَها السَّبعَةُ امَرأَة)).

٢٤ فقالَ لَهم يسوع: ((أَوَ ما أَنتُم في ضَلال، لأَنَّكم لا تَعرِفونَ الكُتُبَ ولا قُدرَةَ الله ؟

٢٥ فَعندَما يَقومُ النَّاسُ من بَين الأَموات، فلا الرِّجالُ يَتزَوَّجونَ، ولا النِّساءُ يُزَوَّجْنَ، بل يَكونونَ مثلَ المَلائكةَ في السَّموات.
٢٦ وأَمَّا أنَّ الأَمواتَ يَقومون، أَفَما قرأتُم في كِتاب مُوسى، عِندَ ذِكْر العُلَّيقَة، كيفَ كَلَّمَه اللهُ فقال: ((أَنا إلهُ إبراهيم وإلهُ إسْحق وإله يَعقوب.
٢٧ وما كانَ إِلهَ أَمْوات، بل إلهُ أَحْياء، فأَنتُم في ضَلالٍ كَبير)).

وقام جدال جديد –هو الأخير (منذ ١١:٢٧)– بين يسوع وممثّلي الفكر اليهوديّ. انها المرَّة الأولى يتصدى فيها يسوع للصدُّوقيِّين (آ١٨أ) الذين يمثّلون الأرستقراطيَّة الكهنوتيَّة. ففي السياسة، هم مهادنون للمحتل؛ أما في الدين، فهم محافظون. وبالنسبة إليهم، تكمن قاعدة الإيمان الوحيدة في التورا المكتوبة: الأسفار الخمسة الأولى في البيبليا. انهم يرذلون التعاليم التي ظهرت فيما بعد، عند الأنبياء والحكماء. وخير مثال موقفهم من قيامة الموتى (راجع دا ١٢:٢؛ ٢مك ٧:١–٢٣). لا نعجب إذا رأيناهم يهاجمون يسوع في هذه النقطة الرئيسيَّة من الإيمان، وهو يشاطر فيها الفرِّيسيِّين كلِّيًّا. فالصدوقيون، بحسب الاعتقاد الخاصّ بهم، انطلقوا من شريعة موسى وسألوا يسوع (آ١٩)، بصدد شريعة السلف (والسلف هو شقيق الزوج): حين يموت رجل، ولم يكن لزوجته ولد ذكر، وجب على سلفها أن يأخذها زوجة لكي يؤمِّن النسل (تث ٢٥:٥–١٠). هذه الشريعة المعمول بها لدى شعوب أخرى (الحثِّيِّين، الأشوريِّين) تتجاوب مع الحاجة إلى الحفاظ على النسل لدى شعوب بقاؤها مهدَّد. كما انها تؤمّن أيضًا ثبات الممتلكات بالوراثة، وكانت هذه القاعدة تَمارس بشكل واسع في زمن يسوع. وانتهزها الصدُّوقيُّون فرصة ليطرحوا على المعلِّم حادث ضمير غريب (آ٢٠–٢٣). قد يتحيَّر القارئ الغربيّ أمام هذا الشلال من "سبع" حالات زواج يتبعها موتٌ بلا نسل. وبهذا الإفراط عينه –"سبعة" هو رقم كامل– يبدو هذا الخبر مُستَغربا جداً. إنَّه يرتبط بفرضيَّة مدرسية ذات نمط رابِّينيّ، لا أساس لها في الحياة، لا سيما وهي تطرح التعليم عن القيامة وكأنَّه مأزق. ويسوع، في ردّه الحيوي، اتَّهم الصدُّوقيِّين بأنَّهم "في ضلال" لأنَّهم يجهلون حقًّا الكتب المقدَّسة وقدرة الله (آ٢٤). فلو قرأوا مجمل الكتاب المقدَّس، بما فيه الأنبياء والحكماء، كما يقرأون شريعة موسى، لرأوا إيمان آبائهم بالقيامة (منذ القرن الثاني ق.م.)، لا سيما وانهم لا يقيّمون "قدرة الله" حق قدرها. وهنا يغتنم يسوع الفرصة ليهاجم بقوَّة النظرة المادِّيَّة (وتكاد تكون صبيانية) إلى الآخرة، والتي كانت شائعة في زمانه. فهم يستخفون بـ "قدرة الله" حين يفكِّرون وكأن القيامة مجرَّد امتداد الحياة على الأرض. في الواقع، لا نستطيع أن نتصوَّر، عقليا، حياة القائمين من الموت. ولا يجوز أن

نتخيَّلها على شاكلة الحياة الحاضرة. ومسألة الإنجاب، كغيرها من المسائل، لا تُطرَح البتة. فحين أعلن يسوع "أنَّهم لا يتزوَّجون بل يكونون مثل ملائكة"، فهو، مع ذلك، لا يقصد أنَّ الرجال والنساء الذين يقومون سيكون وضعُهم "ملائكيًّا". فالاداة "مثل" مهمَّة جدًّا. إنها مقارنة تهدف فقط التوضيح بأنَّ الاتِّحاد الجسديّ لا مكان له في الآخرة: هناك تحوُّل في طريقة الوجود البشريّ. ولكن، حين تكلَّم يسوع عن الملائكة، لم يكن يسعى إلى اقناع محاوريه. فالصدُّوقيُّون لم يكونوا يؤمنون، لا بالملائكة ولا بقيامة الموتى (راجع رسل ٢٣:٨). غير أنَّ المعلِّم، وهو الرابّي الرفيع، واصل تقديم براهينه (آ٢٦-٢٧أ). فلقد أتى إلى ما هو في العمق من المسألة التي طرحوها عليه: هل تعلن الأسفار المقدَّسة عن قيامة الموتى؟ ولكي يقدِّم المعلِّم البراهين لخصومه الصدوقيين، وهم من نوع خاصّ، تجنَّب بأن يستشهد بنصٍّ من الأنبياء والحكماء مرفوض لديهم، بل اختار مقطعًا من "كتاب موسى، خبر العلّيقة المشتعلة" (خر ٣:١-٦). ولقد فسَّر يسوع هذا المقطع بشكل يحيِّرنا، على ضوء الكتابات اللاحقة. انه، توافقا مع التقليد الفرِّيسيّ القديم جدًّا، يرى أنَّ الآباء إبراهيم وإسحاق ويعقوب، شركاء العهد، لم يكن بالامكان اعتبارهم محاورين لله زائلين. ففي إيمان الآباء، يُعرَفون أنَّهم دخلوا في حياة جديدة لدى الله، إذ ان إله العهد ليس "إله الأموات بل إله الأحياء". وليس بوسع الإيمان بقيامة الموتى أن يجد في الكتاب المقدَّس "براهين" ، وانما اسنادات. ومثل هذا الايمان يتجاوز البراهين البشريَّة ويستند مباشرة على ثقة مطلقة بالخالق الكلّيّ القدرة. وأنهى يسوع هذه المواجهة المستقيمة مع الصدّوقيِّين الناكرين، بعبارة صاعقة: "أنتم في ضلال كبير" (آ٢٧ب).

الوصيَّة العظمى (١٢:٢٨-٣٤)

٢٨ ودَنا إلَيه أَحدُ الكَتَبَة، وكانَ قد سَمعَهم يُجادِلونَه، ورأَى أَنَّه أَحسَنَ الرَّدَّ علَيهم، فسأله: ((ما اَلوَصيَّةُ الأُولى في الوَصايا كُلِّها ؟))

٢٩ فأَجابَ يسوع: الوَصيَّةُ الأُولى هيَ ((اسمَعْ يا إسرائيل: إنَّ الرَّبَّ إلهَنا هو الرَّبُّ الأَحَد.

٣٠ فأَحبب الرَّبَّ إلهَكَ بكُلِّ قلبكَ وكُلِّ نَفْسكَ وكُلِّ ذهنكَ وكُلِّ قُوَّتكَ)).

٣١ والثَّانيَةُ هي ((أَحببْ قريبَكَ حُبَّكَ لنَفْسكَ)). ولا وَصيَّةَ أُخرى أَكبرُ من هاتَيْن.

٣٢ فقالَ له الكاتب: ((أَحسَنتَ يا مُعَلِّم، لقد أَصَبْتَ إذ قُلتَ: إنَّه الأَحَد ولَيسَ من دونه آخَر،

٣٣ وأَن يُحبَّه الإنسانُ بكُلِّ قلبه وكُلِّ عَقله وكُلِّ قُوَّته، وأَن يُحبَّ قَريبَه حُبَّه لنَفْسه، أَفضَلُ من كُلِّ مُحرَقَة وذبيحَة)).

٣٤ فلَمَّا رأَى يسوعُ أَنَّه أَجابَ بفَطَنة قالَ له: ((لَستَ بَعيداً من مَلَكوتِ الله)). ولَم يَجرُؤْ أَحَدٌ بعدَئذٍ أَن يَسأَلَه عن شَيء.

بعد الجدالات التي حصلت الآن، تبدو هذه القطعة مختلفة. هو كاتب -واحد- يقترب من يسوع (آ٢٨أ). وحدَّد مرقس منذ البداية أنَّ للكاتب رأياً موافقاً لرأي المعلِّم، نظراً إلى أجوبته الجيدة (راجع ١٢:٢٤-٢٧). والسؤال الذي طرحه الكاتب قد يُدهش بالأكثر (آ٢٨ب)، وهو العارف معرفة تامة بالكتاب المقدَّس، وهو اختصاصه. ولكن، في ذلك الوقت، كان الجدال حاميًا بين المعلِّمين حول هذه الفريضة الإلهيَّة أو تلك. فأحصوا ٦١٣ فريضة في العهد القديم. إنما غابة كثيفة يصعب على اليهود الاتقياء أن يجدوا الطريق فيها. والفرِّيسيُّون، وهم المشدِّدون دومًا على الشريعة، يستخرجون منها خلقيَّة بالغت في التدقيق؛ لذا وجب التمييز. كان بالامكان أن يعيد يسوع محاوره إلى الوصايا العشر (راجع خر ٢٠:١-١٧). إلا انه، بدل هذا، أورد الألفاظ الأولى في الصّلاة التي تقابل عند اليهود، "الصّلاة الربِّيَّة" (آ٢٩أ). انها الصلاة التي تدعى "شماع إسرائل": "اسمع يا إسرائيل..." (تث ٦:٤-٥). وهي إعلان إيمان رائع بالإله الواحد الذي يريد أن نحبَّه كلَّ الحبّ. ولكنَّ يسوع لا يتوقف هنا، بل يضمُّ إلى هذه الوصيَّة الأولى وصيَّة ثانية (آ٣١أ) تأمر بمحبَّة القريب (أح ١٩:١٨). ففي الأدب اليهوديّ في ذلك الزمان، كان بالامكان العثور على مثل هذا التقارب. غير أنَّ يسوع ضرب هنا ضربة معلِّم، فربط محبَّة القريب بمحبَّة الله وكأنَّهما فريضة واحدة. ولكي يبيِّن وحدتهما الأساسيَّة، لم يتردَّد مرقس من المزج بين صيغة المفرد وصيغة الجمع: "ما من وصيَّة أعظم من هذه" (آ٣١ب).

أثار جواب يسوع، وللمرَّة الاولى، الرضى التامّ لدى محاوره. ففي آ٣٢، اكتفى الرجل بأن يكرِّر بألفاظ متقاربة جدًّا، النصَّين اللذين أوردهما يسوع. وشدَّد، بالمناسبة، على البعد الوجدانيّ للوصيَّة الأولى: "الله هو الواحد وليس آخر سواه" (تث ٤:٣٥). ثمَّ خلص إلى أنَّ حبَّ الله والقريب أفضل من جميع الذبائح في شعائر العبادة اليهوديَّة (آ٣٣). وهذا يتوافق بالتمام مع فكر الأنبياء حيث يُعلن الله: "ما أريده هو الحبُّ لا الذبائح" (هو ٦:٦). فبالنسبة إلى كاتب، كان ذلك يشكل موقفا يلفت النظر، سيَّما ونحن في رواق الهيكل (منذ ١١:٢٧). لم يَخْفَ على يسوع مستوى هذه الأقوال، وقد وصفها "إجابة حكيمة"، وراح يوجِّه إلى صاحبها هذا المديح النادر: "لستَ بعيدًا عن ملكوت الله" (آ٣٤أ). وهكذا يكتشف أنَّ في جماعة الكتبة المعادية جدًّا ليسوع منذ البداية (٢:١٦؛ ٣:٢٢؛ إلخ...)، هناك رجال في طريقهم نحو النور. وبالتالي، جعل مرقس من هذا اللقاء مشهدا سعيدًا. ففي نظره -خلافًا لمتّى (٢٢:٣٤-٤٠) ولوقا (١٠:٢٥-٢٨)- لم نعد بازاء جدال كما في السابق. فمن وراء لعبة "الأسئلة والأجوبة" اللاسعة، نحن بصدد حوار عميق بين يسوع وفرِّيسيّ منفتح تماماً، دون أيَّة احكام مسبقة. وتدلُّ الخاتمة على نوعية هذا الحوار: لم يعد أحد يجرؤ على أن يسأل يسوع (آ٣٤ب)، ممّا يعني أنَّ زمن الجدالات قد انتهى.

يسوع والكتبة (١٢: ٣٥-٤٠)

٣٥ وتَكَلَّمَ يسوعُ وهو يُعَلِّمُ في الهَيكَلِ قال: ((كَيفَ يقولُ الكَتَبَةُ إنَّ المَسيحَ هو ابنُ داود؟
٣٦ وداودُ نَفْسُه قالَ بوَحيٍ منَ الرُّوحِ القُدُس: ((قالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اِجلِسْ عن يَميني حتَّى أَجعَلَ أَعداءَكَ تَحتَ قَدَمَيك)).
٣٧ فداودُ نَفْسُه يَدعوهُ رَبّاً، فكَيفَ يكونُ ابنَه؟))وكانَ منَ النَّاسِ جَمعٌ كثيرٌ يُصغي إِلَيه مَسْروراً .
٣٨ وقَال في تَعليمه: ((إِيَّاكُم والكَتبة، فإنهم يُحبُّون المَشْيَ بالجُبَب، وتَلقِّي التَّحيَّاتِ في السَّاحات.
٣٩ وصُدورَ المَجالس في المَجامع، والمَقاعدَ الأُولى في المَآدب.
٤٠ يأكُلونَ بُيوتَ الأَرامِل، وهم يُظهِرونَ أَنَّهُم يُطيلونَ الصَّلاة. هؤلاء سيَنالُهُمُ العِقابُ الأَشَدّ)).

يطيب لمرقس أن يعود إلى الوراء. فالمواجهة المباشرة بين يسوع وخصومه توقّفت مع نهاية أسئلتهم (١٢: ٣٤). والآن، يذكّر الإنجيليّ بمشهد كان فيه يسوع هو الذي يسأل (آ٣٥). مشهد لا تحدَّد فيه هويَّة سامعيه. وفي النهاية، يقال لنا فقط إنّ جمعًا كبيرًا كان يسمعه بلذة (آ٣٧). فلقد اخذ المعلّم يهاجم الكتبة من جديد. وبدأ يعارض رأيهم حول شخصه (آ٣٥-٣٧أ). ومن ثمَّ راح يندِّد بريائهم (آ٣٨-٤٠).

في مرحلة أولى (آ٣٥-٣٧) ناقش المعلّم اللقب الذي يُعطى له: "ابن داود". لقد كان تقليد يهوديّ قديم، متجذِّر في البيبليا، يرى المسيح انه سليل الملك المقدام (٢ صم ٧: ١٤-١٧). كما ان تسمية "ابن داود" المعطاة ليسوع كانت شعبيَّةً جدًّا (راجع أعمى أريحا في ١٠: ٤٨-٤٩؛ الجمع في أورشليم ١١: ١٠). ومع ذلك، من الأكيد أنّ يسوع تجنَّب أن يدعو نفسه هكذا. إذ إن هذا اللقب ولا شكَّ، يحمل الكثير من الالتباس. كما ان انتظار ابن داود، كان بوسعه أن يحرِّك غرائز وطنيَّة وملوكيَّة في الشعب. وحينذاك، يُعطى للمسيح الملك دورٌ سياسي بشكل خاصّ. لذا جعل يسوع هنا، مرَّة أخرى، مسافة تجاه هذا النمط من الماسيّانيَّة. ولما كان جوابه باتجاه الكتبة، اقترض برهانًا كتابيًّا قريبًا من طريقتهم في اعطاء البراهين. غير أنَّ هذه الطريقة لا تبدو لنا صافية. ذلك ان يسوع أورد مقطعًا من المزمور ١١٠ الذي كان التقليد ينسبه إلى داود وكان يُعتبر مزمورًا مسيحانيًّا. فداود -وهو مُلهَم- أعلن فيه: "الربُّ (= الله) قال لربِّي (= المسيح): اجلس عن يميني..." (مز ١١٠: ١). ويكون المسيح الذي هو ابن داود، يدعوه داود نفسه "ربًّا". والكتاب المقدَّس نفسُه أعطى المسيح صفة أعظم من صفة ابن داود. فلقد منحه لقبا الهيا، هو لقب "ربّ". وهكذا استعمل يسوع، بفضل الكتاب المقدَّس، برهانًا مباشراً مُفحماً. وهو يصلح خصوصًا للجماعة المسيحيَّة التي إليها يوجِّه مرقس إنجيله. فبعد الفصح، انطلاقا من

حرص المسيحيين على ان يُضفوا على يسوع الألقاب التي تستحقها مكانته، استعملوا كثيرًا المزمور ١١٠. وبفضل الألفاظ الواردة فيه، قالوا عن يسوع إنَّه يمتلك منزلة إلهيَّة: فالله الذي أقامه من الموت، جعله "ربًّا". وهو الذي صعد إلى السماء وجلس عن يمين الله (رسل ٢:٣٤-٣٦). ففي نظر الكنيسة الأولى، لا يمكن ليسوع أن يرى مسيحانيّته مقتصرة على بنوَّة داوديَّة: فالمسيح، بقيامته، كشف السرَّ الإلهيّ لشخصه، كما جاء في الكتاب المقدَّس.

وفي الآيات التالية (آ٣٨-٤٠) ندَّد يسوع مرَّة أخيرة بخصومه: الكتبة والفرِّيسيِّين. وقد طلب من المؤمنين أن يحذروا هؤلاء القادة الروحيِّين المعتدِّين بأنفسهم. فهم رجال ذوو نفوذ لدى الشعب، ولكنَّ تصرُّفهم لا يَعرف البساطة. لذا ركّز المعلِّم على التشامخ الفارغ لدى هؤلاء الوجهاء الذين يبحثون عن مداهنة الشعب (آ٣٨-٣٩). وليس هذا فقط: يأكلون بيوت الأرامل ويُظهرون أنَّهم يطيلون الصّلاة (آ٤٠أ). وهناك ما هو أخطر من غياب البساطة: إنَّه الرياء الدينيّ. ذلك ان هؤلاء الذين يقودون الشعب، لا يتردَّدون في استغلال الفقراء الذين لا حول لهم، وصلواتهم الطويلة هي اشبه بالتظاهر بالصلاة. إنَّ الحكم الذي تفوَّه به يسوع في النهاية (آ٤٠ب)، قد يبدو لنا قاسيًا جدًّا. فلقد كانت، بين يسوع وحزب الفرِّيسيِّين ورؤسائهم والكتبة، عدَّة نقاط مشتركة. ووُجد بين هؤلاء، كما رأينا، من طلبوا بصدقٍ ملكوت الله (١٢:٢٨-٣٤).

لقد كتب مرقس أربعين سنة تقريباً بعد حياة يسوع. وخلال هذه الحقبة من الزمن، تغيّرت صورة المسؤولين اليهود. وحين نقل مرقس هذا الجدال الشديد اللهجة بين يسوع والكتبة، فهو انما اراد أن يُنير قرَّاءه، مسيحيِّي رومة، حول وضع مسؤولي إسرائيل الفكريّ وتصرفهم بعد أن رذلوا يسوع. والجدلية التي كانت للمعلِّم مع الكتبة، ازدادت بعد غيابه، بمقدار ما تنامت العداوة المتزايدة التي قامت بين الكنيسة الفتيَّة والمجتمع اليهوديّ في السنوات ٨٠-٩٠. ونجد عند لوقا (١١:٤٢-٥٤) وخصوصًا عند متّى (٢٣:١٣-٣٢) توسُّعًا كبيرًا لهذا النقد القاسي باتِّجاه الكتبة والفرِّيسيِّين الذين صاروا الخصوم النموذجيِّين للبشارة المسيحيَّة.

فلس الأرملة (١٢:٤١-٤٤)

٤١ **وجلَسَ يسوعُ قُبالَةَ الخزانَة يَنظُرُ كيف يُلْقي الجَمعُ في الخِزانَةِ نُقوداً من نُحاس. فألقى كثير مِنَ الأغنياء شَيئاً كَثيراً.**

٤٢ وجاءت أَرمَلَة فَقيرةٌ فألقَت عُشرَين، أي فَلْساً.
٤٣ فدَعا تَلاميذَه وقالَ لَهم: ((الحَقَّ أَقولُ لكُم إنَّ هذِهِ الأرملَةَ الفَقيرةَ أَلْقَت أكثَر مِن جَميعِ ألذين ألقَوا في الخزانَة،
٤٤ لأنهم كُلَّهم أَلْقَوا مِنَ الفاضِلِ عن حاجاتِهم، وأَمَّا هي فإنها من حاجَتِها أَلقَت جَميعَ ما تَملِك، كُلَّ رِزقِها)).

هو آخر مشهد ليسوع في الهيكل، وهو مشهد مؤثِّر. سبق يسوع أنْ رسم صورة للكتبة لا شفقة فيها: "يأكلون بيوت الأرامل" (١٢: ٤٠أ). وها هو يقدِّم، بالمقابل، فعل أرملة يدلُّ على سخاء خاصّ. فلفظ "أرملة" هو اللفظ الواصل بين المقطعين.

يقع المشهد في باحة الهيكل، بالقرب من قاعة الخزانة. لم يكن هذا المكان لحفظ أموال الهيكل، بل الموضع الذي كانت تُلقى فيه تقدمات المؤمنين (٢ مل١٢: ١٠). ووُضعت صناديق عند المدخل من أجل هذا الغرض. وكان أغنياء عديدون قد ألقوا "نقودًا كثيرة" (آ٤١ب). أمّا نظر يسوع، فقد توجَّه نحو حدث يلفت الانتباه: "تقدَّمت أرملة فقيرة فألقت درهمين" (آ٤٢). نحن بصدد أرملة، أي امرأة، وهي كائن مُحتقر في عالم يتسلَّط فيه الذكور. والارملة، فضلاً عن انها حُرِمَت حماية زوجها، هي، في ذلك الزمان، شخص لا مدخول خاصاً لها، وليس لها معين. وفي الكتاب المقدس، ينتمي اليتيم والغريب والأرملة إلى الفئة الأكثر فقرًا (تث ٢٤: ١٧-٢٣). لهذا، تحدَّث مرقس عن "أرملة فقيرة". وما ألقته في الصندوق لا قيمة له: درهمان من النقود اليهوديَّة، هي كمِّيَّة لا قيمة لها. ومع ذلك، انتهز يسوع فرصة هذا الفعل الوضيع ليقدِّم درسًا هامًّا لتلاميذه (آ٤٣-٤٤). وتشير المفارقة إلى أنَّ الأغنياء أعطوا من "الفائض"، بينما أعطت هذه المرأة المسكينة من حاجتها الضرورية. وهل من مثال اجمل من هبة الذات؟ وكان على اصدقاء يسوع ان يروا في هذه الارملة السخية "تلميذا" حقيقيا! ونلاحظ اية فائدة كبرى، في الاناجيل، حين يبرّز يسوع، في محيطه الذكوريّ، صفات لافتة لدى النساء (راجع لو ١٠: ٣٨-٤٢: مرتا ومريم؛ يو ٤: ١-٤٢: السامريَّة، إلخ...).

على هذا الواقع الحياتيّ، سيترك يسوع الهيكل (١٣: ١) ولن يعود إليه أبدًا.

خطبة خاصَّة جدًّا (١٣: ١-٣٧)

وتبع تعليمَ يسوع العلنيّ في الهيكل، خطابٌ طويل وجَّهه إلى الاخصّاء من

تلاميذه. وموضوعه خراب الهيكل والانقلابات التي يشكّلها بالنسبة إلى العالم اليهوديّ، فضلاً عن الأمل بمجيء ابن الإنسان في المجد.

هذه القطعة -وهي تقطع ظاهريًّا لحمة الأحداث الجارية- هي بلاغ في "لهجة مشفَّرة" مثل "أسفار الرؤى" اليهوديَّة، تلك الكتابات التي تعكس المقاومة الروحيَّة في زمن الأزمات. سنحاول فك لغز هذا الخطاب، من الأوَّل إلى الآخر، لنرى ماذا يقوله لنا اليوم.

دمار الهيكل وما بعده... (١٣: ١-٤)

١٣ ١ **وبَينَما هو خارج مِنَ الهَيكَل قالَ له أحدُ تَلاميذِه: ((يا مُعَلِّمُ آنظُر! يا لَها من حِجارَة! ويا لَها مِن أبنيَة!))**

٢ **فقالَ له يسوع: ((أتَرى هذِه الأبنيَةَ العظيمة؟ لَن يُترَكَ هُنا حَجَر على حَجَرٍ مِن غَيرِ أن يُنقَض)).**

٣ **وبَينَما هو جالس في جَبَل الزَّيتون قُبالةَ الهَيكَل، انفَرد به بُطرُسَ ويعقوبُ ويوحَنا وأندَراوس وسَألوه:**

٤ **((قُلْ لنا متى تكونُ هذه الأُمور، وما تَكونُ العَلامَة أنَّ هذه كُلَّها تُوشِك أن تَنتَهي)).**

هذه المرَّة، ترك يسوع الهيكل حيث اعتاد أن يعطي تعليمه فيه (١١: ٢٧؛ ١٢: ٣٥، ٣٨، ٤١). هناك تلميذٌ، لا يُذكر اسمه، يلفت نظر يسوع (آ١أ). لقد كان هيكل أورشليم ولا شك من أجمل البنايات في ذلك العصر. وهيرودس الكبير، صاحب الأبنية الشهير، هو الذي انبرى إلى تجميله (منذ عام ٢٠ق.م.). وفي أيّام يسوع، لم تكن الأعمال قد انتهت. ونستطيع اليوم أيضًا أن نتصوَّر بهاء العمارة حين نشاهد بقاياها: حجارة السور التي تسند واجهته (يُدعى: "الجدار الغربيّ"). ويسوع، شأنه شأن معاصريه، كان يعجب بالبذخ في هذه الأبنية، ولكنَّه يعلن هنا بوضوح أنَّها ستُدمَّر قريبًا. ففي حرب اليهود مع الرومان، أُحرق الهيكل ودُمِّر سنة ٧٠. ولم يبق منه "حجر على حجر" (آ٢).

كان دمار الهيكل، مركز المدينة المقدَّسة الدينيّ، كارثة لا مثيل لها بالنسبة إلى يهود القرن الأوَّل الميلادي. ونفهم أنَّ هذا الحدث أثار سلسلة من الأسئلة المحمومة. ذلك ان الإطار الذي جرى فيه هذا المشهد، له مدلوله الرفيع. كان يسوع قد اتَّخذ جلسة المعلِّم: كان "جالساً". ولكن ليس في أيِّ مكان كان، بل على منحدرات جبل الزيتون

(آ٣أ). وهو الموضع الذي لنا فيه اروع نظرة شاملة إلى ساحة الهيكل وإلى أبنيته والمدينة كلّها. وعلاوة على ذلك، تذكّر مرقس صفحة من النبيّ حزقيال الذي كان قد رأى، في زمن المنفى، مجدَ الربِّ يغادر الهيكل ويقف على الجبل شرقيّ المدينة، قبل أن يمضي وينضمّ إلى شعب الله في بابل (حز ١٠:١٨-٢٢؛ ١١:٢٢-٢٩). كانت تلك طريقة يقول من خلالها: لا تتأخّروا في النظر إلى الهيكل، إذ ان حضور الله يبتعد عنه. والتلاميذُ الأربعة الأوّلون الذين دعاهم (١:١٦-٢٠) سألوا يسوعَ (آ٣ب). وسألوه على حدة وكأنّهم يريدون أن يلتقطوا الأسرار من المعلّم. وجاء سؤالهم سؤالين (آ٤). فقد كان أولاً بشأن: "متى يكون هذا؟": أنه سؤال حول الزمان. ولكنَّ هذا السؤال تبعه حالاً سؤالٌ آخر: "ما هي العلامة التي تدلُّ على قرب حدوثه؟". وهذا التفصيل يوسِّع بشكل كبير حقل التساؤل. انهم يبحثون عن "علامات"، والعبارة الإجماليَّة "قرب حدوثه" تتجاوز بوضوح أفق دمار الهيكل. فحدث دمار الهيكل وخراب أورشليم بيد تيطس سنة ٧٠، كان لهما صدى هائل. فبالنسبة إلى معاصري الحدث، كانت تلك علامة نهاية عالم وانفجار خوف عام بما كانوا يتصوَّرونه من كارثة كونيَّة.

سوف يجيب يسوع على كلِّ هذه الأسئلة عبر خطبة طويلة من ٣٣ آية (١٣: ٥-٣٧). انها حالة فريدة حقًّا. لأنَّه إذا كان مرقس قد تكلَّم مرارًا، في باقي الإنجيل، عن "تعليم" يسوع (١:٢١؛ ٢:٢، ١٣؛ إلخ...)، إلا انه لم يقدِّم سوى جزء بسيط من المضمون. لذا، بذات الفعل، اتخذ الخطاب الذي يلي أهمِّيَّة خاصَّة جدًّا. وهذا ما نستطيع أن نتأكَّد منه أيضًا عند متّى (٢٤:١-٥٤) وعند لوقا (٢١:٥-٣٦).

أوضاع مؤزمة (١٣:٥-٧)

٥ **فأخَذَ يسوعُ يقولُ لهم: ((إيَّاكم أن يُضلكم أحَد.**

٦ **فسَوفَ يَأتي كثير مِنَ النَّاسِ مُنتَحلينَ اسمي فيَقولون: أَنا هو! ويُضلُّونَ أُناساً كثيرين.**

٧ **فإذا سَمعتُم بالحُروب وبإشاعاتِ عَنِ الحُروب فَلا تَفزعوا، فإنَّه لا بُدَّ مِن حُدوثِها، ولكِن لاَ تكونُ النِّهايةُ عِندَئذٍ.**

الخطاب الذي يبدأ هنا، في إطار سبق أنْ رسمناه (١٣:١-٤)، يجعل القارئ المعاصر في وضع قلق. فالحديث عن: كوارث؛ ويدور الكلام عنها بمثابة "رؤيا". هذا اللفظ، اتَّخذ اليوم معنى سلبيًّا محضًا. وقد اصبح مرادفاً للانقلابات والدمارات والويلات. بينما الحركة "الجليانيَّة" (الرؤيويَّة) وَلدت في القرن الثاني ق.م. بشكل بلاغ يحمل الرجاء

في قلب أزمة عميقة. ففي هذا الأدب، داخل حقبة مضطربة -ويعكس سفر دانيال مثاله النموذجي- هناك صورة للتاريخ أرادها الكاتب دراماتيكيَّة. فانطلاقاً من وضع متـأزِّم، يصوِّر الكاتب، عبر مجموعة من الصور المرعبة باطّراد، الشرَّ متناميًا على الأرض. وعـبر ضربة بعد ضربة، ينضج الشر ليبلغ إلى قمم فظيعة. وحين يصل إلى نقطـة اللاعـودة، يتدخَّل الله بكلِّ قدرته. انه يضع حدًّا لنموِّ الشرِّ الذي لا يُقهر بانقلاب تامٍّ في الوضع: إنَّه زمن الخلاص. إذاً ينبغي أن نعرف بان النهج المحبّذ لدى كتب الرؤى هو تسويد لوحـة المحن البشريَّة إلى اقصى الحدود، قبل أن يُسلَّط الضوء على خلاص الله. لذا كانت هنـاك ضرورة قصوى إلى تنبيه قارئ هذا الخطاب: "يجب أن لا تخفي الأشجارُ الغابة". فلـيس الهدف من تكديس المحن سوى إظهار كلمة مملوءة بالرجاء من أجل أناس مُمتحَنين.

بدأ يسوع بتحذير (آ٥-٦)، هو التحذير الأوَّل في سلسلة طويلـة (١٣:١٩، ٢٣، ٣٣)، وكأنه ردَّة تتكرَّر في الخطاب كلِّه. يجب الحذر من المضلِّلين مهما كان الثمن (آ٦). إذ هناك أشخاصٌ كثر، يتظاهر كل منهم أنَّه المسيح (راجـع بـشكل خـاص ١٣:٢١-٢٢). فمن المؤسف أن يصبح المرء مخدوعاً. وينبغي أيضا أن يتحلَّى الانـسان بفطنة كبيرة (آ٧أ). فان تنبيه يسوع لا يشير إلى صراعات راهنة، وانما إلى مجرَّد شائعات، إلى "اشاعات عن حروب" مفزعة. لا ينبغي للتلاميذ أن يرتعبوا. فالصراعات أمر لا يمكن تجنُّبه. ولا يمكن أن تُتَّخذ وكأنَّها علامات نهاية الأزمنة، وقد قيل بوضوح: "لا تكون هي الآخرة بعدُ" (آ٧ب). وهنا، كما هي العادة في كتب الرؤى، تتكثـف صـور الـشقاء وتتكدَّس: كوارث التاريخ (الحروب)، والانقلابات الطبيعيَّة (الزلازل والمجاعات). ولكن الخطاب يؤكِّد في الحال أن تلك ليست علامات تنبيه مُبكِّر، كما يُقال مرارًا. فكلُّ هذه الشرور، يجب ألاّ تؤخذ على أنَّها نزاع العالم القديم، بل بمثابة عربون "ولادة" عالم جديد (آ٨ج). هذه القراءة المتفائلة جدًّا، وُجدت من قبلُ عند الأنبياء.

تأتي بعد ذلك لوحة اكثر دقَّة: لوحة الاضطهادات الدينيَّة (آ٩أ). انها محنة خاصَّة بتلاميذ المسيح: إنَّهم يُضطهَدون على مثال معلِّمهم. أوَّلاً، من قبل السلطات اليهوديَّة، أي محاكمهم (حرفيًّا: السنهدريم) ومجامعهم. ولكنَّ الاضطهاد يأتي أيضًا من السلطات الوثنيَّة: الحكّام والملوك (آ٩ب). ويتوجَّه مرقس إلى مسيحيِّي رومة الذين يعرفـون مثـل هـذه الاضطهادات. فهم يُجَرُّون للمحاكمة، بسبب إيمانهم، أمام السلطات الدينيَّة اليهوديَّـة، شركائهم القدمى في الايمان؛ وأمام المحاكم السياسيَّة في الإمبراطوريَّة الرومانيَّة (بـصفتهم أعداء الإمبراطور والمجتمع). فمحن الكنيسة هذه، شأنها شأن انقلابات التاريخ والطبيعة، لا تُعلن نهايةَ العالم. وفي فكر الإنجيليّ، تصبح هذه المحن القاسية مناسبةً للمسيحيِّين بـأن

يحملوا "الشهادة" للمسيح في العالم كلّه (آ٩ب-١٠). هذه الرؤية السعيدة تُضيء اللوحة المعتمة للمعاكسات الثقيلة التي تنتظر المؤمنين. وإذا دفعت العداوة الشاملة المسيحيِّين إلى أن يؤدُّوا شهادة عن إيمانهم أمام قضاة قساة الى حد كبير، فينبغي أن لا يخافوا من إمكانيَّة تعثرهم. فلقد أراد مرقس أن يُطمئن، إلى اقصى الحدود، اولئك الذين يخشون -تحت ضغط الجلاّدين والتعذيب- ألا يستطيعوا أن يعلنوا إيمانهم. ففي وجه مهاجميهم، سيكون الروح القدس المحامي الغالي الذي يُلهمهم ما يجب أن يقولوا (آ١١؛ راجع يو ١٤:١٦-١٧)، ومع ذلك، يبقى الخطر كبيرًا.

لقد أصاب مرقس بدقَّة الوضع المؤلم الذي عاشه المسيحيُّون المضطهدون في زمانه. فحين اتخذ المهتدون موقفاً إلى جانب المسيح، ادركوا ايضا ان موقفهم سوف يجرُّ انقسامات هائلة في قلب الأُسر. فالوشايات، والتبليغ من قبل الأقارب.. دفعَ بعضُ المسيحيِّين ثمَنَها الموت بسبب إيمانهم الجديد (آ٢). ورباطات الدم، عوض ان تكون حماية، زادت من حقد المضطهدين. وها نحن، من جديد، أمام تضخيم ارادي للشرِّ هو من مواصفات أسفار الرؤى (آ١٣أ). ذلك ان الإنجيليّ يصدي لمناخ العنف الكونيّ الذي صوَّره الأنبياء القدماء في الماضي (راجع مي ١:٧-٦). وبجمل القول، فان الاحتقار الذي انطلق ضدَّ المسيحيِّين بسبب المسيح، يجب ان تكون له قيمة لديهم. ولكنَّ مثابرتهم على ("الثبات") في الإيمان، سيكون لها أجرها (آ١٣ب). تلك هي دومًا سمة أسفار الرؤئ: أن تعد -بعد كمّ من الشقاء المتراكم- بالخلاص للمؤمنين الذين اجتازوا هذه المحن الهائلة دون أن يضعفوا (راجع دا ١٢:١-٤).

المحنة الكبرى (١٣:١٤-٢٣)

١٤ وإذا رَأيتُمُ المُخرَّبَ الشَّنيعَ قائمًا حيثُ لا يَنبَغي أن يَكون (لِيَفهَمِ القارئ) فمَن كانَ يَؤمَئذ في اليَهوديَّة فلْيهرب إلى الجبال.

١٥ ومَن كانَ على السَّطح، فلا يَنزِلْ ولا يَدْخُل بَيتَه ليأخُذَ مِنْه شَيئاً.

١٦ ومَن كانَ في الحَقل، فلا يَرتَدَّ إلى الوراء ليأخُذَ رداءَه.

١٧ الوَيلُ للحَواملِ والمُرضعاتِ في تلكَ الأيام.

١٨ صَلُّوا لئَلا يحدُث ذلكَ في الشِّتاء.

١٩ فستَكونُ تلكَ الأيَّام أيَّامَ شِدَّة لَمْ يحدُثْ مثلُها مُنذُ بَدء الخَليقَة التي خَلقَها الله إلى اليَوم ولَن يحدُث.

٢٠ **ولَو لم يُقصِّر الرَّبُّ تلكَ الأيَّام، لَما نَجا أحَد مِنَ البَشَر. ولكِن مِن أجلِ المُختارينَ الَّذينَ اختارَهم، قَصَّرَ تلك الأيام.**

٢١ **وعندَئذ إذا قالَ لكم أحَد مِنَ النَّاس: ((ها هُوَذا المَسيحُ هُنا، ها هُوَذا هُناك!)) فلا تُصَدِّقوه.**

٢٢ **فسَيَظهر مُسحاء دَجَّالون وأنبياء كَذَّابون يَأتون بآياتٍ وأعاجيب، لِيُضلُّوا المُختارينَ لو أمكَنَ الأمر.**

٢٣ **أمَّا أنتم فآحذَروا، فقد أنبَأتكم بِكُلِّ شَيء.**

كما هي العادة في مثل هذا النوع من الكتابات، عرف خطاب يسوع تصاعدًا ذكيًا في وصف اجتياح قوى الشرّ. فبعد الضربات العامة (الحروب، الزلازل، المجاعات) وعذابات الاضطهاد (١٣:٥-١٣)، نجدنا بازاء ذروة الشر. هوذا يسوع يعلن الضربة الكبرى -"المخرّب الشنيع"- التي يجب الهروب منها (١٤آ). يبدو هذا الإعلان غريبًا، وهو على درجة من اللغز بحيث طلب مرقس من قارئيه التنبُّه: "ليفهم قارئ الكتاب المقدَّس". انه استذكار لحادث بيبليّ هائل: ففي سنة ١٦٧ ق.م.، حين كان الملك السلوقيّ أنطيوخس إبيفانيوس يضطهد الشعب اليهوديّ، اقترف تدنيسًا شنيعًا في الهيكل. فلقد جعل هذا الملك الكافر في المكان المقدَّس مذبحاً مكرَّسًا لزوش، ذاك الإله اليونانيّ المعروف (راجع ٢ مك ٦:١-٩). هذا العثار جرح في الصميم النفس اليهوديَّة (راجع "شناعة الخراب"، دا ٩:٢٧؛ ١١:٣١؛ ١٤:١١).

من الصعب أن نعرف أيَّ حدث ملموس قصد يسوع حين أشار لمعاصريه إلى مجيء "المخرِّب الشنيع". فالبناء اللغوي المستعمل، انطلاقًا من الكتاب المقدَّس، يوحي بأنَّنا أمام شخص رهيب. هل هو "المسيح الكذاب" (مناوئ المسيح) الذي سيأتي في نهاية الأزمنة (راجع ٢ تس ٢:٣-٨؛ ١يو ٢:١٨؛ ٤:٣)؟ ونتيه في جملة احتمالات! على أيّة حال، هناك اوامر للهرب من وجه هذا الشبح الرهيب (١٥آ-١٨). وكلُّ تأخُّر عن الهرب يجرّ الإساءة. ينبغي التمنِّي بأن لا يأتي ظرفٌ معاكس فيعيق الهرب السريع: بالاخص حالة الحَبَل أو الإرضاع عند النساء، طقس الشتاء السيِّئ عند الجميع. فالمشهد مرعب جدًّا. ولا يبخل علينا أصحاب الرؤى بتفاصيل مأخوذة ممّا يحدث من تهجير وقت الحروب، لجعل القراء يرتعدون. والإنجيليّ، في سعيه إلى شرح هذا الكابوس الرهيب، يقول بأنه زمن ضيق لم يحصل مثله من قبل ولن يحصل مثله من بعد (١٩آ). ومثل هذا الكلام ينتمي إلى القوالب التقليديَّة الخاصة بالاساليب الرؤيوية (راجع دا ١٢:١). هكذا يجد الشرُّ الذي يملأ التاريخَ البشريَّ ذروته في الرجاسة، في نقطة لا عودة فيها. وعندما

يطفح الكيل، في ذاكرة الناس، لا يسع الضيق إلاَّ أن يُسفر عن خلاص (آ٢٠). والأزمة الغريبة التي وُلدَت في موضع ما "في اليهوديَّة" (آ١٤ج) سوف تُشعل العالم كلَّه. فالشرّ اتَّخذ شكل كارثة كونيَّة، وإن هي امتدّت، لما بقيَ حيّ. إلا انَّ الله هو هنا، وهو "الربَّ" الذي يبقى السيِّد المطلق للزمان وللتاريخ. وهو الذي يهتمُّ اهتمام الغيرة "بمختاريه". وهذا اللفظ الذي يتردد كثيرا في أسفار الرؤى، لا يدلُّ على نخبة من الناس معدِّين من قبلُ للخلاص، بل جميع المؤمنين الذين برهنوا على أمانتهم في الشدَّة. فبالنسبة إليهم، يقصِّر الله زمن المحنة، لانه المخلِّص من كلِّ ضيق. فالخلاص هو دومًا الكلمة الأخيرة في الأسفار الرؤيوية. ومهما كانت المحنة ضخمة -ويتمادى الكاتب في هذا النوع من الكتابة بتلذذ بليغ- على المسيحيِّين أن لا يُحبَطوا. فاليقين بأنَّهم مخلَّصون يُشدّد قواهم.

حين دوَّن مرقس هذه الصفحة المرعبة في اكثر من وجه، كان قد أعاد قراءة أحداث في عصره، بمعونة آلية ادبية مستعملة في زمانه. لا شكَّ أنَّه استعاد أقوالاً تفوَّه بها يسوع حول دمار الهيكل الوشيك. ولكنَّه أضاف إليها المناخ الثقيل جدا الذي عرفه المسيحيُّون في رومة، وهم يواجهون اضطهادًا جنونيًّا (استشهد بطرس وبولس في السنوات ٦٤-٦٧). وهكذا فرض عليه الواقع الحاليّ أن يسلط الضوء على قساوة الأزمة الحاضرة عبر الوعد بأنَّ نهايتها، في نور الكتاب المقدَّس، ستكون سعيدة.

لم يقوَ الإنجيليّ أن ينهي هذه اللوحة المؤلمة إلاَّ بتحذير جديد. سيكون هناك أنبياء كذبة يضلُّون المؤمنين (آ٢١-٢٢). ونستشفُّ، من وراء هذا التنبيه، الوضع المضطرب الذي عرفته فلسطين في السنوات التي سبقت حصار أورشليم سنة ٧٠. ففي الحرب اليهوديَّة، ما بين ٦٦-٧٠، كان هناك ثوار مواهبيُّون كثر حاولوا أن يكسبوا الشعب إلى قضيَّتهم (راجع رسل ٥:٣٦-٣٧). وكان خطر تضليل المؤمنين بواسطة دجّالين (سبق وتحدَّث عنهم في ١٣:٥-٦) يهدِّد كنيسة رومة أيضًا. فالدجّالون هم من كلِّ مكان وفي كلِّ زمان. وتُختم هذه القطعة بتحذير جديد (آ٢٣). ما أحسن ما فعل الإنجيليّ!

مجيء ابن الانسان (١٣:٢٤-٣٧)

٢٤ **وفي تلكَ الأيَّام بعدَ هذه الشِّدَّة، تُظلم الشَّمسُ والقَمر لا يُرسِلُ ضَوءه،**
٢٥ **وتَتساقطُ النجومُ منَ السَّماء، وتَتَزَعزعُ القُوات في السَّموات.**
٢٦ **وحينَئذ يَرى الناسُ ابنَ الإنسان آتياً في الغَمام في تَمامِ العِزَّة والجَلال.**
٢٧ **وحينَئذ يُرسلُ ملائكته ويَجمَعُ الذين آختارهم مِن جهاتِ الرِّياحِ الأربَع، مِن أقْصى الأرضِ إلى أَقْصى السَّماء.**

٢٨ مِنَ التِّينَة خُذوا العبرَة: فإذا لانَت أَغْصانُها ونَبَتَت أوراقُها، عَلمتُم أَنَّ الصَّيفَ قَريب.
٢٩ وكذلك أنتم إذا رأَيتم هذه الأُمور تَحدُث، فأعلَموا أَنَّ آبنَ الإنسان قَريب على الأبواب.
٣٠ الحَق أَقولُ لكم: لن يَزولَ هذا الجبل حتَّى تَحدُث هذه الأُمور كُلها.
٣١ السَّماءُ والأرضُ تزولانِ وكَلامي لن يزول.
٣٢ ((وأَمَّا ذلكَ اليومُ أو تِلكَ السَّاعة فما مِن أَحَد يَعلَمهما: لا المَلائكةُ في السَّماء، ولا الآبنُ، إِلّا الآب.
٣٣ فاحذروا واسهروان لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت.
٣٤ فمثل ذلك كمثل رجل سافر وترك بيته، وفوض الأمر الى خدمه، كل واحد وعمله، وأوصى البواب بالسهر.
٣٥ فاسهروا إذا، لأنكم لا تعلمون متى يأتي رب البيت: افي المساء أم في منتصف الليل أم عند صياح الديك أم في الصباح،
٣٦ لئلا يأتي بغتة فيجدكم نائمين.
٣٧ وما اقوله لكم اقوله للناس أجمعين: اسهروا)).

"في تلك الأيّام، بعد زمن الضيق..." (آ٢٤أ)، يدلُّ هذا الكلام على تواصل ولكن على انقطاع ايضا مع كلِّ ما سبق. حتّى الآن اهتمَّ خطاب يسوع اهتمامًا واسعًا بعلامات سوف تحصل "قبل" نهاية الأزمنة. وركّز بشكل خاصّ على ظهور "المخرِّب الشنيع" الذي يمكن ان نرى فيه "المسيح الدجال" إن شئنا (١٣:١٤-٢٣). والآن، نحن بصدد ما يحصل "بعد" هذه الأحداث التي تسبق النهاية. وتدل عبارة "في تلك الأيّام"، في غموضها، على الأيّام الأخيرة: زمن النهاية. يجب أن لا نعجب بأن هذا الزمن اخذ يبدأ بسلسلة من الكوارث (آ٢٤ب-٢٥). إنه انقلاب كونيّ هائل. تنطفئ الشمس ويُظلم القمر. وتترك النجوم موضعها ووظيفتها. إلا ان قراءة تأخذ هذه الأمور بحرفيَّتها تكون بعيدة جدًّا عن الذهنيَّة اليهوديَّة في القرن الأوَّل الميلادي.

في تلك الحقبة، وفي اسفار الرؤى، لا يبدو خارقا مثلُ هذه البلبلة في الطبيعة. انه أسلوب تقليديّ للاعلان عن تدخُّل الله وانتصاره على قوى الشرّ (راجع اش ١٣:١٠؛ ٣٤:٤). وينبغي ألاّ ننسى، بالفعل، أنَّه عند الشعوب الشرقيَّة القديمة -خارج إسرائيل- كانت الكواكب آلهة سيّدة على الكون. والحديث عن كسوف الشمس أو خسوف القمر، وتساقط النجوم، يدلُّ على انتصار الله الواحد على عبادة الأصنام الوثنيَّة. فينبغي أن يزول العالم القديم ليترك المكانَ للعالم الجديد. والبشارة التي تلعلع هي مجيء "ابن الإنسان"

في المجد، على خلفيَّة تفكُّك الكون الخاطئ. هذه الصورة استعيرت من سفر دانيال حيث نجد الوجه اللغزي الذي يمثل "ابن انسان" -إنسان- يدخل دخولاً منتصرًا لدى الله (دا ٧: ١٣-١٤). انها رؤية جليانيَّة (رؤيوية) مع طابعها السرّيّ الذي لا مهرب منه. و"ابن الإنسان" هذا يُحمَل على سُحُب السماء، ويظهر في المجال الإلهي. ويمنحه الله سلطانًا شاملاً يدلُّ على انتصاره النهائيّ على قوى الشرِّ الهاجمة. وعند منعطف التاريخ الميلادي، دلَّت صورة "ابن الإنسان"، بشكل عامّ، على المسيح الذي نصّبه الله لكي يقيم ملكه على الأرض. ورأينا يسوع يختص هذا اللقب، مفضِّلاً إيَّاه على أيِّ لقب آخر (٢: ١٠، ٢٨؛ ٨: ٣١؛ ١٠: ٣٣، ٤٥). وهنا يعلن مجيئه الظافر بصفته ديّان الكون ومخلِّصه الشامل في نهاية الأزمنة. ويُصوَّر للحال عمله الخلاصيّ (آ٢٧). ذلك ان الخلاص يُفهم على أنَّه يجمع مؤمني العالم كلّه حول المسيح الممجّد. فنحن بازاء تحقيق -على مستوى الكون- الوعد الذي أعطي في العهد القديم لبني إسرائيل، وقد شتَّتتهم الخطيئة بين الأمم (راجع تث ٣٠: ٣-٥؛ زك ٢: ١٠-١٧).

وإعلان مجيء ابن الإنسان المنتظر لخلاص الكون، هو النقطة المضيئة لخطاب بدأ في ١٣: ٥. فمهما كانت المحن التي يجتازها المؤمنون مرعبة -بما فيها الضيق العظيم (آ١٤-٢٠)- فوصف هذه الشرور موجَّه كلُّه نحو هذه النهاية السعيدة: مجيء المسيح في المجد، بصفته محرِّراً حاسماً للبشريَّة. ولكن "متى" يكون هذا الحدث العظيم؟ ما زال السؤال يشغل الأفكار. لقد كان أوَّل سؤال طُرح على يسوع بفم أصدقائه (١٣: ٤). وعلى هذا السؤال تسعى خاتمةُ الخطاب ان تجيب (آ٢٨-٣٧).

ومَثل التينة الصغير اصبح معبِّراً جدًّا (آ٢٨). فالتينة شجرة تتأخَّر ثمارها (١١: ١٣)؛ ولكن لا أحد يخطئ في ان ظهور البراعم والأوراق، هو علامة لا شكَّ فيها بأنَّ الصيف قريب. والصيف هو الحرارة وفصل الثمار المنتظرة بشوق. انه مَثل واضح: نهاية الأزمنة تسير سيرها. أمّا تطبيقه، فهو اكثر صعوبة (آ٢٩). ولفظ "هذا" غامض جدًّا. هذه الأداة هي، باليونانيَّة، في صيغة الجمع، وتدلُّ، بدون تحديد، على "هذه الامور" التي تكلَّمنا عنها. هل هو دمار الهيكل؟ أم هي انقلابات مختلفة تجد ذروتها في اضطهاد قاسٍ (آ١٤-٢٣)؟ كلُّ هذه الأحداث تشبه تفتُّح البراعم في الربيع. وهي، وإن كان ظاهرها مزعجًا، إلا انها تُعلن بدء عصر جديد. ويُبعد النصُّ، مرَّة أخرى، التفسير "الكوارثيّ" لصالح البشارة المُعلنة: ابن الإنسان يأتي، وخلاصه قريب، "على الباب". ويؤيّد يسوع ذلك باحتفال (آ٣٠). كما ان اقتراب الخلاص، نجد التأكيد عليه بدقة جديدة: يتمُّ في "الجيل" الحاضر. لم يتردَّد مرقس من الاحتفاظ بكلمة يسوع هذه، من اجل قرّائه، علما بانه كان

واضحًا أنَّ ذاك الجيل قد مضى، وأنَّ شيئًا لم يحصل. ويقال الشيء عينه عن كلمة أخرى ليسوع سبق وصادفناها (راجع ٩:١) حيث نستشفُّ انتظار نهاية قريبة للعالم. ربَّما أضاف يسوع هذه الصيغة القاطعة ليطرد مثل هذا الانتظار (آ٣١).

والفكرة القائلة بأنَّ السماء والأرض عنصران يجب أن يزولا، هو موضوع مشترك بين أسفار الرؤى (راجع رؤ ٢١:٢٠)؛ ولكنَّ رجاء العالم الجديد وملكوت الله، يستند إلى كلمة يسوع: كلمة تأخذ هنا سلطة الكلام الإلهيّ (اش ٤٠:٨). غير أنَّ اليقين باقتراب نهاية التاريخ لا يمنع الجهل التامّ في ما يتعلّق بوقته المحدَّد (آ٣٢). هذه الجملة المقلقة ألغاها لوقا، كما مُحيَتْ من بعض مخطوطات إنجيل متّى. أمّا مرقس فاحتفظ بها. فهي تقول بوضوح إنَّ ما من أحد يعرف الوقت الدقيق -اليوم والساعة- لنهاية العالم. "الابن" نفسه لا يعرفهما. وجهلُ "الابن" أربك اللاهوتيِّين. انه يركّز بقوَّة على انسانية يسوع. ففي نظر مرقس، ذلك سبب إضافيّ لوضع حدٍّ لافتراضات باطلة وفضوليّات غير سليمة حول "زمن نهاية العالم". لا يمكن أن يُعرَف تاريخ هذا الحدث، فهو يبقى سرَّ الآب المطلق (راجع رسل ١: ٧).

لهذا، فان النداء إلى السهر يعود بشكل ردَّة متكرِّرة (آ٣٣). يجب أن لا نتراخى بسبب التأخير. فالسهر يفرض نفسه بإلحاح أكبر. والعبارة "كونوا على حذر" تُقرأ في اليونانيَّة بشكل اوضح: "افتحوا عيونكم" (كما في ١٣:٥، ٩، ٢٣). فالجهل حول الوقت، جُعل كلُّه في خدمة الحثّ على السهر. ويأتي مثل أخير صغير يحضُّ على الانتباه الأكبر (آ٣٤). هذا التشبيه الخاص بمرقس، قريب جدًّا من ذاك الذي نجده عند لوقا (١٢: ٣٦-٤٠): "كونوا متشبِّهين بأناس ينتظرون سيِّدهم متى يعود من العرس، لكي تفتحوا له ما إن يأتي ويقرع (...)، لأنَّ ابن الإنسان يأتي في ساعة لا تتوقَّعونها". فبحسب مرقس، راح السيِّد في سفر (لا شكّ، إلى الخارج). يجب أن نتوقَّع غيابًا طويلاً، ولكن يجب أن لا نتوقَّف عن اليقظة، لأنَّ مجيئه قد يتمُّ بشكل مفاجئ وغير متوقَّع. ولا يكاد المثل قد انطلق، وإذا به يُقاطَع بنداء مباشر إلى القرّاء (آ٣٥-٣٦). يجب أن يكون السهر متواصلاً، لأنَّ العودة تكون في ساعة لا نظنُّها. وأورد مرقس هجعات الليل الأربع التي كانت تُستعمَل آنذاك بمثابة نقاط استدلال: المساء، نصف الليل، صياح الديك، الصباح. فينبغي ألاَّ يأخذنا النعاس في أيِّ ساعة كانت من الليل. المطلوب سهرٌ متواصل. لنتذكّر أنَّنا لسنا أمام انتظارِ حدث بسيط، بل انتظار شخص. فمنذ ١٣:٢٤-٢٥، تحمل "النهاية" اسمًا هو يسوع، ابن الإنسان، الذي تبدو عودته المجيدة أكيدة.

أنهى الإنجيليّ هذا الكلام فوضع في فم يسوع إلحاحًا خاصًّا: "أقوله للجميع: اسهروا!" (آ٣٧). كان قد بدأ الخطاب بكلام حميم، موجَّه إلى تلاميذ يسوع الأوَّلين وحدهم (١٣: ٣-٤)، وبدا آنذاك مثل علْم محفوظ لبعض العارفين. تلك كانت طريقة البلاغ المشفَّر في كتب الرؤى التي تتوجَّه إلى القرّاء بألفاظ يتعمّد أن تكون سرّية. وكان على المضطهَدين أن يفهموا، لا المضطهِدين! ولكن النداء الملحّ يترل هنا، في النهاية، "على الجميع"، لأنَّه يعني أجيالاً عديدة.

ها قد جاء الوقت لإقفال هذا الفصل الكبير من إنجيل مرقس (ف ١٣). فمن خلال عودة إلى الوراء، نستطيع أن نبرز النقاط الأصيلة من خطاب يسوع. يستحيل علينا، في الوضع الحاليّ، أن نميّز بين أقوال تلفَّظ بها يسوع، وبين التفكير الذي ولّدته هذه الاقوال في جماعة مرقس المسيحيَّة. فالسؤال الأوَّل في الخطاب أشار إلى دمار الهيكل: متى يحصل؟ فقدَّم الجواب تجاوزًا كبيرًا لهذا السؤال. وبموجز الكلام، ينبغي ألاَّ نرفع بعدُ أنظارنا إلى الهيكل على أنَّه موضع التجمُّع؛ بل يحتم عليه أن يسقط ويسقط معه عالمٌ كامل. لذا يجب على العيون أن ترتفع نحو ذاك الذي يجمع، أفضل من الهيكل، البشريَّة المخلَّصة من الشرّ: وهو المسيح الممجَّد، القائم من الموت.

ليس بوسع هذا المنظور السعيد ان يسمح لنا بتغذية عقدة بشأن "نهاية العالم" وكأنها كارثة كونيَّة، شاملة. فسرُّ الشرِّ، مع أزماته الحادة والقاسية جدًّا، هو جزء من بنية التاريخ بالذات. ذلك معطى مستمر في عالمنا الذي لا يمكن أن نتوقَّع نهايته. فمن العبث أن نقرأ "علامات الأزمنة" على أنَّها أحداث تسبق النهاية. وهذا الخطأ يقع فيه الناس ساعة الأزمات الكبيرة في التاريخ (انظروا الرعب لدى اقتراب الألف الاول). ومع ذلك، رأينا ان اقتراب مجيء المسيح الممجَّد هو في يد الله. انه يرتبط بحرِّيَّته حسب، إذ ان الله هو السيِّد المطلق في التاريخ، وهو وحده يعرف نهايته.

يكشف بالتالي هذا الخطاب برمته حول نهاية الزمن، عن تفاؤل عميق. بوسع الشر ولا شكَّ أن يمتدّ في بعض الأوقات. ولكنَّه لا يستطيع أن يوقف البرعم القوي بكون جديد ادخلته إلى العالم قيامةُ المسيح وعطيَّة الروح. ولن ننسى أبدًا أنَّ الفنَّ الأدبيّ في "أسفار الرؤى" يتضمَّن، في حد ذاته، تكديساً لكوارث سوداء، لكي يلقي من ثم الضوء على خلاص الله. فأيُّ أخطاء في المعنى تقع غالبا، حين يتوقَّف القارئ -المرعوب- عند وصف تراكم الشرّ! فحين يُنسى هدف الرواية، يتبخَّر البلاغ السعيد الذي يحمله.

كيف وُلد إنجيل مرقس؟

في عالم الغرب، هناك نظرة عصرية –وخاطئة!– عن ولادة الأناجيل. وبموجبها يكون يسوع قد تكلّم وعمل، والإنجيليُّون، يكونون قد تبعوه على مثال الصحافيِّين، فسجَّلوا كلامه (على مسجَّلة؟) وأعماله (بآلة تصوير؟). وابان حياته، أو حالاً بعد موته، وفي صمت الغرفة، جمعوا "مذكَّراتهم"، ثمَّ سلَّموا ما ألَّفوه إلى المسيحيِّين.

الواقع يختلف كلَّ الاختلاف. فيسوع لم يكتب شيئًا هو نفسه. ولم يأمر تلاميذه بأن يكتبوا. لقد كانوا كلُّهم عائشين في حضارة شفهيَّة. وبعد ارتفاعه، عاش تلاميذ يسوع في جماعة إيمان بشخصه. ومضغوا تعليمه بشكل تدريجي، وهم يجيبون على أسئلة حيَّة كانت تُطرح عليهم. وكانوا، في الوقت عينه، ينشرون البشارة لدى الوثنيِّين. هذه الخبرة عن كنيسة حيَّة ورسولة، هي التي دوَّنها الإنجيليُّون في النهاية.

فالأناجيل ليست "كتب تاريخ" في المعنى الحديث للكلمة، ولا تقارير دقيقة وكاملة لما حصل. إنَّها "شهادات إيمان" حول يسوع، تستحقُّ كلَّ التصديق: إنَّها تستند إلى رفد ثمين من "شهود عيان" لحياة يسوع، ومن "خدَّام الكلمة" (لو ١: ٢). وسنخطئ كثيرًا إذا راينا في هذه الكتب ذكريات بسيطة عن رجل عظيم من الماضي، لعمله ولمصيره المأساويّ. فهي انما تدخلنا في حياة شخص حيّ: "الربّ" يسوع القائم من الموت (راجع ١٦: ٦–٧). إذ ان يسوع، بعد قيامته –في العنصرة– أرسل الروح القدس إلى جماعة تلاميذه. وعندئذ فقط دخلوا في فهم سرِّه (راجع رسل ٢: ٢٢–٣٦). وما ان أحسُّوا أنَّهم نالوا قوَّة المسيح المنتصر على الموت، راحوا يشهدون له في العالم (رسل ٤: ٣٣). فلقد اجتمعوا ليعمِّقوا معرفتهم بالمخلِّص ويحتفلوا بسرِّه (رسل ٢: ٤٢).

وإن نضوج الإيمان لدى الكنيسة الأولى قد تمَّ عبر ثلاثة نشاطات أساسيَّة:

١– الرسالة: نشر المسيحيُّون الأوَّلون البشارة التي كانوا قد تلقوها بفرح: يسوع الناصريّ، هذا الذي صُلب بالرغم من براءته، قد أقامه الله من بين الأموات. انه "الديّان والمخلِّص" الشامل في نهاية الأزمنة (راجع مثلاً، رسل ١٠: ٣٤–٤٣). ونستطيع أن نقدِّر الأهمِّيَّة الخارقة المعطاة لهذا البلاغ الإيمانيّ عبر طول "الخبر المتواصل" للالام والقيامة (١٤: ١–١٦: ٨). فأنْ يكون موتُ المسيح المأساويّ قد وجد نهايتَه السعيدة في القيامة، ذاك ما أعلنته عجائبه، وكلُّها "علامات" انتصاره على قوى الشرِّ والموت.

٢– الليتورجيّا. في إطار جماعات الصّلاة بالذات، احتفظ المسيحيُّون الأوَّلون، بحرص، بأفعال يسوع وأعماله للدخول في سرِّه. وخبرا عماد يسوع (١: ٩–١١) وتأسيس الإفخارستيّا (١٤: ١٧–٢٥) ارتسمت ملامحهما في الاحتفال بهذين السرَّين.

٣– التعليم. وأخيرًا، ما انفكَّ التلاميذ الأوَّلون يسائلون انفسهم على ضوء كلام

يسوع وحياته. وكثيرا ما دفعتهم أسئلتهم للبحث عن أجوبة في مثل يسوع نفسه. ولم تكن تلك الأسئلة قليلة: "ماذا يجب أن نعمل حين نتعرض لتجربة التخلّي عن إيماننا؟" –انظروا الجواب في صلاة الجتسمانيّة (١٤:٣٢–٤٢). "هل نواصل المحافظة على شريعة موسى: السبت؟ الصوم؟ طقوس التطهير؟" – انظروا رأي يسوع (٢: ١٨–٢٨). ماذا يجب أن نفكر بشأن الطلاق؟ –انظروا ١٠: ١–١٢. "ما هو الموقف الذي يجب أن نتَّخذهُ تجاه الغنى؟" –انظروا ١٠:١٧–٣١. إلخ...

هناك مسائل حياتيَّة تُطرَح كلُّ يوم على الجماعة المسيحيَّة، وهي ليست على جانب من البساطة: "كيف نتصرَّف تجاه الخطأة والوثنيِّين الذين كان اليهود الاتقياء "يبتعدون" عن معاشرتهم؟" –انظروا موقف يسوع: الطعام الذي تناوله مع الخطأة (٢: ١٣–١٧)؛ إيمان وثنيَّة (٧: ٢٤–٣٠). "كيف نحافظ على الإيمان في قلب الاضطهاد؟" –انظروا أسرة يسوع الحقيقيَّة (٣: ٣١–٣٥)؛ اتباع يسوع وبذل الحياة لأجله (٨: ٣٤–٩: ١). "حين تكون لنا مسؤولية في الكنيسة، كيف نمارسها؟" –انظروا: يجب اتباع يسوع، بصفة خادم (٩:٣٣–٣٧)؛ جواب المعلّم على طلب ابني زبدى (١٠: ٣٥–٤٥).

وهكذا، استنادًا إلى تعليم يسوع وممارسته اليوميَّة، تكوَّنت مجموعات تعليمية، اصبحت بمثابة ينبوع "مراجعة حياة" لجميع المعمَّدين.

يجب إذًا أن نفهم ذلك: ليس إنجيل مرقس "سيرة حياة" يسوع في المعنى الحاليّ للكلمة. فالإنجيل قلّما يقدِّم اجوبة لأسئلة محض نقديَّة وذات طابع تاريخي من مثل: "ما الذي حصل حقًّا؟" فالمؤلِّف هو نتاج تفكير طويل وعميق امتدَّ على قرابة أربعين سنة (من سنة ٣٠ إلى سنة ٧٠) حول شخص يسوع ورسالته. فلقد أعيدَتْ قراءة حياته ونشاطه على الأرض على ضوء القيامة والكتب المقدَّسة، في جماعة مؤمنين، فطرحوها من ثم على إيمان الجميع (راجع خاتمة يوحنّا، ٢٠: ٣٠–٣١).

المحطّة السادسة

آلام يسوع وقيامته

(١٤:١-١٦:٨)

المحطَّة السادسة والأخيرة هي تلك التي يجد الإنجيل فيها ذروته عبر أخبار متواصلة حول آلام يسوع وقيامته.

١. رواية الالام (١٤:١-١٥:٤٧)

تحتل مكانًا واسعًا -فصلين كاملين- في هذه المحطَّة. ونفهم هنا كم كان من الصعب على التلاميذ أن يقبلوا آلام يسوع وموته. ومع ذلك، وبالرغم من الضعف البشريّ الذي لازم هؤلاء التلاميذ (الخيانة، النكران، الهرب، إلخ...)، اصرّ يسوع على أن يضمَّهم إلى سرِّ موته الخلاصيّ في ملئه.

مقدِّمةٌ قصيرة جدًّا تفتح الرواية (١٤:١-١١)، وهي تتضمن ثلاثة مشاهد صغيرة تضع القارئ في الصورة.

- **المؤامرة على يسوع** (١٤:١-٢) تشير إلى ستراتيجيَّة الرؤساء اليهود للتخلُّص من رجل شعبيّ صار مزعجًا.
- **الدهن بالطيب في بيت عنيا** (١٤:٣-٩) يروي فعلاً نبويًّا من قِبَل امرأة استبقت تطييب يسوع.
- **استعداد يهوذا للخيانة** (١٤:١٠-١١). يُطلق المأساة.

تركّزت **الفقرة الأولى** كلُّها (١٤:١٢-٥٢) على حدث رئيسيّ: "فصح" يسوع مع تلاميذه.

- **الاستعدادات لعشاء الوداع** تورد، بشكل احتفاليّ، الاستعدادات التي اتَّخذها يسوع ليضمَّ أصدقاءه إلى "ذكرى" العهد الجديد الذي سوف يختمه بين الله وشعبه، بواسطة سرِّ موته وقيامته.
- **تأسيس الإفخارستيّا** (١٤:٢٢-٢٦) يبيِّن كيف أنَّ يسوع، خلال عشاء الوداع، ترك لأخصّائه هذا "العهد" الثمين، هبة شخصه وحياته.

وجاء خبران قصيران "فأحاطا" بهذا الحدث المهمّ جدًّا، وأعطياه طابعاً خطيرًا جدًّا:

- **إعلان خيانة يهوذا** (١٤:١٧-٢١)
- **إعلان نكران بطرس** (١٤:٢٧-٣١). إنَّ مناخ الوشاية والتعثّر الذي يسود حلقة التلاميذ، لم يمنع يسوع من أن يشركهم في "سرِّه" موته وقيامته الخلاصيَّين.

وتنتهي الفقرة بإيراد أمرين مؤثّرين جدًّا:

- **الصّلاة في جتسيمانيّة** (١٤:٣٢-٤٢) تُبرز نوعية الإيمان عند التلاميذ.
- **اعتقال يسوع** (١٤:٤٣-٥٢) يؤدي إلى تفكُّك مجموعة الاثني عشر وهربهم.

وتدفعنا **الفقرة الثانية** (١٤:٥٣-١٥:٤٧) إلى قلب المأساة: "المحاكمة"، ومن ثمَّ "إعدام" يسوع.

١) تسير محاكمة يسوع على مرحلتين:

- **يسوع أمام السنهدريم** (١٤:٥٣-٥٦) هي المرحلة اليهوديَّة.
- **يسوع أمام بيلاطس** (١٥:١-١٥) هي المرحلة الرومانيَّة.

ركَّز مرقس في هذين الخبرين حول الكشف العلني الذي اضطر يسوع على القيام به، عن هويَّته ورسالته. فإن كان حقًّا "ملك اليهود"، المسيح، فإعلانه الاحتفالي أمام عظيم الكهنة يُعطي هذا اللقب بُعدًا لا يتوقَّعه أحد. فلقد أكَّد أنَّه ديّان الكون ومخلِّصه في نهاية الأزمنة.

إلا ان هذا الكشف لا يمنع يسوع من أن يحتمل الجبانة والمذلّة:

- **نكران بطرس** (١٤:٦٦-٧٢) يجسّد الجبانة.
- **مشاهد السخرية** (١٥:١٦-٢٠) تلقي الضوء على مذلّته.

٢) بعد أن انتهت المحاكمة، صار **إعدام يسوع** موضعَ خبر ماساوي قويّ (١٥: ٢١-٤٧). فيسوع الذي حكم عليه بيلاطس بعذاب الصليب، بما فيه من عار، عرف هذا الاستشهاد القاسي. ورسمَ مرقس هذين المشهدين المؤثّرين:

- **الصلب على الجلجلة** (١٥:٢١-٣٢) يحدِّد موقع الحدث.
- **موت يسوع** (١٥:٣٣-٤١) هو قمّة رواية الآلام. وفيها أعطى الإنجيليّ لقارئه درس معلِّم: على لسان وثنيّ، عند الصليب، وُضعَ إعلان الإيمان "المسيحيّ" في ملئه بهذا الكلام: "في الحقيقة كان هذا الرجل ابن الله" (١٥: ٣٩). وهكذا يأتي الجواب الشافي على سؤال طُرح بشأن يسوع منذ بداية الإنجيل: "من هو هذا الرجل؟"

عندئذٍ تنتهي الفقرة بمشهد يتسم بالبساطة:

- **الدفن** (١٥:٤٢-٤٧).

٣) خبر القيامة (١٦:١-٨)

هذا الخبر القصير جدًّا -من ٨ آيات- يوجز مجمل الإنجيل، ويبدو بالأحرى بمثابة "افتتاح" أكثر منه بمثابة اكتمال. والنساء هن بطلات المشهد. فلقد كانت لهنَّ الشجاعة أن يرافقن يسوع حتّى الصليب وحتَّى القبر. وكنَّ ما زلن متوجِّهات نحو الموت حين اكتشفن:

- **القبر المفتوح** (١٦:١-٨)

أتى مرسل سماويّ يبشِّرهنَّ بالخبر السعيد: المصلوب قام من بين الاموات. هذا البلاغ هو في غاية الفرادة، بحيث أنَّهنَّ فررن بعد أن أخذ منهنَّ الخوف كلَّ مأخذ. لقد تحيَّر العقل البشريّ بهذا الوحي الذي يستطيع الإيمان وحده أن يتقبَّله: يسوع الناصريّ هو المسيح وابن الله الذي مات وقام من أجل خلاص البشر.

وفي **خاتمة قصيرة** (١٦:٩-٢٠)، بقي على المدوِّن الأخير أن يُبرز نتائج هذا البلاغ البهيج. فالقائم من الموت، استناداً إلى حضوره الفاعل، يرسل تلاميذه يعلنون البشارة في العالم كلِّه.

المؤامرة على يسوع (١٤:١-٢)

١٤ ١ **وكانَ الفصحُ والفَطيرُ بعدَ يَومَين. وكانَ عُظماءُ الكَهَنة والكَتَبَةُ يَبحثون كيف يُمسكونَه بحيلةٍ فيقتُلونه،**

٢ **لأنهم قالوا: ((لا في حَفلَةِ العيد، لئلا يَحدُث أضطراب في الشَّعْب))**

بعد التوسُّع الكبير في ف ١٣ -المركَّز كلُّه على دمار الهيكل ونهاية الأزمنة- يبدأ خبرُ الآلام.

للمرَّة الأولى يُجعَل القارئ في أفق "عيد الفصح" (آ١أ). قبل تاريخ الشعب العبريّ، كان الفصح عيد البدو الرعاة الذين يربُّون الخراف. ففي الربيع، حين يُولَد صغار القطيع، كانوا يقدِّمون للآلهة أبكار الحملان (راجع خر ١٢:١-١١). وحين استقر شعب إسرائيل، تبنى عيداً آخر، هو عيد الفلاحين: عيد "الخبز الفطير". وفيه كانوا يحتفلون بحصاد الحبوب الجديدة. واندمج هذان العيدان -الفصح والخبز الفطير- باكراً جداً. وبدلاً

من الاحتفال بولادة الطبيعة في الربيع، صار العيدان يُذكِّران بالتحرير من العبوديَّة (الخروج من مصر) الذي أتاح تكوين شعب الله (تث ١٦:١-١٨). وهكذا صار الفصح، في شعب إسرائيل، أوَّل الأعياد اليهوديَّة وأعظمها. وليس من قبيل الصدف أن تكون رواية الالام قد وضعت تحت راية هذا العيد الذي يعطيه رنَّة ليتورجيَّة واضحة.

وسرعان ما اتخذت الأحداث سيرها (آ١ب). فلقد وُلدت المؤامرة على يسوع مبكرًا، أو أقلّه ما يُعتبر تخطيطًا لمؤامرة (٦:٣). وكانت، اولاً، من فعل الفرِّيسيِّين والموالين لهيرودس. ولكن ما ان وُجد المعلِّم في أورشليم، واذا بمشروع القبض عليه قد توضَّح. والأوساط الكهنوتيَّة هي التي تحل الآن محل العلمانيين، خصوصًا في اعقاب "قضيَّة" الهيكل (١١: ١٥-١٨؛ ١٢: ١٢). وهوذا الآن رؤساء الكهنة، بمعاونة الكتبة، يبحثون عن الوسائل الفعلية ليقبضوا عليه. فراحوا يتصرفون بالحيلة، مدركين أنَّه ينبغي تجنُّب انتفاضة شعبيَّة (آ٢). فلقد كان عيد الفصح يجتذب إلى أورشليم جمعًا كبيرًا من الحجّاج، من اليهود المشتتين في كلِّ الأمم، وكان الوقت مؤاتيًا للتمرُّدات. ولما كان الشعب معجباً بيسوع لأجل تعليمه المضيء الذي كان يلقيه في الهيكل (١٢:١٢، ٣٧)، كان على السلطات اليهوديَّة أن تفعل بسرعة وتتصرَّف قبل أن يبدأ العيد. وذلك أكثر أمانًا للنظام العامّ.

الدهن بالطيب في بيت عنيا (١٤:٣-٩)

٣ **وبَينما هو في بَيت عَنيا عندَ سمعان الأَبرص، وقد جَلَسَ للطعام، جاءت آمرأة ومَعَها قارورة من طيبِ النارَدين الخالِصِ الثمين، فَكسرَت القارورةَ وأَفاضته على رأسه.**

٤ **فآستاء بَعضهم وقالوا فيما بَينهم: ((لِمَ هذا الإسرافُ في الطِّيب؟**

٥ **فقَد كانَ يُمكن أن يُباعَ هذا الطِّيبُ بأَكثَرَ مِن ثَلاثمائة دينار فتُعطى لِلفُقراء)). وأخذوا يُدَمدمون عليها.**

٦ **فقالَ يسوع: ((دعوها، لماذا تُزعجونها؟ فقد عَمِلَت لي عملاً صالِحًا.**

٧ **أَمَّا الفُقراء فهم عندكم دائمًا أَبدًا، ومَتَى شئتُم، أُمكنكم أن تُحسنوا إليهم. وأَمَّا أنا فلستُ عندكم دائمًا أبدًا.**

٨ **وقد عَمِلَت ما في وُسعها، فَطَيبت جَسدَي سالفًا للدَّفْن.**

٩ **الحَقَّ اقولُ لكم: حَيثُما تُعلن البشارةُ في العالمِ كُلِّه، يُحَدَّثْ أيضا بِما صَنَعتَ هذه، إحياء لذكرها)).**

المشهد الوارد هنا يشكّل مدخلاً إلى الالام. فالحدث يحصل في بيت عنيا، تلك القرية الصغيرة، القريبة من أورشليم، حيث اعتاد يسوع أن يعتزل لدى خروجه من المدينة (١١:١١). والرجل الذي يستقبله معروف. إنَّه ولا شك الأبرص القديم الذي احتفظ بهذا اللقب (آ٣أ). وكان قد شُفيَ طالما انه يستقبل يسوع في بيته.

إنَّه لأمر فريد لدى مرقس أن نرى يسوع يلتقي بامرأة، وهو على المائدة عند صديق (آ٣ب). وهذه المرأة مجهولة الهوية. ذلك ان الإنجيلي لم يهتمَّ بشخصها، بل بعملها. لقد حملت طيبًا "نقيًّا جدًّا" في إناء ثمين، وهو زيت مطيَّب يُستخرَج من نبتة غريبة من الهند. "كَسرت القارورة وصبَّت العطر على رأسه" (آ٣ج). وشدّد مرقس على الإسراف في هذا الفعل. فالمرأة لم تتردَّد من كسر القارورة لكي تصبَّ ما تحويه بكثرة وبسرعة. وصبَّت العطر وافراً على رأس يسوع المتَّكئ على الطريقة القديمة، أي انه كان منطرحا على خصره على مقعد. ماذا يعني هذا الفعل غير المتوقع؟ انه، بالتأكيد، إكرام عظيم تؤديه هذه المرأة إلى شخص المعلّم. وربَّما يكون اعترافًا بمسيحانيَّته أيضًا ، لأنَّ الملوك كانوا يُختمون بمسحة من الزيت على الرأس. وبحسب انتظارات اليهود، يكون الماسيّا هو ذلك "الممسوح" والمكرَّس بامتياز (راجع اش ٦١:١). ولكنَّ ردَّة فعل المحيطين بيسوع لم تكن على ما يُرام.

فمع سمعان ويسوع والمرأة، كنا نجهل حضور التلاميذ. وهم الذين استاؤوا، وقد رأوا في ذلك إسرافًا واضحًا. وبحجة الاهتمام بالفقراء، قدَّروا ثمن الطيب بأكثر من ٣٠٠ "دينار"، أي ما يساوي أجرة فلاح على مدى ٣٠٠ يوم من العمل (آ٤-٥). انه مبلغ كبير جدًّا! والانتقاد يدلُّ على ذكاء. ولكنَّ يسوع ينظر إلى قيمة الفعل: "هو فعل محبَّة تجاهي" (آ٦). وهكذا لُفت انتباه التلاميذ. فلسنا بعدُ في وقت نخشى ألاّ يكون هناك فقراء نساعدهم. لا شكَّ أن الله، في شريعة موسى، طلب من شعبه أن يفعل المستحيل ليزيل الجور الذي يمثّله الفقر: "لا يكن فقير عندكم!" (تث ١٥:٤). ولكنَّ هذا المثال لا ينبغي أن يجعلنا في سراب: "فالفقراء لن يزولوا من هذه الأرض. لهذا أعطيك هذا الأمر! افتح يدك لأخيك، ذلك الفقير والذليل في الأرض" (تث ١٥:١١). إذًا لا ينكر يسوع أنَّ مساعدة الفقراء أمر ملحّ. وفي قلب مجموعة التلاميذ أنفسهم، كان أحدهم موكلاً، بشكل خاص، بالصدقات -كما في أخويَّات ذلك الزمان. وبحسب يوحنّا، كان هذا الدور قد أعطيَ ليهوذا، أمين صندوق الاثني عشر (راجع يو ١٢:٤-٦). إنَّه لأمر فاضح أن يبدو الرسل، ويهوذا على رأسهم، مرائين يتَّهمون المرأة بالإسراف. وهوذا يسوع يُعطي لفعل هذه "المجهولة" معنى إيجابيًّا رفيعًا. "سبقت فسكبت الطيب على جسدي لأجل دفني"

(آ٨). ففي نظره، قامت هذه المرأة بفعل نبويّ. لقد استبقت تطييب جثمانه. إنَّه لعمل ذو قيمة كبيرة حين نعرف أنَّ دفن يسوع سيكون على شاكلة المحكوم عليهم: سيتم بسرعة وقبل أن يُطيّب الجسد (١٥:٤٦). ولنشرْ أيضًا إلى أن، في العالم اليهوديّ في ذلك الزمان، كان جدال حول أهمِّيَّة أعمال المحبَّة. فقدَ سبق التقليد واعتبر دفن الموتى عملاً مميَّزًا من أعمال الإحسان، بجانب الصدقة للفقراء (راجع طو ١:١٦-١٨).

ما تردَّد يسوع بأن يجعل عمل هذا المرأة "التي لا اسم لها" في علاقة مع المأساة التي سوف يعيشها. ولم يتأخَّر مرقس من تذييل روايته بكلام المعلِّم الاحتفاليّ: هذا الحدث سوف يُعرَف في العالم كلِّه، في أيِّ موضع تُعلَن بشارةُ الخلاص (آ٩). وحين أخرج الإنجيليّ هذا الخبر، عرف أنَّ المسح بالطيب، في بيت عنيا، وُجد مرتبطا بإعلان "إنجيل" آلام الربِّ يسوع. ونعرف اهتمام مرقس بنقل "بشرى" يسوع المسيح في المسكونة (١: ١؛ ٨:٣٥؛ ١٠:٢٩؛ ١٣:١٠). فقلبُ الإنجيل هو آلام المسيح وقيامته. ووجد فعل المرأة المتواضع مكانه فيها بشكل طبيعيّ.

استعداد يهوذا للخيانة (١٤:١٠-١١)

١٠ **وذَهب يَهوذا الإسخَرْيوطي، أَحَدُ الأثنيْ عَشَر، إلى عُظماء الكَهَنة لِيُسلمه إليهم.**

١١ **ففرحوا لسَماع ذلك، ووَعَدوه بأن يُعطوه شَيئًا مِنَ الفضَّة، فأخذ يَطلُب كيفَ يُسلمه في الوقتِ المُوافِق.**

سبق ورأينا أنّ من بين التلاميذ الذين احتجّوا على تقدمة طيب ثمين ليسوع بيد امرأة (١٤:٣-٩)، كان "يهوذا الإسخريوطيّ، أحد الاثني عشر" (آ١٠أ). وبفضل يوحنّا الإنجيليّ نعرف أنَّه كان امين الصندوق، في الفريق الرسولي. ولما كان مكلَّفا بمصاريف الفريق، كان مسؤولاً ايضا عن إعانة الفقراء. ولكنَّه لم يكن يهتمُّ بعمله، لأنَّه "كان سارقًا... فيختلس" ما يوضع في الصندوق (يو ١٢:٤-٦). هل نحتاج إلى مخيِّلة واسعة لنظنَّ أنَّه، مع ميله إلى الربح، كان اكثرهم استعداداً لخيانة معلّمه، بدافع البخل؟ وفي الواقع، هو الذي "مضى إلى رؤساء الكهنة ليسلِّم إليهم يسوع". وبالمقابل، تلقّى الفضَّة (آ١٠ب-١١أ). وهكذا، بالحيلة، وبدون ضجَّة كما أرادوا، رأى رؤساء الكهنة ان مشروعهم قد اختمر. وأوضح مرقس، بهذا الكلام البسيط، أنَّه، من أجل ربح خسيس، تسلّل خائنٌ إلى مجموعة أصدقاء يسوع. كان المعلِّم قد اختار يهوذا كما اختار الرسل الآخرين، بثقة تامَّة، ليكونوا معه وليعضدوه في رسالته (٣:١٣-١٩). وسينبغي أن نتذكَّر

دوما أنَّ جانبًا من المسؤولية عن موت يسوع يقع، في الدرجة الأولى، على واحد من المقرَّبين إليه. وأخذ يهوذا الآن يبحث عن مناسبة ليسلِّم يسوع (آ١١ب). هذه المناسبة ستأتي في وقتها، وليست سوى مسألة أيَّام (١٤:٤٣-٥٠).

الاستعدادات لعشاء الوداع (١٤:١٢-١٦)

١٢ **وفي أَول يوم من الفَطير، وفيه يُذبحُ حَمَلُ الفصْح، قال له تَلاميذُه: ((إلى أينَ تُريد أن نَمضي فُنعد لك لتأكل الفصْح؟))**

١٣ **فأَرسَلَ آثنين من تلاميذه وقال لهما: ((اذهبا إلى المدينة، فَيلقاكما رَجُل يَحمل جرَّة ماء فآتَبعاه،**

١٤ **حَيثُما دَخل فقولا لِرَب البيت: يَقولُ المُعَلِّم: أين غُرفتي التي آكُلُ فيها الفِصْحَ مَعَ تلاميذي؟**

١٥ **فيريكما عُلِّيَّة كبيرة مَفْروشة مُهيأة، فأعداهُ لنا هُناك)).**

١٦ **فذهب التِّلميذان وأتيا المَدينة، فوجدا كما قالَ لهما وأَعدا الفصح.**

الخبر الذي يبدأ هنا يُدهش القارئ، بسبب اهتمامه المفرط بالتفاصيل. انه يشير أوَّلاً إلى زمن ومدلول عشاء الوداع الذي يتناوله يسوع مع تلاميذه. أوَّلاً، الزمن: فمرقس -شأنه شأن متّى (٢٦:١٧-١٩) ولوقا (٢٢:٧-١٣) في الموضع ذاته- جعل من عشاء يسوع الأخير، ذاك العشاء الفصحيّ الذي يحتفل به اليهود ليلة عيد الفصح (آ١٢أ). ولكن من غير المحتمل أن يكون يسوع قد تناول الفصح اليهوديّ. فلو فعل، لكان مات في الغد، في قلب العيد الفصحيّ. ولكن، بحسب النظم القانونية في ذلك الزمان، يستحيل أن يتم الحكم وتنفيذ الحكم في إنسان، بعد أن يكون العيد الكبير قد بدأ. اما على المستوى التاريخيّ، فان ترتيب الاوقات الذي قدَّمه الإنجيليّ يوحنّا، يبدو هو الأفضل. فالفصح اليهوديّ كان يوم سبت في تلك السنة (يو١٩:٣١). ويكون يسوع قد صُلب في عشيته، أي يوم الجمعة، ساعة كانوا يذبحون الحملان ليأكلوها في المساء عينه (يو ١٨:٢٨). وإذا أخذنا بعين الاعتبار الزمن الضروريّ للمحاكمة، يكون يسوع قد أكل عشاء الوداع مع تلاميذه يوم الخميس. وهذا الترتيب الزمني يفرض نفسه. على أية حال، لقد تمَّ هذا العشاء في مناخ العيد القريب جدًّا. وهكذا نفهم أن تكون الأناجيل الإزائيَّة قد جعلت من ثم، من هذا العشاء، عشاء فصحيًّا. إذ ان موت يسوع وقيامته يختمان "الفصح الجديد": التحرير من الشرِّ والموت. وبولس، كان اول من استطاع أن يقول: "المسيح فصحنا ذُبح. لنحتفلْ بالعيد، لا بالخمير العتيق... بل بفطير (الخبز بدون خمير) النقاوة والحقّ" (١ قور ٥:٧-٨).

ثمَّ تتواصل الرواية بأسلوب يلامس "الأمور العجيبة". حين سألوا يسوع عن موضع العشاء، قدَّم لهم جوابًا غريبًا (آ١٣-١٥). هناك أمران يلفتان النظر في هذا الخبر. الأوَّل، هو لقاء التلميذين برجل يحمل الماء. وكانت العادة تقضي بان تقوم النساء بهذه المهمَّة. وهكذا يكون يسوع قد أعطى إشارة خارجة عن المألوف، بمثابة علامة متَّفق عليها من قبل. والأمر الثاني الغريب، هو اكتشاف غرفة "معدَّة" للعشاء، وكأنّ العناية الالهية هيَّأت كلَّ شيء. وقُدِّم لنا يسوع بصفة نبيّ يعرف الأحداث الآتية حتّى تفاصيلها الدقيقة. كيف نفسِّر هذا؟ من الأكيد تقريبًا أنَّ مرقس استلهم في تدوين هذه الصفحة نموذجًا بيبليًّا معروفًا. ففي سفر صموئيل الأوَّل، أعدَّ هذا النبيّ اللقاءات التي جهَّزها له العناية مع شاول. فلقد كان على هذه اللقاءات أن تبيِّن أنَّ الله اختار هذا الرجل ملكاً لإسرائيل (١ صم ١٠:١-١٠). وكذلك الحال هنا، فاللقاء المتوقع بين حامل الماء والتلميذين، هو العلامة بأن الله قد اختار يسوع حقًّا ليكون الملك المسيح. هذه القراءة تجد ما يؤكِّدها في مقطع آخر من مرقس: دخول يسوع إلى أورشليم (١١:١-١١). في ذلك المقطع أيضًا، أرسل المعلِّم تلميذين، فلقيا الجحش. فالحدث هو مسيحانيّ بوضوح. وفي كل مرَّة، تتمُّ الأمور بحسب ما أُنبئ بها. وكلُّ شيء يسير بحسب نظرة المعلِّم النبويَّة (آ١٦).

ونختتم مشددين على ان التكرار هنا، مرَّتين، لصفة "فصحيّ" (آ١٢ب، د)، ولفظة "فصح" (آ١٤، ١٦)، انما هو دعوة إلى القارئ للانتباه إلى المدلول الأكبر للعشاء الذي سوف يتناوله يسوع. إنَّه سيكون الاحتفال بأحداث تحيي ذكرى الخروج من مصر: إعلان موت المسيح وقيامته المحرِّرة.

إعلان خيانة يهوذا (١٤:١٧-٢١)

١٧ **وَلما كان المساء، جاء مع الأثني عَشَر.**

١٨ **وبينَما هم جالسونَ إلى المائدة يأكُلون، قال يسوع: ((الحَقَّ أقولُ لكم إن واحدًا منكم سَيُسلمُني، وهو يأكل معي)).**

١٩ **فأخذوا يَشعُرون بالحُزَّن ويسألونه الواحدُ بَعدَ الآخر: ((أأنا هو؟))**

٢٠ **فقالَ لهم: ((إنَّهُ واحد منَ الأثني عَشَر، وهو يَغمسُ يَدَه في الصَّحفة معي.**

٢١ **فآبنُ الإنسان ماض كما كُتبَ في شأنه، ولكن الوَيلُ لذلك الإنسان الذي يُسلَمُ آبنُ الإنسان عن يَدِه. فلَو لم يولَدْ ذلك الإنسانُ لكانَ خيرًا له)).**

يأخذ اليهود طعامهم الرئيسيّ في العشيَّة، حين يحلُّ الليل. وشدَّد مرقس أيضًا

على أنَّ هذا الوقت الراهن خطير جدًّا (آ١٧). إنَّها ساعة الظلمة، وأكثر من ذلك. حتّى الآن تكلَّم الإنجيليّ عن "التلاميذ" (١٢:١٤)، اما هنا، فيوضح أنَّنا بصدد الاثني عشر، أي حلقة الرسل، أولئك الذين ضمَّهم يسوع إلى شخصه وإلى رسالته. والمجموعة التي تلتئم للطعام ترمز إلى شعب الله كلِّه (أسباط إسرائيل الاثني عشر). وهكذا يكون يسوع قد كوّن جماعة موحَّدة. ومع ذلك، فهي تحمل الانقسام في وسطها. هوذا يسوع يعلن بوضوح عن خيانة يهوذا دون أن يسمِّيه باسمه. انه يلمح إلى الموضوع البيبليّ، موضوع البارّ المضطهَد، إلى الرجل الذي خانه، وهو اقرب المقرّبين: "حتَّى الصَديق الذي اتَّكلت عليه وقاسمني خبزي، رفع عليَّ عقبه بمكر" (مز ٤١:١٠). هذه الكلمات لسعت الرسل وكأنَّها سوط (آ١٩).

وبما أنَّ يسوع لم يُفصح كلِّيًّا عن الخائن، كان على كل واحد أن يسأل نفسه عن خيانته الخاصَّة: "هل أنا هو؟" لا شكَّ في أنَّ مرقس أقحم هذا السؤال هنا لكي يتساءل كلُّ مسيحيٍّ بدوره حول المشاعر التي تسكنه حين يشترك في عشاء الربّ. وهكذا أعاد يسوع أصدقاءه إلى سؤالهم (آ٢٠). في العشاء اليهوديّ، كان كلُّ واحد يمدّ يده في طبق مشترك، ويأخذ حصَّته من الطعام. ومرَّة أخرى، لا يدلُّ يسوع على الخائن باسمه، بل يترك الشكَّ يحوم، إذ إن الشخص موجود هنا: "واحد من الاثني عشر" (١٠:١٤). ويشير المعلِّم إلى مصيره على أنَّه قصْدُ الله (آ٢١أ). ما من كلمة في العهد القديم تعلن موت "ابن الإنسان". ولكنَّ يسوع رجع إلى الكتاب المقدَّس على أنَّه المرجع الأخير لشرح المصير الذي ينتظره. نحن نبحث مرارًا عن أسباب سيكولوجيَّة لأحداث الالام. ما الذي دفع يهوذا ليخون معلِّمه؟ مثل هذا السؤال لم يكن يهمُّ المسيحيِّين الأوَّلين. كان يهمّهم بالاحرى أن يفهموا كيف أنَّ عثار المسيح الذي تخلَّى عنه أصدقاؤه، يدخل في مخطَّط الله (راجع اش ٥٣:٧-٩).

وأخيرًا، اختتم يسوع قوله الحالي بأقوال كثيراً ما أُسيئ فهمها (آ٢١ب). فلقد أرادوا أن يروا في هذه الكلمات تأكيدًا واضحًا ليسوع حول هلاك يهوذا الأبديّ. وهذا يعني أنَّنا نسينا أنَّ يسوع يتكلَّم في أسلوب معروف هو أسلوب المراثي البيبليَّة. فهو لا يدين الخائن ولا يحكم عليه: إنَّه يتأسَّف عليه. فهو يبكي عليه مثل الأنبياء الذين كانوا يبكون على خيانة شعب الله كلِّه: "الويل! الأمَّة الخاطئة! الشعب المذنب! نسل المسيئين، البنون الفاسدون" (اش ١:٤). سبق أنْ قرأنا ليسوع مثل هذا الكلام بشأن الشرِّ الذي يدفع ويقود إلى هلاكه (راجع ٩:١٩). فلا نستطيع حقًّا أن نستنتج من تأوُّه يسوع أنَّه أرسل يهوذا إلى جهنَّم!

تأسيس الإفخارستيا (١٤: ٢٢-٢٦)

٢٢ وبَينما هم يَأكُلون، أخذ خُبزًا وبارَكَ، ثُم كَسَرَه وناولهم وقال: ((خذوا، هذا هُو جَسَدي))

٢٣ ثُمَّ أخذ كأساً وشَكَرَ وناولهم، فشَرِبوا مِنها كُلُّهم،

٢٤ وقال لهم: ((هذا هوَ دَمي، دَمُ العَهد يراقُ مِن أجل جَماعَة النَّاس.

٢٥ الحَقَّ أَقولُ لكم: لن أشرَبَ بَعدَ الآن من عصير الكَرَمة، حتى ذلك اليومِ الَّذي فيه أشرَبُه جديدًا في مَلكوتِ الله)).

٢٦ ثُمَّ سَبَّحوا وخرجوا إلى جَبَل الزَّيتون.

كم كنّا نحبُّ أن نعرف بالتفصيل كلَّ ما حصل في عشاء يسوع الأخير مع تلاميذه. ولكن بدل وصف طويل للظروف التي أحاطته، قدَّم لنا مرقس -مثل متّى (٢٦: ٢٦-٢٩) ولوقا (٢٢: ١٩-٢٠)- خبرًا قصيرًا بخطوط عريضة. من الواضح اننا بصدد نص ليتورجيّ سبق أنْ تكوَّن. انه يسعى، ببضع كلمات، وبشكل مكثّف جدًّا، أن يبرز معنى أفعال يسوع وأقواله لما جرى في ما يدعى "عشاء الرب".

لقد قام المعلِّم بفعل طقسيٍّ معروف لدى اليهود خلال عشاء العيد (آ٢٢). فعلى مثال رب العائلة الذي يترأَّس المائدة، أخذ خبزًا ووجَّه صلاة طويلة إلى الله، هي صلاة مديح وشكر من أجل العطايا التي نالوها منه. و "البركة" اليهوديَّة ليست كلمة سريعة عابرة، بل هي فعلٌ احتفاليٌّ به يشكر بنو إسرائيل الربّ لأنَّه منحهم الخلاص. وهكذا نقرأ في "الهگادا" الفصحيَّة (طقس عشاء الفصح): "علينا دينٌ: أن نشكر ونمدح (...) ونبارك ذاك الذي صنع لآبائنا جميع الآيات. فقد أخرجنا من العبوديَّة نحو الحرِّيَّة، من الضيق نحو الفرج، من الحداد نحو العيد، من الظلمات نحو النور، من القمع نحو التحرير. "لننشدْ أمام وجهه نشيداً جديدا: هللويا". وبعد أن يكون يسوع قد لفظ هذا النمط من الصّلاة، كسر الخبز وقسّمه ووزَّع لقمة على كلٍّ نديم. وإذ صنع هذا، قال لهم: "خذوا، هذا هو جسدي". وعلى لسان يسوع، وبلغته الأراميَّة، لم تكن لفظة "جسد" تعني اللحم البشري، بل "الشخص" كلَّه. فيسوع لا يعطي، إذن، لحمه لنأكله -وهذا تفسير مادّيّ غربيّ. إنَّه يعلن أنَّ شخصه سوف يسلَّم إلى الموت وأنَّنا نستطيع أن نتحد معه.

وان مدلول العطيَّة التي صنعها يسوع تستنير بشكل أفضل، عبر الحركة والكلام المتوازيين على الكأس. فأعلن باحتفال: "هذا هو دمي، دم العهد، المراق من أجل

الكثيرين" (آ٢٣-٢٤). فكلُّ الكلمات تحمل هنا كثافة غير عاديَّة. فيسوع، مع كأس الخمر التي في يده، بدأ من جديد "يرفع الشكر" لله. وهذه العبارة اليونانيَّة بالذات أعطت لفظ "إفخارستيّا" (فعل الشكر) التي بها ندلُّ على مجمل الطقوس المذكورة هنا. لنلاحظ، بشكل عابر، ما هو غريب في هذا النصّ: لقد شرب التلاميذ قبل أن يكون يسوع قد أعطى المعنى من حركته. فعبارة "دمي" في اللغة الساميَّة تعني: "حياتي" (أح ١٤:١٧). وحين أخذ التلاميذ الخمر المكرَّسة، فهم لم يشربوا دم إنسان، إذ ليسوا أكلة لحوم البشر. انَّهم يتَّحدون بشخص المسيح الذي وهب حياته على الصليب (١ قور ٢٣:١١-٢٦). والكلمات التي تلي، توضح المعنى الذي أعطاه يسوع لموته. فدمه المسفوك سيكون "دم العهد". في الماضي، على جبل سيناء، قطع الله عهد الشركة مع بني إسرائيل، الشعب المختار. وموسى، بعد أن قرأ على الشعب الشريعة الإلهيَّة، ختم هذا العهد الأوَّل بدم الثيران المذبوحة (خر ٣:٢٤-٨). والآن، بموته، راح يسوع يؤسِّس ما وصفه بولس (٢ قور ٢٥:١١) ولوقا (٢٠:٢٢) أنَّه العهد "الجديد" بين الله والبشريَّة كلِّها. فيسوع، بالفعل، اضفى على موته معنى "خلاصيًّا" وشاملاً. ودمه، سوف يراق "من أجل كثيرين". ولفظة "الكثيرين" تعبير ساميّ يعني جميع البشر. وهذه الصفة تلمِّح، بطريقة خافرة ولكن أكيدة، إلى الخادم المتألِّم الذي أرانا إيّاه اشعيا ذاهبًا إلى الموت لكي يصالح الجموع البشريَّة مع الله (اش ١٢:٥٣).

وهكذا اضفى يسوع على موته الوشيك بُعدًا خلاصيًّا شاملاً، فقدَّم شخصه وحياته من أجل خلاص العالم. وفي نهاية هذا العشاء الأخير، فتح المعلِّم منظورًا رائعا (آ٢٥). وهنا أعلن يسوع انتصاره من بعد موته. انه وعَدَ بمجيء ملكوت الله في صورة المأدبة التي يترتب عليها ان تشبع جوع البشر وعطشهم في نهاية الأزمنة. وهناك تجري "الخمر الجديدة"، خمرة العيد، بدون توقُّف. وحين يدمَّر الموت (العائق الأكبر!) تماماً سيكون بوسع كلِّ أمم الأرض ان تتّحد بالله الحيّ (اش ٦:٢٥-٩).

في هذه الآيات القليلة من رواية سبق واستعملتها الجماعات المسيحيَّة، هوذا مرقس يرينا يسوع وهو يؤسِّس الإفخارستيّا (راجع الاطار: كيف وُلد انجيل مرقس؟). فبالنسبة إلى المسيحيِّين الذين يتوجَّه إليهم، كان هذا العشاء يتجدَّد بصفته "تذكار" موت المخلِّص وقيامته. وحين يتقاسم المسيحيُّون "الخبز المكسور" و"كأس البركة"، يعون أنَّهم اصبحوا معاصرين لأحداث الخلاص. انهم يدركون أنَّ السرَّ يؤوِّن -أي يجعله حاضرًا الآن- سرّ المسيح الذي مات وقام. وبوسع تلاميذ يسوع، شأنهم شأن إخوتهم اليهود الذين يحتفلون بالفصح، أن يستعيدوا هذه الكلمات الطقوسيَّة: "من جيل إلى جيل، هو

دَين للإنسان أن يرى نفسه وكأنَّه خرج من مصر. فالقدُّوس، تبارك اسمه، ما خلَّص آباءنا فقط، بل ايضاً فيهم خلَّصنا نحن".

وينتهي عشاء يسوع الوداعيّ مع الاثني عشر، كما تنتهي عشاءات العيد عند اليهود (آ٢٥). فقد كانوا ينشدون القسم الثاني من "هلل" أي المزامير ١١٥-١١٨. وتُختَتم صلوات المديح هذه بالهتاف "هللويا": "سبِّحوا الربَّ". ثمَّ مضى يسوع وأصدقاؤه إلى جبل الزيتون. تلك وسيلة بسيطة جدًّا ليسوع ولتلاميذه بأن يفلتوا من التهديدات التي كانت تثقل عليهم داخل أسوار المدينة.

الانباء بنكران بطرس (١٤:٢٧-٣١)

٢٧ **وقالَ لَهم يسوع: ستَعثُرون بأَجمَعكم، لأنَّه كُتِبَ: ((سأضربُ الرَّاعي فَتَتَبدَّدُ الخراف))**

٢٨ **ولكن، بَعدَ قِيامَتي، أتَقَدَّمُكُم إلى الجَليل)).**

٢٩ **فقالَ له بُطرس: ((ولو عَثَروا بأجمَعهم، فأنا لن أعثُر)).**

٣٠ **فقالَ له يسوع: ((الحَقَّ أَقولُ لكَ إنَّكَ اليومَ في هذه اللَّيلَة، قَبلَ أن يَصيحَ الدِّيك مَرَّتَين، تنكرني ثَلاثَ مرَّات)).**

٣١ **فقالَ مُؤَكِّدًا: ((لستُ بناكركَ وإن وَجَبَ عليَّ أن أموت معَكَ)). وهكذا قالوا كلهم.**

إنَّ مناخ العيد الذي ساد في العشاء الأخير ترك المكان لجوٍّ ثقيل وجامد. لقد سبق أنْ نبَّه يسوع أصدقاءه (آ٢٧-٢٨). فهو يرى جيدا النتائج الخطيرة التي يحملها غيابه. هوذا يعلن عن تشتت المجموعة التي ترافقه وسقوطها. وبدت هذه المحنة التي كانت تنتظر الاثني عشر قاسية جدًّا. ووجد مرقس المقطع الكتابيّ الذي يتيح للمسيحيِّين الأوَّلين أن يتجاوزوا العثار الذي يسبِّبه التلاميذ الذين يتركون معلِّمهم. انها آية من سفر زكريّا النبيّ، حيث نقرأ مأساة الخراف التي تجد ذاتها من دون راعٍ (زك ١٣: ٧ب). فيسوع، منذ بداية خدمته، قدَّم نفسه على أنَّه راعي إسرائيل الذي جاء ليجمع القطيع (٦:٣٤). وعيَّن اثني عشر من تلاميذه لهذه المهمَّة نفسها لدى الجموع (٦:٣٧: "أعطوهم أنتم ليأكلوا"). وحين تشتّت محنةُ الالام التلاميذَ، يعود يسوع "القائم من الموت" ليكون على رأس أصدقائه. وحين يجتمعون من جديد، سيمشي أمامهم لكي يقودهم.

اما الآن، فالمحنة قريبة جدًّا، وينبغي مواجهتها بشجاعة. واحتجاج بطرس، أوَّل الاثني عشر، بشأن امانته، هو امر يشرِّفه (آ٢٩). إنه يكشف قلبًا سخيًّا. ولكنَّ المعلِّم لا

يجهل عطب أصدقائه (آ٣٠)، فتعلُّق بطرس به لن يثبت حتّى طلوع النهار القريب (راجع ١٤:٦٦-٧٢)، مع انه أكّد ليسوع امانته التي لا تتزعزع، هو ورفاقه (آ٣١). وشدد مرقس مرارًا على عمى التلاميذ أمام موت معلّمهم القريب. وحينذاك لن يعوا كلّيًّا ما سوف يصنعون.

لنتذكّر، في النهاية، أنّ الإنجيليّ أطّر عن قصد خبر تأسيس الإفخارستيّا بمقطعين يعلنان جبانة أقرب الأمناء إلى يسوع: خيانة يهوذا (١٤:١٧-٢١) ونكران بطرس (١٤: ٢٧-٣١).

الصلاة في جتسيمانية (١٤:٣٢-٤٢)

٣٢ **ووصَلوا إلى ضيعة آسمها جَتْسمانية، فقال لتَلاميذه: ((أُقعدوا هُنا بينما أُصلي)).**

٣٣ **ثُم مضى بِبُطرس ويَعقوب ويوحنا، وجعل يَشعُرُ بالرَّهبة والكآبة.**

٣٤ **فقالَ لهم: ((نَفسي حَزينة حتى المَوت. أُمكثوا هُنا وآسهروا)).**

٣٥ **ثُمَّ أَبعدَ قليلاً ووقعَ إلى الأرض يُصلي لتَبتعد عنه السَّاعة، إن أمكن الأمر،**

٣٦ **قال: ((أَبا، يا أَبَت، إنك على كلّ شيء قدير، فآصرف عني هذه الكأس. ولكن لا ما أَنا أشاء، بل ما أنتَ تَشاء)).**

٣٧ **ثُمَّ رجعَ فَوجَدَهُم نائمين، فقال لبُطرس: ((يا سمعان، أَتَنام؟ ألم تقْوَ على السَّهر ساعة واحدة؟**

٣٨ **اسهَروا وصَلُّوا لئلاَّ تَقَعوا في التجربة. الرُّوحُ مُندفع. وأَما الجسدُ فَضَعيف)).**

٣٩ **ثُم مَضى ثانية يُصلي فُيردِّدُ الكلام نفسه.**

٤٠ **ورجعَ أيضا فوَجدهم نائمين لأن النُّعاسَ أثقل أَعُينهم، ولم يَدروا بماذا يُجيبونه.**

٤١ **ورجع ثالثة فقالَ لهم: ((ناموا الآن وآستريحوا! قُضي الأمر وأتَتِ السَّاعة. ها إن آبنَ الإنسان يُسلَمُ إلى أيدي الخاطئين.**

٤٢ **قوموا ننطلق، ها إنْ الذي يُسلمُني قد أقترب)).**

هذا المشهد المأساويّ بشكل خاص -وقد أعطاه لوقا اسم "التراع" (٢٢:٤٤)- يبدأ بالإشارة إلى المكان: "موضع اسمه جتسيماني" (آ٣٢أ). وحدَّد التقليد المكان الذي إليه مضوا، عند سفح جبل الزيتون (١٤:٢٦). كان هناك، وراء وادي قدرون، غابة زيتون مع معصرة لصنع الزيت: "معصرة زيت"، وهذا هو معنى كلمة "جتسيماني". قال يسوع لتلاميذه: "اقعدوا هنا بينما أنا أصلّي" (آ٣٢ب). لقد اعتاد المعلّم أن يعتزل بعيدًا للصلاة

(١:٣٥؛ ٦:٤٦). ولكنه في هذه المرَّة، أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنّا (آ٣٣أ)، وهو ثلاثيُّ أصدقائه. فقد جعل منهم الشهود المميَّزين لأحداث هامَّة في حياته: إعادة ابنة يائيرس إلى الحياة (٥:٣٧)، والتجلّي (٩:٢). كيف يمكن أن يكونوا بعيدين عن المعلّم ساعة "بدأ يشعر بالرهبة والكآبة" (آ٣٣ب)؟ فيسوع هو إنسان بملء الإنسانيَّة. وحين يرى الموت آتيًا، يخاف، وتجتاحه الكآبة كما تجتاح كلَّ إنسان يجد نفسه في مواجهة حدث لا يستطيع السيطرة عليه، ولا يستطيع أن يُدخله في عالمه المألوف: إنَّه الموت!

حتّى الآن، أظهر يسوع هدوءًا تامًّا أمام ما يُحاك. فتحدَّث مرقس فقط عن حزن تلاميذه (١٤:١٩). اما الآن، فقد سيطر الحزن على يسوع نفسه (آ٣٤). وإن بدا "حزينًا حتّى الموت"، فبسبب العزلة التي هي عزلته وفشل رسالته (أقلَّه في الظاهر). فطلب من أصدقائه الثلاثة أن يلبثوا في رفقته، ولكن مع بعض المسافة عنه. فيسوع لا يعتقد أنَّ أخصَّاءه الأقربين يقدرون الدخول في المأساة التي يعيشها (آ٣٥). لذا ابتعد عنهم بضعة أمتار. وهناك، ارتخت الأرض تحت قدميه. استلقى يسوع على الأرض من الأعياء، ودخل في "تجربة": هذه الأزمة حيث الأنا البشريّ يواجه الصراع مع المشيئة الإلهيَّة. انه يصلّي في العمق لكي تبتعد عنه "هذه الساعة": وهي الساعة التي فيها يتركه الجميع، وفيها يُسلَّم. وتفرَّد مرقس بين الإنجيليِّين فقدَّم لنا هنا جوهر صلاة يسوع (آ٣٦أ). لقد رفع نحو الله نداءً مؤثِّرًا، ودعاه في لغته الأراميَّة "أبَّا" أي "بابا". انها صرخة الأطفال الصغار نحو أبيهم. لم يكن اليهود يستعملون في صلاتهم هذا اللفظ الذي يتسم بالدالة في التوجُّه إلى الله. أما على لسان يسوع، فهو، اذن، تعبير عن وعي عميق بالعلاقات الفريدة التي تربطه شخصيًّا بالآب. انه يعلم أنَّ "كلَّ شيء ممكن" للآب (١٠:٢٧)، فتوسَّل إليه بإلحاح أن يبعد عنه "هذه الكأس". والكأس ترمز إلى الألم الذي ينبغي شربه حتّى الثمالة (١٠:٣٨). هوذا يسوع يجاهد بكلِّ قواه. انه مجرَّب (كما أعلن عن ذلك مشهد ١:١٢-١٣) بأن يُفلت من الموت الذي ينتظره. غير أنَّه يفهم أنَّ مخطَّط الله يتجاوز مشيئته الخاصَّة. لذا فهو يستسلم له بكلِّيَّته في الثقة (آ٣٦ب). لقد كان الصراع قاسياً. ولكنَّ يسوع الذي يسكنه إيمان ثابت بإرادة الآب، خرج من المحنة منتصرًا.

انتهت صلاة المعلّم، مرَّة أولى، فانضمَّ إلى أصدقائه، فتحقق من عدم وعيهم التامّ (آ٣٧). وإن هو دعا بطرس باسمه القديم: سمعان، فلكي يلوم رئيس الاثني عشر -وقد اختارهم ليكونوا معه (٣:١٤)- على أنَّه أخلّ بواجبه بشكل لا يُغتَفَر. من هنا كان الإرشاد التالي الملحّ ذو العبارات السامية التي يُساءُ مرارًا فهمها (آ٣٨). حتّى الآن، كان النعاس يشكّل التضاد مع حالة السهر. ولكن عندما ربط يسوع أمر السهر بأمر الصلاة،

فقد بيَّن انْ ليس المقصود عدم النوم فقط ، بل أنَّه يجب الثبات في السهر الروحيّ. وهذا يتطلَّب انتباهًا متواصلاً، على شبه انتباه البوّاب في المثل، وكان عليه ان يجنِّد كلّ كيانه لكي يستقبل سيِّده عندما يعود في أية ساعة من ساعات الليل (١٣:٣٤). إذًا، التلاميذ مدعوون بحرارة "ألاّ يدخلوا في تجربة". هذا الكلام قريب من طلبة "الأبانا" التي وحده مرقس لم يوردها (راجع متى ٦:١٣؛ لو ١١:٤ب). ما هي التجربة؟ في الأوقات الحرجة حيث الإنسان يستصعب الانضمام إلى أفكار الله، عليه ألا يستسلم إلى عدم الإيمان (٨:٣٣). والعبارة "الروح مستعدة ولكنَّ الجسد ضعيف" تأخذ في هذا السياق معنى خاصًّا. لقد فُهِمَتْ مرارًا على الطريقة اليونانيَّة حيث الإنسان مركَّب من واقعين متعارضين: النفس التي هي صالحة، والجسد الذي هو شرِّير. ولكن في اللغات السامية، يدلُّ "الجسد" على "الإنسان كلِّه" في ضعفه. فهو مدفوع إلى الخطيئة إن لم يترك "للروح" ان يفتحه على الله.

بعد أن قال يسوع هذا -وأحسن في ما قال- عاد إلى مكان صلاته. ولكنَّ عودة المعلِّم ثانية إلى أخصَّائه أكَّدت له من جديد -إذا كان ذلك ضروريًا- عدم قدرتهم التامّة على السهر (١٤:٣٩-٤٠). وهنا بدا مرقس متسامحاً جداً. فقد جعل هذا على حساب نعاس بسيط. بينما نحن بصدد لا ابالية مذنبة. ومرَّة أخرى، ولكن في أوقات اكثر خطورة، برهن التلاميذ بوضوح على عدم فهم تامّ للمأساة الشخصيَّة التي يعيشها يسوع. ويشهد على ذلك قول مرقس: "لم يعرفوا ماذا يقولون".

المجموعة تعكس جيدا حال أناس سريعي العطب، خاطئين، غير قادرين على مساندة معلِّمهم في مواجهة الموت. لهذا، وعبر تصاعد دراماتيكيّ، جعل مرقس يسوع يعود مرَّة ثالثة (وأخيرة) إلى ثلاثيّ معاونيه الحميمين (١٤:٤١). وهذا التدخُّل الأخير ليسوع يحمل بعض التهكُّم. الآن يستطيع أصدقاؤه أن يستسلموا إلى لاوعيهم. فلقد انتهى الأمر، "والساعة" هي هنا. والخيانة بحق ابن الإنسان لم تعد سوى مسألة وقت قصير جدًّا. كان مرقس أوَّل الإنجيليِّين الذين تكلَّموا عن "ساعة" ابن الإنسان. اما عند يوحنّا، فسيكون هذا موضوعًا موسَّعًا توسعًا كبيرًا (يو ١٢:٢٣-٣٠؛ ١٣:١؛ ١٧:١-٢؛ إلخ...). وينتهي كلُّ شيء بأمر من يسوع يقطع، بحزمه، كل صلة مع الأقوال السابقة: "قوموا ننطلق! اقتربَ ذاك الذي يسلِّمني" (١٤:٤٢). فيسوع الذي سندته صلاتُه، مستعدٌّ لمواجهة الخائن. هل يستطيع أصدقاؤه الآن أن يَخرجوا من الشلل الذي سيطر عليهم؟

بهذا الخبر ذي الكثافة النادرة، أراد الإنجيليّ ولا شك أن يجيب على أسئلة تطرحها جماعته على نفسها: إنَّ مسيحيِّي رومة المضطهَدين يختبرون "تجربة" يسوع: كيف يواجهون الموت دون أن يجحدوا إيمانهم؟ وهوذا مرقس يضع أمام أعينهم الصراع الذي

كان على المعلّم ان يجتازه لتقبُّل المشيئة الإلهيَّة، حتّى وان اقترنت بمخطط لا يُفهم. لقد بيَّن الإنجيليّ جيدا التضاد اللافت بين نعاس التلاميذ المذنب وبين صلاة يسوع الساهرة. والذهاب والمجيء ليسوع، على ثلاث دفعات، بين أبيه والرجال المرتخين، له معناه العميق. فالرقم "ثلاثة" في الإنجيل هو رقم الثبات: ثلاث مرَّات كرَّر يسوع، وهو في طريقه إلى أورشليم، أنَّه ينبغي على ابن الإنسان أن يسير نحو موته (٨: ٣١؛ ٩: ٣١؛ ١٠: ٣٢-٣٤). وكلُّ إنباء من هذه الإنباءات بالآلام دلَّ على إلحاح المعلّم حول المصير المحتوم الذي يستشفّه، في التضاد مع الانتظارات البشريَّة. وهنا أيضًا، فان نداءات يسوع الثلاثة إلى السهر وإلى الصّلاة، تريد أن تضع النقاط على الحروف. ومن وراء ذلك، دعا الإنجيليّ جميع تلاميذ المسيح ليردِّدوا، دون كلل، الطلبة الملحَّة في الصلاة الربية: "لا تُدخلنا في تجربة" (متى ٦: ١٣؛ لو ١١: ٤). فالعبارة، بأصلها الساميّ، تبدو غريبة: إنَّه ليس الله هو من يجرِّب. ولكنَّه هو الذي يدع الناس في هذه الأوضاع المؤزَّمة حيث يغيب فعله الخيِّر عن نظرهم. عندئذ يكون الإيمان في خطر كبير. فيجب إذًا أن نصلّي إلى الربِّ لكي يجنِّب مؤمنيه مثل هذا النوع من التجربة.

توقيف يسوع (١٤: ٤٣-٥٢)

٤٣ وبينما هو يَتَكلم، إذ وَصلَ يهوذا أحدُ الأثني عشر، ومَعه عصابة تَحملُ السُّيوف والعصي، أرسلها عُظماء الكهنة والكتبةُ والشيوخ.

٤٤ وكانَ الذي يُسلمهُ قد جعل لهم عَلامةً إذ قال: ((هو ذاك الذي أَقبله، فأمسكوه وساقوه مَحفوظًا)).

٤٥ ومَا إن وصل حتى دَنا منه فقال له: ((رابِّي!)) وقبّله.

٤٦ فَبسطوا أَيديهم إليه وأمسكوه.

٤٧ فآستل أحد الحاضرين سَيفه، وضرب خَادِمَ عظيم الكهنة فقَطعَ أُذنه.

٤٨ فقالَ لهم يسوع: ((أعلى لص خرجتم تَحملون السُّيوف والعصيَّ لتقبضوا عليَّ؟

٤٩ كُنت كُلَّ يوم بينكم أُعلم في الهيكل فلم تُمسكوني، وإنما حَدَث هذا لتتم الكُتُب)).

٥٠ فتركوه كُلُّهم وهربوا.

٥١ وتَبعهَ شابٌّ يَستُرُ عُريه بإزار فأمسكوه.

٥٢ فتخلى عن الإزار وهرب عريانًا.

لا يخشى مرقس ان تصدمنا الأحداث. فلم يكد يسوع قد انتهى من الكلام مع أصدقائه، في بستان الجتسمانيّة، وإذا بالخائن يصل على رأس فرقة تعمل لحساب السنهدريم (آ٤٣). ولقد شدَّد الإنجيليّ، مرَّة أخرى، على أنَّ يهوذا ينتمي إلى جماعة الاثني عشر، وانه من أهل البيت، لذا كان تصرُّفه بغيضًا جدًّا. فالفرقة التي يقودها يهوذا لا تعرف يسوع. ولكي يصبح يسوع فريسةً بين أيديهم، احتاجوا إلى "علامة اتَّفقوا عليها" (آ٣٣). وسوف يستعمل الخائن اشارة غير مشرِّفة (آ٤٥). لقد كانت تسمية "رابِّي" أي "معلِّمي" تسمية طبيعيَّة في ذلك الزمان في فم تلميذ تجاه مرشده. كما كانت القبلة التي ترافقها حركة مودَّة ملموسة. أمّا هنا، فالقول والفعل فاسدان فسادًا جذريًّا. وهكذا اصبحت "قبلة يهوذا" مشهورة في التاريخ، بصفتها علامة خيانة. وهي التي كانت منطلقا للقبض على يسوع (آ٤٦).

وكان لا بد لفعل العنف هذا ان يلقى ردًّا، فاستلَّ صديق المعلِّم السيف وقطع أذن خادم عظيم الكهنة (آ٤٧). لا يعطينا مرقس اسم ذاك الذي أراد أن يدافع عن يسوع. وسيشخّصه التقليد فيما بعد في بطرس (راجع يو ١٨:١٠). لا ينبغي ان نحّمل فعل المقاومة هذا أكثر ممّا يستحقُّ. فلقد أشار الإنجيليّ إلى هزليَّة العمل: انه استعمل صيغة التحجيم ليفهمنا أنَّ السيف لم يقطع سوى رأس الأذن. وبفضل التوسع التقليدي اللاحق، عرفنا اسم الخادم الذي جُرح: شخص اسمه ملخس (يو ١٨:١٠)، مع الشفاء الذي أجراه له يسوع (لو ٢٢:٥٠-٥١). لا يُقال في انجيل مرقس إنَّ المعلِّم وبَّخ المدافع الغيور عنه على هذا العمل الذي نقصته المهارة والحكمة. بل توجَّه بكلِّ هدوء إلى مهاجميه، مشدِّدًا على المفارقة في وضعه (آ٤٩أ). ففي الواقع، تصرَّف يسوع بصفة رابِّي مسالم، ويشهد على ذلك تعليمه العلنيّ. فلماذا يهاجمونه كأنه خارج عن القانون، وفاعل بلبلة خطر على النظام العام؟ واستخلص يسوع: "لكن ينبغي أن تتمَّ الكتب" (آ٤٩ب). لقد وُضعت هذه الكلمة هنا لرفع العثار الذي ما انفكَّ يسبِّبه القبض عليه لجميع الذين يتبعونه. إنه حدث غامض، لا يُفهم. العودة إلى الكتاب المقدَّس وحدها تجعلنا نقبله على انه إتمام لقصد الله السرّيّ. ولكن التلاميذ تصرفوا في الوقت الحاضر بشكل لا واعٍ. فإن كانوا قد تبعوا يسوع حتّى ذلك الحين، بالرغم من ضعفهم الكبير، ففي هذه اللحظة "تركوه كلُّهم وهربوا" (آ٥٠). ومعثرهم عامَّة كما سبق وأنبأ يسوع (١٤:٢٧). لم يبق ولا واحد ليفتدي المعلّم، بالرغم من تأكيداتهم المتكررة بالأمانة حتّى الموت (١٤:٣١). لقد كانت عزلة يسوع فيما مضى كبيرة، فصارت الآن كاملة. هل حصل هذا عمدًا أم عن طريق الصدفة؟

واختتم مرقس هذه الصفحة السوداء بخبر شغل بال القرّاء جـدًّا (آ٥١-٥٢). فكّر المفسرون أوّلاً أنّ الشابَّ المجهول الذي حاول أن يتبع يسوع، ثمّ أُجبر على الهرب، لم يكن سوى مرقس ذاته. فالإنجيليّ الذي رأى المشهد، دوّن ما تذكّره وكأنّه وقع عليه. ورأى آخرون في هذا الشخص اللغزي صورة للتلميذ الذي أُضطُرّ، شأنه شأن معلّمه، أن يواجه الموت عريانًا. غير أنّ الصور التي استعملها مرقس لهذا الخبر القصير، تشير بالأحرى إلى بعد رمزيّ أكثر عمقًا. يجب أن نلاحظ بأن "شابًّا" أيضاً أعلن القيامة، عند القبر المفتوح (١٦: ٥). سيكون جثمان يسوع ملفوفًا "بقماش" بسيط مثل هذا (١٥:٤٦). فمن المحتمل ان يرمز هذا الخبر الصغير إلى ما يلي: ظنّ خصوم يسوع أنّهم قبضوا عليه وسجنوه في الموت. ولكنّه أفلت، وقام، و لم يترك بين أيديهم سوى الكفن الفارغ! نحن نعرف أنّ مرقس، لا يقدّم تقريرًا دقيقًا عن الأحداث، لا في خبر الالام، ولا في سواه. فحين كتب هذا السيناريو الصغير، كان يسوع قد قام وخرج منتصرًا من الفخِّ الذي نصبوه له. وهكذا يوحي هذا السيناريو، ومن دون أي شك، بالنهاية السعيدة للمأساة.

يسوع أمام السنهدريم (١٤:٥٣-٦٥)

٥٣ **وذهبوا بيسوعَ إلى عَظيم الكَهنة، فأجتمع عُظماء الكَهَنة والشُّيوخ والكتبة كلهم.**

٥٤ **وتَبعه بطرس عن بُعد إلى دار عَظيم الكهنة فدخلها، وجَلس مع الخدم يَستدفئ عند النار.**

٥٥ **وكانَ عُظماء الكَهَنة والمَجلس كافة يَطلبون شَهادة على يسوع للحُكم عليه بالموت، فلم يجدوا.**

٥٦ **ذلك بأن أناسًا كثيرين كانوا يَشهدون عليه زورا فلا تتفق شهاداتهم.**

٥٧ **فقامَ بَعضهم وشَهدوا عليه زورًا قالوا:**

٥٨ **((نحن سَمعناه يقول: إني سأنقض هذا الهَيكل الذي صنّعته الأيدي، وأبني في ثَلاثة أيام هَيكلاً آخر لم تصنعه الأَيدي)).**

٥٩ **ولا على هذا آتَّفقَت شهاداتهم.**

٦٠ **فقام عظيمُ الكَهنة في وسط المَجلس وسأل يسوع: ((أما تُجيب بشيء؟ ما هذا الذي يَشهدُ به هؤلاء عليك؟))**

٦١ **فظل صامتًا لا يُجيب بشيء. فسأله عظيمُ الكَهَنة ثانية قال له: ((أأنت المسيحُ آبن المُبارك؟))**

٦٢ **فقال يسو: ((أنا هو. وسوفَ تَرونَ آبنَ الانسان جالسًا عن يَمين القَدير، وآتيًا في غمام السمَّاء)).**

٦٣ **فشقَّ عظيمُ الكَهنةَ ثيابه وقال: ((ما حاجَتُنا بَعدَ ذلك إلى الشُّهود؟**

٦٤ **لقد سَمِعْتُمُ التَّجديف، فما رَأيكم؟)) فأجمعوا على الحُكم بأنه يستوجب الموت.**

٦٥ **وأَخذَ بَعضهم يَبصُقون عليه، ويُقنّعون وَجههَ ويَلطمونه ويقولون: ((تنبَّأ!)) وأَنهال الخَدَمُ عَلَيهَ باللطم.**

لمّا القي القبض على يسوع، بدأتْ محاكمتُه بدون تأخير. ووضع مرقس على المسرح أعلى السلطات الدينيَّة في إسرائيل (آ٥٣). رئيس الكهنة في ذلك الزمان الذي لم يَذكر اسمه، كان يدعى قيافا (متى ٢٨:٥٧)، وكان شخصًا مرموقًا: الرئيس الأعلى للأمَّة. معه يجتمع "السنهدريم" أو "المجلس الأعلى"، وهو محكمة العدل العليا عند اليهود والتي تفرض نفسها مع ٧١ عضوًا. وتتألَّف من ثلاث فئات: "رؤساء الكهنة"، وهم يمثلون الارستقراطية الكهنوتيَّة المؤلَّفة من الصدُّوقيِّين (من نسل الكاهن صادوق الذي أقامه سليمان، ١ مل ٢:٣٥)؛ "الشيوخ"، وهم الأشراف من الشعب، والقريبون جدًّا من الصدُّوقيِّين؛ و"الكتبة"، وهم من كلِّ طبقات المجتمع، وكانوا تلك النخبة من حزب الفرِّيسيِّين، والعارفين الحاذقين بالشريعة ومفسِّريها.

إنَّ استعراض مرقس للسلطات القياديَّة اليهوديَّة كلِّها كاملة، طرح أسئلة خطيرة على المؤرِّخين. فالتشريع المعمول به كان يمنع السنهدريم من أن يعقد اجتماعًا رسميًّا في الليل، كما هي الحال هنا. ثمَّ إنَّ المجلس الأعلى لا يجتمع في قصر عظيم الكهنة، بل في قاعة مخصَّصة له في محيط الهيكل المقدَّس. لهذه الأسباب ولأخرى غيرها، وفق الاجراءات القانونيَّة في ذلك الزمان، لا يُحتمل أن تكون محاكمة حقيقيَّة جرت ليسوع بحضور السنهدريم. فالتقليد الذي نجده في إنجيل يوحنّا هو أكثر معقوليَّة. فيكون يسوع قد مَثُل امام عظيم الكهنة وحاشيته. وهناك، في الليل، خضع لاستجواب قصير قبل أن يسلَّم إلى المحكمة الرومانيَّة، في صباح الغد (راجع يو ١٨:١٢، ٢٤). وهكذا يكون مرقس، وتبعه من ثم متّى (٢٦:٥٧-٦٨)، قد قام بترتيب آخر للخبر. لماذا؟ ذلك ان المجرى الظاهر للأحداث لم يكن يهمُّه بقدر ما كان يهمُّه بُعدها الدينيّ. ولنقلها، مرَّة أخرى، أنَّ الكاتب، في الأزمنة القديمة، كان يفضِّل المدلول الديني للاحداث على دقتها المادِّيَّة. وهكذا اهتمَّ مرقس هنا -كما سنرى- بأن يبرِّز إعلان يسوع الاحتفاليّ حول هويَّته العميقة.

وقبل الوصول إلى ذلك، اشارت الرواية إلى أنَّ بطرس كان قد تبع يسوع من بعيد حتّى قصر عظيم الكهنة! وقد اختلط بالحرّاس في فناء الدار ليستدفئ على نار من حطب (آ٥٤). لقد توخَّت هذه الجملة المعترضة أن تُعدَّ المشهد التالي: نكران هو

الأوَّل بين الاثني عشر (١٤:٦٦-٧٢). بعد أن قال مرقس هذا، واصل سير الاستجواب الذي خضع له يسوع (آ٥٥). وها نحن على بيّنة. فاعضاء السنهدريم ليس امامهم سوى أمر واحد: أن يجدوا علَّة كافية ليحكموا على يسوع بالموت. إلا ان المحاكمة قد انتهت من قبلُ. انها احدى سخريات المحاكم. ومع ذلك تُعارض الوقائع مرمى متَّهميه: فيسوع هو بريء، وليس هناك أيُّ اتِّهام معقول ضدَّه. وتوالت الشهادات الكاذبة (آ٥٦). وبحسب الشريعة اليهوديَّة، ينبغي أن يتوافق كلام شاهدين على الأقل (تث ١٩:١٥). وحين كان الشهود الكذبة يتعاقبون، احتفظ مرقس باتِّهام رئيسيّ: يسوع مُتَّهم بأنَّه أراد أن يدمِّر الهيكل (آ٥٧-٥٨). وبدا هذا الاتِّهام مؤثرا جدا للقارئ بعد القيامة: فالهيكل الذي أُقيم في اليوم الثالث، والذي لم تصنعه الأيدي، هو جسد المسيح القائم من الموت (راجع يو ٢:١٩-٢٢). ولكن يصعب كثيرًا أن يكون يسوع قد سبق وتكلَّم بهذا الشكل. اما الصحيح فهو أنَّه أعلن نهاية الهيكل اليهوديّ من خلال الحركة الجريئة بطرد الأشخاص والأدوات المستعملة في شعائر العبادة (١١:١٥-١٨). فبهذه الفعلة جلب يسوع على نفسه عداوة رؤساء الكهنة والمتمسِّكين بالتقليد. ومع ذلك، فحتّى هذا الاتِّهام لم يكن كافيا لاستحصال الحكم عليه. وكانت تلك اللحظة حاسمة بالنسبة إلى مرقس (آ٥٩-٦٠): الشهود لم يتَّفقوا في ما قالوا. فاضطر عظيم الكهنة على التدخُّل بنفسه. ونتج عن ذلك اعتراف بكرامة يسوع العظيمة: فلقد لبث صامتًا أمام اتِّهامات الواشين. وسؤال القاضي الأعلى لم يحمله على تبديل موقفه. وشدَّد مرقس على أنَّ يسوع لبث في صمت لا يتزعزع (آ٦١أ). إلا ان هذا الصمت كان بليغاً. فالبارُّ، وهو على يقين من براءته، يصمت أمام الذين يدبِّرون مقتله (اش ٥٣:٧).

حينئذ حضر الوقت الجوهريّ للمشهد: سؤال عظيم الكهنة حول ادِّعاءات يسوع بشأن هُويَّته (آ٦١ب). انه سؤال مباشر. لا تحمل عبارة "ابن الله المبارك"، على لسان إنسان يهوديّ، بعدًا أرفع من عبارة "المسيح". و لم يكن بوسع اليهود أن يتصوَّروا مرسل الله الخاصّ لإقامة ملكه سوى إنسان لا غير. وفي هذه النقطة المحدَّدة من الاستجواب، قطع المتَّهم صمته ليعلن وحيًا مدهشًا (آ٦٢). فللمرَّة الأولى، في إنجيل مرقس، طالب يسوع علنًا بألقاب هي ألقابه الخاصَّة: مسيح متسام! حتّى الآن كانت هذه الهويَّة العميقة قد لبثت مكتومة باهتمام، بسبب لبسها. اما الآن، فيسوع هو سجين. وعشية موت لا رجعة فيه، لم يعدْ يخاف أن يكشف، في ملء النور، سرَّ شخصه. وفعل ذلك متبنياً عبارة، قدَّم نفسه دومًا، من خلالها، بصفته: "ابن الإنسان". ولكنَّه استعان، هذه المرَّة، بمقطعين كتابيَّين مقترنين، حدَّد من خلالهما بُعدهما كلَّه: "الجلوس عن يمين

القدير"، ليس فقط في مكان الشرف لدى سيِّد الكون، كما أُعلِنَ عن الماسيّا (مز ١١٠: ١)، وانما البلوغ إلى سلطان الله الكلي القدرة (راجع ما قيل في ١٢: ٣٥-٣٧). "والمجيء على سحاب السماء"، بحسب الصورة الواردة في سفر دانيال (٧: ١٣-١٤)، يعني تلقي ملء السلطات الإلهيَّة بصفة ديّان ومخلِّص شامل في نهاية الأزمنة. فبهذين المرجعين البيبليَّين، أعلن يسوع، بابّهة، امتيازاته الإلهيَّة. هل هو المسيح؟ نعم بالتأكيد. ولكن أكثر بكثير ممّا وضعه معاصروه على هذا اللقب. وسرعان ما أثار الاعتداد الذي أظهره بقوة، ردَّة فعل معادية، ورفضًا تامًّا وعنيفًا (آ٦٣، ٦٤أ). في الشرق القديم، كان تمزيق الثياب (أقلّه بضعة سنتيمترات) تعبيراً عن الاحتجاج والقرف. وفي الواقع، صاح عظيم الكهنة: يا للتجديف! ففي نظره، تفوَّه يسوع بأقوال تغيظ الله. وبحسب الشريعة اليهوديَّة، يستحقُّ المجدِّفُ الموت (أح ٢٤: ١٦). وانتهت القضيَّة. وبدون انتظار، لفظ السنهدريم، بكامل أعضائه، الحكم بالاعدام (آ٦٤ب). ما زال المؤرِّخون يجادلون ليعرفوا إن كانت السلطات اليهوديَّة، في زمن يسوع، وخلال الاحتلال الرومانيّ، احتفظت بحقِّ الحكم بالإعدام. ما هو أكيد في "حالة يسوع"، هو أنَّ قرار الحكم بالاعدام بحق النبي الجليلي، قد أُتُّخِذ في النهاية، لا عبر محاكمة دينيَّة حقيقيَّة، بل عبر محاكمة صورية.

وانتهى الخبر على مشهد من الاحتقار لا نظير له (آ٦٥). ومثل هذا التعامل غير اللائق لا يمكن أن ينسب، دون تحفظ، إلى أعضاء القضاء الأعلى. فالإهانات والسخرية الدنيئة كانت ولا شكّ من فعل الخدم والحرس.

من الواضح أنَّ مرقس، في هذا الخبر الطويل، لم يدّع تقديم تقرير دقيق عن ساعة الحكم على يسوع. فهدفه هو غير ذلك. فقد أراد أن يبيِّن لجماعته المسيحيَّة المسؤوليَّة التي وقعت على السلطات اليهوديَّة في موت المسيح. أمّا هو، فوسط الاتِّهامات والمساس بكرامته، تجلّى أنَّه البارُّ بامتياز. ومن المعقول جدًّا أن يكون الإنجيليّ قد سجَّل مدلولاً رمزيًّا في حركة عظيم الكهنة الذي مزَّق ثيابه (آ٦٣أ). نحن نعرف أنَّ مثل هذه الفعل كان محرَّمًا على شخص عظيم الكهنة (أح ٢١: ١٠). فإن هو فعل ذلك، في الوقت الذي يُعلن يسوع، بقوة، أنَّه المسيح المتسامي، فهذا يعني أنَّ "تمزُّقًا" عميقًا حصل (على مثال تمزيق حجاب الهيكل في ١٥: ٣٨): فنظام الشريعة اليهوديَّة وصل إلى نهايته. ومنذ الآن يجب أن ننظر الآن إلى يسوع بصفته الكاهن الأعظم الحقيقيّ للأزمنة الجديدة (عب ٩: ١١-١٢).

نكران بطرس (١٤: ٦٦-٧٢)

٦٦ وبَينما بُطرسُ في الأسفل، في ساحة الدَّار، جاءت جارية من جَواري عَظيم الكَهنةَ،
٦٧ فرأت بُطرسَ يَستدفئ فَتفرَّست فيه وقالت: ((أنتَ أَيضًا كُنت مع النَّاصري، مع يسوع)).
٦٨ فأنكر قال: ((لا أدري ولا أفهم ما تقولين)). ومضى إلى خارجِ الدَّار نَحوَ الدَّهليز،
٦٩ فَرأته الجارية فأخذت تَقولُ ثانيًا للحاضرين: ((هذا منهم!))
٧٠ فأَنكر ثانيًا. وبَعدَ قليل، قال الحاضرونَ أيضا لبُطرس: ((حَقا أَنتَ مِنهم لأنك جليلي)).
٧١ فأخذ يَلَعَنُ ويَحلف: ((إني لا أَعرف هذا الرجل الذي تَعُنونه)).
٧٢ فصاحَ الديك عندئذ مرة ثانية، فتذكر بُطرسُ الكَلمة التي قالها له يسوع: ((قبلَ أن يَصيحَ الدَّيكُ مرتين، تُنكرني ثلاثَ مرات)). فخرجَ على عَجَل وأخذَ يبكي.

قطع مرقس الكلام عن محاكمة يسوع ليبرز بالاكثر عزلة يسوع الكبيرة تجاه قضاته. وهيَّأت لذلك مشاهدُ كثيرة. ففي العشاءِ الأخير الذي تقاسمه يسوع مع تلاميذه، حين أعلن لهم عن خيانة واحد منهم، تساءل كلٌّ منهم: "هل أنا هو؟" (١٤: ١٩). وبعد قليل، في بستان الزيتون، أنبأ يسوع بوضوح تعثّر الفريق بأجمعه (١٤: ٢٧). وكان يسوع آنذاك قد سمع احتجاجاً قاطعًا من بطرس، كرّره الجميع من ثم (١٤: ٣١). ومع ذلك، حين القي القبض على المعلّم، هربوا جميعًا، وما لبث واحد معه (١٤: ٥٠). غير أنّ بطرس الذي كان بالتأكيد أكثر وعيًا لمسؤوليّاته الخاصّة، تبع يسوع من "بعيد" حتّى فناء قصر عظيم الكهنة (آ٦٦).

وهنا نجده من جديد جالساً يصطلي، حول منقل، مع موظّفي القصر (آ٦٧). عرفته خادمة ذكية من ملامح وجهه. ها قد رُفع القناع عنه بصفته حقّا تلميذاً ليسوع. وإن هو أنكر ذلك بقوّة، فتلك خطوته الأولى في الكذب (آ٦٨أ). وما ان أُخذ التلميذ في الفخّ، قطع ارتباطه بمعلّمه وحاول الهرب (آ٦٨ب). وما ان احسّت المرأة بذلك، وإذا بها تشكوه لدى الحرس(آ٦٩). وأنكر الرسول ثم أنكر (آ٧٠). ولكنَّه أُمسك في الكمّاشة. ها قد عُرف الآن من لهجته الريفيَّة (كما جاء في متى ٢٦: ٧٣). وهذه المرَّة، هل يستطيع بعدُ أن يدافع عن نفسه؟ فاليقين هو هنا؛ ولكنَّه يستمرُّ في نكرانه (آ٧١). واشار مرقس إلى التدرُّج الدقيق في الجبانة عند الرسول. تصرَّف أوَّلاً وكأنه يجهل كلّ ما حصل. إذ ان عبارة "لا أعرف"، تكرِّر، مرَّة أخيرة، عدم الفهم لدى التلميذ الذي دفعه يسوع إلى ان يرى فيه مسيحاً متألِّماً (٨: ٣١-٣٤). أمّا الآن، فجبانته اصبحت فاضحة، حين راح يحلف أن لا علاقة له البتة بهذا "الرجل" الذي يتكلّمون عنه.

إلا ان الساعة دقَّت، إذ دُعيَ بطرس إلى ان يعي خيانته (٧٢آأ). فمع أوَّل أضواء الفجر ومع صياح الديك، إضطُرّ رئيس الرسل إلى الاعتراف بعمق ضعفه. "فأخذ يبكي" (٧٢آب). وعبَّرت هذه التنهدات عن ندامته على جبانة مُذنبة.

وحين دوَّن مرقس هذا المشهد، لم يشأ أن يُحطّ من صورة من هو، لدى قارئيه، الأوَّل بين الاثني عشر. بل شاء ان يقيم مفارقة بين موقف يسوع الشجاع أمام قضاته، في ساعة المحنة (١٤:٥٣-٥٦)، وتعثّر أكثر أصدقائه أمانة. وهكذا دُعيَ مسيحيُّو رومة المضطهَدون إلى أن يتأمَّلوا الضعف البشريّ الكبير: فبطرس هو هنا نموذج التلميذ الذي يتخلّى عن المخاطرة بحياته في اتباع يسوع حتّى الصليب (راجع ٨:٣٤-٣٥).

يسوع أمام بيلاطس (١٥:١-١٥)

١٥ ١ **وما إن كانَ الفَجرُ حتّى أَجتمعَ عُظماءُ الكَهَنَةِ للشورى مع الشُّيوخِ والكَتَبةِ والَمجلس كُله، ثُم أَوثَقوا يسوعَ وساقوه وسَلموه إلى بيلاطس.**

٢ **فسأله بيلاطُس: ((أأنتَ مَلكُ اليَهود؟)) فأجابه: ((هو ما تقول)).**

٣ **وكانَ عُظماء الكَهَنة يَتَّهمونه اتِّهامات كثيرة.**

٤ **فساله بيلاطُس ثانية: ((أما تُجيب بِشَيء؟ أُنظرْ ما أكثر ما يشهدون به علَيكَ)).**

٥ **ولكنَّ يسوعَ لم يُجب بشيء بَعدَ ذلك حتَّى تَعَجَّبَ بيلاطُس.**

٦ **وكانَ في كُلِّ عيدٍ يُطلقُ لهم سَجينًا أيَّ واحد طَلبوا.**

٧ **وكانَ رجُلَ يُدعى برأَبَّا مَسجونًا مع الُمشاغبينَ الَّذين آرتَكبوا جريمَةَ القَتْل في الفتنة.**

٨ **فصَعد الجَمعُ وأخذوا يطلبونَ ما كانَ من عادته أن يَمنَحَهم.**

٩ **فأجابهم بيلاطُس: ((أتُريدون أن أطلق لكم مَلكَ اليهود؟))**

١٠ **لأنَّه كانَ يَعلَمُ أنَّ عُظماء الكهنة من حسدَهم أسلموه.**

١١ **فأثار عُظماء الكَهَنة الجمَع لكي يُطلق لهم بالأحرى بَرابًّا.**

١٢ **فتكلم بيلاطُس ثانيًا قالَ لهم: ((فماذا أفعلُ بالذي تَدعونه ملك اليهود؟))**

١٣ **فعادوا للصياح: ((أصلبه!))**

١٤ **فقال لَهم بيلاطُس: ((فما الذي فعلَ منَ الشر؟)) فأزدادوا صياحًا: ((اصلبه!))**

١٥ **وأَراد بيلاطُس أَن يُرضي الجَمع، فأطلق لهم بَرأَبَّا، وبعد ما جَلَد يسوع أسلمه ليُصلب.**

بعد الوقفة عند نكران بطرس (١٤:٦٦-٧٢)، واصل مرقس خبر محاكمة يسوع (آ١أ). فبالنسبة إلى الإنجيليّ، هي الجلسة الثانية للسنهدريم (راجع ١٤:٥٣)، وقد جرت في الصباح. لا نعرف شيئًا عن مضمونها. لنذكّر أنّ هذه الجلسة، حسب القوانين اليهوديَّة، كانت الوحيدة (لو ٢٢:٦٦). وشدَّد مرقس على مبادرة المصفّ الكهنوتي في انعقاد المجلس، وذلك لكي يُحال يسوع إلى السلطة المدنيَّة (آ١ب). هوذا يسوع مقيَّد (مثل لصٍّ خطر) و"مسلَّم" إلى بيلاطس. من شأن هذه الخطوة أن تُفهَم بشكل افضل لو كانت السلطات اليهوديَّة بحاجة إلى سماح من السلطة المحتلّة لتنفيذ الحكم بالإعدام. يظهر بيلاطس هنا للمرَّة الأولى في الإنجيل. انه شخص يعرفه مسيحيُّو رومة جيدًا، فلا حاجة إلى أن يُقدَّم لهم. ولكن من هو؟ إنه الممثّل الرسميّ للإمبراطوريَّة الرومانيَّة. انه حاكم دعته كتابة مدوَّنةٌ من القرن الأوَّل (وجدَتْ سنة ١٩٦١ في قيصريَّة على البحر) باسم "والي اليهوديَّة". فهو يمسك بزمام السلطة الإداريَّة في هذه المقاطعة. وكان يصعد إلى أورشليم، من شاطئ البحر المتوسِّط حيث يقيم، خلال الأعياد اليهوديَّة خوفًا من تمرُّد شعبيّ. وإليه رُفعت "قضيَّة يسوع"، بصفته أعلى سلطة سياسيَّة في البلاد.

لم يدّع مرقس، هذه المرَّة أيضًا، أن يقدِّم تقريرًا مفصَّلاً عن هذه المقابلة، بل أوجز إلى اقصى الحدود استجواب الحاكم (آ٢أ). وجاء سؤال بيلاطس خشناً، وبدون مقدِّمة. ونرى في الحال أنّ التهمة تبدَّلت. فأمام عظيم الكهنة، كان يسوع قد اتُّهم بأنَّه مسيح يدّعي انه الله. ومثل هذا الادّعاء الدينيّ لا يمكنه أن يثير اهتمام الحاكم الرومانيّ. أمّا عبارة "ملك اليهود"، فهي، على العكس، تهمة ذات شأن. انها تتَّخذ على لسانه رنَّة سياسيَّة خاصَّة. ففي نظر كثير من يهود ذاك الزمان، ألم تكن المهمة الأولى للمسيح الآتي، طرد المحتلّ الرومانيّ خارج أرض الوطن، واعادة مملكة داود؟ ولهذا، ما نسب يسوع يومًا لنفسه لقب "ملك اليهود". وهنا، فهو لا يجيب بيلاطس قائلاً: "أنا هو"، بل "أنتَ تقول" (آ٢ب). وهذا التحفُّظ مليء بالفطنة. فيسوع لا يمكن أن يُحسَب مواطنًا خطرًا، أو يُعتبر تهديدًا مباشرًا للسلطة المحتلّة. ولكنَّ ابناء دينه أكثروا من "الاتّهامات" ضدَّه (آ٣). لا يحدِّد مرقس ما هي. وبعد ذلك، سوف يؤكّد لوقا أنَّ أهل السنهدريم اتَّهموا يسوع، من دون تردد، أنَّه يحرِّك القلاقل السياسيَّة: "وجدنا هذا الرجل يحرِّك الأمَّة على الثورة، ويمنع من دفع الجزية لقيصر، ويقول إنَّه المسيح الملك" (لو ٢٣:٢). وهذا الاتِّهام هو الأخطر بالنسبة إلى السلطة الرومانيَّة. وهوذا بيلاطس يحمل يسوع على الجواب (آ٤). وشدَّد مرقس من جديد على الصمت الذي به يقابل البارُّ المفترين عليه (١٤:٦٠-٦١). ولم يعد الحاكم نفسُه ينال كلمة واحدة من المتَّهَم (آ٥). وصمتُ يسوع المطبق عند مرقس، في لحظة

مصيرية، يوحي ولا شك بموقف الخادم المتألّم المرسوم في الكتاب المقدَّس: "أُسيئت معاملته وهو خاضع، وما فتح فمه. مثل حمل يُساق إلى الذبح، ومثل نعجة صامتة أمام الذين يجزُّونها..." (اش ٥٣:٧).

وازداد ارتباك بيلاطس مع هذا الحدث الجديد (آ٦). فالعادة (ولا تُذكَر خارج الإنجيل) تقضي بأن يستعمل الحاكم حقَّه بالعفو خلال عيد يهوديّ. لقد أُعطيت له الفرصة، إذن، عشية الفصح، أن ينقذ حياة يسوع. اما ماضي برأبّا الثقيل، فهو يجعل منه سجينًا يصعب إطلاق سراحه: إنَّه ثائر قاتل أُخذ في الجرم المشهود (آ٧). ولكنَّ الشعب طالب بالعفو عن سجين. وللمرَّة الأولى، في رواية الآلام، يدخل شخصٌ جديد: الجمع (آ٨أ). من الصعب -هنا كما في الإنجيل كلِّه- أن نقدِّر حجمه؛ قد لا يكون بالضرورة كبيراً، ولكنَّه لعب دوره. وبيلاطس، بصفته دبلوماسيًّا محنَّكًا، عرض عليه العفو عن "ملك اليهود". كانت تلك لعبة ذكية حدَّد مرقس دافعها. فبيلاطس كان يكره اليهود (آ١٠). لم يكن يجهل أنَّ سلطاتهم كانت تحسد يسوع على تأثيره لدى الجموع (راجع يو ٧: ٤٥-٤٩). والانجيلي، لكي يوازن الامور، شدَّد على الضغط الذي مارسه الكهنة على الشعب ليطلبوا بالأحرى العفو عن برأبّا (آ١١). وحاول بيلاطس حقًّا أن يقترح عليهم من يُدعى "ملك اليهود". وإلاَّ، ماذا يفعل به؟ عندئذ صعَّد الجمع صراخه: "اصلبه" (آ١٣). وفي نهاية هذا الاستجواب، نرى مرقس يسعى إلى تبرئة ساحة بيلاطس. وطرح الحاكم، للمرَّة الأخيرة، على الجمع، السؤال الأساسيّ حول يسوع: "فأيَّ شرٍّ عمل؟" (آ١٤أ)، وهو على يقين من براءة يسوع. ولكنَّه وجد نفسه في مواجهة مع الغضبة الشعبيَّة (آ١٤ب). ويصعب، في الحقيقة، معرفة كيف أنَّ الجمع، بتحريض من الكهنة، انحدر باتجاه البغض ليسوع. لقد كانت صرخاتهم قاسية، وعلى لسانهم، وللمرَّة الأولى، صدح الصراخ: "اصلبه!". كان الصلب العذاب الرومانيّ المحفوظ للعبيد وللمجرمين وللإرهابيِّين. وحتّى المؤرِّخون في ذلك الزمن، يتكلَّمون عنه برعب. غير أنَّ الإنجيليّ اختتم الخبر بأمور مشكّكة جدًّا (آ١٥أ). فبجبانة واضحة خضع بيلاطس في النهاية أمام تعصُّب الجمع: اطلق سراح القاتل وسلَّم البار إلى العقاب. وهذا يشير إلى حصَّته من المسؤوليَّة -وليست قليلة- في موت يسوع. لا شكَّ في أنَّ التقليد مال، شيئًا فشيئًا، إلى إعفاء بيلاطس واتِّهام السلطات اليهوديَّة بالاكثر، في الجدال القائم بين الكنيسة الفتيَّة والمجمع اليهوديّ (راجع رسل ٣:١٣-١٥). لكنَّ السلطة الرومانيَّة هنا لم تتبيَّض صفحتُها تماماً. ولا يُخفي مرقس دناءة الحاكم المعثِّرة. لقد كان لنا الحقُّ أن ننتظر منه اطلاق سراح يسوع. ولكنَّه لم يتردد من "تسليم" البريء إلى عقاب الصليب المشين. ولم يكذب

المؤرخون القدامى حين رسموا ملامح بيلاطس بصفته شخصاً محتقراً وقاسياً. ومع ذلك، لا يُعتبَر الجلد الذي سامه ليسوع (آ١٥ب) قسوة إضافية منه. فقد كان مقدِّمة اجباريَّة للصلب. وتقوم العملية بأن يُجلَد المحكوم عليه (بسوط ذي سيور من جلد مذيّلة بقطع من رصاص) لكي يَضعف، فتخفّ عليه قليلا العذابات الجسدية التي ترافق الرفع على الصليب.

وهكذا ينتهي خبر محاكمة يسوع. من الواضح أنَّ مرقس بسَّط في مجرى الاحداث لكي يُبرز بُعدها الديني. وأمّا المؤرِّخون، فمالوا إلى الاعتقاد بأنَّ المحاكمة قد اختُزلت، سيما وان السلطات اليهوديَّة كانت تريد أن تنهيها قبل عيد الفصح. واتَّخذ المثول أمام بيلاطس شكل محاكمة سريعة. فيسوع لم يكن مواطنًا رومانيًّا، ولم يستطع أن ينعم بالإجراءات القضائيَّة المرتبطة بهذه الصفة. ومن جانب آخر، استطعنا أن نعرف أنَّ الاتِّهام ضدَّه اختلف خلال الاستجوابات: كان في الأول اتِّهاماً دينياً لا غير، أمام القضاء اليهوديّ، ومن ثمَّ تحوّل إلى وجه سياسيّ لدى السلطة الرومانيَّة. فعلى ثلاث دفعات، تكررت عبارة "ملك اليهود" على لسان بيلاطس، وكأنها ردَّة (آ٢، ٩، ١٢). وهكذا يتضح أنَّ يسوع حُكم عليه أنَّه يُقلق السلامة العامَّة. ونفهم كيف تدهورت الأمور. لقد اتّهمه أهلُ دينه بأنَّه مجدِّف، فاستحقَّ الحكم بالإعدام. وبحسب الشريعة اليهوديَّة، كان عليه أن يُرجم (أح ٢٤:١٦). وكان الرجم، وهو تقليديّ لدى اليهود، موتاً لا يقلُّ قساوة عن الصلب. ولو تم ذلك، لاستحق يسوع في القليل أن يُعتبر "شهيد" القضيَّة الدينيَّة التي دافع عنها بشجاعة (راجع لو ٣٤:١٣). غير أنَّ يسوع لم يُرجَم، بل رُفع على الصليب بصفة ثائر سياسيّ. وهكذا نجح رؤساء الكهنة، عبر هذه الضربة الفنِّيَّة الدنيئة، بأن يسلبوا من المسيح معنى موته بالذات.

مشهد الهزء (١٥: ١٦-٢٠)

١٦ فساقَه الجُنودُ إلى داخل الدَّار، دار الحاكم، ودَعَوا الكَتيبة كُلها،

١٧ وألبسوهُ أُرجُوانًا، وكَلَّلُوه بإكليل ضَفروه من الشوك،

١٨ وأخذوا يُحيُّونه فيقولون: ((السلام علَيكَ يا مَلك اليَهود!))

١٩ ويَضربونَه بقَصَبَةَ على رأسه ويَبصُقون عليه، ويَجثونَ له ساجدين.

٢٠ وبَعدَ ما سخروا منهُ نَزَعوا عنه الأُرجوان، وألبسوه ثيابه وخَرَجوا به ليَصلبوه.

جُلد يسوع كمقدِّمة لصلبه (١٥:١٥). وفيما كانت تنتظم الفرقة التي ستنفِّذ الإعدام، سُلّم إلى ملاعيب الجنود (آ١٦-١٧). إنها سخرية تستدعي الشفقة! لقد أشار

قرار حكم بيلاطس إلى ملوكيَّة يسوع. وكان ينبغي، إذن، أن يُقلَّد هذا الملك الشارات الملكيَّة: الرداء القرمزيّ والإكليل، ولكنَّه كان إكليلاً من شوك. إنها سخرية شرِّيرة. وكانت المشاهد الملكيَّة الصورية في غاية السخافة، مع ما فيها من اذلال (آ١٨-١٩). وتذكِّر الضربات والبصاق بما أصاب خادم يهوه من إهانات (اش ٥٠:٥-٦). ولكن مرقس أوضح جيداً التضاد بين هذه الألعاب القاسية وكرامة المسيح الملك (آ٢٠).

الصلب على الجلجلة (١٥:٢١-٣٢)

٢١ وسَخرُّوا لحَمْل صليبه أحدَ المارَّة سِمْعانَ القيريني أبا الإسكندر وروفُس، وكانَ آتيًا من الرِّيف.

٢٢ وساروا به إلى المَكانِ المَعروف بالجُلْجُثة، أي مكانِ الجُمْجُمة.

٢٣ وقدَّموا إليه خَمْرًا مَمزوجة بمُرٍّ فلم يتناولها.

٢٤ ثُمَّ صَلَبوه وَٱقتسَموا ثيابه، مُقترعين عليها ليعرفوا ما يأخُذُ كُلّ منهم.

٢٥ وكانت السَّاعةُ التَّاسعة حينَ صَلَبوه.

٢٦ وكُتبَ في عُنوان علَّةِ الحُكم علَيه: ((ملكُ اليهود)).

٢٧ وصَلَبوا معه لصَّين،

٢٨ أحَدُهما عن يَمينه والآخَرُ عن شماله.

٢٩ وكانَ المارَّةُ يشتُمونه وهُم يهزونَ رُؤوسَهُم ويقولون: ((يا أيُّها الذي يَنقُضُ الهَيكلَ ويبنيه في ثَلاثة أيَّام،

٣٠ خَلِّصْ نَفْسك فٱنزل عن الصليب)).

٣١ وكذلكَ كانَ عُظماء الكَهنة والكَتَبةُ يَسخرونَ فيقولُ بَعضهم لبَعض: ((خَلَّص غيرهُ من الناس، ولا يقدرُ أن يُخلِّصَ نَفْسه!

٣٢ فَلْيَنزل الآن المسيحُ ملكُ إسرائيل عَنِ الصَّليب، لنرى ونُؤمن)). وكان اللَّذان صُلبا معه هُما أيضا يُعَيِّرانه.

وأتى وقت تنفيذ حكم الإعدام (آ٢١). جاءت رواية مرقس موجزة ولكنها دقيقة. لقد اكتفى بأن يشير إلى "درب الصليب". كان على المحكوم عليه أن يحمل هو ذاته العارضة الافقية التي عليها تمتدُّ ذراعاه، حين تعلَّقان بالحبال أو بالمسامير، في مفصل اليدين. ولما كان أضعف من أن يواصل الطريق، سخَّروا عابر سبيلٍ لهذه المهمَّة. أعطى الإنجيليّ اسمه: سمعان، رجل أفريقيّ من القيروان، يعرف القرّاء الرومان ولديه، الإسكندر

وروفس. ثمَّ تأتي أسماء موضع العذاب التي لا تُنسى (آ٢٢). من هذه التسميات، نعلم ان "الجلجثة" (في الأراميَّة) هي تلَّة صخرية بشكل جمجمة، تقع إلى الغرب من أورشليم، خارج الأسوار، بالقرب من احد ابواب المدينة. وكان يطيب للرومان أن يعرضوا المحكومين لرؤية الناس الداخلين إلى المدينة والخارجين منها: يجب ان يصبحوا "عبرة". على هذه التلَّة الدائرية، المرتفعة، انتصبت عواميد مغروسة مسبقا في الأرض. وكان يكفي أن يُرفَع عليها جسم المعذَّب ويعلَّق بذراعيه، فيأتي الموت في بضع ساعات، باختناق بطيء.

نعرف من التلمود أنَّ بعض النساء الوجيهات يقدِّمن المساعدة للمصلوبين. يعطينهم ليشربوا (آ٢٣أ) مزيجًا من الكحول والعطور، هو نوع من المخدِّر، لكي يفقدوا شيئا من وعيهم. لم يقبل يسوع ذلك (آ٢٣ب). بل أراد أن يحتفظ بوعيه التامّ حتّى النهاية. وتصبح ملابس المصلوب حقاً للجنود (آ٢٤). واحتفظ مرقس بهذا التفصيل؛ ولكنَّه قرأه، بحسب عادته، على ضوء الكتاب المقدَّس، حيث يلقي الجلادون القرعة على ثياب البارِّ المضطهَد (مز ٢٢:١٩).

"وكانت الساعة التاسعة حين صلبوه" (آ٢٥). تفرَّد مرقس بين الإنجيليِّين وابدى اهتمامًا خاصًّا بساعات الصلب: في الساعة التاسعة، صُلب؛ وفي الظهر، كانت الظلمات (آ٣٣)؛ وفي الثالثة بعد الظهر، الموت (آ٣٤). لسنا هنا أمام مؤشرات زمنية، بل أمام معطيات ليتورجيَّة. فتوزع الصلبُ بوتيرة ثلاث ساعات متتالية، بحسب الصّلاة اليهوديَّة في الهيكل، كما تبناها من ثم المسيحيُّون الأوَّلون (رسل ٢:٤٦؛ ٣:١). وهكذا اصبح كلُّ شيء قد قيل الآن: يسوع عريان بالكامل، عُرِّف عنه بكتابة رسميَّة بصفته ملكاً محتقرا، عرشه الصليب، والحاضرون، لصّان: واحد عن اليمين وآخر عن الشمال (آ٢٦-٢٧).

وينتهي المشهد بهزء أتاه من عامَّة الشعب (آ٢٩-٣٣): هزّ الرؤوس احتقارًا، يوحي من جديد بما جاء في المزمور ٢٢:٨-٩. وتكررت هنا، من مشهد المحاكمة، شهادة الزور الكاذبة حول الهيكل (١٤:٥٨). وتعبِّر بوضوح آخر سخرية (آ٣١-٣٢أ) عن التجربة الأخيرة التي يواجهها يسوع: أن يقوم بمعجزة تنجِّيه من الموت بحيث يَفرض نفسه على الجميع (٨: ١١ب). ويكون "عثار" الصليب قد رُفع! فالمؤمنون يُدعَون هنا لكي ينضمُّوا إلى يسوع في أمانته التامَّة لقصد الله الخفيّ من أجل خلاص البشر (١٠:٣٢-٣٤). واشار الإنجيليّ إلى ذروة الاحتقار بحق المعذَّب في الجملة الأخيرة: كان رفيقاه في العذاب يشتمانه (آ٣٢ب).

موت يسوع (١٥: ٣٣-٤١)

٣٣ ولما كانَ الظهرُ خيَّمَ الظَّلامُ على الأرض كُلها حتَّى السَّاعة الثَّالثة.

٣٤ وفي السَّاعة الثَّالثة صَرخَ يسوعُ صَرخة شديدة، قال: ((أَلُوي أَلُوي، لما شَبَقْتاني؟)) أي: إلهي إلهي، لِماذا تركتني؟

٣٥ فسَمعَ بَعضُ الحاضرينَ فقالوا: ((ها إنَّه يَدعو إيليَّا!))

٣٦ فأسرعَ بَعضُهم إلى إسفنجة وبلَّلَها بالخَلِّ وجَعَلَها على طَرفِ قصبة وسَقاه، وهو يقول: ((دَعُونا نَنْظر هلى يأتي إيليا فُيترله)).

٣٧ وصَرخَ يسوعُ صَرخة شَديدة ولفظ الرُّوح.

٣٨ فانشق حجابُ المَقدس شَطرَيْنِ من الأعلى إلى الأسفل.

٣٩ فلَمَّا رأى قائدُ المائَةِ الواقفُ تُجاهه أنَّه لفظ الروح هكذا، قال: ((كانَ هذا الرَّجُلُ آبنَ اللهِ حَقًّا!))

٤٠ وكانَ أيضا هناكَ بعضُ النساء يَنظرن عن بُعْد، منهن مَريمُ المجدلية، ومريم أُمُّ يعقوبَ الصَّغير ويوسى، وسالومة،

٤١ وهُنَّ اللواتي تَبعنَه وخدمته حين كان في الجليل، وغيُرهن كثيرات صَعدن معه إلى أُورشليم.

وجاء الوقت المشؤوم: هوذا يسوع يلفظ نفَسَه الاخير. لقد خصّ مرقس روايته بإيجاز كبير، مع التشديد، في الوقت نفسه، على الطابع الحاسم للحدث عبر الاشارة إلى الظلمات (آ٣٣). لسنا هنا بصدد ملاحظة تاريخيَّة، بل رمزيَّة. كان الأنبياء القدماء قد تصوَّروا تدخُّل الله في نهاية الأزمنة عبر انقلاب كونيّ. فالظلمة التي تحلُّ على الأرض، في قلب النهار، تنبئ، لا بالموت، بل بالخلاص القريب (راجع عا ٨: ٩-١٠). لقد أتت "الساعة" التي فيها مات المسيح. فمنذ الاستجواب أمام بيلاطس، لم ينبس يسوع بكلمة (١٥: ٢). وها هو مرقس، هنا، يقدّم لنا أقواله الأخيرة (آ٣٤). إنها محيِّرة، ممّا أسال الكثير من الحبر ! كيف نفهمُها؟ لقد أطلق يسوع صيحةً في لغته الأم، الأراميَّة، فترجمها مرقس حالاً من أجل قرَّائه اليونان. وهذه الصيحة هي تضرع مأخوذ من بداية صلاة (مز٢٢: ٢). كانت هذه الصّلاة بمثابة تشكي البريء المضطهَد، وهي تبدأ بهذا الندب الحزين ("إلهي، إلهي...")، ولكنها تُختَم باليقين من أنَّ الله لا يتخلَّى أبدًا عن الأمين له (مز ٢٢: ٢٣-٣٠). وهكذا، لا نجد على لسان يسوع المنازع صراخ يأس. ومع ذلك، أراد الإنجيليّ أن يُبرز العزلة الكبيرة التي يُوجد فيها البارُّ المنازع، بعد أن تركه، لا البشر فقط، بل الله نفسه

أيضًا. في هذه اللحظة، عرف يسوع عمق الضيق البشريّ. ولن نستطيع أن ننسى أبدًا وطأة الكلمات الأخيرة حين لفظ نفسه الأخير.

لم يشأ العابرون الذين يواصلون السخرية أن يروا في كلمات يسوع الأخيرة سوى نداء إلى النجاة من الموت (آ٣٥). وبالفعل، في العقليَّة اليهوديَّة لذلك الزمان، كان يُعتَقَد ان النبيّ إيليّا يأتي لمعونة المؤمنين في نزاعهم (آ٣٦ب). وإن كان أحدهم قد مزج سخريته مع سخرية الآخرين ("انتظروا! سوف نرى هل يأتي إيليّا..."؟)، إلا انه قام ببادرة إنسانيَّة. لم يكن العطش من أقلّ عذابات المصلوب (آ٣٦أ). فـ"الشراب الممزوج بالخل" هو أيضًا تلميح إلى المزمور ٢٢ الذي يشكّل خلفيَّة للتأمُّل في مجمل الرواية. "وصرخ يسوع صرخة عالية وأسلم الروح" (آ٣٧). لقد جاء كلام مرقس موجزًا جدًّا في هذا الوقت الجوهري. فما يهمُّه فوق كلّ شيء هو أن يُبرز المدلول العميق لموت يسوع. وفي الواقع، ليس تمزُّقُ حجاب الهيكل طرفة (آ٣٨). يا له من رمز! ففي العالم اليهوديّ، كان عظيم الكهنة وحده، مرة في السنة، يستطيع أن يلج إلى قلب الهيكل (وراء ستار المعبد): في حضرة الله. منذ الآن، ألغيَ هذا الحجاب الفاصل. وهذا يعني أنَّ شعائر العبادة اليهوديَّة قد بَطُلت. فجميع البشر -بمن فيهم غير اليهود- يستطيعون الآن أن يقتربوا بحرِّيَّة من الله. وموضوع المشهد التالي هو تحديد هذا الحدث الجديد تحديدًا ملموسًا جدًّا (آ٣٩). لقد شدّد عليه مرقس بقوَّة: ففي شخص هذا الجنديّ الرومانيّ (الذي كان يراقب تنفيذ الحكم)، هو العالم الوثنيّ كله بدأ يهتدي. على الفور، أعطى هذا الغريب ليسوع أكثر ألقابه سمواً. فهو ليس فقط المسيح الذي انتظره اليهود، بل "ابن الله". وأضفى الإنجيليّ على هذه الكلمات المعنى القويّ الذي ستتَّخذه فيما بعد، للتعبير عن ملء الإيمان المسيحيّ: الله صار إنسانًا في يسوع المسيح.

هذا ما نراه في المفارقة التي تضمنتها الرواية: فيما كان اليهود (جمع العابرين، وعلى رأسهم القادة) يهزأون بالمسيح المصلوب، هيذي أنقى عبارة إيمان على لسان وثني. ولما كان مرقس يتوجه إلى المهتدين في رومة، الآتين من العالم الوثنيّ، كانت عبارته ذات إيحاء رائع: ارتداد الشعب اليهوديّ، قابله دخول الأمم الوثنيَّة في الكنيسة (راجع رسل ١٣:٤٦-٤٨).

في الوقت عينه، اقتاد مرقس قارءه إلى ذروة إنجيله. كان السؤال المطروح بشأن يسوع، كما نذكر، منذ بداية إنجيله: "من هو هذا الرجل؟" ومع اعلان إيمان بطرس باسم الاثني عشر، كانت عتبة أولى قد أُجتيزت: الا وهي أن يسوع هو حقًّا "المسيح" (٨:

٢٩). ولكنَّ هذا الإيمان الفتيّ كان بحاجة إلى تعميق. وكانت آلام يسوع وموته الفرصة لذلك. أما مع فعل إيمان قائد المئة، فقد تمّت الخطوة الحاسمة: يسوع هو "ابن الله"، كما أعلن ذلك صوت الآب في عماده (١:١١). وبحسب التمنّي الذي عبَّر عنه يسوع إبّان "قضيَّة" الهيكل، صار حضور الله الآن مفتوحًا "لجميع الأمم" (١١:١٧). لا شكَّ أنَّ هذا اليقين الرفيع تجسّد على ضوء قيامة يسوع ودخول الوثنيِّين في الكنيسة الأولى. وكان من الضروري أن يتم تفكير طويل – قرابة أربعين سنة– في الجماعة المسيحيَّة؛ وينبغي أن لا يُقلَّل من قيمة الزمن.

لم نعرف إلا في نهاية الرواية (آ٤٠-٤١) فقط، ومن طرف خفيّ، أنَّ نساء رافقن يسوع خلال رسالته في الجليل. لقد كنّ يتبعنه ويخدمْنَه. ذلك أمر فريد في حياة رابِّي يهوديّ. ويذكر مرقس أسماءهنَّ، ممّا يشدِّد على صفتهنَّ الخارقة كـ"شاهدات". لقد كانت الشجاعة لأولاء النسوة اللواتي صعدن إلى أورشليم، أن يتبعن يسوع حتّى الصليب، بينما ترك الرسلُ معلّمهم منذ إلقاء القبض عليه (١٤:٥٠). ويقول النصّ إنَّهنَّ "كن ينظرن عن بعد". من الأكيد أنهنَّ، لكونهن نساء، لم يُسمَح لهنَّ بالاقتراب من المصلوب، وسيُقمن الصلة بين هذه الأحداث الثلاثة المتواصلة: موت يسوع، وضعُه في القبر (١٥:٤٧ي)، وخصوصًا الاكتشاف أنَّه حيّ، صباح الأحد (١٦:١ي).

الدفن (١٥:٤٢-٤٧)

٤٢ **وكانَ المساءُ قد أَقبلَ، ولَمَّا كانَ ذلك اليومُ يومَ التَّهيئَة، أي الَّذي قبلَ السَّبت،**

٤٣ **جاء يوسف الرامي، وهو عُضو وجيه في المَجلس، وكان هو أَيضًا يَنتظر ملكوتَ الله، فَحَمَلته الجُرأةُ على أن يَدخُل إلى بيلاطس ويَطْلب جُثمانَ يسوع.**

٤٤ **فَتعَجَّبَ بيلاطُسُ أن يكونَ قد مات. فدعا قائد المائة وسأله هل ماتَ مُنذُ وقت طويل.**

٤٥ **فلما تحقق الخَبرَ منَ القائد، سَمحَ بالجُثمانِ ليوسُف.**

٤٦ **فَاشترى يوسُفُ كتانا ثُمَّ أنزَلَ يسوعَ عنِ الصَّليب، فلَفَّه في الكَتَّان ووضَعه في قبر حُفرَ في الصَّخر، ثُم دَحرَجَ حَجَرًا على باب القَبْرِ.**

٤٧ **وكانت مَريمُ المجدليةُ ومَريمُ أُمُّ يوسى تَنظرانِ اين وُضعَ.**

يريد هذا الخبر القصير أن يثبِّت موت يسوع الحقيقيّ، ويشير في الوقت عينه إلى السرعة الخارقة التي تم فيها دفنه. فالرومان لم يكونوا يهتمُّون بدفن المصلوبين. اما الشريعة اليهوديَّة، فكانت تأمر بأن تُنزل جثّة المعدومين بالشنق، قبل هبوط الليل (تث ٢١:٢٢-٢٣).

وفي وضع يسوع، كان الاستعجال مطلوباً بالاكثر: لأنَّ المساء حلّ (آ٤٢)، والسبت، يوم الراحة التامّ، يبدأ دوماً في العشيَّة. وكان يجب أن تُنجز الاشغال يوم الجمعة قبل أن يحلّ الليل. هذا ما يشرح أن الأمور سارت بسرعة، بشأن جسد يسوع. ويوسف الرامي، لم نكن نعرفه من مكان آخر. فهذا الوجيه اليهوديّ في السنهدريم كان متعاطفاً مع قضيَّة يسوع (آ٤٣)، فتشجَّع ومضى إلى بيلاطس ليطلب جثمانه. واستفسر الوالي عن واقع وفاة يسوع، وسمح بأن يؤخذ الجسد (آ٤٥). فمن خلال فعل يوسف وسماح بيلاطس، نجدنا أمام شهادة رسميَّة عن الحدث.

وان شراء الكفن ووضع الجثمان فيه، بدون أيِّ طقس تطييب، تلك علامة على سرعة أكيدة (آ٤٦). كما ان مرقس لا يحدِّد الموضع الذي يوجد فيه القبر. وانما نطّلع فقط أنّه كان مدفنًا عاما لدى اليهود في ذلك الزمان: هي غرفة محفورة في الصخر، وفي الداخل مقعد صغير من حجر. وفيها تُوضَع الجثَّة الملفوفة بكفن، بدون تابوت. ثمَّ يُدحرج حجر كبير أمام المدفن، به يغلق المدخل. وأشار مرقس من جديد إلى نظرة المرأتين اللتين تبعتا يسوع حتّى الموت، وإلى اسميهما (١٤: ٤٠-٤١). وهذه النظرة، هي التي تضمن تواصل "الشهادة" حول أسس الإيمان المسيحيّ (آ٤٧).

القبر المفتوح (١٦: ١-٨)

١٦ ١ **ولَمَّا آنقضَى السبت أشترت مَريمُ المجدلية ومَريمُ أُمُّ يعقوبَ وسالومة طيبًا ليأتين فيُطيبنه.**

٢ **وعندَ فَجرِ الأَحد جئنَ إلى القَبْر وقد طَلَعت الشَّمس.**

٣ **وكانَ يقولُ بعضُهُنَّ لبعض: ((مَن يُدحرج لنا الحَجَرَ عن باب القَبْر؟))**

٤ **فنظرن فرَأين أنَّ الحَجَرَ قد دُحرج، وكانَ كبيرًا جدًّا.**

٥ **فدَخلنَ القَبْرَ فأبصَرْنَ شَبًّا جَالسًا عن اليمين عَليه حُلَّة بيضاء فارتعبن.**

٦ **فقالَ لهنَّ: ((لا تَرتَعبن! أَنتن تَطلُبنَ يسوعَ النَّاصري المَصْلوب. إنه قامَ وليس ههنا، وهذا هو المَكانُ الذي كانوا قد وضَعوه فيه.**

٧ **فأذهبنَ وقُلن لتَلاميذه ولبُطرس: أنه يَتَقَدمكم إلى الجليل، وهُناك ترونه كما قال لكم)).**

٨ **فخرجْنَ من القبر وهَرَبْنَ، لما أخذهُنّ مِنَ الرِّعدة والدَّهَش، ولم يَقُلنَ لأحدٍ شيئًا لأَنَّهُنَّ كُنَّ خائفات.**

حين نقرأ هذا الخبر الذي تنتهي به رواية الالام، نودُّ مرَّة أخرى أن نحسبه تقريرًا

مباشرًا من موقع الحدث! ولكن مرقس، كما رأينا، بالرغم من حيوية قلمه، ليس البتة مراسلاً صحافيًّا يدوِّن على الفور تقريرًا عن الحدث الذي ينقله. فمن وراء سمات واقعية تتضمنها الرواية، نستشفُّ خبرة إيمان عميق نضج في قلب جماعة مسيحيَّة، في اعقاب أربعين سنة من التأمُّل (سنة ٣٠-٧٠). لذلك، سنكون أكثر انتباهًا إلى البلاغ الذي يريد مرقس أن يوصله عبر التفاصيل التي يوردها.

بعد السبت، واصلت الحياة مجراها الطبيعيّ (آ١). فالمشهد يجري يوم السبت مساءً، حين تظهر أوَّل نجمة في السماء لتشير إلى نهاية يوم الراحة المقدَّس. وقبل الليل العميق، تُفتَح المتاجر من جديد، ويبدأ اليهودُ أشغالَهم. كانت، في الواقع، ثلاث نساء شهدن موت يسوع (١٥: ٤٠)، وقد مضين يشترين الطيوب ليطيِّبن الجثَّة (عمل لم يتمَّ في المساء، لأنَّ الوقت كان قد فات). لسنا أمام تخيط بالمعنى الحصريّ للكلمة، على الطريقة المصرية، بل بازاء مسح الجسم بالعطور بحسب العادة اليهوديَّة (يو ١٩: ٤٠). وفي مفارقة يعشقها مرقس، حلَّ محلَّ ظلمات الموت (١٥: ٣٣-٣٤) نورُ يوم جديد (آ٢). وكدَّس الإنجيليّ هنا كلَّ رموز ولادة عهد جديد. فلقد لمَّح بشكل خفي إلى صباح الخلقة (تك ١: ٣-٥): انها بداية جديدة لعالم جديد: "اليوم الأوَّل من الأسبوع"، من بعد السبت اليهوديّ، يصبح يوم الأحد عندنا، يوم الربِّ القائم من الموت.

هذا الفجر الجديد سبق النسوة اللواتي كان اهتمامهنَّ أن يمضين ويؤدِّين الواجب الأخير تجاه الميت الذي دُفن اول الأمس. وبدا سؤالهنَّ مبتذلاً جدا ومتأخِّرًا جداً (آ٣): هنَّ يعرفن حقّ المعرفة أنَّ فقط بوسع رجلين أو ثلاثة معًا أن يدحرجوا الحجر الثقيل جدًّا الذي يغلق المدفن. أمّا مرقس، فلا يهتمُّ هنا، كما في مواضع أخرى، بنفسية شخوصه. وما اهتمامُ النسوة هنا إلا بهدف تأطير، بشكل اكبر، المفاجأة التي تلي: اكتشفن أنَّ الحجر الذي يستحيل عليهنَّ تحريكه، قد دُحرج (آ٤). ذلك ان "يدًا لامنظورة" تتجاوز القوى البشريَّة، تدخلت. نقرأ في اليونانيَّة: "دُحرج الحجر". فصيغة المجهول هذه تشير إلى عمل الله نفسه، دون أن تسمِّيه (راجع ملاك الله الذي يحلُّ محلَّه فيدحرج الحجر بحسب متى ٢٨: ٢). فالقبر المفتوح ليس سوى المفاجأة الأولى. والمفاجأة الأخرى، وهي أكثر أهمِّيَّة، كانت تنتظر النسوة: رؤية شابّ، جالسٍ عن اليمين، عليه ثوب أبيض (آ٥أ). ومثل هذه الرؤية تصدم القارئ العصري: ماذا يعني هذا الشخص الغريب، الجالس واللابس هكذا، محلَّ الميت؟ لقد شخّصه مرقس بأنَّه "شابّ". ونفكِّر حالاً في ذلك الذي، حين توقيف يسوع، أفلت تاركًا القماش (كأنه كفن؟) الذي كان يلفُّه، بين أيدي مُلاحقيه (١٤: ٥١-٥٢). وهناك ما هو أكثر؛ فنحن نرى الشابَّ "جالسًا عن اليمين"... انه موضع

الكرامة الذي يعترف المسيحيُّون به للمسيح الممجَّد "الجالس عن يمين الله" الآب (راجع ١٦:١٩ب). وأخيرًا، كان "عليه لباس أبيض"، تمامًا كما تراءى يسوع لتلاميذه في التجلّي (٩:٣). كلُّ هذا يكاد يشير إلى "ترائي" يسوع! ولكنَّ الإنجيلي لا يقول ذلك. وتحدَّث التقليد الإنجيليّ هنا عن ملاك أو "ملاكين" (متى ٢٨:٢ب-٣؛ لو ٢٤:٤؛ يو ٢٠:١٢). فالملائكة "مرسَلون" من لدن الله، ويَحلُّون حقًّا محلَّ حضوره اللامنظور. ودخولُهم إلى المسرح يعني أنَّ البلاغ الذي يحملون، لا يأتي من البشر بل من الله ذاته.

أعلن الشابُّ، بالفعل، البشارة المميَّزة التي تتجاوز التصوّر البشريّ (٦ب). ويكمن بلاغُ الملاك في مفارقة مذهلة: المصلوب أقيم من الموت. فذاك الذي مات تلك الميتة القاسية على الصليب، عاد إلى الحياة: إنَّه حيّ! ذاك هو البلاغ "الفصحيّ" كما أعلنه الرسل للشعب (راجع رسل ٢٢:٢-٣٦؛ ١٢:٣-٢٠؛ إلخ...). وعبَّر ارتباك النسوة عن الرهبة الدينيَّة العميقة التي تستولي على البشر، أمام ما هو فائق الطبيعة. وعبارة "امتلكهنَّ الخوف" (٦أ) قويَّة جدًّا، وينفرد بها مرقس، هو الذي يشدِّد دومًا على الهوَّة التي تفصل بين البشر والله (راجع ١:٢٧؛ ٩:١٥؛ ١٠:٢٤أ). فبشرى انتصار يسوع على الموت لا يمكن أن يُسكَت عنها. فالنساء مدعوّات إلى ابلاغها إلى التلاميذ، وفي مقدمتهم بطرس (٧). وجميع التلاميذ مدعوُّون إلى ان يمضوا "إلى الجليل" حيث يعود القائم من الموت، ليمشي أمامهم. ماذا يعني هذا؟ فان الجليل، في شمال فلسطين، هو المكان الذي فيه افتتح يسوع رسالته (١:١٤-١٥)، وحيث واصلها طويلاً حتّى صعوده إلى أورشليم (٩:٣٠). فالجليل، في نظر الإنجيليّ، هو الوسط النموذجيّ للتمازج بين اليهود والوثنيِّين، ورمز الانفتاح باتِّجاه العالم كلِّه. دُعي التلاميذ، اذن، ليجتمعوا من جديد وراء يسوع القائم من الموت، من أجل انطلاقة جديدة نحو الرسالة (راجع الاطار: جغرافيَّة مرقس).

وهكذا وجدت النساء أنفسهن حاملات برنامجًا رائعًا: إطلاق الإنجيل من جديد بقوَّة جديدة.

ولكن ماذا نقرأ؟ هربن بعد أن سيطر عليهنَّ الخوف، وما قُلنَ لأحد شيئًا (٨). إنه موقف محيِّر تمامًا. وهو يصدم القارئ، ولا سيما حين يعلم ان إنجيل مرقس ينتهي بهذه الكلمات (من الآية٨). والاختصاصيون متفقون كلُّهم على ان ما يلي (١٦:٩-٢٠)، أي الخاتمة، ليست من قلم الإنجيليّ. انه "ملحق" أضيف فيما بعد على مؤلَّفه، قصدا، لكي يمحو هذه النهاية الخشنة ويقدِّم نهاية جميلة.

يجب علينا، إذن، أن نوضح لماذا خُتم إنجيل مرقس، أولاً، بخوف النسوة وهربهنَّ

وصمتهنَّ؟ أوَّلاً، الخوف: لقد أرانا النصُّ اولاء النسوة "مرتعدات، متحيِّرات". وكان مرقس أمينًا حتّى النهاية لهذه السمة المستمرَّة في إنجيله: في حضرة التجلّي الإلهيّ، يدخل الإنسان في ذهول كبير. ذلك كان وضع الجموع (١٢:٢)، كما كان وضع التلاميذ أمام معجزات معلّمهم (٤٢:٥ب؛ ٥٠:٦). فكيف يمكن للوحي الرفيع بقيامة يسوع ألا يُلقي النسوة في الرعدة والمخافة والرجفة؟

ومن ثمَّ كان الصمت. أن لا تقول النسوةُ شيئًا لأحد، فذلك يصدمنا جداً، سيَّما وأنَّهنَّ تسلَّمن بلاغًا كان عليهن أن يوصلنه (آ٧). وإذا لم يوصلنه هنَّ بالتالي -كما يشهد على ذلك سائر الإنجيليِّين (متى ٨:٢٨؛ لو ٩:٢٤؛ يو ٢-١٨)- فهذا يعني أنَّ التلاميذ لن يكونوا قد عرفوا شيئًا... ولا نحن أيضًا! غير أنَّ صمت النسوة هذا هو أيضًا، دون ريب، أسلوب مرقس. فالإنجيليّ كان قد بيَّن، هنا وهناك، كيف أن وحي يسوع وصل بأصدقائه إلى استحالة فهم سرِّه ("خافوا أن يسألوه"، ٣٢:٩)؛ فليس بمدهش، إذن، أن يكون الخوف والصمت اولى ردّات الفعل لدى النسوة أمام إعلان قيامة المصلوب، وهو إعلان لا نظير له. فالبشرى بأن "المسيح قام" ستبقى دومًا البشرى التي يصعب جدا إعلانها، طالما ان هذه الحقيقة الفريدة تتحدَّى كلَّ البراهين.

قد تدهشنا، اذن، نهاية إنجيل مرقس. ولكنَّها تشدِّد بقوَّة على أنَّ القبر "المفتوح، والبلاغ الإلهيّ الذي تضمّنه، لا يُقبَلان إلاَّ في الإيمان العاري: إنَّها "الخبرة" المميَّزة التي اختبرها أولئك الذين تبعوا المعلِّم عبر آلامه وقيامته.

الخاتمة

ترائيات يسوع وارسال التلاميذ (١٦: ٩-٢٠)

٩ قام يسوعُ فجرَ الأحد، فتراءى أوَّلا لمَريمَ المِجْدلية، تلك الَّتي طردَ منها سبعة شياطين.

١٠ فَمَضت وأخبرتِ الذين صَحبوهن وكانوا في حُزْنٍ ونحيب.

١١ فلمَّا سَمعوا أَنَّه حَيّ وأَنها شاهدته لم يُصدِّقوا.

١٢ وتَراءى بعدَ ذلك بهيئةٍ أُخرى لاثنين مِنْهُم كانا في الطريق، ذاهبينِ إلى الريف،

١٣ فَرجعا وأخبرا الآخرين، فلم يُصدِّقوها ايضًا.

١٤ وتراءى آخر الأمر للأحد عَشرَ أَنفُسهم، وهُم على الطعام، فَوبَّخهم بعدَم إيمانهم وقَساوة قُلوبهم، لأَنَّهم لم يُصدِّقوا الَّذين شاهَدوه بعدَ ما قام.

١٥ وقالَ لهم: ((إذهبوا في العالمِ كُله، وأَعلنوا البِشارةَ إلى الخلقِ أَجمعين.

١٦ فمن آمَنَ وآعتمد يَخلُص، ومن لم يؤمنْ يُحكم عليه.

١٧ والذين يُؤمنونَ تَصحبهم هذه الآيات: فبآسمي يَطرُدون الشَّياطين، ويَتكَلمون بلُغات لا يَعرفونها،

١٨ ويُمسكون الحَيَّات بايديهم، وإن شَربوا شَرابًا قاتلاً لا يُؤذيهم، ويضعون أيديهم على المرضى فَيَتَعافون)).

١٩ وبَعد ما كَلمَهُم الرَّبُ يسوع، رُفع إلى السَّماء، وجلس عن يمين الله.

٢٠ فذهب أُولئك يُبشرونَ في كل مكان، والرَّبُّ يعملُ معهم ويُؤيِّد كلمته بما يصحبها منَ الآيات.

إنَّ الآيات التي تقفل حاليا إنجيل مرقس لا تنتمي إلى هذا الكاتب. فهي غائبة في عدد من المخطوطات الهامَّة. وهي تختلف كليا بأسلوبها المجرَّد عن مفردات مرقس الواقعية والمصوَّرة. فهي، بحسب الأخصتصاصيين، مقطع "أضيف" جليًّا ليخفِّف من الجرح الذي سبَّبته نهاية الإنجيل الخشنة: خوف النسوة وهربهنَّ خارج القبر الفارغ (١٦: ٨).

ومع ذلك، فلهذا المقطع قيمته: انه ينتمي إلى الكتابات الملهمة. ويلتقي مع الأناجيل الثلاثة الأخرى التي تورد كلُّها "ترائيات يسوع" بعد خبر القبر المفتوح، للنسوة أوَّلاً، ومن ثمَّ للتلاميذ، وأخيرًا لمجموعة الرسل (راجع متى ٢٨:٩-٢٠؛ لو ٢٤:١٣-٤٩؛ يو ٢٠:١١-٢٩). غير أنَّ المؤلف الذي كتب هذه الخاتمة، جعلها في صيغة "موجز"، كرّر فيها معطيات لوقا (بشكل خاصّ) ويوحنّا، دون تفاصيل.

ونجدنا، أوَّلاً، ازاء الترائي المميَّز لامرأة هي من اكثر اللواتي "رافقنه" تعلقا (آ٩). فالخبر المفصَّل لهذا الترائي لمريم المجدليَّة، نجده في يوحنّا (٢٠:١١-١٨). وتحدَّث لوقا أيضًا عن هذه المرأة، الأمينة ليسوع، بمفردات مماثلة (لو ٨:٢ب). وان عبارة المرأة ذات "الشياطين السبعة" جعلت من مريم المجدليَّة، في التقليد، خاطئة تائبة. ولكنَّنا نعرف أنَّ يسوع طرد أيضًا الشياطين من المرضى (على سبيل المثال ٣:١٠-١١). فقد لا تكون مريم المجدليَّة خاطئة بالضرورة. وقد نكون ربَّما بصدد امرأة شفاها الربُّ من مرض خطير...

في الأناجيل الأربعة، كما هي الحال مع مريم المجدليَّة، كانت النسوة حقا اولى المؤمنات، واصبحت من ثم أولى المرسَلات اللواتي حملن البشارة، حين لم يكنَّ ينعمن آنذاك بأيِّ حقٍّ عام (آ١٠-١١). ولنقلها: انَّ هذا النصَّ يرفع الحزن العميق الذي غرق فيه التلاميذ بعد موت يسوع. فلا ينبغي أن نتجاهل زمن الحداد التاريخيّ هذا، بالاعتقاد أنَّهم كانوا يترقبون قيامة معلِّمهم. فالكاتب، على العكس، شدَّد على غياب الإيمان الواضح لدى أصدقاء يسوع: انهم رفضوا أن يصدِّقوا "الخبرة" التي عرفتها النسوة بأنَّه "حيّ" (راجع لو ٢٤:٩-١٠). وورد ذكر اعتلان يسوع، بشكل خاصّ، لاثنين من تلاميذه (آ١٢). فالإشارة واضحة إلى المقطع الرائع عن "تلميذي عمّاوس"، وقد رواه لوقا (٢٤:١٣-٣٥). والألفاظ الواردة "بشكل غير عاديّ" تدلُّ على يسوع "المتخفِّي"، وهو يمشي مع قليوفا ورفيقه (لو ٢٤:١٥-٣٦). وأخيرًا نجدنا بازاء اتِّهام أخير بعدم الإيمان يتوجَّه إلى الرسل (آ١٣).

ويسوع، بعد هذين الفشلين الواضحين في الكشف عن ذاته، هل ترى سيلاقي الإيمان لدى الذين كانوا معاونيه الأقربين؟ لا شيء يؤكد ذلك (آ١٤). ونجدنا في قلب

خبر الترائيات. نحن الآن بصدد "الأحد عشر"، أي جماعة الاثني عشر باستثناء يهوذا. فهي الحلقة الرسوليَّة التي صارت -في جميع الأناجيل- الشاهد الرسميّ للقيامة. ونرى يسوع من جديد يوبِّخ أصدقاءه على عدم إيمانهم وعلى قساوة قلوبهم. ففي كلٍّ من الأناجيل، نجد هذا الواقع الذي يشهد، بأنَّ أوَّل حركة من الأحد عشر، كانت الشكَّ والشكَّ العميق (راجع متى ١٧:٢٨؛ لو ٣٧:٢٤-٣٨؛ يو ٢٥:٢٠-٢٧). إنها سمة تاريخيَّة أكيدة، وينبغي ألاَّ ننساها! فبعد هذا التوبيخ بعدم الايمان باتجاه شهود المستقبل، لا يذكر المؤلف الاخير لانجيل مرقس علامات التعرُّف التي منحها يسوع لأصدقائه ليحملهم على الإيمان (راجع أثر الجراح، لو ٣٩:٢٤؛ يو ٢٠:٢٠). ولكنه سرعان ما يصل إلى الإرسال الذي كان يشكل الهدف من ترائيات يسوع. وان شموليَّة هذا الإرسال لهي في غاية الوضوح (آ١٥). وهكذا نستطيع هنا أن نقدِّر الوعي الرائع لدى الكنيسة الأولى، وقد عرفت أنَّها مدعوَّة لتحمل الإنجيل إلى جميع البشر، لا بل إلى الخليقة كلِّها.

ويضيف يسوع أنَّ إيمان المعمَّد يخلِّصه. أمّا ذاك الذي يرفض أن يؤمن، فيُحكم عليه (آ١٦). في هذه الجملة، تعبيرٌ عن إدراك آخر هو في منتهى الحيوية لدى المسيحيَّة الفتيَّة. ذلك ان إعلان البشرى يجب أن يقود إلى الاهتداء، وإلى الإيمان. والمعموديَّة تأتي بمثابة تتويج طبيعيّ لمسيرة المؤمن. إنَّها تقبل المؤمنين في جماعة الخلاص (راجع في المعنى عينه رسل ٣٨:٢؛ متى ١٩:٢٨). لا يجوز أن نفصل الإيمان عن المعموديَّة -وبالأكثر، لا المعموديَّة عن الإيمان- وأن لا نفصلهما عن درب الخلاص الذي يدفعان إليه. لأن رفض الإيمان، الإراديّ والحرّ، لدى الذين يعرفون البشارة، يُحسَب إدانة لهم. قد يكون الكاتب فكَّر بشكل خاصّ بمأساة الشعب المختار الذي، بمجمله، رذل يسوع؟ و يعلن النصُّ أخيرًا أنَّ المؤمنين يكتسبون مصداقية عبر الآيات التي يُعطى لهم أن يقوموا بها (آ١٧-١٨).

إنَّ يسوع، خلال رسالته الخاصَّة، أجرى عددًا من الآيات لتصديق تعليمه. وفي سفر أعمال الرسل، نرى التلاميذ يجرون العجائب ليثبِّتوا بشارتهم (راجع فيلبّس، رسل ٨: ٤-٧؛ بطرس، رسل ٣٢:٩-٤٣؛ إلخ...). ونجد هنا لائحة ببعض هذه العلامات "العجيبة": طرد الأرواح النجسة بحسب الطبِّ القديم (رسل ١٢:٥-١٦؛ ٧:٨؛ ١٦: ١٦-١٨)؛ "التكلُّم" بلغات غير معروفة، وهي موهبة ترافقها هبة الروح القدس أحيانا (رسل ٤:٢-١٣؛ ٤٤:١٠-٤٦؛ ١ قور ٢:١٤-٤٠)؛ وضع الأيدي على المرضى من

أجل شفائهم (رسل ٤:٣٠؛ ٩:١٠-١٧)؛ مسك الحيّات دون أذى، كما في الرواية الواردة عن مار بولس (رسل ٢٨:٣-٦). إنَّ مجمل هذه العلامات، وبعضها قديم جدًّا (ومطبوع بحضارة الشرق في زمن يسوع) يكشف عن السلطة الحاسمة للقائم من الموت على قوى الشرِّ والموت. إنها الشهادة بأنَّ الإنجيل يريد أن يكون بلاغًا يحمل قوَّة خلاص.

بعد هذه الرواية الأخيرة عن ترائي يسوع لفريق الأحد عشر وإرسالهم للتبشير، مع الوسائل للقيام به، أنهى المؤلف كلامه بسلسلة من الصور اللافتة (آ١٩). وتأتي جملة موجزة لترسم للقارئ الوضع الجديد للمسيح القائم من الموت. انه "رُفع إلى السماء". ذلك هو الصعود. ونجدنا بازاء طريقة بيبليَّة مصوَّرة تقول بأنَّ يسوع القائم من الموت ترك الأرض لينضمَّ إلى الله في مكانه الخاصّ: السماء. والرفع إلى السماء لرجال أبرار وقدِّيسين سلكوا مع الله خلال حياتهم على الأرض، هو موضوع معروف في التقليد اليهوديّ (راجع أخنوخ في تك ٥:٢٤؛ إيليّا في ٢ مل ٢:٩-١٨). أمّا الهدف من صعود يسوع، فهو خاصّ. فالنصّ يحدِّد: "وجلس عن يمين الله". هذا يعني، وعبر الصور دوماً، أنَّ يسوع صار حقًّا مسيحًا وربًّا بقيامته. فلقد أعطاه الله أن يقاسمه ملء سلطاته الإلهيَّة، بصفة ديّان ومخلِّص لكلِّ البشر حتّى نهاية الأزمنة (راجع هذا الموضوع الذي رُسمت ملامحه في مر ١٣:٣٥-٣٧؛ وتوسَّع فيه سفر الاعمال٢:٣٢-٣٦).

لا تُذكر هنا عطيَّة الروح يوم العنصرة (على العكس من رسل ٢:٣٢-٣٣؛ ومن يو ٢٠:٢٢)، مع انها العطيَّة المسيحانيَّة الجوهريَّة للمسيح القائم من الموت، وهي التي أتاحت للتلاميذ أن يَدخلوا تماماً في الإيمان الفصحيّ. فالروح القدس الذي نالوه، هو وحده، بوسعه أن يفسّر الاندفاع الرسولي الذي صُوِّر في النهاية (آ٢٠). فالأحد عشر انطلقوا يعلنون بشارة الربِّ القائم من الموت. ورافقت كلمتهم (التي أتت من الله وتدفقت من الروح) علامات جعلت الناس يصدِّقونها.

ومرَّة اخرى واخيرة، اصبحنا بازاء الوعي الحي الذي اجتاح الكنيسة الفتيَّة بأنها مُرسَلة "إلى كلِّ مكان" في العالم، لتعلن بشرى الفرح، بشرى المسيح المصلوب والعائد إلى الحياة، ليفتح منذ الآن لجميع البشر ينابيع الخلاص الشامل. وتشدِّد الكلمةُ الأخيرة على

حضور ناشط وفاعل للربِّ يسوع في عمل الرسالة: فالقائم من الموت ذاته "يعمل" مع المؤمنين. والإنجيل هو قوَّة الخلاص للجميع: أي الذين يشهدون له والذين يتقبَّلونه في الإيمان (راجع مثل بولس في رسالته إلى مسيحيِّي رومة ١:١-١٧).

المحتوى

كلمة الناشر ٧

مقدمة: كتاب ليس كسائر الكتب ٩

مخطط لانجيل مرقس ١٨

مطلع:من يوحنا المعمدان إلى يسوع (١:١-١٣) ١٩

العنوان (١:١) ١٩

١. رسالة يوحنا المعمدان (١:٢-٨) ٢١

٢. عماد يسوع (١:٩-١١) ٢٣

٣. التجربة في البرية (١:١٢-١٣) ٢٥

المحطة الأولى ٢٧

من نداء الرفاق الاولين إلى تاسيس مجموعة الاثني عشر

(١:١٤-٣:١٢)

بشرى الله (١:١٤-١٥) ٣٠

دعوة التلاميذ الاولين (١:١٦-٢٠) ٣١

تعليم يعطى بسلطان (١:٢١-٢٨) ٣٤

شفاء حماة بطرس (١:٢٩-٣١) ٣٧

نجاح واضح (١:٣٢-٣٤) ٣٩

صلاة ورسالة (١:٣٥-٣٩) ٤٠

شفاء ابرص (١:٤٠-٤٥) ٤٢

الغفران المعطى للمسيح (٢:١-١٢) ٤٥

دعوة لاوي والطعام مع الخطأة (٢:١٣-١٧) ٤٨

الصوم والعريس (٢:١٨-٢٢) ٥٠

السنابل المقلوعة: رب السبت (٢:٢٣-٢٨) ٥٢

الرجل صاحب اليد اليابسة (٣:١-٦) ٥٤

يسوع والجموع (٣:٧-١٢) ٥٧

المحطة الثانية ٥٩

من تاسيس الاثني عشر إلى ارسالهم

(٣:١٣-٦:٦)

يسوع يؤسس الاثني عشر (٣:١٣-١٩) ٦٢

تدخل قرابة يسوع (٣:٢٠-٢١) ٦٣

يسوع وابليس (٧:٢٢-٣٠) ٦٤
اسرة يسوع الحقيقية (٣:٣١-٣٥) ٦٦
الخطبة بالامثال (٤:١-٣٤) ٦٧
مثل الزارع (٤:١-٩) ٦٨
لماذا الامثال (٤:١٠-١٢) ٦٩
شرح مثل الزارع (٤:١٣-٢٠) ٧١
مثل السراج (٤:٢١-٢٣) ٧٢
مثل الكيل (٤:٢٤-٢٥) ٧٣
مثل الزرع الذي ينمو وحده (٤:٢٦-٢٩) ٧٣
مثل حبة الخردل (٤:٣٠-٣٢) ٧٤
خاتمة خطبة الامثال ٧٥
اربعة افعال قدرة من يسوع (٤:٣٥-٥:٤٣) ٧٥
تهدئة العاصفة (٤:٣٥-٤١) ٧٦
ممسوس جرش (٥:١-٢) ٧٨
ابنة يائيرس والمرأة التي تعذر شفاؤها (٥:٢١-٤٣) ٨١
يسوع في الناصرة (٦:١-٦) ٨٥

المحطة الثالثة ٨٧

من ارسال الاثني عشر إلى اعتراف بطرس الايماني

(٦:٧-٨:٢٦)

ارسال الاثني عشر (٦:٧-١٣) ٩٠
اراء متنوعة حول يسوع (٦:١٤-١٦) ٩٢
آلام يوحنا المعمدان وموته (٦:١٧-٢٩) ٩٣
تكثير الارغفة (٦:٣٠-٤٤) ٩٤
السير على المياه (٦:٤٥-٥٢) ٩٧
شفاءات في جنسارت (٦:٥٣-٥٦) ٩٩
يسوع وتقاليد الفريسيين (٧:١-٢٣) ١٠١
ايمان امرأة وثنية (٧:٢٤-٣٠) ١٠٤
شفاء الاصم الاخرس (٧:٣١-٣٧) ١٠٦
ثاني تكثير الارغفة (٨:١-٩) ١٠٧
يسوع يرفض آية تجيء من السماء (٨:١٠-١٢) ١٠٩
عدم الفهم عند التلاميذ (٨:١٣-٢١) ١١٠
شفاء اعمى بيت صيدا (٨:٢٢-٢٦) ١١١

المحطة الرابعة ١١٣

من إعلان بطرس إلى إنباءات الآلام المتكررة

(٨:٢٧-١٠:٥٢)

اعتراف الايمان عند بطرس (٨:٢٧-٣٠) ١١٧

الانباء الاول بالآلام والقيامة (٨:٣١-٣٣) ١١٩

اتباع يسوع وبذل الذات في سبيله (٨:٣٤-٩:١) ١٢١

التجلي (٩:٢-٨) ١٢٣

الحوار حول ايليا (٩:٩-١٣) ١٢٦

شفاء مصروع (٩:١٤-٢٩) ١٢٨

الانباء الثاني بالآلام (٩:٣٠-٣٢) ١٣١

طريقة اتباع يسوع: الطفل (٩:٣٣-٣٧) ١٣٣

تعليمات إلى الجماعة المسيحية (٩:٣٨-٥٠) ١٣٥

مسألة الطلاق (١٠:١-١٢) ١٣٧

يسوع والاطفال (١٠:١٣-١٦) ١٤١

دعوة الرجل الغني (١٠:١٧-٢٢) ١٤٣

ملكوت الله والثروات (١٠:٢٣-٣١) ١٤٥

الانباء الثالث بالآلام (١٠:٣٢-٣٤) ١٤٨

طلب ابني زبدى (١٠:٣٥-٤٥) ١٤٩

اعمى اريحا (١٠:٤٦-٥٢) ١٥٢

المحطة الخامسة ١٥٧

في اورشليم: المواجه بين يسوع والسلطات الدينية

(١١:١-١٣:٣٧)

دخول المسيح إلى اورشليم (١١:١-١١) ١٦٠

التينة العقيمة (١١:١٢-١٤) ١٦٣

طرد الباعة من الهيكل (١١:١٥-١٩) ١٦٤

حول التينة اليابسة (١١:٢٠-٢٥) ١٦٧

سلطة يسوع على المحك (١١:٢٧-٣٣) ١٦٩

الكرامون القتلة (١٢:١-١٢) ١٧٠

الجزية المفروضة لقيصر (١٢:١٣-١٧) ١٧٣

الصدوقيون والقيامة (١٢:١٨-٢٧) ١٧٤

الوصية العظمى (١٢:٢٨-٣٤) ١٧٦

يسوع والكتبة (١٢:٣٥-٤٠) ١٧٨
فلس الارملة (١٢:٤١-٤٤) ١٧٩
خطبة خاصة جداً (١٣:١-٣٧) ١٨٠
دمار الهيكل وما بعده ..(١٣:١-٤) ١٨١
اوضاع مؤزمة (١٣:٥-١٣) ١٨٢
المحنة الكبرى (١٣:١٤-٢٣) ١٨٤
مجيء ابن الانسان (١٣:٢٤-٣٧) ١٨٦

المحطة السادسة ١٩٣

آلام يسوع وقيامته
(١٤:١-١٦:٨)

المؤامرة على يسوع (١٤:١-٢) ١٩٧
الدهن بالطيب في بيت عنيا (١٤:٣-٩) ١٩٨
استعداد يهوذا للخيانة (١٤:١٠-١١) ٢٠٠
الاستعدادات لعشاء الوداع (١٤:١٢-١٦) ٢٠١
اعلان خيانة يهوذا (١٤:١٧-٢١) ٢٠٢
تأسيس الافخارستيا (١٤:٢٢-٢٦) ٢٠٤
الانباء بنكران بطرس (١٤:٢٧-٣١) ٢٠٦
الصلاة في الجتسمانية (١٤:٣٢-٤٢) ٢٠٧
توقيف يسوع (١٤:٤٣-٥٢) ٢١٠
يسوع امام السنهدريم (١٤:٥٣-٦٥) ٢١٢
نكران بطرس (١٤:٦٦-٧٤) ٢١٦
يسوع امام بيلاطس (١٥:١-١٥) ٢١٧
مشهد الهزء (١٥:١٦-٢٠) ٢٢٠
الصلب على الجلجلة (١٥:٢١-٣٣) ٢٢١
موت يسوع (١٥:٣٣-٤١) ٢٢٣
الدفن (١٥:٤٢-٤٧) ٢٢٥
القبر المفتوح (١٦:١-٨) ٢٢٦
الخاتمة: ترائيات يسوع وارسال التلاميذ (١٦:٩-٢٠) ٢٣٠

الاطارات

• اخراج الشياطين ٣٦-٣٧
• جغرافية مرقس ١٣٢ - ١٣٣
• كيف ولد انجيل مرقس ١٩١ - ١٩٢
• السر المسيحاني ٤٤ - ٤٥
• المعجزات في إنجيل مرقس ١٥٥ - ١٥٦

مختارات الفكر المسيحي

سلسلة توثق ما نشرته مجلة الفكر المسيحي بين الاعوام ١٩٧١-١٩٩٤، لا سيما في ابوابها الثابتة

صدر منها سابقا:

(-) تاريخ الكنيسة الشرقية (الموصل ١٩٧٣)، همسات ابو فادي /ج١ (بغداد ١٩٨٥)، ابت هذه مشكلتي (بغداد ٢٠٠٤) ومنذ عام ٢٠٠٦ عمدت دار بيبليا للنشر إلى مواصلة إصدار كتب هي بحق "مختارات الفكر المسيحي"

ظهر منها

٢٩٠ص/٢٠٠٦(٢٥٠٠د.)

٥٠٠ص/٢٠٠٧(٣٥٠٠د.)

١٨٠ص/٢٠٠٧(٢٠٠٠د.)

٢٨٤ص/٢٠٠٨(٢٥٠٠د.)

٢١٠ص/٢٠٠٩(٢٠٠٠د.)

٥٠٨ص/٢٠١٠(٣٥٠٠د.)

٢٩٢ص/٢٠١١(٣٠٠٠د.)

٤٨٠ص/٢٠١١(٣٥٠٠د.)

(وفي النية إصدار كتابين تؤامين يوثقان مقالات المطران جرجس القس موسى والاب بيوس عفاص على مدى ٢٤ عاماً، يزفان إليهما بمناسبة يوبيلهما الكمهنوتي الذهبي عام ٢٠١٢).

اعلان:

تتوفر اعداد من مجلة الفكر المسيحي للسنوات ١٩٧١-١٩٩٤، في شكل مجموعات:

- المجموعة الكاملة (بكمية محدودة) ٢٤ عاماً ٢٥٠٠٠٠د.
- المجموعة الكاملة (عدا ١٩٧٥-١٩٧٧) ٢١ عاماً ١٠٠٠٠٠د.
- مجموعة إعداد ١٩٨١-١٩٩٤ ١٤ عاماً ٥٠٠٠٠د.
- الاعداد الخاصة للاعوام ١٩٧٨-١٩٩٤ (١٦عدداً) ٨٠٠٠د.

سلسلة تفاسير

(Commentaires)

عشرة اجزاء تغطي اسفار العهد الجديد، بقلم اختصاصيين في العلوم البيبلية. تنشرها دار بيبليا، على مدى ٥ أعوام، بمعدل كتابين في السنة. ظهر منها ٧ أجزاء، وبقي ٣ أجزاء: انجيل لوقا (٣)، اعمال الرسل (٥)، سفر الرؤيا (١٠)، تظهر في غضون ٢٠١٢-٢٠١٣.

١

الانجيل بحسب القديس متى /كلود تاسان
تعريب الاب بيوس عفاص، ٢٠٠٨/٢٨٨ص – ٣٠٠٠د.

٤

الانجيل بحسب القديس يوحنا/ آلان مرشدور
تعريب الاب بيوس عفاص،٢٠٠٩/٢٨٠ص- ٣٠٠٠د

٦

الرسالتان الى القورنتيين/ بول دي سيرجي وموريس كاريز
تعريب م. جرجس القس موسى، ٢٠١٠/٢٣٢ص-٣٠٠٠د

٧

الرسالتان الى روما وغلاطية/جان بيير ليمونون
تعريب الاخت باسمة الخوري، ٢٠١٠/٢١٦ص-٣٠٠٠د.

٨

الرسائل التسع الاخرى/شانتال رينييه وميشيل تريماي
تعريب الاب البير ابونا، ٢٠١١/٣٤٠ص-٣٠٠٠د.

وتؤلف الاجزاء٦و٧و٨ "ثلاثية" رسائل القديس بولس الثلاث عشرة
(تباع بسعر خاص: ٧٠٠٠د. فقط)

٩

الرسائل الاخيرة/ادوار كوتنيه – ميشيل موركن – البير فانوا
تعريب الاب فادي مسلّم، ٢٠١١/٢٤٨ص-٣٠٠٠د.

٢

الانجيل بحسب القديس مرقس/جاك هيرفيو
تعريب الخوري بولس الفغالي، ٢٠١٢/٢٤٠ص-٣٠٠٠د.

انجزت مطبعة الديوان طبع هذا الكتاب في الاول من اذار ٢٠١٢

سلسلة ابحاث كتابية

١. قراءة مجددة للعهد الجديد	تاليف: أ. بيوس عفاص ٥٤٠ص/١٩٩٩	(٤٠٠٠ د)
٢. يسوع الذي من الناصرة، بقلم مرقس الانجيلي	تعريب: أ. بيوس عفاص ٢٢٤ص/٢٠٠٢	(١٠٠٠ د)
٣. قراءة في العهد القديم/ج١: قبل الجلاء	٢٤٠ص/٢٠٠٣	(١٥٠٠ د)
٤. قراءة في العهد القديم/ج٢: من الجلاء الى يسوع	٢٧٢ص/٢٠٠٤	(٢٠٠٠ د)
٥. قراءة في العهد الجديد/ج١: الاناجيل الاربعة	٢٥٦ص/٢٠٠٤	(٢٠٠٠ د)
٦. قراءة في العهد الجديد/ج٢: اعمال الرسل، الرسائل، الرؤيا	٢٥٦ص/٢٠٠٤	(٢٠٠٠ د)

(وتؤلف الاجزاء الاربعة الاخيرة، من تعريب الأب بيوس عفاص [وتضمها علبة خاصة] مدخلا متكاملا الى الكتاب المقدس بسعر ٨,٠٠٠ دينار)
سعر خاص للجزئين من [قراءة في العهد الجديد]: ٣٠٠٠ د. فقط

٧. الكنيسة التي ورثناها عن الرسل	تاليف: أ. ريموند براون ت: م. جرجس القس موسى ٢٠٨ص/٢٠٠٥	(٢٠٠٠ د)
٨. لوقا - الاعمال/ وعد التاريخ	تاليف: دونالد يونيل تعريب: أ. البير ابونا ٢٠٠ص/٢٠٠٦	(٢٠٠٠ د)
٩-١٠. روايات الآلام والقيامة/ بحسب الانجيليين الاربعة	تاليف: أ.بيير بنوا تعريب: أ.بيوس عفاص ٣٣٦ص/٢٠٠٦	(٢٥٠٠ د)
١١. يسوع الذي هو المسيح	تاليف: أ.برنار راي ت: م. جرجس القس موسى ١٣٦ص/٢٠٠٧	(٢٠٠٠ د)
١٢. من اجل ايمان جاد/ الايمان بحسب القديس يوحنا	تاليف: ك. كارلو مارتيني تعريب: أ. البير ابونا ١٧٦ص/٢٠٠٨	(٢٠٠٠ د)
١٣. الانجيل بحسب القديس متى/ سلسلة تفاسير ١	تاليف: كلود تاسان تعريب: أ. بيوس عفاص ٢٨٨ص/٢٠٠٨	(٣٠٠٠ د)
١٤. مذكرات مريم، فتاة الناصرة	تاليف: جاكلين ساهيريا هوري ت: م. جرجس القس موسى ٢٨٨ص/٢٠٠٩	(٣٠٠٠ د)
١٥. الانجيل بحسب القديس يوحنا / سلسلة تفاسير ٤	تاليف: آلان مرشدور تعريب: أ. بيوس عفاص ٢٨٠ص/٢٠٠٩	(٣٠٠٠ د)
١٦. رسائل القديس بولس/ج١: سلسة تفاسير ٦ الرسالتان الى القورنثيين	تاليف: بول دي سيرجي وموريس كاريز ت: م. جرجس القس موسى ٢٣٢ص/٢٠١٠	(٣٠٠٠ د)
١٧. رسائل القديس بولس /ج٢: سلسلة تفاسير ٧ الرسالتان الى روما وغلاطية	تاليف: جان-بيير ليمونون تعريب: الاخت باسمة الخوري ٢١٦ص/٢٠١٠	(٣٠٠٠ د)
١٨. رسائل القديس بولس / ج٣: سلسلة تفاسير ٨ الرسائل التسع الاخرى	تاليف: هانتال رينييه وميشيل تريماي تعريب: أ.البير ابونا ٣٤٠ص/٢٠١١	(٣٠٠٠د)

(وتؤلف الاجزاء الثلاثة الاخيرة "ثلاثية" تغطي رسائل بولس الثلاث عشرة، بسعر خاص: ٧٠٠٠ د. فقط)

١٩. الرسائل الاخيرة / سلسلة تفاسير ٩	تاليف: ادواركوتنيه، ميشيل مورفان، البير فانوا تعريب: أ. فادي مسلم ٢٤٨ص/٢٠١١	(٣٠٠٠د)
٢٠. الانجيل بحسب القديس مرقس/سلسلة تفاسير ٢	تاليف: جاك هيرفيو تعريب: الخوري بولس الفغالي ٢٤٠ص/٢٠١٢	(٣٠٠٠د)

سيظهر قريبا

٢١. الانجيل بحسب القديس لوقا / سلسلة تفاسير ٣	يظهر في خريف ٢٠١٢
٢٢. سفر أعمال الرسل / سلسلة تفاسير ٥	يظهر في أوائل ٢٠١٣
٢٣. سفر الرؤيا / سلسلة تفاسير ١٠	يظهر في خريف ٢٠١٣

كتاب
ليس كسائر الكتب

الانجيل بحسب القديس مرقس هو الثاني في سلسلة "تفاسير"، وقد سبقه الانجيل بحسب القديس متى (بيبليا للنشر، ٢٠٠٨)، والانجيل بحسب القديس يوحنا (بيبليا للنشر، ٢٠٠٩)، وسيليه الانجيل بحسب القديس لوقا في خريف ٢٠١٢.

وهكذا تكون دار بيبليا قد خصّت بالتفسير الراعوي الرصين الاناجيل الاربعة ومكنت القراء من الالتقاء بكلمة الحياة في هذا العام المخصص للكتاب المقدس - وقد تزامن مع اليوبيل الفضي لمركز الدراسات الكتابية.

شركة الديوان للطباعة والنشر
بغداد-العراق

بهذه الكلمات افتتح البيبلي المعروف جاك هيرفيو مقدمته في انجيل مرقس الذي يجمع الاختصاصيون اليوم على أنه أول الاناجيل بفضل رواية رائد عرف ان يحوّل بشرى يسوع إلى كتاب ينير الدرب امام مؤمنين يعانون من الاضطهاد في السبعينيات، ويترتب عليهم أن يضعوا ثقتهم، دون تساؤل، في المسيح الحي القائم من بين الاموات الذي هو ذاته يسوع الناصري المصلوب!

.... قراءة متبحرة بعض الشيء لانجيل مرقس تفرض علينا ان نكتشف مؤلفا موغلاً في العمق. فهناك اخبار نظننها التقطت مباشرة من الحياة، تبدو لدى التحليل انها مبنية بحسب مخطط أكيد...

وإذا صح ان مرقس أحيل في كتابته، فينبغي الا ننسى حين نقرأه انه حامل كلام تقليد قديم. فيجب من دون توقف ان نميز عنده الحقبات الثلاث التي طبعت ولادة الاناجيل:

١.تعليم يسوع ونشاطه مع تلاميذه، في المجتمع اليهودي في بداية القرن الأول (سنة ٢٨ – ٣٠).

٢. كرازة الرسل الذين استعادوا اقوال يسوع واعماله وفسروها للجماعات المسيحية الناشئة (سنة ٣٠ – ٦٠).

٣. وهذه الكرازة الأولى انتقلت أولا انتقالا شفهيا، ثم دُوّنت بشكل تدريجي، تجاوبا مع حاجات كنائس في زمان ومكانٍ بعيدين عن البدايات (سنة ٦٠ – ١٠٠).

وشارك الانجيل "بحسب مرقس"، باصالة خاصة، في هذه المستويات الثلاثة من نقل بلاغ يسوع...

... فالانجيلي مسؤول عن جماعة مسيحية، يصوغ كتابه في هذه الجماعة ومن اجلها. يقاسمها حياتها وألمها ورجاءها...

جاك هيرفيو

يطلب من مكتبة بيبليا -كنيسة مار توما
الموصل - العراق

سعر النسخة: ٣٠٠٠ دينار

سلسلة
أبحاث
كتابية
٢٠

الانجيل بحسب القديس مرقس

تعريب: الخوري بولس الفغالي

٢٠١٢